جامعة الأزهر

كلية اللغة العربية

شاعر الرافدين بدر شاكر السياب

رسالة دكتوراه

مقدمة الى كلية اللغة العربية (جامعة الازهر)

لنيل درجة الدكتوراه فى الادب والنقد

اعداد

احمد صالح محمود عبد ربه

اشراف

الدكتور / محمد عبد المنعم خفاجي

١٣٩٦ – ١٣٩٧ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

:: المقدمــــة ::

بدأت صلتي بشعر " بدر شاكر السياب " سنة ١٩٦٠ حين قرأت له بعض قصائده الشعرية ، فلفتت نظري ، وأثارت اعجابي ، وأخذت أتابع في شغف ما يبدع من قصائد ، ومقطوعات وملاحم يصوغها تارة في القالب التقليدي ، وأحيانا على طريقة الشعر الحر ، وزاد اعجابي بشعره حين وجدته يصور واقع الانسان العربي ، ويناضل من أجل الوصول بأمته الى حياة أفضل .

وقد أخذت أقرأ بروية وامعان كل ما يعرض من شعر ، وما يصدر من دواوين وأعيش معه في صراعه ، وقلقه ، مما جعلني أقرر أن أفرده بدراسة مستقلة تتناول حياته وشعره .

ومن أهم الأسباب التي دفعتني لاختياره موضوعا لدراستي للحصول على الدكتوراه :

١ ـ خصوبة شاعريته ، واتساع ثقافته ، وانسانية مبادئه وأفكاره .
٢ ـ تجديده الفني في الشعر العربي الحديث ، وريادته لهذا التجديد .
٣ ـ ايمانه المطلق بعقيدته السمحاء ، وبتاريخ أمته وتراث قومه .
٤ ـ استخدامه للتراث وللتاريخ ، والرمز ، والأسطورة في شعره .
٥ ـ حرارة عواطفه ، وصدق تجاربه ، وروعة صوره ، وعمق خياله ، وأخيرا ايمانه بحرية وكرامة الانسان .

ولكن حينما حاولت افراده بهذه الدراسة المستقلة ، وقفت في طريقي بعض الصعوبات التي أذكر منها :

١ ـ تعذر حصولي على كل دواوين الشاعر ، وهي المادة الرئيسية لدراسة حياته

وشعره •

٢ ـ عدم توفر الكثير من المراجع المطبوعة والمخطوطة التي تصور لنا حياته في مراحلها المختلفة • من طفولته ، فشبابه ، فكهولته •

٣ ـ ضيق الوقت المتاح لي ، لأن العمل يستنزف معظم وقتي ، وناهيك بالتدريس وما يلقاه المدرس من عناء وشقاء في رحلة الاغتراب •

٤ ـ قلة أصدقاء الشاعر ومعارفه في مكان عملي " بالكويت " مما ترك الطريق أمامي غامضا بعض الوقت وبخاصة فيما يتعلق بحياته ونفسيته وأعماله •

٥ ـ قلة المصادر التي تعرضت لظروف الشاعر ومسيرة حياته بالتفصيل •

وعلى الرغم من هذه الصعاب والعقبات التي اعترضت طريقي في بداية الأمر الا أنني استطعت التغلب عليها بالخطوات الآتية :

١ ـ ايماني المطلق بالله أولا ، وصدق عزيمتي في التغلب على الصعاب تحقيقا للهدف •

٢ ـ رحلاتي المتعددة الى العراق • واتصالي المستمر بأسرة الشاعر في البصرة وأبي الخصيب • وبقيع • وجيكور • وحصولي على المعلومات المتعلقة بحياة الشاعر •

٣ ـ اطلاعي على مكتبة الشاعر الخاصة في منزله بالبصرة ، وعثوري على العديد من قصائده المخطوطة ، والمترجمة عن الشعر الأوروبي •

٤ ـ اتصالي بنفر من أصدقاء الشاعر في العراق ، ودارسي شعره ، أمثال الأستاذ محمود العبطة المحامي قاضي محكمة " أبي الخصيب " والشاعر محمد اسماعيل صديق طفولة الشاعر ، وزميله في مراحله الدراسية المتعددة ، والشاعر نعمة التميمي ، والشاعر محمد صالح عبد الرضا المذيع بتلفزيون البصرة • والشاعر خالد الشواف صديق الطفولة والصبا ، والشاعر محي الدين اسماعيل والشاعر كاظم جواد ، والشاعرة نازك الملائكة ، وغيرهم •

٥ ـ زياراتي المتعددة لجميع المدارس والمعاهد التي تلقى فيها الشاعر ثقافته مثل مدرسة " باب سليمان " الابتدائية " والمحمودية " بأبي الخصيب ، وثانوية البصرة ، وكلية التربية التي كانت معروفة من قبل باسم دار المعلمين العالية ببغداد ، كل ذلك من أجل تجميع أجزاء الصورة عن حياته ونفسيته ودراسته وثقافته .

٦ ـ زياراتي المتكررة للمستشفيات في كل من البصرة وبغداد ، وبيروت والكويت حيث عولج الشاعر أثناء مرضه ، وتقصى أسباب ذلك المرض ، واشتداده عليه حتى رحيله عن هذا العالم .

٧ ـ حصولي على معظم ما خلفه الشاعر من الشعر والنثر ومن المقالات والابحاث والقصائد ، وسأحاول القيام بطبع هذا التراث في كتاب مستقل تحت عنوان " السياب كاتبا وناقدا " في المستقبل ان شاء الله تعالى .

ولقد كانت أهم مصادري الشعرية :

١ ـ دواوينه الشعرية وهي بحسب الترتيب الزمني لصدورها :

أ ـ ازهار ذابلة " مطبعة الكرنك بالفجالة ، مصر ، سنة ١٩٤٧ .

ب ـ " أساطير " منشورات دار البيان ، مطبعة الغري الحديثة ، النجف ، سنة ١٩٥٠ .

ج ـ " انشودة المطر " دار مجلة شعر ، بيروت ، سنة ١٩٦٠ ، ودار مكتبة الحياة ، بيروت ، سنة ١٩٦٩ .

د ـ " المعبد الغريق " دار العلم للملايين ، بيروت ، سنة ١٩٦٢

هـ ـ " أزهار وأساطير " دار مكتبة الحياة ، بيروت ، سنة ١٩٦٣ .

و ـ " منزل الأقنان " دار العلم للملايين بيروت ، سنة ١٩٦٣ .

ز ـ " شناشيل ابنة الجلبي " دار الطليعة ، بيروت ، ط سنة ١٩٦٤ وط ٢ حزيران سنة ١٩٦٥ .

ح ـ " اقبال " دار الطليعة بيروت ، سنة ١٩٦٥ ، وقد صدر هـذا الديـوان بعد وفاة الشاعر بعام ، وقد جمعت هذه الدواوين مؤخرا في مجموعة " السياب الشعرية " دار العودة بيروت ، سنة ١٩٧١.

هذا بالاضافة الى دواوينه الأخرى التي صدرت بعد وفاته وهي :

١ ـ ديوان " قيثارة الريح " وزارة الاعلام العراقية بغداد سنة ١٩٧١ .

٢ ـ ديوان " اعاصـير " وزارة الاعلام العراقية بغداد سنة ١٩٧٤ .

٣ ـ ديوان " بواكـير " وزارة الاعلام العراقية بغداد سنة ١٩٧٥ .

هذا بالأضافة أيضا الى العديد من قصائده ، المخطوطة العربية منهـا أو المترجمة عن الشعر الأوربي. ومن اهم مصادري في هذه الدراسة عدا دواوين الشـاعر الكتب الآتيـة :

١ ـ كتاب " بدر شاكر السياب ، ودراسة في حياته وشعره ، للدكتور احسـان عباس .

٢ ـ كتاب " بدر السياب " حياته وشعره ، للدكتور عيسى بلاطة

٣ ـ كتاب : " بدر السياب والحركة الشعرية الجديدة في العراق " للاستـاذ محمود العبطة المحامي .

٤ ـ بدر شاكر السياب " رائد الشعر الحر " للاستاذ عبد الجبار البصري .

٥ ـ " بدر شاكر السياب " الرجل الشاعر " للدكتور سيمون جارجي .

٦ ـ " بدر شاكر السياب " للاستاذ ايليا حاوي .

٧ ـ قضايا الشعر المعاصر " للشاعرة " نازك الملائكة " .

٨ ـ " قضية الشعر الجديد " للدكتور محمد النويهي .

٩ ـ " الأدب المعاصر في العراق " للدكتور / داود سلام .

١٠ـ " الشعر العربي المعاصر " قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية " للدكتـور / عز الدين اسماعيل .

١١ـ الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث للدكتور / رؤوف الواعظ .

ماذا أضفت ؟

١٢ ـ " الشعر والشعراء في العراق " للاستاذ / أحمد أبو سعد .

١٣ ـ " الشعر العراقي الحديث مرحلة وتطور " للدكتور جلال الخياط .

١٤ ـ الأدب العربي الحديث ومدارسه للاستاذ الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي

١٥ ـ " الشعر العربي الحديث وروح العصر " للدكتور / جليل كمال الدين .

١٦ ـ " محاضرات عن الشعر العراقي الحديث " للاستاذ عبد الكريم الدجيلي .

وقد جعلت بحثي هذا في أربعة أبواب . الأول منها خصصته لحياة الشاعر ومصادر ثقافته وآثاره . وشاعريته . ومسيرة الشعر العراقي الحديث . وهو مكون من أربعة فصول تناولت في الأول قرية الشاعر وأسرته ونشأته ومراحل دراسته وحياته منذ ولادته حتى رحيله كما تناولت فيه نفسية الشاعر وشخصيته .

وفي الفصل الثاني تناولت أهم مصادر ثقافته الأدبية العربية منها والأجنبية . كما تناولت أيضا أهم آثاره الأدبية . ودواوينه الشعرية . وما ألقاه من محاضرات . وما كتب من مقالات وقصص وترجمات وغير ذلك .

وفي الفصل الثالث تناولت شاعريته ومراحل تطورها متابعا كل مرحلة منها ومتحدثا عن بواعثها . وما اذا كانت هذه البواعث ذاتية أو موضوعية .

وفي الفصل الرابع تناولت الشاعر من خلال حركة التطور في الشعر العراقي . وألقيت الاضواء على مسيرة هذا الشعر بصورة عامة منذ نهاية الحرب العالمية الأولى حتى عصر الشاعر .

أما الباب الثاني : فقد خصصته لاتجاهات الشاعر ومضمونه الشعري . وقسمته الى خمسة فصول تناولت في كل فصل منها اتجاها بعينه . فتناولت في الأول الاتجاه الذاتي وأعني به " الغزل . الشوق والحنين . وصف الطبيعة . الفقر والضياع . وصف المرض . وتجربة الموت .

وفى الفصل الثاني تناولت الاتجاه الاجتماعي في شعره ، موضحا مظاهر الحياة الاجتماعية وما قاساه ابناء العراق من فقر وجوع وحرمان ، وما خاضوه من ثورات ضد الأقطاع والبؤس والتخلف .

وفى الفصل الثالث تحدثت عن الاتجاه السياسى ، وكيف صور الشاعر مراحل ذلك الصراع فى عهود الظلم " وما قاساه ابناء الشعب العراقى من اضطهاد على أيدى حكامه آنذاك .

وفى الفصل الرابع تحدثت عن شعر " بدر السياب " القومى ، وعن وقوفه الى جانب قضايا قومه ، وكفاحه ضد الاستعمار والصهيونية ، فى المشرق العربى ، والمغرب العربى بل وعلى امتداد هذا الوطن العربى الكبير .

وفى الفصل الخامس ، تناولت شعره الانسانى العريض على امتداد الحياة الانسانية سواء كان هذا الانسان طفلا أم رجلا ، أم أمرأة ، على اختلاف جنسه ولونه وعقيدته ، ووطنه .

أما الباب الثالث فى هذا البحث فقد خصصته لاسلوب الشاعر وجملته فى اربعة فصول . تحدثت فى الأول منها عن القوالب والأشكال الشعرية التى صب فيها الشاعر مضامينه الشعرية ، ومن أهمها الشعر العمودى ، الذى التزم فيه الشاعر وحدة الوزن والقافية ، والموشحات ذات المقطوعات المتساوية فى عدد الأبيات لكنها متعددة القوافى ، والشعر الحر ، الذى لم يتقيد فيه الشاعر بعدد معين من التفعيلات فى كل سطر شعرى ، بل يختار العدد المناسب لتموجاته النفسية ودفقاته العاطفية مع الحفاظ على الوزن والايقاع العروضى العربى الأصيل .

وأخيرا الشكل " المزدوج " وهو الجامع للطريقتين ، التقليدية والحديثة فى القصيدة الواحدة .

وفى الفصل الثانى من هذا الباب ، تناولت مراحل تطور اسلوبه الشعرى ،

وخصائصه الفنية من لغة وأوزان ، وموسيقى ، وعاطفة ، وخيال ، وصور .

وفي الفصل الثالث تناولت أهم أدوات بنائه الشعرى وتشمل الصورة ، والرمز والاسطورة ، والفولكلور الشعبي ، والتراث الأدبي ، والتاريخ وغير ذلك .

وفي الفصل الرابع تناولت أهم خصائصه الفنية وتحدثت عن العاطفة والخيال وبناء صوره الشعرية وموسيقاه المتمثلة في الوزن والقافية والألفاظ الموحية وغيرها . موضحا خصب خياله ، وتجسيده الأفكار واعتماده على الصور للتعبير عن فكره وعاطفته وبينت أن الصورة عنده قد تكون مجزوءة وقد تكون كاملة ، وقد تكون ثابتة وقد تكون متحركة .

أما الباب الرابع والأخير في بحثي هذا فقد خصصته لتقويم شعر الشاعر ونقده ، وإصدار الحكم عليه ، وجعلته من ثلاثة فصول . تناولت في الأول منها مكانة الشاعر بين دارسيه من النقاد والباحثين ، وناقشت كل رأى منها وأبديت وجهة نظرى فيه .

وفي الفصل الثاني تناولت الشاعر ومكانته بين أشهر معاصريه ، ووازنت بينه وبين الشاعرة ، نازك الملائكة ، والشاعر بلند الحيدرى ، وغيرهما من الشعراء . الذين تأثروا به .

وفي الفصل الثالث والأخير تناولته بين ناقديه وعرضت أهم آراء النقاد المحدثين في شعر الشاعر ، وبينت ما فيها من صواب أو تحامل أو تحيز ، مبديا وجهة نظرى الخاصة في ذلك .

أما بالنسبة للمنهج الذى سلكته فقد كان مزيجا من المنهج التاريخي الذى تتبعت فيه الاحداث وانفعال الشاعر بها ، ومواقفه منها ، والمنهج الفنى الذى يدرس ويحلل النص الأدبي ، ويوضح خصائصه وسماته الجمالية والفنية .

ولقد وقفت عند هذه النصوص الشعرية التى أوردتها للشاعر ، محللا وناقدا ،

ودارسا لها موضحا ما فيها من مزايا وعيوب .

وقد انهيت بحثي هذا بخلاصة بينت فيها النتائج التي توصلت اليها والحقائق العلمية الموضوعية التي انتهيت اليها ، والاراء التي ناقشتها ، ووجدت فيها رأيا على آخـــر .

وبهذا أمل ان أكون قد أسهمت ببحثي هذا في وضع لبنة جديدة فـــي صرح الثقافة والمعرفة ، ومن اظهار عبقرية شاعر من أشهر الشعراء في العصر الحديث على قدر ما استطعت وأخيرا لا يسعني الا أن اتقدم بوافر الشكر والتقدير الـــى استاذي المشرف الدكتور / محمد عبد المنعم خفاجي الذي أعطاني من قلبه الكبـــير الكثير من الخصب والعطاء وأضاء لي جوانب الطريق بعلمه وانسانيته ، كما أتوجـــه بالشكر أيضا لكل من مد لي يد العون والمساعدة ، وقدم لي بعض الكتب والمراجع المتعلقة بالبحث ومنهم على سبيل المثال لا الحصر . السيدة الفاضلة " اقبال " زوج الشاعر ، وشقيقها الأخ فؤاد عبد الجليل ، والسيد / عبد المجيد السياب عـم (الشاعر) والاستاذ الاديب محمود العبطة المحامي ، والشاعرة نازك الملائكـــة ، وزوجها الدكتور عبد الهادي محبوبة ، والدكتور عبد الواحد لؤلؤة وغيرهم مـــن أدباء وشعراء العراق .

وأخيرا أرجو من الله التوفيق والسداد انه نعم المولى ونعم النصير ،،

أحمد صالح محمود

:: تمهيـــــــد ::

نبذه عن حياة الشاعر وعصـره :

ولد الشاعر (بدر شاكر السياب) سنة ١٩٢٥ على الارجح خلال حكم الملك فيصل الأول للعراق تحت ظلال الانتداب البريطاني البغيض في قرية صغيرة تدعى " بقيع" باحدى ضواحي "جيكور" مركز " أبي الخصيب " بلواء البصرة " في جنوب "العراق" من أسرة عربية كريمة • يرجع نسبها الى قبيلة ربيعة ذات التاريخ العريق وكانت هذه الاسرة تملك الجاه والنفوذ في أواخر العهد العثماني بالعراق ثم أخنى عليها الدهر بعد الاحتلال البريطاني نظرا لمواقفها الوطنية في وجه الغزاة مما اضطرها الى بيع معظم أملاكها والعمل في بساتين النخيل لدى كبار الاقطاعيين في جنوب العراق •

وقد عمل والد الشاعر (شاكر عبد الجبار السياب) مزارعا في بعض البساتين وعاش عيشة الكفاف مع والده وأخويه " عبد القادر السياب وعبد المجيد السياب "

وكان " بدر" باكورة والديه ثم رزق والداه بمولود ثان أسمياه " عبد الله " سنة ١٩٢٨ ثم بمولود ثالث سنة ١٩٣٠ اسمياه " مصطفى •

وكان " بدر" في بداية طفولته يغني للحياة رغم الفقر والجوع الذى كان يخيم على حياته ، كان يمضي معظم أيامه بين ضفاف نهر " بويب " بحثا عن السمك والمحار وبين مزارع النخيل بحثا عن أعشاش الطيور وفي المساء يجلس الى أفراد أسرته ليستمع الى القصص الشعبية من أمه وعمته وجدته العقلية العجوز مما ترك في نفسه ثروة أدبية فيما بعد •

لكن هذه السعادة لم تدم طويلا اذ سرعان ما هبت العواصف الهوج لتحطم بقية حياة هذه الاسرة ، ففي عام ١٩٣٢ توفيت والدة الشاعر مما أفقده



العطف والحنان وبذلك كانت هذه التجربة هي الصدمة الأولى في حياته وفي نفس هذا العام ادخله أبوه مدرسة " باب سليمان " الابتدائية وكان يذهب اليها غاديا ورائحا ماشيا على قدميه الصغيرتين وسط هجير الحر وزمهرير الشتاء • وفي عام نكب الشاعر بزواج أبيه من امرأة اخرى مما جعله يفر من منزل اسرته الى أحضان جدته " بجيكور " وفي عام ١٩٣٦ قام أول انقلاب عسكري في العراق بقيادة الفريق " بكر صدقي " مما جعل الحياة السياسية في العراق جحيما لا يطاق • وفي هذا العام أكمل " بدر " الدراسة الابتدائية في مدرسة " باب سليمان " ذات الصفوف الاربعة لينتقل بعدها الى مدرسة " المحمودية " بأبي الخصيب " حيث كانت الدراسة الابتدائية ست سنوات حينذاك •

وفي خريف عام ١٩٣٨ أنهى بدر دراسته الابتدائية وانتقل الى " ثانوية البصرة " لأكمال دراسته وسكن مع جدته لأمه بمنطقة " العشار " بالبصرة •

وفي خلال هذه المرحلة من حياته بدأ يبحث عن ينابيع الحب والحنان في قلب المرأة وكانت بداية هذا الحب لابنة عمه " وفيقة " السياب غير أن احلامه بالزواج منها لم تتحقق حيث اختطفها منه الموت •

وبينما كان الشاعر " بدر " يساعد جده في رعاية بعض أغنامه التقى بفتاة بدوية ترعى غنمها في ريف " جيكور " اسمها " هالة " فأحبها ونظم فيها شعرا ريفيا واستمر الشاعر على حبه لها حتى بعد زواجها بغيره • فقد وقفت العادات والتقاليد والظروف الاجتماعية والثقافية فاصلا بينهما • وبذلك انهار حبه الثاني بعد أن ترك في نفسه جرحا نازفا ولم تتوقف محنته عند هذا الحد فقد فجعه القدر بوفاة جدته الحنون • وبذلك سكن القلب الرؤوم الذي كان يشمله بالعطف والحنان مما جعله يرثيها ويبكيها بكاءا مرا •

وعلى الرغم من هذه الجراح واصل الشاعر مسيرته الدراسية حتى تخرج في

" ثانوية البصرة " في سنة ١٩٤٣ وبعدها صمم على اتمام دراسته العالية والتحق بدار المعلمين العالية في " بغداد " عام ١٩٤٣ ، ١٩٤٤ واختار فرع اللغة العربية في بادئ الأمر واقام بالقسم الداخلي فيها نظرا لقسوة ظروفه المادية •

وعندما انتقل الى بغداد رأى عالما جديدا يعيش على المال والصراع وفتح له بعض أصدقائه الأوفياء ابواب بغداد وذلك عن طريق ارتياد النوادي الأدبية والتعرف بكبار الشعراء أمثال " الجواهري ، وهادي الدفتر ، وخضر الطائي " وعبد الرحمن البناء " وغيرهم •

وبهذا صقل الشاعر موهبته وشاعريته حتى استطاع أن يفرض وجوده وسط الحياة الأدبية في بغداد بعد أن نجح في انتزاع تقدير وأعجاب الجميع • غير أن هذه الشهرة الأدبية لم تكن لتملأ قلب الشاعر المتعطش الى الحب والحنان •

فأخذ يبحث عن قلب جديد يسقيه ماء الحياة والاحساس بالوجود من زميلاته في الدراسة ومن خارج عالم الدراسة ، غير أن هذا الحب لم يكن الا من طرفه فقط حيث كان ينسج من خياله حبا وهميا •

ولعل هذا الفشل عائد الى احساسه بالخجل أمام المرأة فلم يستطع أن يبوح لها بما في قلبه مع افتقاره للمال والجاه اللذين تتعلق بأصحابهما المرأة ، وهكذا تراكمت آلام الشاعر وتعددت جراحاته مما فجر في أعماقه وقلبه ينابيع الشعر وجداول الاحزان ولكن على الرغم من هذا كله صمم الشاعر على أن يبني مجده الأدبي والفني بنفسه حتى يفرض وجوده وسط هذا المجتمع •

وفي عام ١٩٤٨ تخرج الشاعر من دار المعلمين قسم اللغة الانجليزية بعد أن تحول اليه من فرع اللغة العربية وعين مدرسا للغة الانجليزية بثانوية " الرمادي " في أكتوبر عام ١٩٤٨ لكنه ما كاد يمضي بضعة أشهر حتى هب الشعب العراقي ثائرا ضد " معاهدة بورت سماوث " التي حاول فيها الاستعمار البريطاني ربط العراق

بمجلة الاستعمار وكان يدر في مقدمة الصفوف الفاضبة يغذي النفوس بالحماس والتضحية مما جعل الطغاة يلاحقونه بالتشريد والسجن والتنكيل بعد أن فصل من عمله وتعرض للجوع والحرمان . بل حرم عليه العمل بالتدريس لمدة عشر سنوات مما اضطره لأداء بعض الأعمال التي لا تتناسب ومكانته الادبية وعندما اشتد ارهاب نوري السعيد في مطلع عام ١٩٥٣ اضطر للهرب الى ايران ومنها الى الكويت متنكرا بجواز سفر ايراني مزيف وفي الكويت عمل موظفا بادارة الماء والكهرباء لكنه كان يحترق ألما وشوقا الى وطنه مما دفعه الى نظم أروع ملاحمه الشعرية مثل " قصيدته "غريب على الخليج " و" انشودة المطر" و" المومس العمياء " و" الأسلحة والاطفال " وبقى منفيا في الكويت حتى تولى العرش الملك " فيصل الثاني " فعاد الى وطنه وكله أمل في بناء حياة جديدة واستطاع بعد كفاح طويل أن يجد له عملا في مديرية الاستيراد بوزارة التجارة العراقية وفي سنة ١٩٥٥ تزوج باحدى قريباته وهي السيدة اقبال عبد الجليل " أخت زوجة عمه " عبد القادر " فأنجب منها ابنته الأولى " غيداء " عام ١٩٥٦ ثم ابنه " غيلان" سنة ١٩٥٧م واخيرا ابنته الاء عام ١٩٦١ .

وعندما قامت ثورة العراق ضد الحكم الملكي السعيدي في ١٤ تموز ١٩٥٨ ظن الشاعر أن الجدب والقحط والظلم قد ولى الى غير رجعة وخاصة عندما عاد الى عمله مدرسا " باعدادية الاعظمية " في بغداد لكن هذه الفرصة لم تمش طويلا حيث انحرفت الثورة عن مسيرتها وفشلت في تحقيق أهداف الشعب وأمانيه الوطنية والقومية بسبب سيطرة الشعوبيين في عهد عبد الكريم قاسم عليها مما حول العراق الى مجزرة رهيبة ومقبرة سوداء مملوءة بالحفر والعظام والحبال وبخاصة بعد فشل ثورة " الموصل" التي قام بها الشهيد " عبد الوهاب الشواف " سنة ١٩٥٩ مما جعل الشاعر يحس بالتمزق والعذاب في داخله وينحدر بسرعة نحو المرض وعندما استمرت جرائم الشعوبيين بالعراق اضطر الشاعر الى تقديم استقالته والعودة بأسرته الى " البصرة " لكن

الظروف أرغمته على العمل في مصلحة الموانئ بالبصرة وفي اثناء هذه الفترة بـــدأ
المرض يتسلل الى جسده بقسوة وعنف حيث اصيب بالشلل النصفي في عوده الفقري
مع سفره الى بعض مستشفيات العالم وبخاصة في بيروت ولندن وباريس ، ولكن المرض
كان يزداد يوما بعد يوم وعندما عجز الشاعر عن مواصلة العلاج نظرا لظروفه الماديـــة
القاسية ، عاد الى العراق هيكلا محطما ، لكن سرعان ما عاد اليه الأمل الـــى
الحياة من جديد عندما قامت حكومة الكويت بمعالجته على نفقتها الخاصة وفي اليوم
السادس من شهر أغسطس عام ١٩٦٤ أدخل الشاعر المستشفى الاميرى بالكويـــت
وسط رعاية وعناية خاصة لكن هذا كله لم يقف حائلا أمام الموت الذى أخذ يحملـق
في وجه الشاعر صباح مساء وبدأت صحته في التراجع والانهيار خاصة بعد أن سيطر
الشلل على جميع اعضائه ما عدا يده اليمنى التي بقيت تكتب كل ما في أعماق الشاعر
من جراح وآلام وفي يوم الخميس الرابع والعشرين من ديسمبر عام ١٩٦٤ لفظ الشاعر
أنفاسه الأخيرة بعد أن عاش في صراع مع المرض والموت ما يزيد على ثلاث سنوات وفي
اليوم التالي نقل جثمانه ليدفن الى جانب عمه " عبد القادر " بمقبرة " الحســـــن
البصرى " بالزبير " وهكذا مضت رحلة الشاعر من المهد الى اللحد .

.....

الباب الاول

حياته

الفصل الأول : بيئته وحياته

١ ـ قريته . ٢ ـ حياته الدراسية

٣ ـ نشأته . ٤ ـ حياته العملية من ١٩٤٨ ـ ١٩٦٤

٥ ـ خلاصة حياة الشاعر . من ١٩٢٥ ـ ١٩٦٤

٦ ـ شخصيته ونفسيته .

الفصل الثاني : ثقافته وأهم آثاره الأدبية

١ ـ مصادر ثقافته .

٢ ـ أهم آثاره الأدبية .

الفصل الثالث : شاعريته بواعثها ومراحلها الفنية ، مراحلها

١ ـ الرومانسية . ٢ ـ الواقعية .

٣ ـ التموزية . ٤ ـ الذاتية المرضية .

الفصل الرابع : السياب في حركة الشعر العراقي المعاصر
أهم مراحل الشعر العراقي المعاصر .

١ ـ المرحلة التقليدية المتطورة من ١٩١٧ ـ ١٩٢٣

٢ ـ المرحلة الرومانسية من ١٩٤٠ ـ ١٩٤٦

٣ ـ مرحلة الشعر الحر من ١٩٤٧ ـ ١٩٦٤

. . . .

((الفصل الأول))

:: بيئتـه وحياتـه ::

سبق الحديث عن حياته في التمهيد ص (ط)

قريتــــه :

الى الجنوب الشرقي من مدينة البصرة بجنوب العراق ، وعلى امتداد شط العرب شط الرمال والنخيل ، والسفن ذات الأشرعة المتهادية على صفحات الماء كأسراب الطيور رسمت الأقدار أروع وأجمل لوحة عرفتها الطبيعة ، فيها تتعانق غابات النخيل الكثيفة المترامية على امتداد شط العرب ، وفيها تمتد الظلال وملامح السحر والجمال " وتتخلل هذه الغابات بعض القرى المتناثرة ، وجداول المياه ، وبعض الأنهار الصغيرة التي تتوج هاماتها معابر صغيرة في جذوع النخيل " (1) تنساب من تحتها المياه الرقراقة بخفر وحياء تحت أقدام النخيل وأغصان الشجر المثقلة بالثمار والزهور ، لتهمس في آذانها بأروع الأنغام وأعذب الألحان التي تتراقص على موسيقاها أسراب الطيور وأكثر ما يتجسد ويتضح هذا الجمال عندما تستحم هذه الطبيعة ليلا بضوء القمر ، وكأنها أهداب طفل رائع جميل هده التعب .

ظل من النخيل ... أفياء من الشجر
أندى من السحر
في شاطئ نام فيه الماء والسحب
ظل كأهداب طفل هده اللعب
نافورة ، ماؤها ضوء القمر
أود لو كان في عيني ينسرب (2)

---

(1) د . عيسى بلاطة ، ص١٧ - بدر السياب - حياته وشعره ، دار النهار ، بيروت سنة ١٩٧١ .

(2) بدر السياب ، مجموعته الشعرية ، دار العودة ، بيروت ، سنة ١٩٧١ ص ١٨٧ .

كما تزداد فتنة هذه الطبيعة ، وتبرز مفاتنها بصورة أشد وأروع كلما اتجه الزائر جنوبا نحو " مدينة أبي الخصيب " التي كانت ولا تزال تمثل مركز قضاء تابع لمحافظة البصرة الذي يضم عددا من القرى المتناثرة ، من بينها قرية صغيرة لا يتجاوز عدد سكانها " ألفا ومئتي نسمة " وتقع على نهر صغير يسمى نهر " أبو فلوس " من شط العرب تدعى قرية " جيكور " (١) وهي كلمة فارسية الأصل مكونة من كلمتين هما : " جوى ، كور " ومعناهما " الجدول الأعمى " .

وقد ذكر بعض الباحثين السابقين ان تعداد سكان هذه القرية أقل بكثير مما ذكر سابقا " وأن تعداد سكانها لا يتجاوز " خمسمائة نسمة فقط " (٢) والحقيقة أن سكان هذه القرية يتراوح عددهم بين خمسمائة وسبعمائة نسمة فقط ــ وقد تأكدت من ذلك خلال زياراتي المتكررة لهذه القرية في الاعوام القليلة الماضية ، عندما زرت أسرة الشاعر في كل من البصرة وأبي الخصيب وبقيع ، وجيكور .

ومن أشهر هذه القرى التابعة لمركز " أبي الخصيب " جيكور " التي لا تبعد عن بقية القرى الأخرى سوى مسافات قصيرة جدا وبعض شجيرات النخيل المتناثرة هناك ولهذا يمكن اعتبارها جميعا بمثابة قرية واحدة ، وأن كل واحدة منها مكملة للأخرى وامتداد لها

ومما يؤكد هذا التلاحم ما يربط بين سكانها من صلات القربى في الدم والنسب فبينما نجد الشاعر من قرية " بقيع " نجد والدته من قرية جيكور ، كما أنها ابنة عم زوجها أيضا .

ومما يكمل هذا التلاحم أيضا وقوعها جميعا بين أحضان غابات النخيل الكثيفة التي تحجب عنها ضوء الشمس في أغلب الأحيان .

كما أن طرق هذه القرى ترابية متعرجة وسط النخيل تظللها الأزهار والأشجار وكأنها قطعة من جنان الخلد وقد وصفها الشاعر العربي ، مختار الوضي الوكيل

---

(١) د / احسان عباس ، ص ١٧ .
(٢) د / عيسى بلاطه ص ١٧ .

أليس لبدر شعر في قريته ؟

أثناء زيارته لها بقولـه :

جيكور — يا نغمة حارت على وتر * فحوّم اللحن بين السهل والغاب
نبت الطبيعة لم تستو لدى نغماً * غير الجمال صهيا بين أتـراب
الحسن فيك نداء زانه خفـر * لا نقش وجنه ولا تقصير جلباب
امتص كالطير ثديا من خمائلـه * وأرجم النخل يخويني بأرطـاب
فأغلى صدر من تسخو بنائلهـا * والنهر في موج باد واسكـاب (١)

لهذه كلة ليس غريبا ان يعشق الشاعر " قريته " وأن يتغنى بجمالها وروعتهـا وأن يحبها بكل ما في اعماقه ، وأن ينصهر في بوتقتها " حتى امتزج بها ووصفها وأكثـر من الشعر الغنائي فيها الذي يصف جمال ريفها " (٢) حتى جعل منها فردوسـا للمدينة تتطلع اليه حضارتنا اليوم " (٣) بعد ان كانت جيكور تعيش في الماضي علـى هامش الحياة جعل منها السياب قرية شهيرة في الأوساط الأدبية ، لأن شاعرا هـو : " بدر السياب " ولد وعاش فيها ، وكان من نتائج هذا الحب لقريته ان انعكس على شعره بصورة واضحة قوية كما سنبين فيما بعد عند الحديث عن وصفه لجمال الطبيعة .

أما بالنسبة لمنازل هذه القرى العراقية فهي غالبا " مبنية من الطين ، وسقوفهـا من جذوع النخيل ، والبوص وسعف النخيل والقش " (٤) كما أنها قليلة النوافذ بسبـب قسوة برودة الشتاء وحر الصيف ، فهي مظلمة قاتمة يعيش فيها الفلاح العراقي مع ماشيته جنبا الى جنب ، كما ان بداخلها " دكة من الطين " يستعملها الفلاح بمثابة سريـر للنوم ، كما أن بعض منازلها الأخرى مصنوعة من " الصريف " والقش وجريد النخيل ، مما يجعلها عرضة للتطاير عند هبوب الرياح والعواصف ، مما يدل على ما يعانيه معظـم أبناء الريف من فقر وحرمان نظرا لسيطرة الأقطاع العشائري على مقدرات البلاد منذ أمـد

---

(١) راجع أضواء على شعر وحياة الباب ص ٣٧ دار السلام — بغداد سنة ١٩٧٠ محمود العبطة المحامي .
(٢) د / داود سلوم . الأدب المعاصر في العراق — بغداد سنة ٦٢ ص ١٦٩ .
(٣) جبرا ابراهيم جبرا . الانباء الجديدة ، عدد ٣٠ بغداد سنة ٦٥ ص ٣ .
(٤) د . احسان عباس ، بدر السياب دراسة في حياته وشعره ص ٢٠ .

طويل . هذا كله أيضا بالاضافة الى بعض الحفر المغطاة بالقش التي ينام فيها الفقراء المعدمون ، فهي الى القبر أقرب منها الى الحفرة المادية .

ولكن الى جانب هذه القبور والأكواخ وبيوت الطين السوداء توجد بعض القصور والحدائق " الغناء " التي يسكنها كبار الملاك وشيوخ الاقطاع ، وهكذا يتعانق الثراء الفاحش بالفقر المدقع القاتل .

" وتتخلل هذه القرى أزقة متعرجة يلهو على جانبيها الأطفال الصغار ، وهم حفاة عراة غالبا ، يطاردون أسراب الطيور والبط المذعورة والنهاية نحو جداول الماء المتناثرة بكثرة تحت اشجار النخيل بلاحساب " (١) ومن اهمها جدول " بويب " الذي يسقي مزارع النخيل والبساتين الأخرى في بقيع وجيكور ، وكوت بازل ، وغيرها من القرى المجاورة وقد خلد الشاعر " نهره الحبيب " لأنه مرتع طفولته وملاعب صباه .

يلعب مع أقرانه على ضفافه باحثا في اعماقه عن المحار والأسماك الصغيرة ، اذ يقول :

" بويب .... بويب "
فيد لهم في دمي حنين
اليك يابويب "

أود لو أغوص فيك أتبع القمر
وأسمع الحصى يصل فيك في القرار
صليل آلاف العصافير على الشجر (٢)

وفي وسط هذه البيوت والمنازل القائمة على ضفاف " بويب " بقرية " بقيع " يرتفع

---

(١) د / احسان عباس ، بدر السياب دراسة في حياته وشعره ص ٢١ .
(٢) بدر السياب ، مجموعته الشعرية ص ٤٥٣ — قصيدة ، النهر والموت .

منزل قديم أساسه من الآجر المشوى ، وجدرانه من الطين ما زال يقف شامخا رغم الأخاديد الغائرة التي حفرها الزمن على جبينه ، وعندما قمت بزيارته في ربيع سنة ١٩٧١ وجدته في الخارج كما وصفه أحد الصحفيين العراقيين بقوله : " ان البيت تحللت جذوره حتى أصبح كأسفل القبر ، وله باب كبير مثل باب حصن قديم — وقد كتب عليه من الخارج بالطباشير اسم ساكنه الوحيد اليوم هو " عبد المجيد السياب " عم الشاعر — حيث ما زال يسكن الغرفة الوحيدة الباقية الصالحة للسكن " (١) وقد كان المنزل قبل عشر سنوات تقريبا ينبض بالحركة والحياة أما منظره الداخلي فهو منزل كبير له فناء مستطيل على جانبيه عدد من الغرب المتهدمة والتي تزيد على خمس عشرة غرفة تقريبا ، كما أنه يتألف عند مدخله الرئيسي من طابقين ، للأعلى منهما شرفة خشبية مزخرفة ومسقوفة تشرف على فناء المنزل من جهة وبساتين الأسرة المحيطة بالمنزل من جهة أخرى • وقد كانت في الماضي ملتقى عميد الأسرة بأترابه وأصدقائه وأهله •

أما الطابق الأسفل فيشتمل على ممر عريض • في نهايته " ديوان " الأسرة والذى كان في أحد الأيام ملتقى الأعيان والوجهاء في البصرة وأبي الخصيب ، كما كان ملتقى الفلاحين مع " عميد " آل السياب " خاصة في ليالي رمضان المبارك للتشاور في أمور دينهم ودنياهم من جهة ولاستماع الشعراء الشعبيين الذين يعزفون قصص البطولة والملاحم الشعبية المختلفة • (٢)

غير أن هذا المجد سرعان ما انهار تحت وطأة الأحداث وتغير الحياة بعد الاحتلال البريطاني وبذلك أصبح المنزل بمثابة أطلال دارسة تقريبا ، كوجوه عجائز التي عاصرت السنين الطوال •

فأوجـــه العجائـــز

---

(١) جريدة النهضة العراقية ، بغداد ، عدد ١٨٤ في ٤ شباط سنة ١٩٦٥ •
(٢) في مقابلة شخصية مع عم الشاعر " عبد المجيد السياب ، بالمنزل في ١٠ / ٣ / ٧١

أضحى في الحديث عن مناجل العصور
من القبور ، فيـــه والجنائـــز (١)

وكما تهدم منزل الأسرة تقريبا تحت عجلة الزمن ، فقد تحطم كذلك منزل الفلاحيـــن المجاور لمنزل الأسرة هؤلاء الفلاحين الذين كانوا يعملون في أرض وبساتين عميـــد " آل السياب " عندما كان في قمة مجده وجاهه ونفوذه خلال الحكم العثماني . ولم يبق من هذا المنزل الآخر سوى بعض الجدران المتهدمة والأبواب الخشبية المنهارة ، وشجرة " السدرة " التي تتوسط ساحة هذا المنزل لتروى على مسامع الأجيال قصة آل السيـــاب ومن صور خراب هذا المنزل قول " السياب " :

خرائب فانزع الأبواب عنها ، تغـــد أطـــلالا
خوالي قد تصك الريح نافذة ، فتشرعها الى الصبح
تطل عليك منها عيـــن " بوم " دائـــم النوح
وسلمها المحطـــم مثل برج ، داثر ، مـــالا
يئن اذا أتتـــه الريـــح ـ تصعده الى السطح
سفين تحـــرك الأمـــواج ألواحـــه (٢)

أما تصويره " للسدرة " التي شهدت طفولته وصباه ، ففي قولـــه :

وتملأ رحبـــة الساحـــة
ذوائب " سدرة " غبراء " تزحمها العصافيـــر
تمد خطى الزمـــان ، بشقشقات المناقيـــر
كأفواه من الديدان ، تأكل جثـــة الصمـــت

---

(١) بدر السياب ، مجموعته الشعرية ـ ديوان منزل الأقنان ص ٢٧٧ .
(٢) بدر السياب المجموعة الشعرية ، من منزل الاقنان ص ٢٧٨ .

وتملأ عالـــم المـــوت (١)

لكن رغم هذا الانصار الذى لحق بمنزل الشاعر مؤخرا بعد وفاته فقد قامت الحكومـــة العراقية مؤخرا بتجديده واعادة الحياة اليه حفاظا وتقديرا منها لمكانة الشاعر وتراثه الأدبى الرائـــــع .

وقد كان هذا المنزل القديم أثناء مجده وعزه القديم ملتقى ومهبط أسرة السياب ذات التاريخ العريق المجيد حيث ينتهى نسبها العربى الى قبيلة ربيعة ذات المجد والشـرف كما أنها كانت ذات جاه ونفوذ بعدما استطاع أحد أحفاد الجد الأساس لهذه الأســرة ويسمى " سياب بن محمد " ان يمتلك العديد من غابات النخيل الواسعة فى جنـــوب العراق خاصة فى منطقة " جيكور " كما استطاع عبد الجبار بن مرزوق السياب ان يفــرض وجوده على المنطقة بأسرها وأن يكون حاكما لها بعد أن تغلب على الشيخ " خزعل " أمير منطقة المحمرة " المحاذية لمنطقة عبدان بايران . واستمر حاكما لهذه المنطقة حـــتى الاحتلال البريطانى لجنوب العراق سنة ١٩١٤ " . (٢) ومما يؤكد لنا هـــــذا التصرف أيضا ما ذكره الشاعر " بدر السياب " عن مكانة أسرته قائلا :

" اننى انحدرت من أسرة وعائلة غنية ، تملك بساتين النخيل ــ التى كان العديـد من الفلاحين يقومون بخدمتها وادارة شئونها ــ وكان هؤلاء يتقاضون الثمن من النتاج (٣) هذا بالاضافة الى وجود آثار وأطلال منزل هؤلاء الفلاحين المجاور للمنزل الكبير والذى أطلق عليه الشاعر " منزل الأقنان " وجعله عنوانا لديوانه الشعرى " منزل الأقنـــــان سنة ١٩٦١ وباعتراف العديد من الفلاحين المجاورين الذين عملوا فى بساتين هـــذه الأسرة أثناء عزها ومجدها الماضى فى العصر العثمانى .

وقد اختلفت آراء الباحثين والنقاد حول أسباب تسمية واطلاق لقب " السيـــــاب "

---

(١) بدر السياب ، المجموعة الشعرية ، من منزل الأقنان " ص ٢٧٩ وما بعدها .

(٢) مقابلة شخصية مع أسرة الشاعر بالبصرة ، وعمه عبد المجيد السياب فى منزل الأسرة القديم ببقيع فى ١٠/٣/١٩٧١ .

(٣) بدر شاكر السياب ، جريدة الحرية العراقية ، بغداد ، عدد ١٤٤١ سنة ١٩٥٩ .

عليها فذكر بعضهم ان هذا اللقب عائد الى اشتغال أفراد هذه الأسرة بزراعة النخيل وجني البلح الأخضر أحيانا ، والسياب في اللغة يطلق على البلح أو البسر الأخضر كما في قواميس اللغة العربية " (١) .

وذكر فريق آخر أن اسباب ذلك تعود الى انفصال وترك جد عم الأول " سياب بن محمد بن بدران " لبقية أفراد اسرته المعروفة بأسرة " المير " واعتزاله لها بعد انتشار الطاعون في العراق سنة ١٨٣١ م . (٢)

ونحن نرى أن لفظ " السياب " ليس لقبا بل اسما حقيقيا لجد هذه الأسرة وذلك للأسباب الآتيـة :

أ ـ تسمية هذا الجد الرئيسي للأسرة " سياب بن محمد بن بدران " .

ب ـ اعتراف أفراد الأسرة أن هذا اسم لهم وليس لقبا كما خيل للبعض .

جـ ـ لم يكن " سياب بن محمد " هو الوحيد الذي يعمل في زراعة النخيل وجني البلح الأخضر ، بل هناك الآلاف من الفلاحين بجنوب العراق الذين يقومون بهذا العمل ورغم ذلك لم يطلق على أحدهم " لقب السياب " .

د ـ لم يكن " سياب بن بدر " أول من ترك بقية أسرته فهناك العديد من الأفراد والقبائل الأخرى التي تجزأت وانفصلت عن بعضها بسبب ظروف الحياة المتعددة ورغم ذلك لم يطلق على احدهم أو احداها " لقب السياب " .

وقد ولد لهذا الجد الأعلى " سياب بن محمد " حفيد اسمه " عبد الجبار ابن مرزوق ، بن سياب بن محمد " استطاع ان ينجب ثلاثة من الأبناء هم ، شاكر

---

(١) راجع قاموس " لسان العرب " في ص ٤٦١ وتاج العروس ، طبعة مصر سنة ١٣٠٦ هـ ج ١ ص ٣٠٦ .

(٢) مقابلة شخصية مع عم الشاعر السيد / عبد المجيد السياب في أبي الخصيب بتاريخ ١٠/٣/١٩٧١ .

" والد الشاعر " وعبد القادر ، وعبد المجيد وقد حاول والد عم في البداية ان يدفع بهم الى مدارس العلم بعد أن انهوا المرحلة الابتدائية • غير ان الظروف الاقتصادية والاجتماعية التي تعرضت لها الأسرة عقب الاحتلال البريطاني للعراق سنة ١٩١٧ حالت دون تحقيق هذه الأمنية خاصة بعد أن فقدت هذه الأسرة معظم أملاكها بسبب مناهضتها لسياسة الاحتلال البريطاني ومحاربتها له خلال معارك الحرب • (١)

وكان " شاكر السياب " أكثر اخوانه طموحا للحياة فعمل بزراعة النخيل حينا والاشراف على مزارع أحد الاقطاعيين الأغنياء بجنوب البصرة حينا آخر ، لكنه انفصل عن منزل الأسرة نظرا لمعارضتها الشديدة في زواجه الثاني بعد وفاة زوجته والدة الشاعر سنة ١٩٣٢ م •

أما عبد القادر فقد بقي ملازما لوالده في منزل الأسرة حتى وفاته • وكذلك الأمر بالنسبة لعمه الثاني " عبد المجيد " الذي ما زال حتى يومنا هذا يعيش في احدى غرف هذا البيت ممتزجا بذكرياته وماضيه وحاضره بعد ان تحول الى كعبة يحج اليها الشعراء والأدباء من كل حدب وصوب تخليدا وتقديرا لذكرى الشاعر " بدر شاكر السياب " •

***

---

(١) نفس المقابلة الشخصية مع عم الشاعر عبد المجيد السياب ، في نفس المكان بتاريخ ١٠/٣/١٩٧١م •

نشأتـــــه :

بعد ان احتفل العراق بميلاد أول مجلس نيابي على أرضه سنة ١٩٢٤ م في ظـــل جلالة المغفور له " الملك فيصل الأول " الذى تولى العرش سنة ١٩٢١ ، ووضع حجـــر الأساس في بناء الكيان العراقي الحديث ، توجه المرحوم " عبد الجبار مرزوق السيـــاب " مع ابنه " شاكر " الى قرية " جيكور " لخطبة ابنة عمه " كريمة السياب " وفى نفس هــذا العام تمت مراسيم الزواج بمنزل الأسرة " ببقيع " " وفي أواخر عام سنة ١٩٢٥ رزق شاكر السياب بأول أبنائه فسماه " بدر " وكم كانت فرحة الأسرة بقدوم المولود الجديد الـــذى ملأحياتهم بالفرح والسعادة ، وخاصة جده الذى رأى فيه امتدادا لحياته " . (١)

وفي عام سنة ١٩٢٨ رزق بمولود آخر أسماه " عبد الله " مما ضاعف من سعـــادة هذه الأسرة ، وفي سنة ١٩٣٠ رزق بمولود ثالث سماه " مصطفى " وبذلك اكتملـــت فرحة هذه الأسرة التى تعتز بالبنين لأنهم رمز القوة والجاه والنفوذ غير أن هـــذه الفرحة والسعادة لم تعمر طويلا اذ سرعان ما توفيت الزوجة اثر نزيف حاد بعد ولادتهـــا لابنتها التى تبعتها مباشرة سنة ١٩٣٢ م .

ومما عمق من آلام وجراح هذه الأسرة تدهور الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في العراق حينذاك حيث كان الشعب العراقي بقيادة بعض أبنائه المخلصين يخـــوض صراعا عنيفا ضد مطامع الانتداب البريطاني البغيض الذى فرض الحديد من القيود علـــى شكل معاهدات استعمارية بغيضة ربطت العراق بسلطة الانتداب البريطاني وجعلتـــه أسيرا لقبضة الاستعمار البريطاني ، وقد كانت بداية هذه المعاهدات الغاشمة معاهـدة سنة ١٩٢٢ التى جعلت من العراق فريسة لمطامع الاستعمار وجعلت من سياسته المزدوجة

---

(١) مقابلة مع أسرة الشاعر بالبصرة في ١١/٣/١٩٧١ .

مأساة لحياته فهو من حيث الظاهر والشكل دولة ذات مؤسسات دستورية ، وحكومة وطنية وفي الواقع كان خاضعا لسياسة المندوب السامي البريطاني في بغداد ولمستشاريه البريطانيين الذين يتحكمون في مصير الشعب العراقي (١) مما جعل الشعب العراقي يحس ويؤمن بعدم وجود فرق ظاهر بين حياة الانتداب وحياة الاحتلال المباشر الذي سبق الانتداب • وقد كان من نتائج هذا الظلم السياسي والقهر الفكري والتخلف الاجتماعي الذي عمق الاستعمار جذوره في صفوف الشعب العراقي ان هب الشعب العراقي في صراع مرير ضد الطغاة وأذنابهم الذين يتعاونون معه ضد أماني الشعب وتطلعاته الوطنية والقومية ، كما قاموا بمحاربة هذه المعاهدة الجائرة في سبيل الحصول على الحرية والاستقلال وبعد العديد من هذه المعاهدات في سنة ١٩٢٦ وسنة ١٩٢٧ استطاع الشعب العراقي ان يحصل على استقلاله المشروط بمعاهدة سنة ١٩٣٠ التي وقعها " نوري السعيد " حينذاك ، على ان يبدأ هذا الاستقلال النسبي سنة ١٩٣٢ بدخول العراق عضوا في عصبة الأمم " • (٢)

وكما كان الصراع عنيفا ضد الاستعمار ومعاهداته الغاشمة فقد كان عنيفا أيضا في المجال الاجتماعي ، ضد الاقطاع المشائري البغيض الذي أخذ يفرض ظله الأسود على معظم أنحاء العراق وفلاحي العراق بمساعدة الاستعمار ضمانا لمصالحه ومطامعه في خيرات وثروات العراق • وبذلك عاش العراق خلال هذه الفترة في تخلف اجتماعي وثقافي عميق • مما ترك في أعماق هذا الشاعر العديد من الآلام والجراح والثورة فيما بعد ضد الاستعمار وأعوانه من الاقطاعيين وغيرهم من العملاء كما سنرى في شعره فيما بعد :

وعلى الرغم من هذه المآسي التي عاناها العراق خلال طفولة الشاعر الأولى • الا ان " بدرا " كان قبل وفاة أمه سنة ١٩٣٢ يحس بالسعادة وهو يفر في النهار

---

(١) راجع : الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث • د • رؤوف الواعظ ص ١٥٢ وما بعدها •

(٢) راجع : عبد الرزاق الحسني ، تاريخ الوزارات العراقية ص ٥٢ ، وتاريخ العراق السياسي الحديث ص ٦٠ •

مع اخوانه الصغار تحت أشجار النخيل وعلى ضفاف نهرهم الصغير " بويب " وبين أحضان " بيادر القمح " في صيف " جيكور " وكانت ملاعب طفولته الهانئة تمتد ما بين " جيكور " ومزارع " بويب " وربما بقى هذان المكانان نصيبه من الحياة حتى النهاية ، نبينهما غزل خيوط عمره ـ وذكرياته ، وأمانيه ، ومزج ثراهما بدموعه ـ وفي أعماقه حفر لهما صورة لا تنسى مهما طال الزمن " (١)، وفي المساء بين أحضان أمه وعمته وجدته العجوز فوق " تنور " المنزل ، خاصة في ليالي الشتاء ، حيث يحلو السمر واستماع القصص الشعبية المختلفة عن الخرافات والأشباح التي كان يسمعها من أمه قبل نومه :

هي وجه أمي في الظلام
وصوتها يتزلقان مع الرؤى ـ حتى أنام
وهي النخيل أخاف منه ، اذا أدلهم مع الغروب
فاكتظ بالأشباح تخطف كل طفل لا يؤوب
من الدروب

وعن قصص الملوك الغابرين وفتوحاتهم التي كان يسمعها من عمته الحنون :

وحديث عمتي الخفيض عن الملوك الغابرين
وراء باب كالقضاء
قد أوصدته على النساء
أيد تطاع بما تشاء لأنها أيدي رجال

ومن قصص جدته " المغلية العجوز " عن الحب العذري عند العرب قوله :

وهي المغلية العجوز ، وما توشوش عن " حزام "

---

(١) د / احسان عباس ص ١٩ .

وكيف شق القبر عنه أمام " عفراء " الجميلة
فاجتازها الا جديلة . (١)

هذا بالاضافة الى العديد من القصص الشعبية الأخرى التي كان يسمعها من جده لأبيه مثل قصص عنترة وعبلة والسندباد ، وجنة ارم ذات العماد وغيرها كما فى قصيدته " جنة ارم " بديوانه شناشيل ابنة الجلبي بمجموعته الشعرية ص ٦٠٢ وغيرها من القصص الكثيرة التى تملأشعره . غير أن هذه السعادة لم تدم طويلا اذ سرعان ما هبت العاصفة الهوجاء لتحطم شراع سفينة هذا الطفل الصغير عندما توفيت والدته الحنون ـ مما جعله طوال ليله خائفا مرعوبا باحثا عن أمه فى ظلال الليل دون ان يحلم بأن قبرها يرقد هناك فوق سفح التل المواجه للمنزل ودون ان يحلم قسوة الموت بعد . وكلما ألح فى السؤال عنها أخبروه بأنها ستعود قريبا من السفر .

كان طفلا بات يهذى قبل أن ينام
بأن أمه التي أفاق منذ عام
فلم يجدها ثم حين لج فى السؤال
قالوا له " بعد غد تعود "
وان تهامس الرفاق ـ انها هناك
فى جانب التل ـ تنام فى اللحود (٢)

وازدادت آلام الشاعر عندما تزوج والده بامرأة أخرى لتحل مكان والدته المتوفاة رغم معارضة الجد والأعمام لهذا الزواج . وقد رأى فيه " بدرا " خيانة كبرى من أبيه تجاه أمه التي أحبها ورفض أن تحتل امرأة أخرى ـ مهما كانت ـ مكانة أمه " لأنه لم

---

(١) بدر شاكر السياب ، قصيدة " غريب على الخليج " ديوان انشودة المطر ص ١٤٣ وما بعدها ـ بيروت سنة ١٩٦٩ .
(٢) نفس القصيدة السابقة ص ١٤٥ .

يحترم ذكرى زوجته بعد وفاتها ــ ولم يف بحقها من الوفاء فتزوج بدلا منها ، وهكــذا انكمش الشاعر عن أبيه وابتعد عن زوجته الثانية " .(١) كما كان من آثار هذه الصدمات المتلاحقة على نفس الشاعر وروحه أن أظلمت الحياة في عينيه ،كما تزعزع فيه حس الاطمئنان حتى ان الشاعر لم يذكر أن أباه حاول مرة واحدة ان يعوض لأبنائه الحب الذى فقدوه بموت أمهم " (٢) وبذلك أصبح هذا الأب في نظر ابنه " بدر " رمزا يمثل الجحــود والعصا وسوط المؤدب " (٣). ومما يؤكد لنا هذا الاحساس والشعور بالنقمة على والده ما نجده في بعض قصائده حين يقول :

ذراعــا أبى تلقيــان الظــلال
علــى روحــى المستهــام الغريــب
ذراعــا أبى والســراج الحزيــن
يطارد نــفى في ارتعاش رتيــب
وحــفيف بــين الأوجــه الجائعــات
حيــارى فيــا للجدار الرهيــب
ذراعــا أبى تلقيــان الظــلال (٤)
علــى روحــى المستهــام الغريــب

ومما عمق هذه الكراهية في نفسه أيضا احساسه العنيف بالحرمان من العطف والحنــان داخل منزل الأسرة ذاته بعد أن تحول الى قطعة من الجحيم والسجن الرهيب القاتــم الذى لا يطاق في الوقت الذى يرى فيه اطفال أعمامه الصغار يمرحون ويلعبون بين حنان أمهاتهم وعطف آبائهم . دون أن يحظى بغير نظرات الاشفاق الزائفة .

ولهذا كله كره الشاعر قريته " بقيع " ولم يذكرها في شعره قط ــ وألقى نفسه بكــل

---

(١) د / محمد التونجي ــ بدر السياب والمذاهب الأدبية المعاصرة ص ١٠ .
(٢) د / عيسى بلاطة . بدر السياب حياته وشعره ص ٢٤ .
(٣) د / احسان عباس ص ٢٠ .
(٤) بدر السياب مجموعته الشعرية ، بيروت سنة ١٩٧١ ، ديوان أزهار وأساطيــر قصيدة " سجين " ص ٧٩ .

ما يملك فى أحضان جدته لأمه التى كانت تعيش فى " جيكور " لتمسح بحنانها وجهها ما فى أعماقه من جراح وآلام نازفة ، بينما بقى أخواه الآخران فى منزل الأسرة تحت رعاية جدهما لأبيهما حتى النهاية • وبقيت هذه الجدة الحنون المرفأ الوحيد لسفينة حياته والمنارة التى تضىء جنبات نفسه بالحياة والأمل لفترة من الوقت حتى وفاتها ، وكان موتها بلا شك صدمة قاسية على الشاعر أفقدته كل طعم للحياة وجعلت وجوده سلسلة من العذاب المتصل • والشقاء المرير منذ وفاة أمه الحبيبة حتى نهاية حياته • كما كان موتها تفجيرا لينابيع الحزن والألم بقوة من أعماقه المحترقة فبكاها ورثاها بحرقة ونزيف دائم حين قال :

جدتى من أبث شكواى
طوانى الأسى وقل معينى
انت يامن فتحت قلبك بالأمـ
ـس لحبى وأوصدت قبرك دونى
فقليل على أن أذرف الدمع
ويقضى على طول أنينى (١)

لهذه النكبات المتلاحقة والصدمات القاسية والسهام المتتابعة على قلب الشاعر منذ بداية طفولته فقد تحول شعره الى أغنية حزينة وملحمة دامية ستبقى فريدة فى نوعها وخلودها •

وقد أجمعت آراء معظم الباحثين والنقاد المحدثين على أن ولادة الشاعر " بدر السياب " كانت عام سنة ١٩٢٦ (٢) حينما نكب العراق بمعاهدة سنة ١٩٢٦ الاستعمارية التى حاول فيها المستعمر تهديد العراق بفصل ولاية الموصل عنه واعطائها لتركيا اذا

---

(١) بدر شاكر السياب " ديوان اقبال " ص ٧٨ وما بعدها •
(٢) راجع د / عيسى بلاطه ، بدر السياب ، ود / احسان عباس ، بدر السياب ود / جلال الخياط ـ الشعر العراقى مرحلة وتطور •

استمر فى معارضته للاحتلال البريطانى .

كما اتفقوا كذلك على أن ولادته كانت بقرية " جيكور " مركز أبى الخصيب بمحافظة البصرة هذا بالاضافة الى قولهم ان الشاعر " بدر " كان " واسطة العقد " بين أخويه عبد الله ، ومصطفى ومع احترامنا العميق لآراء هؤلاء الباحثين والنقاد الا أننا لا نتفق معهم فيما ذهبوا اليه فى هذا المجال .

فبالنسبة " لتاريخ " ولادة الشاعر فقد تبين لنا بعد البحث والاستقصاء أن تاريخ ميلاد الشاعر كان فى عام ١٩٢٥ وليس فى عام ١٩٢٦ كما ذكر سابقا فى جميع الأوساط الأدبية وذلك للأسباب الآتية :

١ ـ عدم وجود شهادة ميلاد رسمية للشاعر لدى هؤلاء الباحثين والنقاد .

٢ ـ اعتراف العديد من أفراد أسرته ـ خاصة عمه عبد المجيد ـ ان ولادة بدر كانت فى نهاية ١٩٢٥ عام صدور الدستور العراقى فى ظل المغفور له " جلالة الملك فيصل الأول " .

٣ ـ العثور على سجل الشاعر عندما كان طالبا " بالمدرسة المحمودية الابتدائية بأبى الخصيب من سنة ١٩٣٦ ـ سنة ١٩٣٨ والمسجل تحت رقم ٦ وفيه ان تاريخ ميلاده كان عام سنة ١٩٢٥ م (١) ولهذا فنحن نرجح ميلاده عام سنة ١٩٢٥ وليس سنة ١٩٢٦ كما هو شائع الآن .

أما بالنسبة الى مكان ولادته فقد تبين لنا أيضا أنها لم تكن فى قرية " جيكور " رغم تغنى الشاعر بها فى شعره وحبه العميق لها . بل كانت فى قريته " بقيع " حيث يقع منزل آل السياب والدليل على صدق ما ذهبنا اليه ما يلى :

---

(١) راجع سجل الشاعر بمدرسة المحمودية الإبتدائية " بأبى الخصيب " رقم ٦ سنة ١٩٣٦ .

١ ــ اعتراف أقارب الشاعر وعمه " عبد المجيد " السياب حين أخبرنى أنه ما زال يسكن الغرفة التى شهدت ميلاد " بدر " بالاضافة الى أقوال وشهادات العديد من الشيوخ والعجائز الذين شهدوا ولادة الشاعر فى منزل الأسرة " ببقيع " .

٢ ــ تسجيل مكان الولادة " بقيع " ضاحية جيكور " . مركز ابى الخصيب محافظة البصرة فى ملف الشاعر الدراسى بمدرسة البصرة الثانوية .

٣ ــ اعتراف الشاعر نفسه بذلك حين قال " على الرغم من ولادتى فى " بقيع " موطن الأسرة الا أننى أحببت " جيكور " لأنها كانت مرتع طفولتى وصباى ، ومنبع الحنان الذى لقيته فى صدر جدتى لأمى بعد وفاتها " . (١)

ومما يؤكد أيضا ما ذهبنا اليه ما قاله احد النقاد العراقيين الذين واكبوا مسيرة حياة الشاعر حين قال : " لقد ولد الشاعر فى منطقة " بكيع " بكاف فارسية . أما جيكور فهى محلة صغيرة فيها وتعنى بيت " العميان " . (٢)

كما بين لنا أحد النقاد الآخرين سبب كراهية الشاعر لقريته " بقيع " وحبه العميق الى " جيكور " بلدة جدته لأمه حين قال " ان ذلك يعود الى اشتداد الصخب ، والشقاء والفقر فى جنبات المنزل ، مما دفع بالشاعر لأن يحس بأنه محروم ومطرود من دنيا الحنو الأمومى ولهذا فهو قد فر من " بقيع " فراره من الوحش الهائل الذى يكاد ينشب فيه مخالبه وينأى عن ذلك الصخب الكبير ، لاجئا الى حنان جدته بجيكور (٣) التى كانت بمثابة واحة له يستظل بها من قسوة الحياة ومرارة اليتم ــ وجراح الأحزان المتدفقة

وهكذا تبين لنا ان سر تعلقه " بجيكور " وهتافه باسمها فى شعره دائما حتى وهو على سرير المرض انما يرجع الى تعلقه وحبه بها حين وجد فيها حنان الجدة

---

(١) جريدة الحرية العراقية ببغداد عدد سنة ١٤٤١ ، سنة ١٩٥٩ .
(٢) محمود العبطة المحامى ، أضواء على شعر السياب ، دار السلام ببغداد سنة ١٩٦٥ ص ١٩ .
(٣) د / احسان عباس ص ٢١ .

وابتسامتها التى مسحت جراحه وأحزانه لفترة من الزمن ، كما كانت ملعب طفولته ومرتــع صباه خلال اقامته بين ربوعها ونخيلها .

أما بالنسبة الى كونه واسطة العقد فهذا أمر بعيد عن الواقع ـ اذ كان الشاعـر باكورة والديه كما ذكر أحد النقاد والباحثين السابقين حين قال :

" وفى عام سنة ١٩٢٦ ولدت زوجة شاكر السياب ابنا دعاه والداه " بــدرا " وفى عام سنة ١٩٢٨ ولدت له ابنا ثانيا سماه " عبد الله " وفى عام سنة ١٩٣٠ م ولدت له ابنا ثالثا دعاه " مصطفى " وكان فخورا بابنائه الثلاثة " (١) هذا بالاضافة الـى اعتراف اخوة الشاعر أنفسهم بذلك بالاضافة الى شهادة السيدة " اقبال " زوجة الشاعر والعديد من الأقارب والأصدقاء عندما شرفت بزياراتى لهم فى العراق خلال السنـوات الماضيـة .

وخلاصة القول نستطيع أن نقرر ما يلــى :

١ ـ ان ولادة الشاعر كانت عام سنة ١٩٢٥ م وليس فى عام سنة ١٩٢٦ كما ذكر معظم الباحثين السابقيـن .

٢ ـ ان مكان ولادة الشاعر كان فى منزل الأسرة الكبير " ببقيع " وليس فى " جيكـور " كما هو شائع ، رغم تغنى وحب الشاعر لها لأنها كانت مرتع طفولته وصباه ، ومنبع حب جدته لــه .

٣ ـ كان الشاعر باكورة والديه ولم يكن واسطة العقد كما ذكر بعض النقاد السابقيـن خاصة الدكتور / احسان عباس فى كتابه " بدر السياب دراسة فى حياته وشعـره ص ٢٠ ـ ٢١ .

---

(١) د / عيسى بلاطه ص ٢٠ .

٤ ـ أن الشاعر لم يذق طعم العطف والحنان الأبوي الا قبل وفاة والدته فقط أما بعد ذلك فقد تجمعت سحب العذاب والألم في سمائه حتى فارق هذه الحياة سنة ١٩٦٤م •

٥ ـ أن غلبة روح الحزن والألم والثورة في شعره عائد لظروف حياته القاسية ونكباته المتعددة التي تعرض لها خلال مسيرته •

٦ ـ انعكاس آثار الصراع السياسي والاقتصادي والاجتماعي في العراق خلال مرحلة البناء والتأسيس للكيان العراقي في عهد الملك " فيصل الأول " على أسرة الشاعر وبالتالي على حياة الشاعر فيما بعد •

٧ ـ أن الشاعر ينتمي الى أسرة عربية عريقة ذات نضال وطني ضد الاحتلال كانت تتمتع بالجاه والنفوذ والمال في أواخر العهد العثماني ـ ثم أخنى عليها الدهر وتنكر لها الزمن بعد الاحتلال البريطاني البغيض مما دفعها للعمل في ميدان الزراعة •

٨ ـ نشأة الشاعر بين أحضان الطبيعة الجميلة ذات النخيل والماء والشط والرمال وأشرعة السفن ـ وأسراب الطيور ، مما جعل من شعره مرآة صادقة " لجنوب البصرة " يحمل في ثناياه عبير الريف وعطر النخيل وأزهار " الدفلى " •

كما سنوضح هذه المظاهر والآثار عند الحديث عن جمال الطبيعة وأثره في شعره الذاتي •

* * *

حياته الدراسيـــة :

بعد أن ودع الشاعر جثمان أمه للعالم الآخر والألم يعتصر روحه المعذبة سنـــة ١٩٣٢ م كان العراق يستعد للاحتفال الكبير بمناسبة حصوله على الاستقلال النسبي بعد كفاح مرير ونضال شديد ضد الانتداب البريطاني وأعوانه دام حوالى عشر سنوات طـــوال وفى غمرة هذا الاحتفال الوطنى كان الشاعر " بدر " يستعد لدخول الصف الأول الابتدائى ولكن نظرا لعدم وجود مدرسة ابتدائية للبنين فى منطقة جيكور فقد اضطر أن يسير كـــل يوم ماشيا على قدميه الصغيرتين مسافات طويلة وسط زمهرير الشتاء وهجير الصيف اللافـــح للدراسة بمدرسة " باب سليمان الابتدائية للبنين " التى كانت تبعد بضعة كيلو متـــرات عن جيكور " (١) وعندما نجح بدر فى السنة الأولى الابتدائية وانتقل للسنة الثانية فجـــع العراق بوفاة عاهله المغفور له جلالة الملك فيصل الأول سنة ١٩٣٣ بعد كفاح طويل من أجل بناء العراق الحديث ـــ وتولى بعده الملك ابنـــه جلالة الملك غازى غير أنه لم يكـــن فى البداية مؤهلا لتحمل هذه المسئولية الثقيلة " اذ كان شابا قليل التجربة ، تسيطـــر عليه الانفعالات ، وتسيره العواطف ـــ كما كان حوله رجال خبروا الحياة السياسية ومارسوا الحكم ، وانغمسوا فى الحياة الحزبية والتكتلات الضيقة كما تفننوا فى رسم الدسائـــس والمؤامرات التى ارتضوها سبيلا للوصول الى الحكم " (٢) وقد أدى هذا الضعـــف القيادى بالتالى الى ازدياد تكالب هؤلاء الطامعين فى مناصب الحكم وكراسى الـــوزارة وقيام صراع دموى عنيف فيما بينهم كاد يقضى على البقية الباقية من هيكل العراق الوليـــد وكان من أهم مظاهر الصراع خلال هذه الفترة من حياة الشاعر وعراقه قيام " حرب الوزارات العراقية " اذ أخذ كل زعيم طامع فى الحكم الاستعانة بأنصاره من شيوخ القبائل والعشائر المسلحين ضد خصومه فى سبيل الوصول الى مقاليد الوزارة مقابل اقتسام الغنائم بينهـــم فيما بعد . (٣)

---

(١) د / عيسى بلاطه ص ٢١ .
(٢) د / رؤوف الواعظ ، الاتجاهات الوطنية فى الشعر العراقى الحديث ص ٢٥ .
(٣) راجع : العراق من الاحتلال الى الاستقلال ، عبد الرحمن البزاز ، ص ٢٣٦ .

وعند ما فشل بعض هؤلاء الزعماء المتصارعون بمساعدة أنصارهم من القبائل المسلحة لجأوا الى بعض كبار ضباط الجيش الطامعين فى مناصب الدولة مما أدى بالتالى الى قيام انقلاب " بكر صدقى " أحد قادة الجيش العراقى سنة ١٩٣٦ مما أدى الى " فتح باب الانقلابات العسكرية فى العراق حتى وصل عددها خلال الحرب العالمية الثانية الى ما يزيد على سبع انقلابات متتالية " (١) دفع العراق خلالها العديد من خيرة أبنائه ضحايا على مذابح مطامع الطامعين - كما كان من نتائج هذا الصراع الدموى أيضا ان انتشرت الفوضى ، وانهارت المؤسسات الدستورية ، واضطراب الأوضاع الحياتية فى أرجاء العراق وتأليف العديد من الوزارات المتعاقبة خلال فترة قصيرة من الزمن حتى ان بعض الوزارات لم تعش أكثر من أحد عشر يوما فقط ، " (٢)

وقد كان " بدر " خلال هذه الفترة الزمنية القصيرة قد انهى دراسته الابتدائية بمدرسة " باب سليمان " لينتقل بعدها الى مدرسة " المحمودية " الابتدائية بأبى الخصيب لاكمال الصفين " الخامس " والسادس " الأبتدائى وفى عام سنة ١٩٣٧م تم اغتيال قائد الانقلاب الأول " بكر صدقى " على يد بعض الضباط القوميين العرب فى مطار الموصل عند ما كان يستعد للسفر الى تركيا ، وفى عام سنة ١٩٣٨ نجح الشاعر فى الصف السادس الابتدائى بعد ان اضطر لاعادته مرة أخرى لظروف خارجة على ارادته " وكان " بدر " خلال دراسته الابتدائية يتمتع بالذكاء والنبوغ فى نظم الشعر حتى استطاع أن يلفت اليه أنظار أساتذته بالمدرسة ، خاصة مدرس اللغة العربية الذى أخذ يشجعه على قرض الشعر - ويمده بما يحتاجه من نصائح وارشادات وكتب أدبية " (٣)

وبعد ان نجح فى الصف السادس الابتدائى سنة ١٩٣٨ شجعه جده لأبيه على مواصلة الدراسة الثانوية ، وبعث به الى " ثانوية البصرة " مع جدته لأمه وسكن معها

---

(١) راجع تاريخ الوزارات العراقية ج ٢ ص ١٩٠ عبد الرزاق الحسنى والواعظ ص ٢٥٠.

(٢) وراجع نظام الحكم فى العراق ص ١٢٣ د / مجيد خدورى وتاريخ الوزارات العراقية ص ١٩٠.

(٣) مقابلة شخصية مع الاستاذ الشاعر / محمد على اسماعيل صديق طفولة الشاعر فى أبى الخصيب بتاريخ ١١/٣/١٩٧١.

فى منطقة " المشار " احدى أحياء " البصرة " وفيها وجد حياة جديدة تختلف عما ألف فى حياة القرية ـ حياة تموج بالحركة والنشاط والأفكار الأدبية والسياسية المتصارعة وفى خلال فترة انتقاله هذا كانت الحرب العالمية الثانية تدق أبواب العالم بقسوة وعنف ، كما كانت مشاعره وأحاسيسه وعواطف المراهقة تهزه من الداخل لتوقظ فيه آمال وآلام الشباب فى هذه الحياة •

فعندما أصبحت هذه الحرب الضروس تطل على العالم سنة ١٩٣٩ حاول الاستعمار البريطانى ان يزج بالعراق معه فى أتون الصراع العالمى مستندا فى ذلك الى معاهدته الفاشمة التى قيد بها العراق سنة ١٩٣٠ م ـ مقابل منحه الاستقلال الشكلى[١] • وعندما رفض جلالة الملك " غازى " ذلك بعد أن نضج فكره السياسى والقومى لجأ الاستعمار الى تنفيذ مؤامرته الدنيئة بمساعدة بعض أعوانه الطامعين للتخلص من هذا المليك الشاب الوطنى " وفى مساء الرابع من نيسان سنة ١٩٣٩ م تم تنفيذ المؤامرة الدنيئة ـ وسقط الملك " غازى " ضحية لها بحجة أن وفاته كانت نتيجة حادثة تعرضت لها سيارته الملكية واصطدامها بأحد اعمدة النور فى بغداد "[٢] وكان الثمن الذى قبضه هؤلاء العملاء ان تم تعيين " عبد الاله " وصيا على عرش العراق كما تم تعيين " نورى السعيد " رئيسا للوزراء • بالاضافة الى توزيع بعض المناصب الأخرى على بقية المتآمرين • وعندما حاول رئيس البلاط الملكى حينذاك " رستم حيدر " ان يكشف خيوط المؤامرة قام كل من عبد الاله ونورى السعيد بقتله والتخلص منه • لكن احد الشهود من بعض الضباط الوطنيين نجح فى كشف المؤامرة للشعب العراقى ـ بل وبعث برسالة للعميل " نورى السعيد " يقول فيها : " نعم يانورى السعيد فقد كان " رستم حيدر " ضحيتك وضحية الوصى على العرش بسبب اطلاعه على تفاصيل جريمتكما لمقتل الملك " غازى "[٣] وعندما علم الشعب بهذه الجريمة النكراء هب عن بكرة أبيه مطالبا باعدام الخونة • واجتاحت

---

(١) راجع تاريخ العراق السياسى الحديث • د / عبد الرزاق الحسنى ج ٣ ص ٢١٩ وما بعدها •
(٢) محمود الدرة الحرب العراقية البريطانية لسنة ١٩٤١ ـ بيروت سنة ١٩٦٩ ص ١٠١ •
(٣) مذكرات ـ صلاح الدين الصباغ ص ١٣٤ •

مظاهرات الصاخبة شوارع مدن العراق خاصة فى الموصل حيث قتل فيها القنصل البريطانى على يد المتظاهرين انتقاما لمقتل الملك " غازى " رحمه الله " (١) أما الوصى على العرش وزبانيته فقد استطاع الفرار من بغداد بعد ذلك الى البصرة ومنها الى اسطول سيده المستعمر فى الخليج مما دفع بالشعب الى المناداة بالزعيم " رشيد عالى الكيلانى " رئيسا للوزراء ، وتعيين سمو الأمير " شرف " وصيا على العرش ، غير ان الاستعمار البريطانى أخذ يدفع بالعراق نحو هاوية الحرب من أجل اعادة احتلال العراق عسكريا من جديد وفى الثانى من مايو سنة ١٩٤١ بدأت الحرب العراقية البريطانية التى استمرت ما يقرب من شهر كامل قاتل فيها جيش العراق وشعبه ببسالة وشجاعة رغم عدم التكافؤ بين القوتين سواء فى السلاح أم الرجال والأموال ، وبعد أن تم اخضاع العراق عسكريا لسلطة الاحتلال ، وفرار معظم زعماء الثورة للخارج ، قام المحتلون بارتكاب الجرائم الوحشية ضد أبناء الشعب العراقى " كما عاد العملاء أمثال " عبد الاله " ونورى السعيد ، وصالح جبر ، والجنابى ، وغيرهم الى بغداد من جديد تحت ظلال الحراب (٢) الاستعمارية ليرتكبوا أبشع الجرائم ضد ابناء الشعب الوطنيين ، كما جعلوا من العراق سجنا مظلما يخنق أنفاس هذا الشعب المناضل ، كما قاموا بشنق معظم زعماء الثورة أمثال ، يونس السبعاوى ، وفهمى سعيد ، ومحمود سلمان ، وصلاح الصباغ وغيرهم من قادة الجيش العراقى ، ولم يكتف عبد الاله بشنقهم فقط بل أمر بترك جثثهم معلقة على أبواب وزارة الدفاع العراقية ببغداد لفترة طويلة اعتقادا منه بأن هذا الاجرام سيزرع الرعب فى قلوب الوطنيين المخلصين من أبناء العراق . (٣)

وكان هذا العمل الاجرامى بداية اشتعال الثورة فى قلوب الشباب العراقى حيث رثاهم الشاعر " بدر شاكر السياب " بقصيدته الوطنية " شهداء الحرية " مصورا فيها

---

(١) انظر الحرب العراقية البريطانية محمود الدرة ، ص ١٠٦ .
(٢) عبد الرزاق الحسينى ، الثورة العراقية الكبرى جـ ٢ ص ٣٢ .
(٣) انظر " الثورة العراقية البريطانية ، محمود الدرة ص ١٠٦ وما بعدها .

آلام الشعب العراقي على ضحاياه وثورته العاصفة ضد الطغاة عملاء الانجليز يقول فيها :

شهيد العلا لن يسمع اللوم نادبه
وليس يروي باكيه من قد يعاتبه
طواه الردى فالكون للمجد مأتم
مشارقه مسودة ومغاربه

الى أن يقول :

أراق عبيد الانجليز دماءهم
فياويلهم ممن تخاف جوانبه
أراق عبيد الانجليز دماءهم
ولكن دون الثأر من هو طالبه (١) .. الخ

وكانت هذه أول قصيدة وطنية للشاعر " بدر " عندما كان طالبا بثانوية البصرة سنة ١٩٤٢

وكما تفجر قلب " بدر " بالثورة الوطنية ضد الجلادين وأذنابهم ، فقد تدفق بالحب والشوق الى " هالة " حبيبته الأولى الراعية في ريف " جيكور " رغم كونها أكبر منه سنا بعد أن وجد في أعماقها ما افتقده من حنان الأم وعطف الأب . وقد استطاع هذا الحب ان يفجر في أعماقه ينابيع الشعر كما نسج منه خيوط صباه وشاعريته فيما بعد . ولهذا أحس خلال هذه الفترة بجمال الحياة بعد أن مشى مسافات طويلة في صحارى الحياة .

ومن أغانيه فيها قوله :

لأجلك أطوي الربى شاردا
أردد أنفاس العاشقة

---

(١) راجع " بدر السياب " حياته وشعره د / عيسى بلاطة ص ١٩٦ — ١٩٧ .

وأسكب في الناي قلبي الحزين
فتغمره النشوة الخادعه (١)

وقوله أيضا :

فداؤك روحي ما تقوب يراعتي
جراح تنزت من خطوب قواهر

وعند ما مرضت هذه الحبيبة احترق الشاعر من أجلها فصرخ قائلا :

مريضة ؟ لك ربي يا " هويل " ولي
وللقلوب التي ضلت مقاصدها
مريضة ؟ لم ينلك الداء واحدة
فالروح مثلك عاد الداء وافدها (٢)

وفي خلال هذه الفترة من دراسته بالبصرة توفيت جدته الحنون مما ترك في أعماقه جرحا غائرا لم يندمل ـ لكنه رغم هذه الجراح المتتالية التي أصابت الشاعر ووطنه خلال فترة هذه الحرب الدامية فقد استمر في مواصلة دراسته الثانوية بالبصرة حتى تخرج فيها سنة ١٩٤٣ م لينتقل بعد ذلك الى اكمال دراسته العالية بدار المعلمين العالية ببغداد صيف ١٩٤٣ ـ ١٩٤٤ وذلك نظرا لتوفير السكن فيها لطلابها أولا ، ولمجانية التعليم فيها ثانيا . " ولقد كانت مدة الدراسة فيها أربع سنوات لاعداد الطالب للتعليم في المدارس الثانوية " (٣) وبعد وصول " بدر " الى دار المعلمين العالية ببغداد التحق بقسم اللغة العربية فيها أولا ثم تحول الى قسم اللغة الانجليزية بعد ذلك وخلال وجود الشاعر ببغداد أحس بالغربة القاسية تنهش روحه وتمضغ أيام عمره وبقسوتها لغة مما جعله يتحرق شوقا الى ريف الحبيب والى " جيكور " ذات القيم الانسانية والمبادىء الاخلاقية الفاضلة .

---

(١) د / احسان عباس ، ص ٤٢ .
(٢) نفس المصدر السابق ص ٤٢ .
(٣) راجع كلا من الدكتور / عيسى بلاطة ص ٣٢ والدكتور احسان عباس ص ٤٦ .

لكن الذى خفف عنه وطأة وقسوة هذا الاغتراب ما لقيه من حفاوة وتكريم على يـد بعض زملائه وأصدقائه القدامى مثل ، خالد الشواف ، وأكرم الوترى ، وكاظم جواد وغيرهم من الشعراء الشباب ، كما فتحوا أمامه أبواب التعرف على حلقات أخرى من الأصدقاء والأدباء والكتاب وغيرهم من عشاق الفن والأدب • (١)

غير أن ما عمق جراح الشاعر فى احشاء بغداد ما يقاسيه الشعب العراقى من فقر وجوع وحرمان بسبب سيطرة الاقطاع العشائرى على مقدرات البلاد دون ان يتركوا لأبناء الشعب شيئا سوى الدموع والبؤس والشقاء هذا بالاضافة الى الظلم السياسى ـ والقوانين العرفية العسكرية الجائرة والقهر الفكرى مما جعل حياة الشعب جحيما لا يطاق •

ولهذا ليس غريبا ان يجد الشاعر فى بغداد وكرا للصوص ، وهوة سوداء تأكل أبناءها الفقراء مما جعله يحس بالاختناق يضغط روحه بقسوة وعنف فيقول :

وتلتف حولى دروب المدينـه
حبالا من الطين يمضغن قلبى
ويعطين عن جمرة فيه طينـة
حبالا من النار ـ يجلدن عرى الحقول
الحزينـة
ويحرقن " جيكور " فى أعماق روحى
ويزرعن فيه دماء الضغينـة (٢)

وهكذا كانت بغداد بقصورها وحدائقها التى يملكها الطغاة والاقطاعيون تعيش على حساب فقر ودموع الفلاحين المعذبين فى الريف العراقى • فالسعادة والترف من

---

(١) راجع ، محمود العبطة ، بدر السياب والحركة الشعرية الجديدة فى العراق ص ٨ •

(٢) بدر السياب ، مجموعته الشعرية ، دار العودة ، بيروت سنة ١٩٧١ ص ٤١٤ •

نصيب الاغنياء الاقطاعيين والفقر والجوع والتشريد من حظ البائسين المعذبين :

فالقصور والأطفال والبسمات حظ المترفين
والجوع والأدواء والتشريد حظ الكادحين (١)

ولا شك ان هذا الشعور الانساني فى قلب الشاعر ضاعف من آلامه وأحزانه الذاتية ، مما أدى فى النهاية الى تحطيم جسده الضعيف وانهاك روحه الوثابة وازدياد رهافة حسه ومشاعره المتقدة بكل ما هو انسانى فى هذه الحياة ٠

ورغم هذا العذاب النفسى الذى عاناه الشاعر خلال وجوده ببغداد ، ورغم تعرضه للعديد من الوان البطش والارهاب على يد " نورى السعيد " وزبانيته لمواقفه الوطنية فقد واصل دراسته الجامعية خلال خمس سنوات طوال حتى استطاع فى النهاية " ان يتخرج فى دار المعلمين العالية ومعه شهادته العالية فى الأدب الانجليزى سنة ١٩٤٨ بصورة مشرفة تدعو للفخر والاعجاب " ٠ (٢)

ومعه ان حقق الشاعر آماله فى ميدان العلم والمعرفة قدم طلبا للعمل بوزارة المعارف العراقية ـ وفى أكتوبر سنة ١٩٤٨ تم تعيينه مدرسا للغة الانجليزية بثانوية " الرمادى " غرب بغداد حوالى ٩٠ كيلو مترا ـ وبهذا انتقل الشاعر من مرحلة الحياة النظرية الى أبواب الحياة العملية ليشق طريقه وسط اشواكها وزهور آمالها معا ٠

* * *

---

(١) بدر السياب ، مجموعته الشعرية " دار العودة " بيروت سنة ١٩٧١ ص ٥٤١ ٠
(٢) بعد الاطلاع على د.رجات تخرجه بدار المعلمين العالية ببغداد سنة ١٩٤٨م ٠

حياتـــه العمليـــة :
١٩٤٨ ـ ١٩٦٤ :

كان أول عمل قام به الشاعر " بدر " بعد تخرجه فى دار المعلمين العالية ببغداد سنة ١٩٤٨ " أن عمل مدرسا للغة الانجليزية بمدرسة " الرمادى " الثانوية للبنيـــن التى تبعد ما يزيد على تسعين كيلو مترا غرب بغداد " .[1] وأثناء وجوده فيها اهتم الشاعر بعمله كثيرا كما اهتم بقرض الشعر الذى وجد فيه ملاذا ومرفأ يحتمى به من وهـــج الاغتراب والوحدة القاتلة . ليبعث به بعد ذلك لبعض صحف بغداد خاصة " جريـــدة العصور " البغدادية . وكان من أشهر القصائد التى نشرتها له حينذاك قصيـــدة " السوق القديم " التى تعتبر بحق أول نقطة تحول ومنعطف فى شاعريته ومطلعها :

يؤنث ويذكر

الليل والسوق القديم
خفتت بـه الأصـوات . الا غمغمات العابريـــن
وخطـى الغريـب وما تبـث الريح من نغم حزيـن
فـى ذلـك الليل البهـيم .. الخ[2]

بعد ان رسم الشاعر صورة تمهيدية لقصيدته هذه . صورة تنهض بالسأم والفـــراغ القاتل والحزن العميق انتقل بعدها ليصور ما فى أعماقه من فراغ وسأم وحزن بعـــد أن فارقته حبيبته وتركته وحيدا فى الحياة ـ ولكن لم تكد تمضى بضعة شهور قليلة حـــتى هبت العواصف السياسية الهوج فى سماء العراق . كانت بدايتها معاهدة " بورتسموث " البريطانية العراقية سنة ١٩٤٨ التى حاول فيها الاستعمار البريطانى مع بعض أذنابـــه وعملائه فى العراق ان يقيدوا حرية الشعب العراقى وربطه بعجلة الاحلاف الاستعماريــة

---

(١) د / عيسى بلاطة ص ٥٨ .
(٢) بدر السياب . ديوان ازهار وأساطير . بالمجموعة الشعرية ـ بيروت سنة ١٩٧١ ص ٢١ .

وما كاد نبأ هذه المعاهدة المشئومة يسرى فى صفوف الشعب حتى هب عن بكرة أبيه ثائرا ومتوعدا هؤلاء العملاء " وانتشرت المظاهرات الصاخبة المدوية تخترق شوارع المدن العراقية مطالبة بالغاء هذه المعاهدة مما أدى الى اصطدامهم برجال الشرطة فى منطقة " الجسر " ببغداد ، والى سقوط العديد من الضحايا والشهداء أمثال قيس الألوسي ، وجعفر الجواهرى شقيق الشاعر محمد مهدى الجواهرى ، وكان على رأس هؤلاء المتظاهرين الشاعر " بدر شاكر السياب " الذى أخذ يغذى عواطف ومشاعر الجماهير الفاضبة بالتضحية والفداء " (١) فى سبيل حرية الوطن ، واستطاعت هذه الجماهير الثائرة ان تسقط هذه المعاهدة المشئومة وتدفنها قبل ان ترى النور ، كما أجبرت العملاء على الهرب من بغداد خاصة " صالح جبر " الذى هرب خارج العراق بعد أن قدم استقالته للوصى على العرش وبعد ان سيطرت قوات الجيش العراقى على الامور فى البلاد من جديد قامت السلطة بمطاردة الشباب الوطنى وملاحقتهم بالسجن والنفى والتعذيب ، وكان علي رأس هؤلاء الشباب الشاعر " بدر شاكر السياب " حيث فصل من عمله بوزارة المعارف العراقية وحرم عليه التدريس فى العراق لمدة عشر سنوات كاملة ، بالاضافة الى السجن ودفع غرامة مالية كبيرة بعد ذلك (٢) لكنه ما كاد يغادر السجن فى العراق حتى تعمقت مأساة الوطن العربى كله حين هزمت الجيوش العربية فى حرب فلسطين بسبب خيانة بعض الحكام العرب حينذاك ، مما دفع بالانسان العربى الى اعادة النظر من جديد فى مفاهيمه وقيمه وحياته ، مما أدى بالتالى الى انتفاضة الشعب العربى فى كل مكان وقيام الثورات العربية ضد العملاء الذين تساقطوا الواحد بعد الآخر " وهكذا عاش الشاعر فى بيئة تغلى وتفور — فلماذا لا يتأثر بهذا الغليان ؟ اليس الشاعر هو ابن بيئته ؟ ألم يكن السياب عربيا وانسانيا ؟؟ (٣) لهذا كله اندفع الشاعر على الرغم من جسده الصغير الى ساحة النضال من أجل تحرير وطنه وأمته

---

(١) راجع " بدر السياب دراسة فى حياته وشعره د / احسان عباس ص ١٠٠ ومابعدها
(٢) في مقابلة شخصية مع اسرة الشاعر بالبصرة فى ١٠/ ٣/ ١٩٧١ .
(٣) د / جلال الخياط ، الشعر العراقي الحديث مرحلة وتطور ، بيروت سنة ١٩٧٠ صــــ ١٧١ .

التي اغتيلت كرامتها وسلبت حريتها على أيدى الاستعمار والصهيونية وأذنابهم في وطننا العربي ، لكن " نوري السعيد " سرعان ما أمر بالقبض عليه من جديد واعادته الى السجن " بعقوبة " القائم في بغداد . ولم يفرج عنه الا بعد أن أمضى عدة أسابيع في أعماق هذا السجن الأسود ودفع كفالة مالية باهظة . وكان من نتائج هذا التعذيب الوحشي في السجن على يد زبانية " نوري السعيد " أن اتجهت صحته نحو الانحدار والضعف . وعندما غادر السجن وجد جميع مسالك الحياة والعمل مقفلة في وجهه بأمر من " نوري السعيد " نفسه ، لكن الشاعر لم ييأس من رحمة الله واستطاع ان يجد عملا بسيطا لا يتلاءم ومكانته وثقافته ، اذ عمل " ذواقة للتمر في شركة التمور العراقية بالبصرة براتب بسيط لا يكفي حتى لشراء الخبز الجاف ، وبعد فترة قصيرة انتقل ليعمل كاتبا في شركة نفط البصرة براتب قدره خمسة عشر دينارا عراقيا في الشهر " (١) بفضل مساعدة بعض الأصدقاء الأوفياء الذين حطموا أمامه أبواب سجون " نوري السعيد " لكن هذا العمل وهذا الراتب البسيط لم يمكنا الشاعر من تحقيق طموحه وآماله في الحياة ، فقدم استقالته وعاد الى بغداد من جديد بحثا عن عمل أفضل يتناسب ومكانته الأدبية وثقافته الواسعة ، لكن أبواب بغداد بقيت موصدة في وجهه بأمر من السلطة . مما جعله يعاني الفقر والعوز خلال تلك المرحلة القاسية ، وقد ساعده في اجتياز هذه المرحلة المريرة اصداره لديوانه الشعرى " أساطير " سنة ١٩٥٠ مما أدى الى تحسن أحواله المادية بعض الشيء .

كما ساعده في ذلك أيضا نجاحه في العثور على عمل في بعض الصحف العراقية كمترجم وصحفي وكاتب (٢) ـ غير ان هذه الصحف الوطنية كثيرا ما كانت تتعرض للمصادرة والاغلاق على أيدى أعداء الشعب العراقي وبذلك كانت حياة الشاعر مضطربة قلقة معرضة للعواصف الهوج باستمرار . مما دفع به أخيرا لأن يبحث عن عمل آخر اكثر

---

(١) في مقابلة شخصية مع عبد المجيد السياب " عم الشاعر " في بقيع بتاريخ ١٠/٣/٧١
(٢) راجع . السياب والحركة الشعرية الجديدة في العراق ص ١٢ محمود العبطة المحامي .

أمنا واستقرارا ليتمكن من بناء حياته مثل الآخرين واستطاع أخيرا بمساعدة بعض الأصدقاء " ان يعين كاتبا على ملاك المستخدمين الدائم فى مديرية الأموال المستوردة العامة بوزارة التجارة العراقية " (١) بعد أن استقالت حكومة نورى السعيد فى تلك الفترة الزمنية الحالكة السواد ، لكن هذا الاستقرار لم يعش طويلا ، فقد كان بمثابة الهدوء الذى يسبق العاصفة فقد هب الشعب العراقى بقلا حيه وعما له ثائرا فى وجه الظلم السياسى والتسلط الاقطاعى والقهر الفكرى الذى كان الشعب العراقى يعانى منهما الكثير مطالبين فى ذلك تحسين أحوالهم المعيشية وزيادة الأجور ، واعادة الحريات لابناء الشعب (٢) .

وكانت الحياة الاقتصادية قد وصلت الى مرحلة الصفر نظرا لسيطرة الاقطاع على موارد الفلاحين البائسين ، وسيطرة رؤوس الأموال الاحتكارية والشركات الأجنبية على جميع موارد الانتاج فى أرجاء العراق ، بسبب القوانين الظالمة التى سنها وشرعها المستعمر بمساعدة اعداء الشعب ومن أقساها جميعا قانون " تسوية الأراضى لسنة ١٩٣٣ الذى كان ينص على حماية الاقطاع العشائرى واستعباد الفلاحين - ومن أهم نصوصه ما يلى : " (٣)

١ - من حق صاحب الأرض " الاقطاعى " ان يطرد الفلاح من أرضه متى شاء دون قيد أو شرط .

٢ - من حق المالك ملاحقة الفلاح المدين - فان عجز عن السداد وجب على الفلاح البقاء فى الأرض حتى يتم تسديد هذا الدين .

٣ - لا يحق مطلقا لأى اقطاعى آخر استخدام هذا الفلاح المدين الا بعد موافقة السيد الاقطاعى السابق .

---

(١) من مراجعة ملف الشاعر بوزارة التجارة - بغداد فى ٢٠/ ٣/ ١٩٧٢ .
(٢) مجلة المثقف - بغداد سنة ١٩٧٤ ص ١٧٢ .
(٣) قانون حقوق وواجبات الزراع - بغداد سنة ١٩٣٣ رقم ٨ مادة ١٦ .

٤ ـ اذا هرب الفلاح من أرض الاقطاعي وجب على الدولة اعادته بالقوة .

وبذلك تحول الفلاح في العراق الى عبد رقيق يباع ويشترى بل ويورث مع الأرض واذا عرفنا أن مساحة الأرض الزراعية في العراق حينذاك " كانت تبلغ حوالي ثلاثة ملايين فدان فقد كان الاقطاع وحده يملك منها مليوني فدان رغم أن نسبته العددية لم تتجاوز ٥٪ من تعداد السكان ، بينما لم يكن الشعب الذى تجاوزت نسبته ٩٥٪ من التعداد يملك أكثر من مليون فدان فقط منها ٨٠٪ يملكها بعض التجار الاغنياء و ٢٠٪ يملكها ما يقرب من ٨٠٪ من تعداد الشعب العراقي "[1] وقد ذكرت احدى الباحثات " أن دخل الفلاح العراقي السنوي كان يتراوح ما بين خمسة وخمسين جنيها فقط ، بينما كان دخل الاقطاعي الواحد لا يقل عن نصف مليون جنيه في العام الواحد " .

ولهذا الظلم الاجتماعي والسياسي بقي أغلب أبناء الشعب العراقي يعيش في براثن الفقر والجوع والحرمان رغم ما كان يبذله من عرق ودماء على أرض العراق لتتحول فيما بعد الى ذهب ولآلىء تملأ خزائن الطغاة وأذنابهم لينفقوها على ملذاتهم وشهواتهم في قصورهم المشيدة من عظام العبيد وما اصدق الجواهري حين خاطب هؤلاء الطغاة قائـــلا :

لا تفكـــر بـــأن حولـــك ناســـا

يتمنـــون ان يمصـــوا العظامـــا

لا تفكـــر وعهـــم صخـــورا

لا تحـــس الوجـــع والآلامـــا

لا تفكـــر بـــأن خمرتك الصهبـــاء

حـــازت بهـــا دمـــوع اليتامـــى (٣)

أما بيت وكوخ الفلاح العراقي فقد كان مظلما كحياته وجراحه ، كقول " احمد الصافي

---

(١) مجلة المثقف العراقية ، تموز العدد الخاص سنة ١٩٧٤ ص ٤٧ وما بعدها .
(٢) الآنسه ، دورين وارنر ، الارض والفقر في العراق ص ٧ .
(٣) ديوان الجواهري ج ١ ، بغداد سنة ١٩٤٩ ص ١٦٢ .

النجفي ، للفلاح العراقي :

في الليل بيتك مثل دهرك مظلم
ما فيه من شمع ولا مصباح
فيخر سقفك ان همت عين السما
ويطير كوخك ان تهب رياح

أما ديونه المتراكمة :

هذي ديونك لم يسدد بعضها
عجز فكيف تسدد الأرباح
يغضون وجهك للشقة أسطر
وعلى جبينك للشقا الواح (١)

وكما كان الفلاح عبدا للاقطاع العشائري فقد كان العامل أيضا عبدا لصاحب المصانع والمعامل والشركات ، يبذل العرق والدم دون الحصول على لقمة العيش المريرة يعيش في أكواخ متناثرة من الصفيح في ضواحي المدن العراقية ، بينما يسكن أصحاب المال في بروجهم المشيدة وقصورهم المترفة • وكما كان الشعب العراقي حينذاك فريسة للاقطاع والفقر والجوع فقد كان فريسة للظلم السياسي والقهر الفكري والتخلف الاجتماعي من جميع نواحيه • مما أدى الى انتشار الفقر والمرض والجوع في جميع أنحاء العراق — وفي ذلك يقول الجواهري :

ومروا بأنحاء العراق ضاعة
وزوروا قرى موبوءة وبقاعا
تروا ما يثير الصابرين الا أقلة
عراة حفاة صاغرين جياعا (٢)

---

(١) أحمد الصافي النجفي ديوانه " الأمواج " ص ٢٦ وما بعدها •
(٢) راجع الشعر العراقي الحديث د / يوسف عز الدين ص ٢٥٨ •

وفى تصوير الارهاب الجسدى والفكرى قول الشاعر العراقى ، محمد صالح بحر العلوم :

هذا العراق وهذا وضع محنته
لا تستقيم على حال به نظم
أبناؤه تحت حكم السيف رازحة
والداخلون عليه باسمه حكموا
يطارد الأبرياء المخلصين به
جان ويضطهد الأبرار مجترم
أيرتجى الخير من قطر قضيته
تديرمحورها الأوغاد والقزم
يستعبد الحر فيه وهو محتقر
ويعبد العبد فيه وهو محتشم (١)

هكذا كانت الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والفكرية تسير الى الوراء منحدرة نحو الهاوية والضياع خلال هذا العهد ، ومن أجل مقاومة هذا الظلم المتعدد قام الشعب العراقى بالتمرد والاضطراب والثورة ضد جلاديه فى مطلع الخمسينات مما دفع بالاستعمار الى اعادة " نورى السعيد " من جديد لرئاسة الوزارة حتى يتمكن من اخماد ثورة الشعب واذلاله من جديد .

وقام فعلا باخمادها وقمعها بقوة الحديد والنار بعد أن حل الاحزاب السياسية المعارضة وصادر الصحف الوطنية ، وحل النقابات العمالية — وفتح السجون والمعتقلات السوداء من جديد لتسحق قوافل الأبطال ، كما قام بالاعتداء على حرمة الجامعات والمدارس بعد ان أغلقها — وحدد اقامة بعض اساتذتها ، وانتزع الجنسية العراقية من بعضهم الآخر ، وأجبر الآخرين على الهرب والفرار خارج العراق . مستندا فى ذلك على تأييد القصر وبعض كبار الضباط من الجيش والشرطة وبعض شيوخ (٢) الاقطاع

---

(١) محمد صالح بحر العلوم ، ديوان العواطف ص ١١٥ .
(٢) راجع مجلة المثقف العراقية بغداد . سنة ١٩٧٤ ص ١٧٥ .

العشائري والمرتزقة الآخرين . وأصبح الارهاب الدموي مخيما على العراق بعد أن عاد " نوري السعيد " لقيادة العراق بناء على أوامر اسياده المستعمرين وقد اعترف العديد من اصدقاء نوري السعيد وخصوم الشعب العراقي بهذه الجرائم التي دفعت بالشعب العراقي الى الثورة فيما بعد سنة ١٩٥٨ لتقتلع جذور الحكم الملكي السعيدي الفاسد " والحق ما شهد به الأعداء " فقد جاء في وثيقة " صالح جبر " التي رفعها الي الملك فيصل الثاني بعد توليه عرش العراق سنة ١٩٥٣ ما يلي :(١)

١ ـ لا توجد قواعد دستورية لحكومة نوري السعيد .

٢ ـ المجلس النيابي الحالي ـ هو مجلس كاذب لأنه جاء بطريق التعيين لا الانتخاب الحر النزيه .

٣ ـ ان قيام نوري السعيد بحل الأحزاب السياسية المعارضة كان عملا غير دستوري وكذلك الأمر في جميع الاجراءات التعسفية التي قام بها موءخرا .

٤ ـ ينبغي على الملك اعادة حقوق الشعب اليه كما ضمنها له الدستور .

ومما يوءكد لنا هذا الظلم والارهاب السعيدي أيضا اعتراف " خليل كنة " أحد المقربين لنوري السعيد حين قال " ان من أهم اسباب انهيار الحكم الملكي في العراق يرجع الى خنق الحريات ، وعدم فسح المجال للتعبير عن آراء المعارضة الا بالطرق غير الشرعية ، كما ان الحكومات العراقية نفسها لم تتصل بالجماهير اتصالا روحيا وفكريا ولم تغرس في نفوسها حب الدولة والاخلاص لها ، بل طالما ما وجدنا الحكومة في واد والشعب في واد آخر " . (٢)

كما اعترف السفير الامريكي نفسه وصديق نوري السعيد بهذا الظلم والدكتاتورية

---

(١) راجع ـ عراق نوري السعيد ، للسفير الامريكي ببغداد ـ من ٥٤ ـ ٥٨ ولدمار غلمن ص ٣٤٠ .

(٢) خليل كنه العراق أمسه وغده ، بيروت ص ٣٤٧ وما بعدها .

السعيدية التي لا تستند على أي حكم شعبي ، حين قال :

" لقد كان نوري السعيد يعتمد في حكمه على تأييد القصر ، ورجال الحاشية وبعض كبار ضباط الجيش والشرطة ، وبعض كبار رجال الاقطاع المشايخ وغيرهم من أصحاب النفوذ والجاه ـ ولم يعتمد مطلقا على تأييد شعبي كما قام بحل البرلمان والأحزاب السياسية ، واغلاق الصحف الوطنية المناوئة لحكمه مما خلق من العراق سجنا كبيرا للشعب العراقي " (١) لم تنج عائلة أو اسرة من ابناء الشعب من الأذى والتعذيب على يد نوري السعيد وزبانيته .

وقد وصف أحد الشعراء الوطنيين بقوله :

حكم ينكل بالألوف بريئة
لا بد ان يمنى بيوم نكال
كم عيلة قد روعت بكفيلها
وكفيل بيت روعوا بعيال
كم دمعة حرى بعين مروعة
رأت الوحيد يجر بالأغلال
وترى السجون المطبقات مليئة
بضرائب التنكيل والأهوال (٢)

في هذا الجو الارهابي الخانق أخذت زبانية نوري السعيد تلاحق الشباب الوطني الذي دافع عن أرضه وأمته ضد مطامع المستعمرين وأذنابهم وانتشرت هذه الزبانية لتملأ شوارع ومقاهي العراق بحثا عن الوطنيين الأحرار وقد رسم لنا الشاعر " بدر السياب " صورة لهؤلاء " المخبرين " في قصيدته الرائعة " المخبر " التي يصور لنا فيها نفسيته

---

(١) ولدمارغلمن ، السفير الامريكي ببغداد من ٥٤ ـ ٥٨ كتابه " عراق نوري السعيد ص ١٥٦ وما بعدها .

(٢) عبد الكريم ال[illegible] محاضرات في الشعر العراقي الحديث ، معهد الدراسات العربية ص ١٤ .

الدجيلي ص ٦٤

المريضة وحياته القائمة على خراب منازل الأحرار ، يقتات كالغراب من جثث الفراخ الصغيرة بعد ان فقد الضمير والاحساس الوطنى . فيقول بلسانه :

أنا ما تشاء : أنا الحقيـــــر
صباغ أحذية الغـزاة — وبائـع الدم والضميـر
للظالميـن ، أنا الغـــراب
يقتات من جثث الفراخ ، أنا الدمار ، أنا الخـراب .. الخ (١)

وبعد أن تلوثت سماء بغداد وكل شوارع العراق بأنفاس هؤلاء العملاء اضطر الشاعر أن يهرب من العراق الى ايران ومنها الى الكويت متنكرا بجواز سفر ايرانى مزيف . على ظهـر سفينة عجوز متآكلة ، بلا ضياء ولا شراع ، والحزن يمزق روحه المعذبة لفراق وطنه الحبيب فيقول فى قصيدته التى اسماها " فرار فى عام سنة ١٩٥٣" .

فى ليلـــة كانـت شرايينهـــا
فحما ، وكانت أرضهـا من الحـــود
يأكل مـن أقدامنـا طينهـــا
تسعـى الـــى المـــاء
الـى شـراع مزقتـه الرعـــود
فـــوق سفينــة دون أضـــواء
فى الضفة الأخرى ، يـكاد العـراق
يومىء ... يأهـلا يأبنائـــى
لكننا ... واحسرتاه ... لن نعود (٢)

---

(١) بدر السياب ديوان انشودة المطر ، مكتبة الحياة ، بيروت سنة ١٩٦٩ ص ٢٧ .
(٢) بدر السياب : من ديوان المعبد الغريق بمجموعته الشعرية ، بيروت سنة ١٩٧١ — دار العودة ص ٢٠١ .

وبعد ان استقر الشاعر فى الكويت عمل موظفا فى شركة الماء والكهرباء لفترة قصيرة من الزمن ، كما استطاع أن ينسج أعظم قصائده وملاحمه الشعرية مثل فجر السلام ، والأسلحة والأطفال ، والمخبر وحفار القبور ، وانشودة المطر ، وغريب على الخليج والمومس العمياء ، وغيرها من القصائد الرائعة التى جعلته رائدا للشعر الحر بلا منازع . لكن الشاعر كان يتمزق شوقا وحنينا لوطنه الذى تفصله عنه البحار وأمواج الخليج وقضبان الرعب التى أقامها " نورى السعيد " بالاضافة الى الفقر الذى لم يترك له القدرة على دفع أجرة العودة .. مما عمق الأسى والحسرة فى حنايا ضلوعه وأعماق قلبه . اذ يقول :

وعلى الرمال — على الخليج
جلس الغريب ، يسرح البصر المحير فى الخليج
ويهد أعمدة الضياء بما يصعد من نشيج
أعلى من العباب يهدر رغوه ومن الضجيج
صوت تفجر فى قرارة نفسى الثكلى : عراق
كالمد يصعد — كالسحابة — كالدموع الى العيون
الريح تصرخ بى : عراق
والموج يعول بى : عراق ، عراق ، ليس سوى
عراق (1)

واستمر الشاعر فى عذابه وغربته المريرة فى الكويت حتى استطاع أن يعود أخيرا للعراق بعد أن سقطت حكومة نورى السعيد . وتولى جلالة المغفور له الملك فيصل الثانى عرش العراق سنة ١٩٥٣ وكانت بداية هذا العهد الملكى الجديد بمثابة نافذة أطل الشعب العراقى خلالها على ساحات الحياة العريضة بعد أن سمح الملك الجديد

---

(1) ديوان انشودة المطر — المجموعة الشعرية ، ص ٣١٧ وما بعدها .

باعادة الانتخابات الشعبية وعودة الديمقراطية واجراء الأصلاحات الضرورية لاعادة الحياة الحرة الكريمة لشعب العراق .

وفى هذه الفترة تفاءل الشعب العراقى بالخير والاستقرار . كما تفاءل الشاعر نفسه وأخذ يبحث له عن عمل فى بغداد وحياة مستقرة بعد هذا العذاب الطويل . وأخيرا نجح فى العثور على ذلك عندما " عمل محررا فى جريدة الدفاع العراقية لصاحبها السيد / صادق البصام " (١) لكن الشاعر لم يبق فيها طويلا لظروف طارئة وأخيرا استطاع بمساعدة بعض الأصدقاء أن يعود موظفا ـ بقرار وزارى جديد ـ فى مديرية الاستيراد والتصدير العامة بوزارة التجارة ـ براتب قدره واحد وعشرون دينارا عراقيا فى الشهر . وذلك اعتبارا من ٢٣ يناير ١٩٥٤ م " (٢) .

وبذلك عادت الحياة تبتسم له من جديد . وأحس بالاستقرار النفسى ـ وأخذ يقضى أوقات فراغه بصحبة العديد من الأصدقاء فى نوادى ومقاهى بغداد . خاصة مقهى الفرات " بشارع " الأمين " فى بغداد . كما بدأ يفكر فى بناء حياته وبيته . وأن يكون له زوج وأبناء يزرعون فى نفسه الاحساس بالحياة " وبعد بحث طويل تزوج باحدى قريباته وهى السيدة / اقبال عبد الجليل " شقيقة زوج عمه المرحوم " عبد القادر السياب " وانجب منها " غيلان " سنة ١٩٥٧ وابنتيه . غيداء . وآلاء . وقد أصبح الآن كل من ابنائه طلبة فى جامعة البصرة " . (٣)

ونظرا لمتطلبات الأسرة فى هذه الحياة فقد قام الشاعر خلال عمله هذا بأعمال اضافية أخرى حيث اشتغل محررا ومترجما فى بعض الصحف العراقية خاصة جريدة "الشعب" سنة ١٩٥٧ والحرية وغيرها فيما بعد . كما قام بترجمة الأعمال والصفحات الأدبية فى بعض الصحف الأخرى . كما قام بترجمة العديد من الآثار الأدبية والشعرية الأجنبية

---

(١) محمود العبطة المحامى ص ٤١ .
(٢) د / عيسى بلاطة ص ٧٠ .
(٣) فى زيارة خاصة لأسرة الشاعر بالبصرة فى ١١ / ٣ / ١٩٧١ .

الى اللغة العربية ، من أشهرها " ثلاثة قرون من الأدب الأمريكي " بمساعدة أصدقائه الدكتور / عبد الواحد لؤلؤة ، استاذ الأدب الانجليزي في جامعة الموصل اليوم والاستاذ / جبرا ابراهيم جبرا ، وغيرهما .

وفي عام سنة ١٩٥٨ عندما قامت الثورة العراقية " أعيد الشاعر الى وزارة التربية العراقية وعين مدرسا للغة الانجليزية في مدرسة الأعظمية الأعدادية ببغداد (١) لكنه لم يبق فيها طويلا حيث وقع الصدام الدموي الرهيب في العراق خلال حكم " قاسم " ونظرا لمواقفه الوطنية والقومية العربية فقد أمر " عبد الكريم قاسم " بعزل الشاعر من ميدان التعليم ونقله الى عمله السابق بمديرية التجارة العامة بوظيفة رئيس للملاحظين فيها

وعندما استمر الشاعر في محاربة الطغيان " القاسمي " في العراق أمر عبد الكريم قاسم بفصله من العمل اعتقادا منه بأن سياسة التجويع والارهاب سوف تجبر " السياب " على الخنوع والخضوع لمشيئته ، ولكن الشاعر رغم هذا التعذيب وقف الى جانب شعبه وأمته مهما بلغت التضحيات ، وعندما يئس الطاغية من خضوع الشاعر وركوعه أمر باعادته مرة أخرى الى عمله الذي فصل منه براتب قدره اثنان وخمسون دينارا شهريا ، وعلى الرغم من هذا كله فقد رفض الشاعر ان يتخلى عن رسالته الوطنية والقومية التي وهب حياته من أجلها : " وفي يوم ٢٢ يناير سنة ١٩٦٠ قدم استقالته من العمل حرصا على كرامته وقدسية رسالته وانتقل مع اسرته الى البصرة ، ليعيش في أحضان ريفه الذي أحبه حتى الموت " (٢) وليتخلص من عواء بغداد الملوث بالسموم والدماء والموت المجاني وليتمكن من أداء رسالته الوطنية بعيدا عن عيون قاسم وزبانيته الذين حولوا العراق الى طوفان دموي جارف لم يسبق له مثيل في التاريخ حتى في عهد " هولاكو " وفي تصوير جرائم هؤلاء التتار الجدد يقول الشاعر :

---

(١) أنظر ، المحطة المحامي ص١٦ .

(٢) في مقابلة خاصة مع السيد / محمد علي اسماعيل صديق الشاعر منذ الطفولة في ١٠/٣/١٩٧١ بأبي الخصيب .

هم التتار ، أقبلوا – ففى المدى رعاف
وشمسنا دم ، وزادنا دم على الصحاف (١)

كما تحولت بغداد المتهدمة الى " بابل " الحزينة التى تحولت جنانها المعلقات الى جنان من الرؤوس المقطوعة بالفؤوس والحبال على أيدى المجرمين من عصابات " قاسم العراق " المجرمة التى كانت تزرع الموت فى الشوارع والمزارع دون استثناء بين طفل وامرأة وشيخ عجوز ، كأنهم وحوش ضارية مفترسة تتلذذ برؤية دماء الضحايا البريئة * وقد صور الشاعر جرائم هؤلاء الجزارين وهم يسحبون جثث الضحايا فى الشوارع بجنون ليمزقوها بالرصاص بعد ذلك ، فيقول :

ياحبالا تسحب الموتى الى قبر كبير
– جثة قد هيأوها للوليمة
ياحبالا تسحب الأحياء – من شيخ كبير
من فتاة أو عجوز ، من ضلوع حطموها
علقت فيها تميمة
من صدور مزقوها
زرعوا فيها بذورا من رصاص ، من حديد
ما الذى تثمر هاتيك البذور
غير أحجار القبور ؟
غير تفاح الحديد ؟ (٢)

ولهذه الجرائم الوحشية انهارت بقايا جسد الشاعر لكن روحه وشعره ازداد ثورة ونقمة على هؤلاء التتار الجدد ، والعملاء الخونة الذين حولوا حياة العراق الى جحيم لا مثيل له ، حتى أصبح العديد من الناس يترحمون على عهد " نورى السعيد "

---

(١) بدر السياب ديوان انشودة المطر ، بيروت سنة ١٩٦٩ ص ١٥٥ .
(٢) بدر السياب ، مجموعته الشعرية – ديوان انشودة المطر ، ص ٤٣٣ وما بعدها .

الذى كان أفضل بكثير من هذا المهد القاسى الاجرامى البغيض •

وبعد ان استقر الشاعر بعض الشهور فى " البصرة " طلب منه صديقه " مظهر الشاوى " مدير الموانىء فى البصرة ان يعمل معه فى الميناء ولكن الشاعر رفض فى بداية الأمر نظرا لانهيار صحته بعد هذه النكبات المتلاحقة التى عاصرها فى وطنه "العراق " غير أنه لم يستطع ان يستمر فى هذا الرفض اكراما لهذا الصديق الوفى الذى كان أفضل معين له خلال نكباته السابقة ، وبالفعل تم تعيين " بدر " رئيسا للملاحظين فى ميناء البصرة بتاريخ أول شهر فبراير سنة ١٩٦١ براتب قدره " اثنان وخمسون دينارا شهريا "[1] وبعد فترة قصيرة انتقل الى "ميناء المعقل " جنوب البصرة فى عمل كتابى داخل ادارة الميناء الجديد ، لكن المرض سرعان ما بدأ يهاجم جسد الشاعر كما هاجم الشقاء والعذاب روحه من قبل ، مما اضطره لأخذ اجازة مرضية يستطيع خلالها ان يعرض نفسه على العديد من الأطباء المختصين داخل العراق وخارجه فسافر الى بغداد أولا وعندما تعذر علاجه فيها سافر الى مستشفى الجامعة الامريكية ببيروت ، بعد أن ساعده العديد من الاصدقاء فيها أمثال ، أدونيس ، ويوسف الخال ، وأنسى الحاج وغيرهم من شعراء مجلة " شعر " اللبنانية التى أصدرت ديوانه " انشودة المطر " سنة ١٩٦٠ ببيروت بعد حصوله على الجائزة الأولى فى ميدان الشعر العربى الحديث • ولكن نظرا لتكاليف العلاج الباهظة فى هذا المستشفى اضطر الشاعر الى مراجعة طبيب يوغسلافى فى بيروت يملك عيادة خاصة ، وبعد ان تحسنت أحواله بعض الشىء عاد الى عمله بميناء البصرة

لكن المرض سرعان ما عاد بصورة أقسى وأشد • مما سبق مما اضطره مرة أخرى للسفر الى مستشفيات أوروبا فى باريس ولندن رغم قسوة ظروفه الصحية والمادية معا • ومكث فترة طويلة متنقلا بينهما لكن دون جدوى ،وعندما عاد يائسا للعراق بعد سقوط حكم قاسم فى العراق سنة ١٩٦٣ واشتد عليه المرض بصورة أقسى وأعنف مما سبق قامت الحكومة

---

(١) مقابلة شخصية مع كبار المسئولين بميناء البصرة فى ١٢/ ٣/ ١٩٧١•

الكويتية مشكورة باحتضانه واحضاره بطائرة خاصة الى الكويت " وفى ١٩٦٤/٧/٦ ادخل الشاعر المستشفى الأميرى فيها تحت عناية ورعاية الدولة ، لكن مرضه الخطير الذى تمثل فى الشلل النصفى كان قد رعى معظم جسده ، وأخذ الشلل يزحف بصورة مرعبة فى عموده الفقرى حتى شل جميع جسده ماعدا يده اليمنى "(١) التى بقيت تحمل القلم ليشهره فى وجه الموت دون توقف • وأخذ الشاعر يقذف كل ما فى أعماقه من أحاسيس ومشاعر فى قصائده الأخيرة قبل ان يلفظ أنفاسه الأخيرة ، وعندما انتهت معركة الصراع مع المرض والموت هبت الرياح العاتية لتطفئ الشعلة الغالية بعد ظهر يوم الخميس الموافق الرابع والعشرين من ديسمبر سنة ١٩٦٤ م • وفى اليوم التالى حمل جثمانه الطاهر ليوارى فى ثرى العراق كما أوصى بذلك من قبل • وسارت جنازه البسيطة التى لم تتعد ثلاثة أفراد من الأصدقاء على رأسهم الشاعر الكويتى ، على السبتى وبعض أقاربه ، ودفن جسده بعد ذلك فى مقبرة الحسن البصرى بمنطقة الزبير جنوب البصرة الى جانب قبر عمه المرحوم عبد القادر السياب " بعد ان بكاه الشعر والمطر بكاء سيبقى خالدا خلود الزمن •

* * *

---

(١) مقابلة شخصية مع الدكتور محمد منطش مدير المستشفى الاميرى بالكويت فى ١٩٧٢/٤/١٥ •

تكرر مرتين

خلاصة حياة الشاعر :
١٩٢٥ ـ ١٩٦٤

ولد الشاعر المرحوم " بدر شاكر السياب " بمولد الدستور العراقى سنة ١٩٢٥ م كما بينا من قبل فى عهد جلالة الملك المغفور له " فيصل الأول " حيث كان العراق يخوض معركة البناء الحديث ضد التخلف السياسى والاقتصادى والاجتماعى مما خاصة ضد مطامع الانتداب البريطانى على العراق وضد اعوانه من الاقطاع المشائرى البغيض الذى استنزف عرق الشعب العراقى لسنوات طوال .

وقد ولد الشاعر فى قرية " بقيع " احدى ضواحى " جيكور " مركز " أبى الخصيب " بلواء البصرة فى جنوب العراق . من أسرة عربية أصيلة يرجع نسبها الى قبيلة " ربيعة " وقد كانت خلال الحكم العثمانى ذات جاه ونفوذ وأملاك واسعة من بساتين النخيل كما استطاع مؤسس هذه الأسرة " سياب بن محمد " أن يكون حاكما على منطقة أبى الخصيب فى أواخر الحكم العثمانى للعراق ، ونظرا لمواقف هذه الأسرة البطولية ضد الاحتلال البريطانى للعراق سنة ١٩١٤ فقد حاربها المستعمر وأعوانه بشتى الوسائل حتى اضطرت الى بيع املاكها الشاسعة لتصبح اسرة ريفية مزارعة بسيطة تعتمد على زراعة النخيل فى بساتين شيوخ الاقطاع العشائرى . ومما زاد من شقاء هذه الأسرة أيضا تمزق ابنائها بعد زواج والد الشاعر " شاكر السياب " بزوجة أخرى بعد وفاة والدة الشاعر سنة ١٩٣٢ . أما بالنسبة الى دراسته ، فقد تلقى الشاعر دراسته الابتدائية بمدرستى " باب سليمان والمحمودية " فى " أبى الخصيب " وعندما أنهى دراسته الابتدائية سنة ١٩٣٨ انتقل الى البصرة لاكمال دراسته الثانوية . وكان العراق خلالها على أبواب الحرب العالمية الثانية بعد مقتل الملك " غازى " على يد الاستعمار وأعوانه فى العراق . كما عاصر جرائم المستعمرين وأذنابهم فى العراق بعد فشل ثورة " رشيد عالى الكيلانى " سنة ١٩٤١ م وفى عام ١٩٤٣ ـ ١٩٤٤ انتقل الشاعر الى دار المعلمين العالية ببغداد وفى عام سنة ١٩٤٨ تخرج فيها ليعمل مدرسا للغة

الانجليزية " بثانوية الرمادى " لكنه سرعان ما فصل من عمله نظرا لمناوئته للسلطة الديكتاتورية الظالمة التى حولت العراق الى سجن كبير كما حرم من العمل فى حقل التعليم لمدة عشر سنوات ، وكان من نتائج هذا الفصل ان قاسى الشاعر كل ألوان العذاب من فقر وجوع وتشريد ، وسجون ، ومطاردة بوليسية ارهابية ، حتى اضطر اخيرا لأن يهرب من وطنه متنكرا الى ايران ومنها الى الكويت سنة ١٩٥٣ طلبا للنجاة من بطش نورى السعيد وبحثا عن لقمة العيش رغم خصب وثراء العراق الذى كان وقفا على طبقة الطغاة والاقطاعيين العشائريين الذين يعيشون كأسراب الجراد على حساب دماء الشعب ولم يعد الشاعر لوطنه الا بعد تولى الملك فيصل الثانى عرش العراق سنة ١٩٥٣ اعتقادا منه بأن عهد الظلم السعيدى قد ولى الى غير رجعة ، بعد أن عرف الشاعر كذب وادعاءات وشعارات الشيوعية الزائفة ، وهذا ما جعل الشيوعيين فى العراق يتنكرون له ويحاربونه بشتى الوسائل ، لكنه رغم ذلك استطاع ان يعود للعمل موظفا بوزارة التجارة العراقية مما ساعده على بناء حياته الزوجية والاستقرار النفسى لفترة من الزمن ، وعندما قامت الثورة العراقية فى ١٤ تموز سنة ١٩٥٨ أعيد الشاعر لعمله السابق كمدرس باعدادية الأعظمية ببغداد ، لكنه سرعان ما نقل منها الى وزارة التجارة العراقية مرة أخرى لمحاربته الشيوعية وتصديه لمؤامراتها ضد القومية العربية وبقى فيها حتى بدأت أعراض المرض تسرى فى عموده الفقرى ليصاب بالشلل النصفى بعد ذلك ، مما اضطره للاستقالة من عمله والعودة الى مدينته البصرة ذات النخيل الباسق هربا من صخب بغداد ومآسيها خلال الحكم القاسمى " الرهيب " وعين بعد ذلك بمصلحة الموانى العراقية بالبصرة بناء على رغبة صديقه الحميم " مظهر الشاوى " مدير المصلحة ، وعندما اشتد عليه المرض اضطر الشاعر للسفر خارج العراق بحثا عن الشفاء فى مستشفيات بيروت وباريس ولندن ـ ولكن بلا جدوى وأخيرا نقل الى المستشفى الأميرى بالكويت فى شهر يوليو سنة ١٩٦٤ حيث قامت الحكومة الكويتية باحاطته ورعايته التامة لكن المرض كان قد سيطر على جسد الشاعر ـ ولم تجد مقاومة الأطباء لانقاذه من براثن الموت ، وفى يوم الخميس الموافق ٢٤/١٢/١٩٦٤ لفظ الشاعر أنفاسه الأخيرة ، نقل بعد ذلك ليدفن بمقبرة الحسن البصرى بالزبير قرب البصرة فى جنازة بسيطة كان أفرادها لا يتجاوزون أصابع

اليه حيث يكتنفه دموع المطر الذى أحبه بكل مشاعره •

وهكذا طويت صفحة حياة الشاعر القصيرة بعد أن ترك وراءه تراثا أدبيا خالـــدا سيبقى ما بقيت الحياة • هذه لمحة موجزة عن حياة الشاعر التى دامت ما يقرب من أربعين عاما قاسى فيها الكثير من الأهوال والشدائد والجراحات النازفة • ولقد مر الشاعر خـلال فترة حياته هذه بمراحل وعهود سياسية واجتماعية وثقافية متعددة • مما انعكس علـــى نفسه وشعره فيما بعـــد •

وايضاحا لهذا العصر الذى دام من أربعين عاما تقريبا فاننا نبين للقارئ الـوان الحياة العراق ـعراق السياب منذ ان فتح الشاعر عينيه على هذا الوجود حتى لحظـات وداعه وفراقه الأخير سنة ١٩٦٤م •

***

:: شخصيته ونفسيتـــه ::

اتفقت آراء معظم النقاد والباحثين الذين تناولوا الشاعر " بدر السياب " بالدراسة والتحليل على أن الشكل الخارجي للشاعر كان دميما قبيحا ، ينقصه التناسق والجمـــال والوسامة . كما اتهموه من حيث السلوك بالتذبذب والقلق والتقلب نظرا لرهافة احساســه الذي وصل الى درجة المرض .

فمن حيث شكله الخارجي فقد وصف أحد النقاد المحدثين بقوله : " كان بدر يزداد شعورا بقبح منظره ، وهو يمر بمرحلة المراهقة ، فقد كان ضئيلا ، قصير القامــــة ضعيف البنية ، أسمر البشرة ، ذا شعر كثيف اسود فاحم ، كما كانت أذناه كبيرتيـــن بارزتين الى الجانبين وكأنهما يدا ابريق — وكانت جبهته الضيقة تساعد على جعل وجهه الطويل الناحل يبدو قاصر النمو ، ولم يكن فمه العريض ليخفي اسنانه الكبيرة النائتة قليـلا وكانت ذقنه الصغيرة الحادة تحت أنفه الطويل تبدو مثل نقطة تحت علامة التعجب — انــه لم يكن وسيما — بل انه في دخيلة نفسه كان يعتقد بأنه قبيح " . (١)

وقد أكد هذه الصفات أيضا ناقد آخر حين قال " السياب غلام ضاو يخيـل كأنــه قصبة ركب رأسه المستدير كجهة الحنظل على عنق دقيق تميل الى الطول وعلى جانبي الرأس أذنان كبيرتان ، وتحت الجبهة المستعرضة التي تنزل في تحدب متدرج أنف كبيــــر يصرفك عن تأمله ، أو تأمل عينيه الصغيرتين الحاديتين — وعلى جانبيه فم واسع " . (٢)

ومن الصور الأخرى التي رسمها هؤلاء الباحثون والنقاد للشاعر قولهم " ان بدر

---

(١) د / عيسى بلاطة ، ص ٢٩ .
(٢) د / احسان عباس ص ٢٥ .

لم يكن غنيا أو وسيما من الوجهاء ، ولم يغفر له المجتمع هذا ، وكان ذا نفسية مرهفة الى حد الوجع " (1) " كما كان ضعيف التركيب عصبي المزاج " (2) وكان اذا وقف متحدثا يقف بهيكله الواهن وعينيه الصغيرتين ، وهو يصرخ بصوت غريب ، تموجه قشعريرة مرعبة متفجرة من أبعاد قصيه " . (3)

وهكذا نجد أن معظم هؤلاء الباحثين والنقاد قد اتفقوا على دمامة وقبح الشكل الخارجي للشاعر ونحن - مع احترامنا - لآراء هؤلاء الباحثين والنقاد الا اننا لا نتفق معهم في كثير من جوانب هذه الصورة التي رسموها للشاعر وذلك للأسباب الآتية :

١ - وجود بعض التناقض في الصورة عند الناقد الأول والثاني ، فنحن بينما نرى الأول منهما يصفه بسواد البشرة ، وضيق الجبهة ، نرى الثاني يصفه باللون الحنطي وعرض الجبهة ، مما يؤكد لنا عدم تقصيهم لشكل الشاعر واطاره الخارجي .

٢ - ان جميع صور الشاعر التي رأيتها له سواء في منزله بالبصرة أم في تراثه الأدبي تناقض تماما هذا الوصف الذي رسمه هؤلاء النقاد .

٣ - ان معظم جوانب هذه الصورة قد رسمت للشاعر خلال مرحلة المرض ، ولم ترسم أثناء مرحلة شبابه ونضاله وقوته .

٤ - مخالفة هذه الصورة البشعة لجميع الأوصاف المسجلة ببطاقة الشاعر وجواز سفره فقد تبين ان الشاعر لم يكن قصيرا كثيرا كما ذكر سابقا ولم يكن صغيرا أيضا بهذا الحجم الذي ذكره هؤلاء النقاد . فقد جاء في أوصافه ما يلي : (4)

---

(1) ديزي الأمير ، الآداب ، بيروت سنة ١٩٥٥ ص ٧ .
(2) محمود العبطة المحامي ، بدر السياب والحركة الشعرية الجديدة في العراق ص ٧٢
(3) خالدة سعيد ، مجلة أضواء ، بغداد ، سنة ١٩٦٥ ص ٣٧ .
(4) بالاطلاع على بطاقة وجواز سفر الشاعر بمنزل الأسرة في البصرة في ١٠ / ٣ / ١٩٧١ .

الطـــول : ١٦٨ سم •
اللـــون : حنطى البشـــرة •
الشعـــر : أســـود فاحم •
لون العيون : ســـودا • •

٥ - عدم وجود دليل على ذلك فى أقواله وأشعاره ، ففى الوقت الذى اعترف فيه بالفقر المدقع وقلة الجاه والنفوذ فاننا لم نجد أثرا لهذا القبح كقولـــه :

بيـنى وبيـن الحـب قفـر بعيـد
مـن نعمـة المال وجـاه الأب
ياأختى كفـى •••• ومت يانشيـد
شتا ن بيـن الطين والكوكـب (١)

وهكذا يبين لنا الشاعر أهم أسباب اخفاقه فى الحب مع حبيباته وزميلاته الطالبات بدار المعلمين العالية ببغداد • وليس معنى ذلك أن الشاعر كان نموذجا للجمال الخارجى لكنه فى الوقت نفسه لم يكن بشعا بهذه الصورة التى رسمها له النقاد السابقون •

فكان انسانا عاديا لا يتميز عن غيره من الناس من حيث الشكل والاطار ولكنه كـان يمتاز بالعبقرية الفذة ورهافة الاحساس وتدفق الشعور وسعة الثقافة والاطلاع وتعـــدد التجارب التى خاض غمارها فى هذه الحياة •

وكما صور هؤلاء النقاد والباحثون اطار الشاعر الخارجى فقد صوروا أعماقه مـن الداخل حين وصفوا نفسيته وسلوكه بالعصبية الحادة والقلق النفسى ، والتناقض فـى تصرفاته كقول بعضهم : " كان بدر السياب " سريع التأثر والانفعال ، لأنه انســـان

---

(١) بدر السياب ديوان ازهار ذابلة ، القاهرة سنة ١٩٤٧ ص ١٦ •

حساس لحد المرض تثيره أبسط الأشياء — وتقلقه أقل المظاهر اثارة " (١) كما كان " أعظم شاعر يعبر عن القلق الحي الذي أصبح لعنة هذا العصر ، انه في شعره يعكس تمزقا نفسيا ، وحيرة عميقة ، ومأساته هي مأساة الضياع التي أذهلت فريقا كبيرا من جيلنا " (٢) " كما كان ذا حساسية فائقة بكل ما هو مأساوي في الحياة — وهو قبل كل شيء شاعر مرهف وانسان معذب بالغ العذاب " (٣) .

" لقد كان السياب ذا احساس رقيق دقيق يثور بسرعة ، ويهدأ بسرعة ، فاننا نراه يغضب لأتفه الأسباب ، حتى مع أقرب الأصحاب ، ولو كان قريبا منه كزوجته العزيزة الى قلبه ، لذلك كان الشاعر يغلب عليه التشاؤم " . (٤)

وقد علل بعض هؤلاء النقاد والباحثين اسرار وأسباب هذا التناقض والتقلب في مواقف الشاعر الى ان الشاعر كان " يعيش بعقليتين ، الأولى منهما متطورة ، نشأت نتيجة لثقافته الواسعة ومعطيات الحرب العالمية الثانية والأخرى عقلية راكدة تتأمل الأشياء من خارجها ولا تحاول تغييرها ، ولهذا اضطربت شخصيته ونفسيته بين الرفض والخنوع وبين شمول ذي أبعاد مترامية في بيئة محدودة يرتد فيها الطرف حسيرا ولم تجد ، تطلعاته الشعرية نفعا ، ولم تعنه صحته المتدهورة على أن يحفظ لنا الموهبة الفذة مدة أطول " . (٥)

وذكر فريق آخر أن أسباب هذا الاضطراب والتناقض لدى الشاعر " يكمن في شخصية " بدر " ذاتها لا في ايمانه بشعره تلك الشخصية التي يلتقي فيها البكاء بالضحك على صعيد واحد ويتردد صاحبها بين ذروة الانفعال وبين حضيضه دون تدرج ولا يفيء الى قاعدة فكرية صلبة ، ولا يسعفه الاغراق في الحساسية على الأنضواء طويلا

---

(١) بلند الحيدري — الآداب — بيروت عدد ٢ سنة ١٩٦٥ ص ٥٧ .
(٢) سلمى الجيوشي — الآداب — بيروت عدد ١١ سنة ١٩٥٧ ص ٧٩ .
(٣) سامي مهدي — الآداب — بيروت — عدد ٤ سنة ١٩٦٥ ص ٤٧ .
(٤) د / محمد التونجي — بدر السياب — ص ١٠ بيروت سنة ١٩٦٨ .
(٥) خليل حاوي — الآداب — بيروت عدد ٣ سنة ١٩٦٥ ص ٢ .

في الجماعة ، لأنه ينكر نفسه اذا لم يحس بها مفقودة متفردة في آن واحد ، وهي شخصيه المتلذذ بعذاب الحرمان من الحب والجاه والمال " • (١)

كما أرجع بعضهم هذا الاضطراب " الى تضخم الذات واحتقان الأنا عند الشاعر" (٢) والى أن الشاعر كان قد تجاوز مرحلة " الالتزام " بسبب عجزه عن الالتزام بخط سياسي مباشر ، وأنه كان في تكوينه بعيدا عن الواقعية ، ونظرا لكونه مثاليا يقوم المثال عنده مقام الواقع فقد عجز عن الوصول الى عالم الواقع الحقيقي • (٣)

هذه تقريبا عن أهم آراء النقاد والباحثين حول شخصيته ونفسية الشاعر " بدر شاكر السياب " ونحن اذا تعمقنا في تحليل هذه الأسباب وهذه الصورة بطريقة موضوعية مجردة عن التعصب الأعمى ضد الشاعر والتحيز معه ، فاننا نجد هذه الصور وأسبابها بعيدة عن الحقيقة والمنطق والواقع ، وذلك لأن معظم هؤلاء النقاد والباحثين الذين صوروا نفسيته وشخصيته قد اتخذوا من الشاعر ظاهرة فردية " منفصلة عن المجتمع والبيئة التي عاشها وعاناها الشاعر ـ كما غلبت عليهم النظرة الحزبية الضيقة التي حجبت عنهم الرؤيا الحقيقية لصورة ونفسية الشاعر " بدر السياب " مما أدى أيضا الى منافاة الحق والواقع •

فالشاعر الحقيقي هو الذي يصور ويعكس لنا الحياة بشتى ألوانها وتقلباتها ، ولما كانت الحياة تتغير وتتدفق باستمرار كالنهر العظيم فان تغير وتلون عاطفة الشاعر كانت تصويرا حقيقيا لشلالات هذا النهر الحياتي المتجدد • كما ان الشاعر الانسان هو الذي يحمل هموم البشرية بالاضافة الى همومه وجراحه الذاتية ومن هنا غلب على شعره طابع التشاؤم لأنه لم يكن شاعرا ذاتيا محضا ، وأنانيا يعيش لنفسه ومن هذا التشاؤم والقلق والاضطراب نستطيع ان نحكم ونقرر بأن الشاعر كان صادقا مع نفسه ومجتمعه

---

(١) د / احسان عباس ـ بدر السياب ـ بيروت سنة ١٩٦٩ ص ٤١٠ •

(٢) د / جليل كمال الدين ـ الشعر العربي الحديث وروح العصر ـ دار العلم للملايين ، بيروت سنة ١٩٦٤ ص ٢٥٤ •

(٣) ناجي علوش ، مقدمة مجموعة السياب الشعرية ـ دار العودة ـ بيروت سنة ١٩٧١ •

المضطرب القلق في هذا العصر . وهذا ما أكسب شعره الصدق والخلود . فالسياب لم ينظم الشعر ترفا ذهنيا أو وسيلة للشهرة الزائفة والثراء العاجل انما كان ينظمه لأداء رسالته الانسانية في مجتمعه المعاصر ، بعد أن غذاه بدمه وجعل حياته قربانا له لهذا أعود وأقول ان الشاعر من شدة احساسه المرهف وحبه للانسانية المعذبة عاش ومات محترقا بالألم والعذاب من أجل الانسان . وهذا الاحساس الانساني العميق لايعتبر عيبا في الشاعر بل مصدر فخر واعتزاز وخلود .

أما كون الشاعر عاجزا عن الجمع بين العقليتين اللتين عاش بهما ، العقلية المتطورة والمثقفة والعقلية الراكدة ، فان هذا التعليل بعيد عن المنطق والصواب ، لأن الشاعر لم يعرف العقلية الراكدة في حياته قط ، بل كان متجددا متدفقا ، وليس أدل على ذلك من أنه كان وما زال أول رائد للشعر العربي الحديث ، بعد أن وضع له خصائصه الفنية التي لم يسبقه اليها أحد ، سواء من حيث الشكل أم المضمون كما سنوضح ذلك عند الحديث عن شعره وأسلوبه الشعري .

أما بقية الاتهامات الأخرى فهي صادرة عن نفسية حاقدة وليست ناقدة نظرا لمواقف الشاعر الوطنية والقومية ضد اعداء أمته ووطنه وقوميته العربية المجيدة ومما عمق هذا الايمان في قلب الشاعر ما يلي :

١ ـ يقظة الأمة العربية من غفوتها بفضل تعدد الثورات الوطنية في انحاء هذا الوطن وفي مقدمتها ثورة مصر العربية الكبرى سنة ١٩٥٢ م التي قامت من أجل تحرير الانسان العربي واعادة الكرامة والحرية له في أنحاء هذا الوطن الكبير .

٢ ـ ايمان الشاعر المطلق بأن علاج امراض أمته يكمن في نضال أبناء هذه الأمة وفي قدراتها الذاتية الهائلة وليس بالشعارات الزائفة المستوردة من الشرق والغرب وأكثر ما يتجلى لنا هذا الايمان في قصائده القومية مثل ، في المغرب العربي ، والى جميلة بوحيرد ويوم الطغاة الأخير ، وبورسعيد ، وقافلة الضياع ، وغيرها من

القصائد القومية الخالدة[1] • كما يتجلى أيضا في مواقفه البطولية ومصارعته لأطماع الشعوبيين أعداء هذه الأمة •

ومما يؤكد لنا بطلان اتهام الشاعر بالتذبذب والتقلب السياسي الذي وصفه بـه خصومه الذين وجدوا فيه قلعة صامدة في وجه أحقادهم وسمومهم ما يلي :

١ ـ صراعه المستمر وتحديه الدائم لطغيان " نوري السعيد " خلال الحكم الملكي في العراق ابتداء من رثائه لشهداء الحرية الثلاثة الذين اعدمهم كل من عبد الاله الوصي على العرش ونوري السعيد بعد احتلال العراق سنة ١٩٤١ عقب انهيار الثورة الوطنية التي كانت بقيادة " رشيد عالي الكيلاني " " وهؤلاء الشهداء الثلاثة هم ، يونس السبعاوي ، وفهمي سعيد ، ومحمود كامل بالاضافة الى قائد الثورة البطل " صلاح الدين الصباغ " فيما بعد " (٢) .

وقد كان من نتائج ايمانه المطلق بأمته وعروبته منذ مطلع حياته حتى وفاته أن تعرض الى الفصل من العمل والسجن والتعذيب والنفي الى خارج العراق متنكرا فلو كان الشاعر انتهازيا متقلبا ـ وصفقا لهؤلاء الحكام الطغاة لما تعرض لكل هذا العذاب ، وقد كان في استطاعته ان يعيش مترفا ومقربا منهم لو أنه باع وطنه وتخلى عن ضميره الحي • ولكن الشاعر بقي مؤمنا غير متقلب أو متذبذب كما أدعى الخصوم •

٢ ـ تحديه المطلق والصارم " للظلم القاسمي " في العراق رغم الطوفان الدموي الرهيب الذي فجره أعداء الشعب من الشعوبيين الانتهازيين بقيادة " قاسم " مما عرضه للفصل من العمل والمطاردة والسجن وتجرع كؤوس العذاب من جديد

---

(١) راجع ديوان انشودة المطر • بدر شاكر السياب ، بيروت سنة ١٩٦٩ مكتبة الحياة والمجموعة الشعرية للسياب سنة ١٩٧١•

(٢) راجع عيسى بلاطة ـ بدر السياب ، حياته وشعره ص ١٩٦ دار النهار بيروت سنة ١٩٧١

وليس أدل على هذا التحدي والصمود من قصائده الشعرية " التموزية " التي كشف لنا فيها عورات وجرائم الحكم القاسمي في العراق بعد ثورة الموصل سنة ١٩٥٩ ضد الجلادين ، من أهمها مدينة بلا مطر ، ومدينة السندباد ، وسربروس في بابل ، ومن رؤيا سنة ١٩٥٦ وتموز والمدينة وغيرها من القصائد المظلمة التي تفوح برائحة الجرائم الشعوبية المسمومة الحاقدة .

٣ — تحديه للشعوبيين العملاء في العراق خلال عهد قاسم عندما طلبوا منه التوقيع على بيان يهاجم فيه ثورة مصر العربية ولكنه رفض بكبرياء وشمم بل وهتف بأعلى صوته هادرا ، بحياة العروبة وقائدها البطل رغم ما لقيه بعد ذلك من ألوان العسف والاضطهاد [(1)] ورغم ذلك كله لم يتقلب الشاعر ولم يتذبذب كما ادعى وزعم هؤلاء النقاد بل بقى مؤمنا بعروبته وأمته كالطود الشامخ لا تزعزعه العواصف والرياح .

٤ — رفضه المطلق للمساعدة المادية التي حاول " قاسم العراق " تقديمها اليه خلال مرضه في المستشفى الامريكي ببيروت سنة ١٩٦١ على الرغم من فقره وحاجته الماسة للمال ولكنه رفضها قائلا " انني أفضل الموت على أن آخذ مالا من يد تلطخت بدماء شعبي المناضل " . [(٢)]

٥ — مات الشاعر فقيرا وعاش فقيرا معدما لا يجد ثمن الدواء والعلاج ، حتى أطفاله وزوجته قذف بهم الى عرض الشارع يوم وفاته [(٣)] فلو كان الشاعر منافقا ومذبذبا لباع ضميره وترك مبادئه ، وعاش مترفا منعما في بلاط الجلادين الطغاة كما عاش الشعراء المتسولون المزيفون من قبل ، لكن الحياة عند السياب ، كانت مبدأ وموقفا وكرامة وقومية وانسانية أولا وقبل كل شيء بعد هذا كله ، هل يستطيع

---

(١) راجع — د / احسان عباس ، بدر السياب دراسة في حياته وشعره ص ٢٩٠ — ٢٩٦ .
(٢) مقابلة شخصية مع اسرة الشاعر في البصرة في ١١ / ٣ / ١٩٧١ م .
(٣) مقابلة مع السيدة / زوجة الشاعر وابنائه في البصرة يوم ١١ / ٣ / ١٩٧١ وانظر / د / عيسى بلاطه ص ١٦٦ .

أن يصدق العقل الانسانى بأن الشاعر كان متقلبا ومتذبذبا ومنافقا ؟؟؟ وبهذا تنهار هذه المزاعم الكاذبة وتذوب كالجليد عندما تطلع عليه اشعة الشمس شمس الحقيقة والمنطق

ومما يؤكد صدق ما ذهبنا اليه شهادات العديد من النقاد والأدباء والباحثين الذين عرفوه عن قرب ، وشاركوه مسيرة الحياة — ووصلوا الى اعماق الشاعر الحقيقية كقول أحدهم : (١) ومن ذكرياتى عن بدر شاكر السياب " أنه قلما أراد متاع الحياة غيرما اعتبره من حقوقه وفى هذا لم يرد شيئا لنفسه — واذا فاض للشعر ، كان كالشعر عطاء كلمة وكالشعر له مطلب واحد ، هو الوصال ، فآثر المرأة عن طمع ، كما كان شديد الحاجة الى الحنان والصداقة فاذا ما بلغهما تعالت فى نظره عن الزمان والمكان ، ومن ذكرياتى عنه أنه قلما استبد به الرفض — وكما اتحد بالشعر فقد اتحد بتراثه وقومه ، وكان من الأصالة والصدق بحيث اتحد مع ذاته أيضا فوقف لكل انسان أعزل أمام الحياة والموت فاذا به مثال الشاعر الذى التصق بالواقع الى حد تجريده فى الوجدان العام "

ومن ذكرياتى عنه ترفعه عن الصغائر — ونجاته من الغرور ، كما نأى عن الغيرة والحسد وفى احترامه للشعر نأى عن المساومة والمتاجرة ، وذر الألفاظ فى العيون ومن ذكرياتى عنه ، براءته وسذاجة طبعه مع ذكاء خارق .

ومن ذكرياتى عنه أيضا ، أنه كان حلو المعشر ، خفيف الظل ، يميل الى الدعابة وقلما تصدر المجالس عن شعور بالنقص أو أدار حديثها عن ادعاء كاذب ، وكان على ضآلة حجمه مهيبا — وعلى هزاله خلال مرضه وسيما تغزل عيناه السحر — وتفجر ضحكاته المرح وكان نظيف اللسان ، عفيف النفس ، ما أهان اللفظة ولا تناول مخارج الحروف بعنف ، واذا ما تكلم على أحد بسوء ، فكمن يلوم النفس أو يستبيح العذر واذا شكا

---

(١) يوسف الخال ، مقدمة كتاب — د عيسى بلاطة بدر السياب حياته وشعره — بيروت سنة ١٩٧١ — دار النهار .

همومه ـ وهى كثيرة ـ نقدا ـ أو تناول خصوصيات ـ فجياء بالغ فكأنى به وهو الكبير القلب أو النفس ، أبى أن يكون له من الخصوم سوى الدهر واذا علم ان الدهر لا يقهر ـ بـ ابه حينا ـ وعاتبه حينا آخر ـ وترامى له خصوصا فى أواخر أيامه ان يغالبه بالشعر وهو سلاحه الأوحد كقولـه :

فأنتضى من سيفى المجرد
ويقطر الشعر ولا يفيض
لأننى مريض
أودع الحياة أو أشد بالحياة
بخيطه الموروث عن أموات
لم يدفع الشعر منايا هم وقد
جاءت اليهم غيلة (١)

وهكذا ودع الشاعر الحياة بهذه الشخصية الانسانية والنفس الرائعة الزاخرة بالقيم ومعانى الانسان .

* * *

* * *

---

(١) بدر السياب ، منزل الاقنان ، سفر ايوب سنة ١٩٦٢ من ص ٣٦ ـ ٨١ .

((الفصـــل الثانـــى))

:: أهم مصادر ثقافتـــه ::

آمن الشاعر " بدر شاكر السياب " بأن الشاعر الأصيل هو أكثر الناس حضـارة ولكي يكون كذلك تحتم عليه الالمام بحضارات ما سبق من الأمم (١) وذلك بفتح عينيـه وقلبه على الساحات الحضارية من خلال جميع النوافذ الفكرية والثقافية المتعددة . وبهذا الايمان نجد السياب " اندفع بكل قواه باحثا عن المنابع والجداول الثقافية المختلفـة ليروى ظمأه الأدبي والفكرى ، حتى استطاع في النهاية ان يجمع ثروة أدبية هائلة وكنـوزا فكرية عظيمة مكنته من استغلال امكاناته وطاقاته وعبقريته في سهيل احداث تغيير جـذرى في مفهوم الشعر العربي الحديث ليعبر عن الحياة الحديثة المعاصرة شكلا ومضمونـا (٢) كما جعلت منه رائدا من أهم رواد شعرنا الحديـث .

وكان من مظاهر هذا الاندفاع الثقافي أن نهل من جميع روافد الأدب العربـي القديم محتذيا خطوات عمالقته القدامى أمثال ـ أبي تمام والبحترى وابن الرومي والمتنبي وأبي العلاء المعرى وغيرهم من شعراء العصر العباسي . كما ألم بتراث رواد المـدارس الشعرية الحديثة في عالمنا العربي ـ كمدرسة " الديوان " ومدرسة المهجر ومدرسـة " أبو للو " الشعرية وغيرها من المدارس الشعرية المتعددة . ولم تقتصر ثقافة السيـاب على حدود هذه المدارس العربية فحسب ، بل اندفع تجاه الآداب الأوروبية المختلفـة وخاصة الأدب الانجليزى بحكم دراسته في دار المعلمين العلية ببغداد مما سـاعده على اصدار كتابه " مختارات من الشعر العالمي " سنة ١٩٥٥ قام بترجمتها لعمالقة الشعـر الأوروبي الحديث .

---

(١) راجع مقال د / عبد الواحد لؤلؤة ، كل شئ العدد ٤٦ بغداد سنة ١٩٦٥ ص ٢ .

(٢) د / عيسى بلاطة ـ بدر السياب ـ حياته وشعره ، ص ١٠١٧ .

وقد تحدث الشاعر عن هذا التأثر بقوله " ان من بين الشعراء الغربيين الذين تأثرت بهم فى بداية الأمر ، شللى ، وكيتس ، ثم اليوت ، وايديث ستويل ، وحين استعرض هذا التاريخ الطويل من التأثر أجد أن " أبا تمام " و " ستويل " هما الغالبان ، وحين أراجع انتاجى الشعرى ـ لا سيما فى مراحله الأخيرة أجد أثر هذين الشاعرين واضحا . فالطريقة التى أكتب بها أغلب قصائدى الآن هى مزيج من طريقة أبى تمام وطريقة " ستويل " فى ادخال عنصر الثقافة والاستعانة بالأساطير والتاريخ "(١)

ولذلك أيضا نجد ان جميع النقاد المحدثين قد أجمعوا على عمق ثقافة " السياب" وخصب شاعريته ، وروعة عطائه ، من ذلك قول بعضهم : " لقد كانت ثقافته من النوع النهم المتفتح الذى استوعب بطريقة ما جوهريات حضارات الشرق والغرب "(٢) فقد قرأ الأدب الأوروبى واليونانى القديم ، كما درس الى جانب ذلك الكتب السماوية الثلاثة القرآن الكريم والانجيل والتوراة ، مما أمده بالعديد من القصص الدينية والمرويات التاريخية (٣) وبخاصة قصص المسيح ، وأيوب ، وصالح ، وثمود ، وعاد ، والخضر والاسراء والمعراج ، للرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم وقصص أخرى متعددة تزخر بها بطون كتب التاريخ الاسلامى الخالدة .

كما أيد هذا الرأى العديد من النقاد والباحثين الذين تناولوا حياته وشعره بالنقد والتحليل كقول أحدهم " لقد قرأ " السياب " الكثير من الأدب العالمى والثقافة العالمية ، ولا تحتاج لكى تكشف عن هذه الثقافة الواسعة عند " السياب " الى دليل آخر غير شعره كما قرأ لكبار الشعراء المعاصرين قراءة جيدة أصيلة عن طريق اللغة الانجليزية التى كان يجيدها اجادة تامة ، فقد قرأ " لاليوت ، ولوركا ، واديث ستويل وأودن ، وغيرهم كما قرأ الكتب الدينية على اختلاف أنواعها كالعهد القديم والقرآن

---

(١) احمد أبو سعد ، الشعر والشعراء فى العراق ـ بيروت سنة ١٩٥٩ صـ ٢٢ .
(٢) د / لويس عوض ـ جريدة الاهرام ، القاهرة فى ١٢/ ٣/ ١٩٦٥ .
(٣) ناجى علوش ، مجلة الآداب ـ بيروت ـ سنة ١٩٦٥ .

والانجيل • حيث استفاد منها العديد من القصص الدينية ذات المواقف الانسانية الخالدة(1) كقصة ميلاد المسيح ويوسف ، وأيوب ، وثمود قوم صالح ، وارم ذات العماد وغيرها • لكن أكثرها عمقا في نفسه كانت قصة " أيوب " عليه السلام لما بين موقفيهما من تشابه خلال صراعهما مع المرض اذ يقول في تضرعه الي الله عز وجل خلال مرضه العضال :

يارب ، أيوب قد أعيا به الداء
في غربة ، دونما مال ، ولاسكن
يدعوك في الدجن (٢)

ومن ذلك أيضا قول الدكتور / محمد التونجي حين وصف ثقافة السياب بقوله : ان " بدر لم يكتف بالاطلاع على الأدب العربي الكلاسيكي والآداب اليونانية القديمة فحسب بل عكف على دراسة الشعراء العرب المعاصرين أمثال الجواهري ، ومطران ، وعلى محمود طه والشابي وأصحاب مدرسة " أبو للو " الشعرية ، وكذلك على تراث الشعراء الغربيين ومذاهبهم الحديثة وتهدو ثقافته الواسعة الارجاء في شعره • ويكفي ان يقرأ المرأ قصيدة واحدة له ليرى بأم عينيه نماذج متعددة من هذه الألوان الثقافية(٣) كما اعترف الناقد العراقي الحديث الدكتور / جليل كمال الدين بعمق ثقافة السياب حين قال :

" ان السياب شاعر متمكن من عدته الشعرية ، وهو من رواد الشعر الحديث في العالم العربي ، كما يعد من الشعراء الملحمين القلائل — ممن يتمتعون بثقافة شعرية حديثة ويتقنون لغة أجنبية ، ويفهمون " اليوت ، وتجربته " • (٤)

وهكذا جمع السياب في شعره بين ثقافة الشرق والغرب معا ، حتى أصبح بمثابة عصارة لجميع الحضارات الانسانية على اختلاف ألوانها — مما جعل أحد النقاد المحدثين

---

(١) رجاء النقاش ، أدباء معاصرون ، ص ٢٢٨ وما بعدها •
(٢) بدر السياب ، ديوان منزل الأقنان بمجموعته الشعرية بيروت سنة ١٩٧١ ص
(٣) د / محمد التونجي — بدر السياب دار الأنوار — بيروت — سنة ١٩٦٨ ص ٤٩ •
(٤) د / جليل كمال الدين ، الشعر العربي الحديث وروح العصر ، بيروت — دار العلم للملايين سنة ١٩٦٤ ص ١٨٢ •

يصف شعره بقوله : " انه جاهلي ، بدوى ، فولكلورى ، خرافى ، انجلوسكسونى علمى واقعى ، هجاء ، رثاء ، مداح ، بكاء ، يسهل به الشعر سيل قريحة فارطة ويسيل معه الشعر حتى الموت " (١) وهكذا نجد أن معظم الباحثين والنقاد المحدثين قد أجمعوا على مدى ما كان يتمتع به السياب " من عمق ثقافى لم يتوفر لدى العديد من الشعراء الآخرين الذين واكبوا مسيرته الفنية •

ولكنى أرى على الرغم من هذه الثقافة العريضة والعميقة معا ان سر عظمة الشاعر وعبقريته وريادته للشعر العربى الحديث تكمن فى عمق ثقافته العربية الأصيلة كما يظهر لنا ذلك فى لغته وصوره الشعرية ، وأسلوبه الأدبى الرائع وفى حفاظه على بحور الشعر العربى وموسيقاه الخارجية والداخلية على حد سواء رغم اعتماده على الطريقة الحديثة ذات التفعيلات المتحررة من هندسة البيت العمودى القديم ، كما يكمن ذلك ويتجسد أيضا فى تأثره العميق بالفولكلور الشعبى الذى جعل لشعره مذاقا خاصا ولونا مميزا عن غيره من الشعراء العراقيين الآخرين • هذا بالاضافة الى تعبيره بالصور الرمزية والاسطورية النابعة من صدق التجربة الشعرية التى عاناها الشاعر فى حياته •

ولهذا لست مبالغا اذا قلت بأن " السياب " استطاع بفضل عبقريته واحساسه المرهف وشاعريته الخصبة ، وثقافته العميقة والعريضة معا ، أن يصبح عالما خاصا بسمائه وكواكبه ، وعواصفه ، وكونا فسيحا بكل مظاهره المتعددة وموسوعة علمية أدبية متنقلة مشحونة بعصارة الحضارات الانسانية •

والآن بعد ان بينا آراء النقاد فى ثقافة الشاعر ومصادرها يجدر بنا ان نوضح أهم هذه المصادر • والمناهل التى ارتشف منها رحيقه الشعرى كل ذلك لنعرف ما أفاده الشاعر منها وما أضفاه عليها من روحه وعبقريته فى الوقت نفسه • ومن أهم هذه المصادر والخيوط التى نسج منها الشاعر نسيجه الشعرى ما يلى :

---

(١) ملحق النهار ، بيروت — ٧ شباط ، سنة ١٩٦٥ ص ١٩ •

١ - الفولكلـــور الشعـــبى :

كان هذا المنهج الأصيل أول منهج ثقافى استقى منه " السياب " روائع الشعر ، فقد فتح عينيه الصغيرتين وسط أسرته الزراعية المحافظة ليرى عالمه الكبير وليسمع بأذنيه قـصص وأغانى بيئته العراقية الزاخرة بهذا التراث الأصيل ولذلك لم ينس الشاعر هذا التـراث الخالد ، وكيف ينسى طفولته ، وأحاديث أمه الحنون ، وعمته الشفوق ، وجدته المفليسة العجوز ، وجده العطوف ؟ كيف ينسى ليالى الطفولة وهو بين أحضان أمه لتقص عليـه قصص الأشباح والخرافات الممتعة قبل النوم فى ليالى الشتاء فوق " التنور " ؟؟

هـمس وجـه أمـى فـى الظـلام (١)
وصوتها يتزلقان مـع الرؤى حـتى أنـام
وهى النخيل ، أخاف منه اذا ادلهم مع الغروب
فاكتظ بالأشباح - تخطف كل طفـل لا يـؤوب
من الـدروب

وكما احتفظ الشاعر بذكرى قصص أمه - فقد احتفظ بقصص " عمته " عن الملوك الغابريـن خلف باب مقفل بعيد عن عيون الرجال - كما هى عادة الفلاحين فى الريف ،

وحديث عمتى الخفيض عـن المـلوك الغابريـن
وراء بـــاب
قـــد أوصدتــه علــى النســاء
أيد تطــاع بما تشـاء لأنها أيدى رجــال

---

(١) بدر شاكر السياب ، ديوان انشودة المطر ، مجموعته الشعرية - دار العـودة بيروت سنة ١٩٧١ صـ٣١٨ وما بعدها .

كما تشرب أيضا قصص جدته المغليه العجوز عندما كانت تحدثه عن قصص الحب العذرى عند العرب القدامى ، وبخاصة قصة " حزام وعفراء " اذ يقول :

وهي المغلية العجوز ، وما توشوش عن حزام
وكيف شق القبر عنه أمام " عفراء " الجميلة
فاحتازهـا الاجد ليـة

وقد أبدع الشاعر في استعمال كلمة " توشوش " لما لها من دلالة ايحائية ونفسية على أذهان الأطفال الصغار ، مما يعبر عن تقاليد الريف الأصيلة ، وصوت جدته المنساب برفق وهدوء في أعماق الاطفال الصغار ، وبذلك أعاد الى هذه الكلمة الشعبية النبض والحياة في ثنايا شعره .

كما احتفظ الشاعر بقصص جده لأبيه التي كان يحدثها له مع اخوانه الصغار في ليالي القرية وقد جلس بينهم بسيجارته وقدح الشاى في يده حتى يتمكن من الغوص في أعماق الماضي ويستعيد ذكرياته السحيقة عن كفاحه ونضاله في الحياة ، بحثا عن السعادة المفقودة فيقـول :

مـن خلـل الدخـان ـ من سيجـارة
من خلـل الدخـان
من قدح الشاى ، وقد نشر ، وهـوى
يلتـوى ازاره
ليحجب الزمـان والمكـان
حدثنا جد أبى فقـال " ياصغـار
مقامـرا كنت مـع الزمـان " .. الخ [1]

---

(١) بدر شاكر السياب من ديوان شناشيل ابنة الجلبى ص ٦٠٢ .

هذا بالاضافةالى القصص الأخرى المتعددة التى سمعها خلال طفولته من بيئته ، ومجتمعه ومحيطه الريفى الذى نشأ فيه . وكما تأثر السياب بالقصص الشعبية فقد تأثر كثيرا بالأغانى الشعبية التى يرددها الريف العراقى فى أفراحه وأحزانه وليس أدل على ذلك مما نراه فى ثنايا شعره وقصائده المتعددة التى طرزها الشاعر بخيوط هذا التراث الأصيل مثل " أغنية " ياحادى العيس " فى قصيدته ، أم البروم بديوانه " المعبد الغريق وأغنية " الحمامة المطوقة " فى قصيدته " اقبال " بديوانه " اقبال والليل " وأغنية زنبيل التراب " فى قصيدة " سفر أيوب " فى ديوانه " منزل الأقنان " وأغنية " نوار " فى قصيدته " غرس فى القرية " فى ديوانه " انشودة المطر " وأغنية " ابنة الجلبى فى قصيدته " شناشيل ابنة الجلبى " وتمثل هذه الأغنية الشعبية فرحة أطفال العراق عند ما يهطل المطر منشدين :

يامطـــــرا ياجلـــــبى
عـــبر نهـــات الشلــــبى
يامطــــرا ياشاشــــا
عـــربنـــات الباشـــا (١)

وكأغنية " يالعيون سلم " فى قصيدته " هرم المغنى " اذ يقول فيها :

اصغـــوا اليـــه لتسمعـــوه
يرش الشهاب ، ولا كلام ، سوى نشيج بالعيون
سلـــم علـــى " اذا مــــررت
اتـــى وسلـــم صدقـــوه
هـــرم المغنى ، فارحمـــوه (٢)

---

(١) بدر شاكر السياب ديوان شناشيل ص ٧ .
(٢) مجموعة السياب الشعرية ، من ديوان منزل الاقنان ص ٢٠٨ .

وهكذا رسم لنا الشاعر صورة تجمع شباب القرية خلال أفراحهم حول المغني العجوز الذي يشكو هجر الحبيب بعد ضياع الشباب • وقد كان في الماضي يلقى تحيته بنظرة العين العاشقة خوفا من قسوة العادات والتقاليد التي تحول دون اللقاء •

ومن الأغاني الشعبية التي عانقت روح السياب في شعره " اغنية نوار " تلك الفتاة القروية التي استطاع الاقطاعي ان يشتريها بالمال ليحرم شباب القرية من امتلاكها • بعد أن قدم لها الخاتم الثمين والسوار الذهبي الذي دفع ثمنه من رفات الضحايا في الريف ومن دماء شباب هذه القرية • وبعد أن اسكنها قصره المشيد من عظام العبيد • وفي ليلة العرس تجلس النساء حول العروس منشدات قائلات :

من ثغور العذارى يهب الهواء
حين يرقصن حول العروس
منشدات " نوار " اهنئي يانوار
حلوة أنت • مثل الندى • ياعروس " (١)

وهناك عشرات الأغاني الشعبية العراقية الأخرى التي ضمنها الشاعر ثنايا شعره مما يدل على عمق تأثره بهذا التراث الأصيل • مصورا فيه حياة الريف وعاداته وتقاليده المختلفة •

ولم يقتصر السياب على الأغاني العراقية فقط بل تجاوز ذلك الى بقية الأغاني الشعبية الأخرى في الوطن العربي • وبخاصة أغاني " أم كلثوم " التي كان يحس عند سماعها بالنشوة والسعادة • وكأن صوتها سحرا رائعا يغوص في أعماقه فتنصهر روحه مع صوتها الحنون ويبقى خاشعا في محرابها ليشرب من هذا الصوت الجميل أعذب

---

(١) بدر السياب " مجموعته الشعرية " من ديوان انشودة المطر ص ٣٤٥ •

كئوس الحياة فيقـــول :

وأشـرب صوتها ، فيفـوض من روحى الى السقاع
و يشعـــــل بيـــــن أضلاعـــــى
غناء من لسان النار يهتف " سوف أنساهــــا
وأنسى نكبتى ، بجفائها ، يتذوب أوجاعـــى "
وأشرب صوتها ، فكأن ماء " بويب " يسقيـــنى "
وأسمع من وراء كرومه ورباه " ها ... ها ... ها ..
تردد ها الصبايـــا السمر من حين الى حيـــن (١)

وهكذا ربط الشاعر بين صوت " أم كلثوم " وبين حبه وشوقه لأرضه ولنهره الحبيـــب " بويب " لأن كلا منهما يعيد اليه الاحساس بالحياة ، كل ذلك فى صفاء روحى وضيـاء شفاف مع الصوت الحنون الذى حمله الى آفاق ذكرياته الحبيبه ، وهكذا نجد " السياب " قد نجح الى حد بعيد ، فى استغلال هذا التراث الشعبى الرائع ليعيد اليه الحيـاة والخلود ، وأن يطرز نسيجه الشعرى بهذه الخيوط الشعبية الزاهية حتى أصبح شعـره مرآة لحياة العراق وعاداته وتقاليده ، كما أصبح لوحة ناطقة وزهرة فواحة بأريج وعطـــر العـــراق .

وهذا من أهم مزايا شعر السياب ، ومن أهم الأسباب التى جعلته متفوقا على أقرانه جميعا فى هذا المجال ، ورائدا من رواد هذا الشعر العربى الحديث .

* * *

---

(١) بدر السياب " مجموعته الشعرية " من ديوان شناشيل ، ص ٦٦٤ .

٢ - الكتب السماوية :

تعتبر الكتب المقدسة من أهم المصادر الثقافية والانسانية التى استمد منها الشاعر " بدر السياب " كنوزه الأدبية ، ولغته الشعرية ، وصوره الرائعة ، وتجاربه الانسانية وأكثر ما يتجلى هذا التأثر والايمان فى شعره الدينى الذى تناول فيه قصص الأنبياء عليهم السلام ، وبخاصة حياة رسولنا الأعظم " محمد بن عبد الله " صلوات الله وسلامه عليه ، ففى مولده صلى الله عليه وسلم يقول الشاعر :(١)

وأشرقت فاهتزت نواويس فى الدجى
وأوشك موتى أن يهبوا وينشروا
نبى الهدى يانعمة الله للورى
وياخير ما جاد الزمان المقتر
اذا ما افتخرنا كنت للفخر أولا
وان جاءنا نصر فذكراك تنصر
ولولاك ما اندكت عروش ولا هوى
صليب على كفيه كنا نسمّر
ويامولد المختار ميلاد أمة
وميعاد بعث أنت فيها مقدر

وبعد ان تحدث عن أثر ميلاد هذا النبى الأعظم على البشرية ، وما أضاء به على هذا العالم الذى خيم عليه الظلام والضياع انتقل الشاعر ليتحدث عن معجزة الاسراء والمعراج فيقول :

تذكرت والميلاد حال بنوره
شعاعا من المعراج ذكراه مطهر

---

(١) د / عيسى بلاطه ، بدر السياب حياته وشعره ، بيروت دار النهار سنة ١٩٧١ ص ٢٠٧ ، ص ٢٠٨ .

سمـــا من مطـــاوى نومه يقصـــد السمـــا
نبى تلقـــاه البـــراق المطهر
أتى صخـــرة بيضاء يندى بياضهـــــا
كما لاح فى الظلمـاء نجم منـور

معانه مطروقة

وكما تحدث الشاعر عن مولد المختار صلوات الله وسلامه عليه وعن الاسراء والمعـــراج فقد تحدث أيضا عن هجرته ولجوئه مع صاحبه الصديق الى غار حراء الذى حاكـــت العنكبوت خيوطها على بابه لتدفع بالكفار بعيدا عن دخوله ، فكانت معجزة من معجـزات السماء ، فيقول :

هـــذا حرائـــى ، حاكـت العنكبوت
خيطا علـــى بابـــــه
يهدى الى النـاس ، انـــى أمـــوت
والنـــور فـــى غابـــه (١)

دلنى على الروعة

وهكذا أخذ الشاعر من هذا الموقف الرائع صورة للانسان العربى المحاصر وسط هـــذا العالم الذى فقدت فيه معانى الحرية والحياة الانسانية .

وكما تأثر الشاعر بقصص كفاح الرسول الأعظم فقد تأثر كذلك بقصة سيدنا " أيـوب " عليه السلام وصراعه مع المرض ، وهذا الموقف مما يتناسب ، وموقف الشاعر خلال مرضـــه وصراعه المرير معه طوال ثلاث سنوات تقريبا كقوله فى مناجاته وتضرعه الى الله عز وجـــل طالبا منه الرحمة والشفـــاء :

يـــارب ، أيـــوب ، قد أعيا بــه الـــداء
فى غربـــة ، دونما مال ، ولا سكـــن

---

(١) بدر السياب ديوان انشودة المطر ، بيروت سنة ١٩٦٩ ص ١٠٢ .

يدعــوك فــي الدجــــن
يدعــوك في ظلمات الموت : اعبـــاء
ناء الفــؤاد بها ، فارحمه ان هتفـــا
يامنجيا فلك نوح مزق السدفـــا
عني ـ اعدني الى داري الى وطـــني (١)

ومن صور تأثره بالقرآن الكريم أيضا ما نجده في استغلاله وتأثره بسورة " مريم " عليها السلام حين جاءها المخاض تحت جذع النخلة الفرعاء وقد هزت جذعها بناء على أمر الله عز وجل ليساقط عليها الرطب الذي سوف يمدها بالقوة والحياة ، كقوله :

وتحت النخيـل حيث تظل تمطر كل ما سعفه
تراقصـت الفقائع ـ وهي تفجـر ، انه الرطب
تساقط في يد العذراء ، وهي تهز في لهفـة (٢)
بجذع النخلة الفرعاء ـ وتاج وليدك الأنوار لا
الذهـــب "

فقد شبه الشاعر فرحة فلاحي العراق بتساقط المطر فوق النخيل وما يبعثه من خصب وحياة بفرحة السيدة العذراء بتساقط الرطب خلال صراعها ومخاضها ، وهكذا استطاع الشاعر ان يستغل هذه الصورة الرائعة بطريقة فنية جديدة وأسلوب عظيم حين ربط بين طرفي الحياة ـ المطر ، والرطب ، لأن كلا منهما مصدر من مصادر القوة والنشوة والحياة .

هذا بالاضافة الى العديد من الصور الأخرى التي تأثر بها الشاعر مثل قصة آدم ، نوح ، وصالح ، وموسى ، وغيرهم من الأنبياء عليهم السلام . هذا بالاضافة الى تأثره بلغة القرآن الكريم وأسرار اعجازه المتعددة .

---

(١) منزل الاقنان المجموعة الشعرية ، قصيدة " سفر أيوب " ص ٢٤٨ .
(٢) بدر السياب ، شناشيل ، بالمجموعة الشعرية ص ٥٩٨ .

٣ ـ التاريـــخ

كان من الروافد الثقافية التى نهل منها الشاعر أيضا ، كنوز ومنابع التاريخ الحضارى للانسان • وبذلك اتسعت رؤياه الشعرية وتعمقت ثقافته واتسعت تجاربه •

ومن هذه الصور التاريخية التى تأثر بها السياب فى شعره :

١ ـ الصراع بين " الحسين " رضى الله عنه ويزيد بن معاوية • وقد ثار الشاعر ضـــد يزيد وصب عليه غضبه لما قام به من جريمة نكراء حينما أقدم على قتل سبط الرســول " صلى الله عليه وسلم " فقـــال :

واسد ربخيك يايزيـــد فقـــد ثـــوى
عنك " الحسين " ممزق الأحشـــاء
مثلت عذرك فاقشعـــــر لهولـــــه
قلبى وثار ، وزلزلـــت أعضائـــى
أبصرت ظلك يايزيد ، يوجــــــه
موج اللهيب ، وعاصف الأنـــــواء (١)

كما تأثر بصورة وكفاح " الحلاج " وصراعه فى سبيل الحق والمعرفة حتى قدم حياته ثمنا لآرائه ومعتقداته • وهذا ما ينطبق على الانسان المؤمن برأيه وموقفه فى الحيــــاة فيجعل من جسده ثمنا وقربانا لهذا الفكـــر •

كما عبر الشاعر عن جرائم الطغاة فى وطنه بصورة طغاة التتار والمغول كقوله :

هم التتـــار أقبلو ـ ففى المدى رعـــاف
وشمسنا دم ، وزادنا دم ، على الصحاف (٢)

---

(١) بدر السياب ، أساطير ، النجف ، سنة ١٩٥٠ صـ ٨٥ •
(٢) بدر السياب ، مجموعته الشعرية ـ ديوان انشودة المطر ص ٤٦٧ •

كما رمز اليهم أيضا ، بثمود ، وعاد ، وسديم ، وبابل ، وغيرها من الرموز الدالة على الظلم والخراب والدمار الذى لحق ببغداد خلال حكم " قاسم " كما سنوضح فيما بعد .

* * *

٤ - الأدب العربي :

لقد ذكرنا فيما سبق أن الشاعر " بدر " التحق بقسم اللغة العربية بدار المعلمين العالية ببغداد فى بداية دراسته فيها ، وقد مكث فى هذا القسم عامين كاملين قبل أن ينتقل الى قسم اللغة الانجليزية فيها . وفى خلال هذين العامين استطاع الشاعر أن يطلع على العديد من كنوز الأدب العربي " وأن يحفظ العديد من قصائد فحول الشعراء العرب القدامى أمثال : البحترى ، وأبي تمام ، وابن الرومى ، والمتنبى ، وأبى العلاء المعرى وغيرهم من عمالقة الشعر والنثر العربي " [1] وقد ساعده فى ذلك ما لقيه فى بغداد من ندوات أدبية وفكرية ، و ما بين أدبائها وشعرائها من تنافس فى حلبة الأدب والعلم . وما فيها من اهتمام بالثقافة والفكر الانسانى ، وما فيها من أصدقاء يهتمون بالأدب والشعر أمثال " خالد الشواف ، واكرم الوترى ، وبلند الحيدرى وكاظم جواد " [2] ومحمود العبطة المحامى ، ومحى الدين اسماعيل وغيرهم من الأدباء الشباب الذين يتحلقون حول عمالقة الشعر فى بغداد أمثال الجواهرى والرصافى وخضر الطائى وغيرهم من فحول الشعراء بالعراق . وفى وسط هذا الجو الأدبى والثقافى اندفع الشاعر " بدر " نحو منابع اللغة وكنوز الأدب العربي ليصقل مواهبه وشاعريته حتى يتمكن من اثبات وجوده وتحقيق ذاته . حتى كان كما وصفه أحد أصدقائه " يتردد على مجالس الشعراء والأدباء . وبخاصة على مقهى

---

(١) محمود العبطة ، ص ٧٤ .

(٢) نفس المصدر ص ٧٥ .

مبارك في بغداد • وأمامه قدح من الشاي يرتشف منه • ثم يعود لقراءة ديوان المتنبي أو أبي تمام أو البحتري ، أو غيرهم من فحول الشعراء الا أنه كان شغوفا لدرجة كبيرة لا توصف بأبي تمام حيث كان يحفظ مطولاته ، ويحلل صوره ويعيش في أجوائه •(١) وقد اعترف السياب " نفسه بهذا الاعجاب والتأثر حين قال : " انني حين استعرض هذا التاريخ الطويل من التأثر أجد أن " أبا تمام " و " ستويل " هما الغالبان • وحين أراجع انتاجي الشعري لا سيما في مرحلته الأخيرة • أجد أثر هذين الشاعرين(٢) واضحا " ولعل مصدر هذا التأثر والاعجاب بهذا العملاق عائد الى الأسباب الآتية :

أ — روعة اسلوبه الشعري القائم على ادخال جميع عناصر الثقافة في الشعر من رموز وأساطير ، واقتباس وتضمين ، وتقابل بين الصور الشعرية ، والاستعانة بالتاريخ وغير ذلك من عناصر الثقافة • هذا بالاضافة الى جزالة اللفظ وقوة العبارة •

ب — اهتمامه بالمعنى العميق المعتمد على الفكر والتسلسل المنطقي ، رغم تعرضه للتعقيد في بعض الأحيان •

جـ — روعة تصاميم بنائه الشعري التي تهتم بوحدة القصيدة وتنقيتها من الأغراض المتكلفة والمفروضة عليها من الخارج •

ومما يؤكد لنا أيضا هذا التأثر واستمراره لدى الشاعر السياب ما وجدناه في قصيدته وملحمته " بورسعيد " التي تأثر فيها بقصيدة أبي تمام الخالدة " فتح عمورية " والتي مطلعها :

السيف أصدق أنباء من الكتب
في حده الحد بين الجد واللعب (٣)

---

(١) الهبطة ص ١١ •
(٢) مجلة الحياة العراقية ، بغداد سنة ١٩٦٠ والهبطة ص ٨٣ •
(٣) ديوان أبي تمام ص ١٢٤ •

وقد تأثر بها " السياب " كثيرا " وخاصة بصورها عن الحريق الذي اشعله المعتصم في " عمورية " انتقاما من غدر الروم ، فقد كان الحريق هائلا ومخيفا حتى أذل فيها الصخر والخشب كقول أبي تمام :

لقد تركت أمير المؤمنين بها
للنار يوما ذليل الصخر والخشب

ثم يأتي " بدر السياب " ليصوغ هذه الصورة بأسلوب جديد وطريقة فنية أخرى حين يقول في ملحمته " بور سعيد " :

هاويك أعلى من الطاغوت فانتصبي
ما ذل غير الصفا للنار وللخشب
حييت من قلعة شق الفضاء بها
أسس لها في صدور الفتية العرب
الطين فيها دم منا ، وجند لها
من عزمة والحديد الصلد من غضب
والصخر فيك استمد الروح اذ لمست
عقم الجمادات فيها أصبع اللهب (١)

فالصخر عند أبي تمام رمز للذلة والاستسلام وهرب الروم — ومصدر فخر واعتزاز بقوة جيش المعتصم العربي ، لكن الصخر المحترق لدى " السياب " رمز للمقاومة العنيدة التي أبداها شعب " بور سعيد " خلال الكفاح والنضال ضد الغزاة

---

(١) بدر السياب ، ديوان انشودة المطر ، المجموعة الشعرية ص ٤٩٨ .

وبخاصة بعد أن استمد قوته من روح الشعب المناضل ، وهكذا قلب الشاعر رمز الصخر من العبودية والاستسلام والقهر الى معنى البطولة والتضحية والفداء .

كما تأثر السياب أيضا بصورة الحريق المخيف التى رسمها أبو تمام لحريق عمورية عندما قال مخاطبا الخليفة المعتصم :

غادرت فيها بهيم الليل وهو ضحى
يشلـه وسطها صبح من اللهب

فاستغلها " السياب " ولكن بصورة فنية جديدة اذ لم يكتف باللون فقط كما فعل أبو تمام ولكن جمع الى جانب ذلك آثار هذا الحريق المخيف على ابناء الشعب العربى الفلسطينى الذى طرد من أرضه بقوة الحديد والنار ليتحول الى شعب طريد من أرضه التى عاش فيها اجداده منذ آلاف السنين . ولم يبق لهم فيها حينذاك سوى شطر صغير بينما التهمت الصهيونية الجزء الأكبر فيقول :

الليل يجهض فالصباح من الحرائق فى ضحاه
الليل يجهض ، فالحياة
شيء ترجح ، لا يموت ولا يعيش بلا حدود
شيء تفتح جانباه على المقابر والمهود
شيء يقول " هنا الحدود
هذا لكل اللاجئين — وكل هذا لليهود " (١)

وهكذا نجد رغم هذا التأثر بالصورة المرعبة المخيفة للحريق ، غير ان ذلك كان مصدر اعتزاز وفخر لأبى تمام بينما نراه مصدر آلام وجراح للشاعر " السياب " .

---

(١) بدر السياب ، ديوان انشودة المطر المجموعة الشعرية ص ٣٦٩ .

وهذا ما يؤكد لنا ان تأثر " السياب " بأبي تمام لم يكن قادرا على اذابة هويته وطمس شخصيته ، بل بالعكس كان دليلا على احتفاظ الشاعر بشخصيته الذاتية .

وكما تأثر " السياب " بأبي تمام ، فقد تأثر أيضا بالشاعر " البحتري " في بداية حياته الشعرية ، وقد اعترف الشاعر نفسه أيضا بهذا الاعجاب والتأثر حين قال " كان البحتري أول شاعر تأثرت به ، ثم وقعت تحت تأثير الشاعر علي محمود طه " لفترة من الزمن " .(١)

وأكثر ما يتجسد هذا التأثر في قصيدة البحتري التي رثى فيها المتوكل والتي مطلعها :

محل على القاطول أخلق دائره

وعادت صروف الدهر جيشا تغاوره

وقد انعكس ذلك على قصيدة السياب التي رثى فيها " شهداء الحرية " الذين أعدمهم الوصي على عرش العراق بعد فشل ثورة " رشيد عالي الكيلاني " سنة ١٩٤٢ والتي مطلعها :

شهيد العلا لن يسمع اللوم ناديه

وليس يرى باكيه من قد يعاتبه

طواه الردى فالكون للمجد مأتم

مشارقه مسودة ومغاربه

فتى قاد أبناء الجهاد الى العلا

وقد حطمت بأس العدو كتائبه (٢)

---

(١) مجلة الحياة العراقية بغداد سنة ١٩٦٠ ص ٤٢ والعبطة ص ٨٣ .
(٢) د / عيسى بلاطه ص ١٩٦ .

فنحن اذا قارنا بين القصيدتين جيدا وجدنا أنهما مشتركتان في الروح الحزينة المتدفقة ، وفي الوزن والقافية ، قافية الهاء المشحونة بالتأوه والتوجع في قلب كل من الشاعرين ، كما يشتركان في صدق العاطفة وحرارة التجربة التي تعرض لها كل منهما كما أن كلا منهما توعد الطغاة الذين ارتكبوا الجرائم الشنعاء في حق الضحايا الأبرياء بالقصاص وبهذا يظهر لنا مدى التأثر والاعجاب الذي حمله الشاعر السياب لشاعره (البحتري) .

ومن صور تأثره بابن الرومي ما أخذه عنه من روعة الخيال والصور والوصف حتى سماه بعض أدباء العراق بابن الرومي الصغير " (١) ولم يتوقف اعجاب السياب وتأثره عند حدود العمالقة الثلاثة السابقين فحسب بل تجاوز ذلك الى المتنبي في روحه الوثابة والفاظه الجزلة وعباراته القوية وموسيقاه الصاخبة المدوية كما في قصيدته " مرثية الآلهة " التي ثار فيها على تجار الحروب وأصحاب مصانع الموت والدمار حين يقول :

بلينا وما تبلى النجوم الطوالع
ويبقى اليتامى بعدنا والمصانع
أعنقاء من صحراء نجد تقحمت
بها ضرب الشمس البعيد الزعازع
فلما شكا بعد الأثافي قدرها
وضنت على الشدق الحفي المراضع (٢)

فهي تحمل الى جانب ايقاع وموسيقى المتنبي العديد من الفاظ الشعر العربي الجاهلي أيضا كالعنقاء ، وصحراء نجد ، والأثافي ، والقدر ، وغيرها من الألفاظ البدوية القديمة مما يؤكد لنا عدم اقتصار الشاعر على الشعر العباسي فقط بل شملت

---

(١) المعيطة ص ٣١ .
(٢) بدر السياب ، مجموعته الشعرية ص ٣٤٩ .

العصور السابقة أيضا وفي قصائده الأخرى التي تحمل صوت المتنبي وروح أبي تمام أيضا ما نجده في قصيدته الدينية " ليلة القدر " والتي يقول فيها متغنيا بمكانة هذه الليلة المباركة في نفوس المسلمين :

يا ليلة تفضل الأعوام والحقبا
هيجت للقلب ذكرى فاغتدى لهبا
يا ليلة القدر يا ظلا نلوذ به
ان مسنا جاحم الرمضاء ملتهبا
يا ليلة القدر يا نورا أضاء لنا
تاج السماء فأبصرنا به عجبا (١)

ولم يكتف " السياب " في اعجابه وتأثره بالشعراء القدامى بل شمل أيضا شعراء الكلاسيكية الحديثة وبخاصة الشاعر العراقي " محمد الجواهري " وقد اعترف الشاعر بمكانة ومنزلة هذا الشاعر في نفسه حين قال عنه : ان الجواهري هو استاذ الجيل الطالع من الشعراء العراقيين والحق أني والكثير من الشعراء الشباب الآخرين مدينون له بالشيء الكثير - كما أنه قمة من قمم الشعر العربي في كل عصوره ، وأعظم شاعر ختم به النهج التقليدي للشعر العربي " (٢) كما " ان الجواهري من أعاظم الشعراء القلائل الذين وجدوا في تاريخ الشعر العربي - بل هو اعظم شاعر ظهر في هذه الحقبة من تاريخ شعرنا الحديث " (٣) ولا شك ان هذا الاعجاب بالجواهري عائد الى عدة أسباب رئيسية منها :

١ - مواقف الجواهري النضالية من فساد الحكم الملكي في العراق .
٢ - مواقفه الانسانية تجاه الشاعر عندما تعرض للسجن والتعذيب على أيدي زبانية نوري السعيد في نهاية الأربعينات ، حيث مدحه الجواهري بقصيدة تعتبر

---

(١) عيسى بلاطه - بدر السياب ، حياته وشعره ص ٢٠٦ .
(٢) مجلة آراء بغداد سنة ١٩٦٠ ، تشرين ثاني والصفحة ص ٨٥ .
(٣) مجلة الحياة العراقية ، بغداد ، مارس سنة ١٩٦٠ والصفحة ص ٨٤ .

من عيون الشعر الكلاسيكي منها قوله للشاعر " السياب " :

أطـل مكشـا فانك عن قريــب
ستتقـص في الضحايا أوتضيف (١)

وقد نشرت هذه القصيدة في جريدة الصور العراقية سنة ١٩٤٩، وعندما خرج الشاعر من السجن تتقاذفه البطالة والتشرد احتضنه الجواهري وعينه مترجما ومحررا في جرائده ثم في جريدتي العالم العربي ، وفي جريدة الجبهة الشعبية .

٣ - لقوة شعره الذي يمتاز بفخامة اللفظ ، وعمق المعنى ، وثورية المضمون وكان من أهم القصائد الجواهرية التي تأثر بها " السياب " قصيدة " أحن " للجواهري ومطلعها :

أحـن الـى شبـح يلمـح
بعينـي أطيافـه تمـرح
تـرى الشمس تشرق من وجهـه
وما بيـن أثوابـه يجنـح
رضـى السمـات كـأن الضميـر
علـى وجهـه ألقا يطفـح (٢)

وقد تجسد هذا التأثر في قصيدة السياب وملحمته الشهيرة " الأسلحة والأطفال " والتي مطلعها :

عصافيـر أم صبيـة تمـرح ؟
عليهـا سنـا من غـد يلمـح

(١) العهطة ص ١٢ .
(٢) راجع ، الشعر والشعراء في العراق ، أحمد أبو سعد ، بيروت سنة ١٩٥٩ ص ١٢٧ .

وأقدامهـــا العاريـــــه
محار يصلصـــــل فـــي ساقيـــــه (١)

ونحن اذا وازنا بين القصيدتين — نجد الجواهري سار في قصيدته على الشكل العمودي التقليدي ، كما اقتصر على الوصف الخارجي لبراءة الأطفال ، وما على وجوههم البريئـة من علامات الرضا والسعادة والاشراق ، لكن السياب تجاوز الشكل العمودي الى الشكـل الحر " ولم يكتفي بالوصف الخارجي لبراءة الأطفال بل غاص في أعماقهم مبينا نوعيـة حياة الأطفال في زمني السلم والحرب ، ففي ظلال السلام يغردون كالعصافير المنطلقة الفرحة ويزرعون السعادة في قلوب الآباء المتعبين وأرواح الأمهات والجدات ، وكأنهم عصافير فوق دوحة من الشجر .

أما في زمن الحرب والدمار ، فان الدروب والحياة تخلو من اصواتهم الحبيبـة ويخيم على الملاعب والطرقات الصمت والرعب والخوف ، وتصبح الأم الثكلى وكأنها شجـرة عارية من عصافيرها الفرحة (١) وهكذا قارن ووازن السياب بين الحياتين المتناقضتين مما يبين لنا فوائد السلام وكراهية الحرب كما صور مدى حبه للأطفال الأبرياء الذيـن هم زينة الحياة الدنيا .

وبهذا تفوق السياب على الجواهري في هذا الميدان .

ولا شك ان دراسة السياب لعمالقة الشعر العربي التقليدي زودته بثروة أدبيـة ولغوية هائلة جعلته رائدا من رواد هذا العصر الحديث . ومما عمق ثقافة الشاعر العربية الأصيلة أيضا دراسته العميقة لدواوين الشعراء العرب المعاصرين وبخاصة الـرواد منهم . فمن رواد مدرسة المهجر الشعرية جبران ، وميخائيل نعيمة ، و ايليا أبي ماضي والقروي ، وغيرهم ، ومن رواد مدرسة " أبوللو " الشعرية الذين اعجب بهم السيـاب

(١) بدر السياب ، ديوانه انشودة المطر ، مجموعته الشعرية ص ٥٦٣ بيروت سنـة ١٩٧١ دار الأنوار .

(٢) راجع : الشعر العربي الحديث وروح العصر ، د / جليل كمال الدين — دار العلم للملايين ، بيروت سنة ١٩٦٤ ص ٢٣٣ .

كثيرا ، على محمود طه ، ومحمود حسن اسماعيل ، وأبو شادى ، وابراهيم ناجى وأبو القاسم الشابى وغيرهم من شعراء الرومانسية فى الوطن العربى ، لكن تأثر السياب بهؤلاء جميعا ، كان اكثر بالشعراء الثلاثة : على محمود طه ، ومحمود حسن اسماعيل وأبى القاسم الشابى ، فأخذ عن الأول الألفاظ المجنحة ، والخيال الساحر وسفائن العطور ، والزورق الحالم ، والأشرعة الذائبة فى الأفق والأقداح المملوءة بالشراب ، وعبادة الجمال الساحر وغير ذلك :

فعندما يتغنى الشاعر " على محمود طه " فى قصيدته " تاييس الجديدة قائلا :

روحى المقيم لديك أم شبحى
لعبت برأسى نشوة الفرح
ياحانة الأرواح ما صنعت
بالروح فيك صبابة القدح
أأنا الغريب هنا وملء يدى
أعطاف هذا الأغيد المرح .. الخ (١)

فاننا نجد السياب يستعير بعض ألفاظها وصورها فى قصيدته " أقداح وأحلام قائلا :

أنا لا أزال وفى يدى قدحى
ياليل أين تفرق الشرب
مازلت أشربها وأشربها
حتى ترنح أفقك الرحب

---

(١) على محمود طه ، ديوانه ، الملاح التائه ، ص ٨٨ .

الشرق عفر بالضباب فما
يبدو ، فأين سناك ياغرب ؟
ما للنجوم غرقن في سأم
في ضوئهن ، وكادت الشهب .. الخ (١)

ففي الوقت الذي كان فيه " علي محمود طه " راقصا باسما للحياة حيث توفرت له وسائل اللذة والترف ، نجد الشاعر السياب يكثر من الشراب طلبا للهرب من واقعه المرير المؤلم بعد أن تخلى عنه احباؤه وأصبح وحيدا في الحياة انه يشرب كئوس الألم والحزن والوحدة لفشل حبه وانهيار آماله . لكنهما يتفقان معا في اتخاذ الأقداح وسيلة من وسائل المتعة واللذة الأول ليقترب من شواطئ السعادة والثاني ليهرب من الجحيم الذي يعانيه ويقاسيه .

ومما يؤكد لنا اعجاب الشاعر السياب " بالشاعر علي محمود طه ، أيضا ، ارساله قصيدته الطويلة " بين الروح والجسد " اليه اعتزازا منه برأيه الأدبي ومكانته الشعرية غير ان هذه الأمنية لم تتحقق نظرا لوفاة الشاعر " علي محمود طه " في مصر سنة ١٩٤٩ قبل ان يطلع عليها مما أدى في النهاية الى ضياعها ، ما عدا بعض الأبيات منها والتي عثر عليها فيما بعد .

ومن مظاهر تأثر واعجاب السياب " بكوخ " الشاعر محمود حسن اسماعيل الرومانسي الحالم بين احضان الشجر والطبيعة ما نجده في قصيدته التي بعث بها الى حبيبته الراعية " هالة " يطالبها فيها بالحفاظ على ذكريات حبهما تحت ظلال نخيل جيكور قائلا :

حدثيه ، حدثيه عن ذلك الكوخ
وراء النخيل بين الروابي

---

(١) بدر السياب ، ديوانه أزهار ذابلة ، بغداد ، سنة ١٩٤٧ ص ٥٣ .

حلم أيامه الطوال الكئيبات

فلا تحرميه حلم الشباب

أوهميه بأنه سوف يلقاك

على النهر تحت ستر الضباب

وأضيئي الشموع في ذلك الكوخ

وان كان كله من سراب (١)

وهكذا تحولت " أغاني الكوخ " التي عزفها الشاعر " محمود حسن اسماعيل " الى عالم جديد يعيش فيه الشعراء الشباب هربا من مواجهة الواقع المرير الذي كان يعانيه الانسان خلال مرحلة الحرب العالمية الثانية وبعدها بقليل .

أما تأثره بأبي القاسم الشابي فان اكثر ما يظهر ذلك في شعره الريفي ، وغنائه الرعوي كما كان يفعل أبو القاسم الشابي من قبل . حين اتخذ من الأدوات الموسيقية البدائية مجالا للتعبير عن اشواقه وحبه لراعيته ، وفي هذا الحب الرعوي نجد "السياب" يتغنى بشبابته ، ونايه ، وأنغامه وراء قطيع اغنام حبيبته طلبا للقاء .

لأجلك أطوي الربى شاردا

أردد أنغامي الضائعه

وأسكب في الناي قلبي الكئيب

فتغمره النشوة الخادعه (٢)

وهكذا أصبح الناي ، والشبابة والانغام الضائعة خلف القطيع ، وسط المراعي الخضر صورة من مظاهر الشعر عند السياب كما كانت من قبل عند أبي القاسم الشابي . وذلك لقرب وتشابه البيئة القروية بينهما ولجمال الطبيعة في كل من تونس وبساتين جيكور

---

(١) بدر السياب ، ديوانه أزهار وأساطير ، دار الحياة ، بيروت ص ٨٢ .

(٢) د / احسان عباس ، بدر السياب دراسة في حياته وشعره ، بيروت سنة ١٩٦٩ ص ٤٢ .

وريف البصـــــرة .

ولست مبالغا اذا قلت بأن السياب قرأ وتأثر بجميع الشعراء الرومانسيين علــــى اختلاف مدارسهم الشعرية ، غير أن هذا التأثر والاعجاب يختلف ويتفاوت من شاعر الــــى آخر على حسب مكانته الشعرية ، ومنزلته الأدبية .

ولكن مما يدعو للدهشة والاستغراب حقا ان يعود الشاعر فيما بعد لينكر هــــذا التأثر بهؤلاء الرواد السابقين في مدارس الشعر العربي المعاصر وذلك حين يقول :
" وأنا معجب بعدد من الشعراء العرب المعاصرين ، ولكنني لست متأثرا بواحد منهم اطلاقا ، لأن هذا الاعجاب جاء بعد ان كونت لنفسي اسلوبا خاصا ، وشخصية مستقلـــة ولذلك فأنا أعدهم زملاء لا اساتذة " (١)

والحقيقة أن الشاعر أعجب بل وتأثر بهؤلاء الرواد رغم نفيه المطلق لهــــــذا التأثر وأكبر دليل على ذلك ما سبق أن أوردناه وذكرناه من قبل ، كما ان هذا الاعجاب والتأثر لم يكن بعد ان كون لنفسه اسلوبه الخاص كما ذكر ، بل كان قبل هذه المرحلـــــة عندما كان رومانسيا في بداية حياته الفنية ، ولم يستطع الشاعر أن يتحرر من قبضة هــــذا التأثير الا بعد ان نضجت ثقافته واتسعت تجاربه ، وانتقل من مرحلة الرومانسية الى مرحلة الواقعية — رغم محاولاته السابقة عندما انتقل الى مرحلة الشعر " الحر " بقصيدته الأولى " هل كان حبا " سنة ١٩٤٦ لكن مظاهر هذا التحرر لم تبدأ تباشيرها الأولى كمـــــا اعتقد الا بعد ان نجح في بناء قصيدته القصصية الأولى " السوق القديم " سنة ١٩٤٨ لتكون جسرا موصلا بعد ذلك الى شعره الملحمي الواقعي في مطلع الخمسينات .

هذه صورة موجزة عن ثقافة الشاعر العربية خلال مرحلته الرومانسية الأولى عبـــر

---

(١) الغبطة ص ٨٢ .

الأدب العربي قديمه وحديثه على حد سواء ، هذا بالاضافة الى دراساته وتأثره بـرواد القلم والنثر في الوطن العربي الذين سطروا تراثهم الأدبي على صفحات بعض المجـلات العربية كالرسالة للمرحوم أحمد الزيات ، والأداب اللبنانية والأديب ، والثقافة وغيرها . من المجلات الأدبية في الوطن العربي ، وقد ساعدته هذه الدراسة والقراءة على توسيـع مداركه ونضج أفكاره وتجاربه ، وتحسين اسلوبه - وتعميق ثقافته ، مع الاحتفاظ بشخصيتـه وهويته المستقلة وصوته المميز ، مما ساعده على التجاوز والانتقال الى مرحلة النضج والريادة فيما بعـد .

* * *

٥ ــ دراسته للآداب الأجنبية :

بعد أن أمضى " السياب " عامين دراسيين كاملين بقسم اللغة العربية في دار المعلمين العالية ببغداد ، انتقل بعدهما الى قسم اللغة الانجليزية في نفس الدار وقد اختلف النقاد والباحثون حول اسباب هذا الانتقال المفاجئ ، فأرجعها بعضهم الى نفسية الشاعر القلقة المضطربة ، (١) والقسم الآخر منهم الى حبه الشديد للعلم والمعرفة ودراسة الآداب الأجنبيه لتتسع مداركه وثقافته " (٢) وفريق آخر الى نفسية الشاعر التي كانت تمج بعاصفة جديدة من الارادة الحازمة ، حيث شبع الشاعر من حفظ الشعر العربي فازداد نمو الرغبة في نفسه لاتقان اللغة الانجليزية (٢) ، وغير ذلك من الأسباب المتعددة وقد أجاب الشاعر نفسه على هذا التساؤل حين قال : " لقد وقعت تحت تأثير الشاعر المصري " علي محمود طه " فترة من الزمن ، وعن طريق هذا الشاعر تعرفت على آفاق جديدة من الشعر حين قرأت ترجماته للشعراء الانجليز والفرنسيين أمثال شيللي ــ وبودلير ، فرلسين ، كما دفعني اشتياقي الى التعرف على مزيد من هذه الآفاق ، والى تعلم اللغة الانجليزية لقراءة الأدب العالمي (٤) وعلى الرغم من تعدد هذه الأسباب الا أنني اعتقد بأن هناك أسبابا نفسية واجتماعية واقتصادية كانت تقف خلف هذا التحول ، منها ما يلي :

١ ــ الهرب من عالم الفشل العاطفي الذي عاناه الشاعر خلال وجوده بقسم اللغة العربية مما ترك في أعماقه جراحات دامية تجاه المجتمع الذي لا يؤمن الا بالجمال الشكلي ، والمال والجاه .

وللتعويض عن هذا النقص في نفسه اندفع الى عالم الثقافة والمعرفة الواسعة لاثبات وجوده وسط هذا العالم الغريب ــ ولكي يتحقق له ذلك كان لا بد

---

(١)
(٢) د / عبد الواحد لؤلؤة ، مجلة كل شيء ، بغداد سنة ١٩٦٥ ص ٢ .
(٣) د / احسان عباس ــ بدر السياب ــ دراسة في حياته وشعره ص ٧٥ .
(٤) محمود العبطه المحامي السياب والحركة الشعرية الجديدة في العراق ، مطبعة دار السلام ، بغداد سنة ١٩٦٥ ص ٨٢ .

من الحصول على سلاح الثقافة الاجنبيه الى جانب الثقافة العربية •

٢ — ايمان الشاعر في أعماقه بأن دراسة حضارة واحدة لا تكفي لتكوين الانسان المثقف المعاصـــــر •

٣ — انتماؤه السياسي الثوري حينذاك كان يفرض عليه ضرورة الاطلاع والدراسة للتراث العالمي الاجنبي من مصادره الحقيقية • وهذا لا يتأتى مطلقا للباحث الا اذا كان مجيدا للغة الأجنبية •

٤ — اعتقاد الشاعر ان مستقبل خريج الثقافة الأجنبية أكثر اتساعا وشمولا في الحيـــاة من خريج بقية الأقسام النظرية الأخرى — لهذه الأسباب كما أرجح واعتقد معـــا اتجه الشاعر نحو الثقافة الأجنبيه — وكانت بداية هذا التحول والانتقال عندمـــا أخذ الشاعر يبتعد قليلا عن أصدقائه القدامى ، ليجلس وحيدا في بعض مقاهي بغداد وهو يحتضن مسرحيات " شكسبير " ودواوين — شيللي ، وجون كيتـــس واليوت ، وغيرهم حتى وصل به الأمر الى قراءة المطولات من الشعر الانجليزي بونه واشـارة واندماج [١] ووصل به الأمر الى درجة الانصهار والانفعال المطلق حتى أصبح قادرا على تحريك مشاعر السامعين والقارئين معا كل ذلك بأسلوب مؤثر • وحركات غريبة ، مندمجا في شعره اندماجا عجيبا ، خاصة عندما يعتمد في القائه على الحركة والاشارة باشـارات تفصح عما في قلبه [٢] وقد اكد العديد من سامعيه على قوة تأثيره عليهم وبخاصـة عندما يقف أمامهم " بهيكله الواهي وعينيه الصغيرتين ، وهو يصرخ بصوت غريب ، تموجــه قشعريرة ، مرعبة ، متفجرة من أبعاد قصية " [٣] وكأنه ممثل مسرحي تراجيدي علـــى خشبة المسرح يغوص في أعماق مشاهديه " مما يجعل السامعين لا يملون سماعه ، رغــم ما في القائه من دراماتيكية لا تبدو مريحة في بعض الأحيان " [٤] وقد ساعدته اجادته

---

(١) مقابلة شخصية مع / محمود العبطه المحامي ، في أبي الخصيب يوم ١٠/ ٣/ ١٩٧١ م •
(٢) العبطة المحامي ، ص ٨ •
(٣) خالدة سعيد ، مجلة أضواء ، بغداد ، سنة ١٩٦٥ ص ٣٧ •
(٤) بلند الحيدري ، نفس المصدر ، ص ٤٠ •

لالقاء الشعر فى اثبات وجوده وسط ميادين الأدب والشعر ، كما استطاع ان يشق طريقه نحو ريادة الشعر العربى الحديث فيما بعد .

ولقد كان من أوائل الرواد الرومانسيين الذين تأثر بهم " السياب " فى الغرب الشاعر " جون كيتس " الحزين الذى مات مسلولا قبل ان يتم الخامسة والعشرين من عمره مثله فى ذلك مثل الشاعر التونسى ، أبى القاسم الشابى " مما ترك فى نفس الشاعر بذور الخوف من الموت المبكر ، لأن العباقرة لا يعمرون طويلا فى الحياة . نظرا لرهافة أحساسهم وتدفق مشاعرهم وكثرة احتراقهم بوهج الحياة .

ومما يؤكد لنا هذا التأثر والاعجاب "بكيتس" اعتراف الشاعر " السياب " نفسه بهذا حين قال : " ان أول من استهوانى هم شعراء الرومانتيكية الانجليز ـ وذلك لانى كنت عرفتهم فى سن المراهقة وكان أحبهم الى نفس الشاعر الانجليزى " جون كيتس"(1)

ولعل هذا الاعجاب ـ كما اعتقد ـ عائد الى احساس السياب بالتمزق والضياع والغربة والألم والخوف من الموت المبكر الذى واجهه " كيتس " قبل انطفاء شمعة حياته المبكرة .

ومما يؤكد لنا هذا الاعتقاد ما نجده فى قصيدة " السياب " ذكرى لقاء " بديوانه أزهار وأساطير حيث يخاطب فيها حبيبته باللقاء معه ، قبل فراقه وموته بالسل ، كما فعل " جون كيتس " من قبل فى قصيدته " كوكبا من السماء " (2) فنراه فى قصيدته " ذكرى لقاء " يروى بدر كيف أنه لم يستطع التركيز فى دراسته ليلا لأن ذكرى حبيبته ظلت تعاوده ، وطيفها يتراقص أمام عينيه فوق السطور فيقول فيها :

---

(1) جريدة صوت الجماهير ، العراقيـة ، بغداد سنة ١٩٦٠ ، وانظر المهطة ص ٨٢ .

(2) د / عيسى بلاطه ص ٥٣ .

قد انتصف الليل ـ فاطو الكتاب
عن الريح والشمعة الخابيه
فعيناك لا تقرآن السطور
ولكنهما العلة الواهيه
فأنت ترى مقلتيها هناك
وذكرى من الليلة الماضيه
فتطوى على ركبتيك الكتاب
وترنو الى الأنجم النائيه

لكن احساسه بالخوف من الموت بالسل يفتح الجراح فى نفسه ، لأن هذا سيحول بينه وبين لقائه بحبيبته التى يتحرق شوقا اليها اذ يقول :

وتمتد عيناك نحو الكتاب
كمن ينشد السلوة الضائعه
فتبكى مع العبقرى المريض
وقد خاطب النجمة الساطعه

تمنيت ياكوكب
ثباتا كهذا ـ أنام
على صدرها فى الظلام
وأفنى كما تغرب (١)

هكذا ناجى الشاعر النجوم متمنيا الحياة على صدر حبيبته قبل أن يلفظ انفاسه الأخيرة ، وقبل أن يبتلعه السل كما ابتلع العبقرى المريض " جون كيتس " من قبل

---

(١) بدر السياب ديوان أساطير ، النجف ، سنة ١٩٥٠ ص ٨٢ ـ ٨٤ .

انه يتمنى ان يكون غروب حياته على صدرها قبل وداعه للحياة .

وكما تأثر السياب " بجون كيتس " فى نظرته للحياة المشحونة بالألم والتشاؤم لفترة من الزمن ، فقد تأثر أيضا بالشاعر الانجليزى " بريد جز " فى حنينه للبحر والسفن العائدة الهابطة بين أمواج ومرافىء البحر الكبير ، وأكثر ما يظهر هذا الأثر فى قصيدته " القرية الظلماء " التى يقول فيها :

انى سأغفو بعد حين ، سوف أحلم بالبحار
هاتيك أضواء المرافىء — وهى تلمع من بعيد
تلك المرافىء فى انتظار
تتحرق الأضواء فيها مثل أصداء تبيد (١)

كما أخذ قول الشاعر الفرنسى " ألفريد دى موسيه " حين قال لحبيبته " جورج صاند " دعى ساعة البرج فى قصر الدوق تعد عليه لياليه المسئمات ، واتركينا نعد القبلات على ثغرك الساحر " فقد صاغ السياب هذه العبارات الرومانسية فى قصيدته الشعرية " القرية الظلماء قائلا :

والآن تقرع فى المدينة ساعة البرج الوحيد
لكننى فى القرية الظلماء — فى الغاب البعيد (٢)

ففى الوقت الذى كان فيه الشاعر الفرنسى — الفريد دى موسيه ، يستمتع مع حبيبته نجد السياب وحيدا فى ظلام القرية بعيدا عن هذه الحبيبة .

ومن شعراء الثورة فى أوروبا الذين تأثر بهم السياب أيضا شاعر الثورة الأسبانية " غارسيا لوركا " وبخاصة فى قصيدة لوركا " عرس الدم " التى يقول فيها مصورا الحوار بين الأطفال الأبرياء والنهر :

---

(١) السياب — أزهار وأساطير — المجموعة الشعرية : بيروت ، دار العودة سنة ١٩٧١ ص ٩٤ .
(٢) نفس المصدر السابق ص ٩٥ .

الأطفال : ياجد ولا رقراقا - يا ينبوعا ريقا
ماذا يحتوى قلبك الالهى
المتفتح بالعيد ؟

النهر : أنا جرس الموت الذى يدق فى الضباب
ملء قلبى الحريرى ، أنغام وأضواء
ودقات أجراس ضائعة (١)

وقد أعجب السياب بهذه القصيدة " اللوركاوية " مما دفعه الى صوغ ونظم قصيدته الرائعة " النهر والموت " بديوانه انشودة المطر والتى يخاطب فيها نهره " بويب " الحزين معبرا عن شوقه وحنينه لرؤياه من جديد ، لأنه موطن ذكرياته ، وملعب طفولته وصباه فيقول :

بويب بويب
أجراس برج ضاع فى قرارة البحر
الماء فى الجرار - والغروب فى الشجر
وتنضح الجرار - أجراسا من المطر
بلورها يذوب فى أنين
" بويب " ..... يابويب "
فيدلهم فى دمى حنين
اليك يابويب (٢)

وهكذا تفوق الشاعر السياب " فى تصوير تدفق " بويب " وفى حديثه مع الطبيعة وفى شوقه الجارف الى النهر " الحزين " حتى خيل للشاعر أنه يسمع " أجراس النهر "

---

(١) راجع د / احسان عباس ص ٢٥٢ ود / على سعد عرس الدم ، المقدمة .
(٢) بدر السياب / ديوان انشودة المطر ، بيروت ص ١٤١ .

الضائع فى اعماق قرارة البحر ، وبخاصة عندما تنضج الجرار ، جرار الفلاحات فى المساء وكأنها أجراس من المطر ، كما رأى " السياب " أيضا فى بذء الدماء المتدفقة فى هذا العالم اللانسانى صوتا لأجراس موته المرتعش بالرنين ، والأنين والعذاب رغم اشتراكه مع " لوركا " فى تصوير " الأجراس الضائعة " وأجراس الموت ، وفى لغة الطبيعة وفى بناء القصيدة لدى كل منهما على مبنى التضاد والتقابل العنصرى واللونى معا ، فقلب لوركا المتوهج كالتنور بالحقد والكراهية على أعداء الانسانية فهو فى الوقت نفسه زاخر بالماء المذب الذى يعيد الحياة للمعذبين الظامئين للحرية فيها ،وكما أن عينى لوركا لظى تحرق الظلم ، فهما فى الوقت نفسه مطر تغسلان العالم من هذا الظلم وتبعثان فيه الخصب والعطاء والتحرر ،

كما كان من مظاهر هذا التأثر " بلوركا " أيضا ما نجده فى أسلوب السياب من عمق التعبير عن قسوة الموت ، وفى قدرته الفذة على تصوير الواقع ، من خلال الصور الحسية المجسمة والتلاعب فى الألوان ٠٠ والتقابل المعنوى ، وجمع الملامح المتباعدة فى اطار شعرى واحد ـ تتصل فيه المجسمات الواقعية بأخيلة غريبة [1] طليقة لا واقعية فى بعض الاحيان ـ هذا بالاضافة الى وجود بعض الخيوط السريالية الأخرى التى استطاع السياب ان يتخلص منها مؤخرا فى شعره ، لتناقضها مع البساطة والوضوح ،

لكن السياب كان أروع فى التصوير بلاشك لأنه ربط بين ذاته وبين وطنه الحبيب ان بويب عند السياب رمز للحياة وللطفولة والذكريات جميعها انه التحام عضوى لا ينفصم عكس " غارسيا لوركا " الذى لم يستطع أن يربط بين الأطفال والنهر بأكثر من بعض العطاء والهدايا فقط ، وليس كونه مصيرا وحياة لهؤلاء الأطفال ، كما فعل " بدر " ،

لكن أكثر ما استفاده " السياب " من دراسته لشعر " لوركا " كثرة الصور الملونة فى شعره ، بالاضافة الى التلوين الصوتى والموسيقى أيضا كقوله فى قصيدته التى بعنوان :

---

(١) راجع : الآداب ،بيروت سنة ١٩٥٦ ص ٤٧ ـ كاظم جواد ، يونيو

غارسيا لوركـــا •

شراعـــه النـــدى كالقمـــر
شراعـــه القـــوى كالحجـــر
شراعـه السريع مثل لمحة البصـــر
شراعـه الأخضـــر كالربيـــع
الأحمـــر الخضيـــب من نجيـــع (١)

فعلى الرغم من كونها صورا حسية مباشرة • الا أنها شفافة ومعبرة عن قوة ايمان الشاعر الثائر برسالته فى الحياة • وعظمة تضحيته من أجل كرامة الانسان انه شاعر ومناضل يجمع بين الرقة ودماثة الخلق وبين الثورة والصلابة والقوة فى سبيل الحق والنصر والحياة •

وكما أعجب وتأثر السياب بشعراء الرومانسية السابقين الا أنه كان أكثر اعجابا وتأثـرا بالشاعر الانجليزى " شكسبير " وقد اعترف بذلك حين قال " أما الشعراء الذين أعجبت بهم كثيرا فهم " شكسبير " وكيتس • وشيللى • لأنهم أحب الشعراء الى نفسى • بـل أكاد أعتبر نفسى متأثرا بعض التأثر بكيتس " من ناحية الاهتمام بالصور الحسية الدراميـة و "بشكسبير " أكثر من ناحية الصور التراجيدية العنيفة " (٢) المشحونة فى مسرحياتـه الخالدة • مكبث • هملت • عطيل • الملك لير • روميو وجولييت وغيرها من روائع " شكسبير" الخالدة — وقد انعكست هذه الروح الثائرة المتمردة وهذه الصور التراجيدية العنيفـة الحادة على ملاحم " بدر السياب " الشعرية خاصة • حفار القبور • المومس العمياء • المخبر • انشودة المطر • غريب على الخليج وغيرها من الملاحم القائمة على تصاميم الحوار والمنولوج الداخلى المتصارع داخل النفس البشرية • بالاضافة الى التقابل والازدواج فـى الصور وبين الماضى والحاضر وغير ذلك من الخصائص الفنية التى تعمق الأثر الأدبى فـى ذهن الانسان المتلقى •

---

(١) بدر السياب • انشودة المطر • المجموعة الشعرية ص ٣٣٣ •
(٢) جريدة صوت الجماهير — بغداد • بتاريخ ٢٦/١٠/١٩٦٣ •

فنحن عند ما نستمع للصراع النفسي المرير في أعماق كل من مكبث ، وهملت ، وعطيل وغيرهم من أبطال مسرحيات شكسبير " نجد ظلاله متدفقة بقوة وعنف أيضا في أعمال " حفار القبور " " والمومس العمياء " و " المخبر " عند " السياب " فلنستمع الى صوت الصراع الهادر في أعماق " حفار القبور " لثورته ضد نفسه ومجتمعه وفقره وواقعه المظلم وجوعه الجنسي البهيمي رغم ما يرقد تحت قدميه من نساء دفينة : فيصرخ قائلا : (١)

هل كان عدلا أن أحسن الى سراب ، لا أنال
الا الحنين وألف أنثى ، تحت أقدامي تنام ؟
أفكلما اتقدت رغائب في الجوانح شح مال ؟

لكن الفقر كان يقف حائلا دون اشباع رغباته الجنسية المكبوتة فيقذف بثورته طالبا دمار العالم وفنائه ليجمع من النقود ما يكفي لتحقيق شهواته التي يحلم بها .

ما زلت أسمع بالحروب ، فأين ، أين هي الحروب ؟
أين السنابك والقذائف ؟ والضحايا في الدروب ؟
لأظل أدفنها — وأدفنها — فلا تسع الصحارى

وبعد هذه الثورة الفردية الأنانية يستيقظ ضميره للحظات قصار فيحس بوخز الضمير على أنانيته المفرطة وبالألم لانحداره الأخلاقي فيتراجع جريحا نادما .

واخيبتاه — ألن أعيش بغير موت الآخرين ؟
والطيبات من الرغيف — الى النساء الى البنين ؟

لكن الفقر والجوع والجنس يعودان من جديد للسيطرة على ضميره وحواسه ومشاعره وتبرز صورته الحيوانية من جديد فيقول :

---

(١) بدر السياب ، ديوانه انشودة المطر ، مكتبة الحياة ، بيروت سنة ١٩٦٩ ص ٢٠٨ وما بعدها .

ـــى منة الموتى على ، فكيف أرفق بالأنـــام ؟

وهذا الصراع المنيف فى أعماق " الحفار " و " المومس العمياء " و " المخبر " يذكرنا بلا شك بالصراع الذى كان يصطخب فى أعماق أبطال مسرحيات شكسبير أمثال ، مكبث وهملت وعطيل ، وغيرهم . لكن " السياب " لم يتوقف عند حدود التأثر بالصور التراجيدية فحسب لدى " شكسبير " بل تجاوز ذلك الى رومانسيته وصوره التى رسمها فى مسرحيتـــه " روميو وجولييت " صور الشرفة التى تقف عليها جولييت يناجيها حبيبها " روميـــــو " فى ضوء القمر . ويظهر هذا الأثر الرومانسى واضحا فى " انشودة المطر " للسيـــاب حين يصور عينى الأم الحبيبة وهى بين أحضان النخيل فيقول :(١)

عيناك غابتـــا نخيـــل ساعة السحـــــر
أو شرفتان راح ينأى عنهمـــا القمــــــر
عيناك حين تبسمان تــورق الكـــــــروم
وترقص الأضـــواء .... كالأقمـــار فى نهر
يرجـــه المجداف ، وهنـا ساعـــة السحر
كأنمـــا تنهـــض فـــى غوريهمـــا النجـــوم

فالحبيبة عند " السياب " هى الأم أو القرية " جيكور " أو العراق ــ أو هذه الثلاثة كلها معا فالعينان لأمه الحبيبة ساحرتان لأنهما بمثابة غابتين للنخيل الذى أحبـــه الشاعر وعاش بين أحضانه ، وحين تبتسم عينا الأم يحس الشاعر بالسعادة تسرى فى كيانه وروحه فترقص الفرحة فى أعماقه كتراقص النجوم ــ والأضواء على صفحة النهر ، ولكن هـذه السعادة سرعان ما تتلاشى وتذوب عندما يتذكر الشاعر ما تقاسيه هذه الأم على يـــدى الجلادين الطغاة الذين يمتصون دماء عروقها دون أن يتركوا شيئا للفلاحين والعمـــال

---

(١) بدر السياب ديوانه انشودة المطر ، مكتبة الحياة بيروت سنة ١٩٦٩ ص ١٤٢ وما بعدها .

البائسين الذين يبذلون عرقهم وحياتهم من أجل الحياة فتغرق عينا هذه الأم بالحزن الناضح من عينيها الباكيتين ، ويتدفق الأسى من اعماقها .

وتغرقـان فـي ضبـاب مـن أسى شفيف
كالبحـر سـرح اليدين فـوق المـاء
دفء الشتـاء فيـه ، وارتعاشة الخريف

وعندما تستفيق روح الشاعر يحس بالنشوة والشوق الجارف يعانقه ويعتصره بقسوة وعنف وتتطلع هذه الروح بنشوة وحشية متدفقة حتى تكاد تعانق السماء .

فتستفيـق مـلء روحـي رعشـة البكـاء
ونشـوة وحشيـة تعانـق السمـاء

وهكذا ينجح الشاعر الى حد بعيد في الربط بين ذاته ووطنه أولا ثم مع قوميته فانسانيته كما في نهاية قصيدته التي تشبه الى حد بعيد دوائر الماء المتعانقة التي تحتضن فيها الكبرى الدائرة الصغرى .

ولا شك ان الصورة الأولى في مطلع القصيدة تذكرنا الى حد بعيد بمسرحية "شكسبير" الخالدة " روميو وجولييت " من حيث مظهرها الخارجي وصورها الرومانسية الحالمة غير أن السياب استطاع ان ينتقل من الرومانسية الحالمة في قصيدته الى الواقعية التي تصور الحياة في العراق وما يعانيه على أيدي الأفاعي وأسراب الجراد الاقطاعي من جوع وحرمان رغم خصوبة أراضيه وكثرة عطائه .

وفـي العـراق جـوع
وينثـر الغلال فيـه موسـم الحصـاد
لتشبـع الغربـان والجـراد
وتطحـن الشـوان والحجـر
رحـى تـدور فـي الحقول .. حولها بشر

مطـــــر ، مطـــــر ، مطـــــر

....

ومنـــذ أن كنـــا صغارا كانـت السمـاء

تغـيم فـي الشتـاء

ويهطل المطـــر

وكل عـــام حين يعشب الثـرى نجـوع

ما مـــر عام والعـــراق ليس فيــه جـوع

ورغم هذا فقد آمن الشاعر بأن هذا الجوع والظلم والارهاب لا بد ان ينتهى ، ولا بد من انتصار المعذبين فى النهاية ـ وأن قطرات العرق والدماء المسروقة لا بد أن تتحـول الى طوفان يجرف الصخور من طريق الحرية والحياة .

فـى كـــل قطـــرة مـــن المطـــر

حمـــراء ، أو صفـــراء من أجنحة الزهـــر

وكـــل دمعة مـــن الجيـاع والعـــراة

وكـــل قطـــرة تـــراق من دم العبيـــد

فهـــى ابتســـام فى انتظار مبسم جديـد

أو حلمـــة توردت على فـــم الوليـــد

فـى عالـــم الغد الفتى واهب الحياة

مطـــر ، مطـــر ، مطـــر (١)

وبهذا لم يقتصر " السياب " على تصوير عواطف الحب الرومانسى كما فعل شكسبيـر بل تجاوز ذلك الى مرحلة أوسع وأشمل حيث جمع بين العواطف والصور الرومانسية وبيـن الواقع والحياة فى الوطن والأمـة والانسانية البشرية كلها . وبذلك أيضا استحـق

---

(١) بدر السياب ديوانه انشودة المطر ، مكتبة الحياة بيروت سنة ١٩٦٩ ص ١٤٥ .

" السياب " ان يكون عبقريا فذا — ورائدا من أهم رواد الشعر العربي الحديث .

ومن الشعراء الآخرين الذين أعجب بهم " السياب " أيضا الشاعر الوطني "التشيلي " " بابلو نيرودا " ويظهر لنا هذا التأثر في الشوق الجارف الى المنزل القديم ، والقرية والوطن بأسره ، وعندما يصرخ " بابلو نيرودا " من حرارة الشوق والحنين لبلاده ، قائلا :

بأنــــي لســـت ســـوى أرض " شيلـــي "
بـــأني لســـت سوى أحجـــار شيلـــي
لســـت ســـوى أنهـــار شيلـــي (١)

فاننا نجد " السياب " يتحرق شوقا وحنينا كذلك الى حجارة منزل جده ، والـــى أرض وغابات جيكور ، والى نهره الحزين " بويب " حين يقول :

أأشتهيك ياحجـــارة الجدار ، يابلاط ، ياحديد
ياطـــلاء
أأشتهـــي التفـــاكـــن ، مثلما انتهى الى فيـــه
أم الصبا — صباي ، والطفولة اللعوب والهنـــاء (٢)

وهكذا اشترك الشاعران في الشوق الجارف للوطن والحنين الى الديار ، وخاصـــة منزل الطفولة وملاعب الصبا ، ومرتع السعادة كما بين لنا " السياب " مصدر هـــذا الشوق والحنين عكس " نيرودا " الذى اكتفى بالانصهار في كل أرض وأحجار وأنهـــار " تشيلي " دون بيان الأسباب ، مكتفيا بالتلميح دون التصريح .

وهكذا نجد السياب قد تأثر كثيرا وأعجب كثيرا بالعديد من شعراء الغرب الذين أضاءوا طريق الحياة أمام الانسان المعاصر ، بعد أن تركوا له علاقات على الطريـــق

---

(١) مجلة الفكر المعاصر ، بغداد سنة ١٩٧٤ ص ٩٤ .
(٢) بدر السياب ، ديوان المعبد الغريق ، بالمجموعة الشعرية ص ١٤٣ .

وشموعا على الـــــد روب .

لكن هذا التأثر والاعجاب بهؤلاء الشعراء لم يستمر طويلا لدى " السياب " اذ سرعان ما اكتشف كنوزا جديدة لدى شعراء آخرين بعد أن تجاوز المرحلة الرومانسيـــة الأولى . الى مرحلة الواقعية ، ومن أهم هؤلاء الشعراء الجدد فى أوروبا الشاعـــــر الانجليزى " توماس اليوت " والشاعرة الانجليزية " اديت ستويل " وكانت بداية اعجابـــه " بأليوت " عند ما اطلع على بعض القصائد الشعرية التى صور فيها " اليوت " ثورتـــه ونقمته على الحياة الصناعية الجديدة التى طحنت كرامة الانسان وحولته الى عبد للآلـــة والمادة بعد أن كان بالماضى سيدا بمثاله وقيمه الانسانية ومبادئ الروح السامية . وأكثر ما تتجلى هذه الثورة لدى " اليوت " فى قصيدته " الأرض الخراب " " والرجـــال الجوف " وقد اعترف الشاعر " بدر " بهذا الاعجاب والتأثر حين قال : " انى قد تعرفت فى السنوات الأخيرة القليلة الماضية على شاعرين عظيمين هما " توماس اليوت " و" اديت ستويل " .(١)

وكان أهم ما نقله عنهما " السياب " " التعبير بالصور ، وتداعى المعانى والتعبير عنهما بطريقة مألوفة ، كما اتجه أخيرا الى ادخال عناصر الثقافة ، والاستعانة بالاساطير والرموز ، والانثربولوجيا " وغير ذلك من علوم الأجناس البشرية " .(٢)

وقد كانت بداية هذا التأثر بهذين الشاعرين عند ما بدأ السياب " فى قراءة كتـــب الأساطير والرموز . وبخاصة كتاب " الغصن الذهبى " لجيمس فريزر " وكتاب : " الاسطورة والرمز " لأسعد رزوق . وغيرهما من الكتب الأخرى التى تهتم بدراســـة الحضارات الانسانية القديمة والتى أعجب بها " بدر " كثيرا . وقد وجد " بـــــدر " فى شعر كل من " اليوت " و" اديت ستويل " كنوزا غنية من الرموز ومناجم متعـــددة

---

(١) محمود العبطة المحامى ، بدر السياب والحركة الشعرية الجديدة فى العـــــراق بغداد ، مطبعة السلام سنة ١٩٦٥ ص ٨٣ .

(٢) أحمد أبو سعد ، الشعر والشعراء فى العراق ، دار المعارف ، بيروت سنة ١٩٥٩ ص ٢٣٩ .

زاخرة بالأساطير المختلفة ذات المواقف الانسانية الخالدة ، مما ساعده على بناء صرحه الشعري الخالد ، وعلى التعبير عما في أعماقه من أحاسيس ومشاعر مكبوته بسبب الارهاب الفكــري الذي كان يسيطر على سماء العراق خلال عهود الظلام .

وتعتبر قصيدة " الرجال الجوف " لأليوت من أهم القصائد التي أثرت على معظم الشعراء المحدثين . حيث نجح الشاعر في تصوير أعماق الانسان المعاصر ، الــذي أصبح خاويا من الداخل بعد ان تمزقت في نفسه معاني الحياة الانسانية . فيقول فيها :

نحــن الرجـــال الجـــوف
نحــن الرجـــال المحشـــوون
نسانــد بعضنــا بعضــا
قبضته ملأى بالقش — أواه ... الخ (١)

وعندما تأثر بها " السياب " استطاع أن يحمل مضامينها في احشاء قصيدته وملحمته الشهيرة " مرثية الآلهة " التي أعلن فيها ثورته على أعداء السلام وتجار الحروب والموت من أصحاب مصانع الموت والدمار . فيقول :

أكل الرجــال الجـوف ان يملأوا بــــ
خــواء الحشــا . هذا الاله المضارع
فماد الفقير الــروح من ليس كاسيــا
به ظاهــرا منا فحل التنـــازع ..الخ (٢)

ومن خلال كراهية الشاعر للحضارة المزيفة التي سحقت الانسان ، فقد كره الشاعر " المدينة " لأنها بمثابة " وكر " للصوص وذئاب البشرية ، حتى أصبحت طرقاتهــا

---

(١) مجلة الاقلام العراقية ، وزارة الاعلام ، بغداد ، السنة التاسعة ، سنة ١٩٧٤ ص ٣٧ وما بعدها .
(٢) بدر السياب ديوان انشودة المطر ، المجموعة الشعرية ص ٣٥٥ .

وكأنها حبال من الطين تمضغ قلبه ، ومما زاد في كراهية السياب للمدينة أنها تعيش على عرق الفلاحين البائسين في ريف " جيكور " الحبيبة .

وتلتف حولي دروب المدينة
حبالا من الطين يمضغن قلبي
ويعطين ، عن جمرة فيه طينة
حبالا من النار يجلدن عرى الحقول الحزينة
ويحرقن " جيكور " في قاع روحي
ويزرعن فيه الضغينة (١)

ومما عمق هذا الاحساس في أعماق الشاعر تجاه المدينة كما أظن هو الاحساس بالفقر المدقع بين جوانبها مما جعله يحس بالغربة والضياع في أحشائها ، عكس " جيكور " التي كان يحمل في أعماقه منها شعور الأمن والاستقرار النفسي والروحي .

وعندما تسيطر المادة على الحياة تفقد معناها ولونها ووجودها .
كما نؤمن أيضا بأن للمدينة حسنات ومميزات عديدة لأنها مصدر الأشعاع الفكري والقلب النابض للأمة ، والعقل المفكر في جسد الشعب بأسره ، كما نؤمن أيضا بأن الحقد ينبع دائما من الفقر والحرمان والاحساس بالظلم الذي يخنق الحياة .

وكما تأثر الشاعر السياب " بأليوت " في ثورته على الحضارة الصناعية وكراهيته للمدينة لأنها مركز تجار الحروب والدمار ، فقد تأثر أيضا بالشاعرة " اديت ستويل " التي أخذ عنها الاهتمام " بالايقاعات الصوتية ، الممزوجة بالتيار الديني ، وبالأساطير والرموز المختلفة ، وبخاصة " المطر " الذي جعل منه رمزا للثورة والخصب والعطاء غالبا " . (٢)

---

(١) بدر السياب ديوان انشودة المطر ، المجموعة الشعرية ص ٤١٤ .
(٢) راجع د / احسان عباس ، بدر السياب دراسة في حياته وشعره سنة ١٩٦٩ بيروت ص ٢٤٥ .

وأكثر ما يظهر هذا الأثر والاعجاب بالشاعرة • في قصيدته وملحمته الشعرية ، " من رؤيا فوكاي " التي صور فيها مأساة مدينتي " ناجازاكي " وهيروشيما " اليابانيتين عقب القاء القنابل الذرية عليهما في أواخر الحرب العالمية الثانية •

ومن هذه الرموز التي أخذها السياب عن الشاعرة ، قابيل ، هابيل ، المسيح ، عازر تخنوب الذى ادعى الموت أمام المسيح - طائر الحديد - رمز الموت - المطر كرمز للثورة والخصب ، والعقم كرمز للظلم والجفاف ، وغير ذلك من الرموز والأساطير المختلفة •

كما أخذ عنها أيضا الاهتمام بصالعمل الأدبى والبناء الفنى ، القائم على تصميم التقابل والازدواج بين صورة الشعرية وعلى تداعي المعاني ، والأساطير والرموز الدينية بصورة مكثفة ومركزة • كما في قصائده " التموزية " التي صور فيها ظلم وجرائم الشعوبيين خلال حكم " عبد الكريم قاسم " في العراق • مثل قصيدة " المسيح بعد الصلب " وسربروس في بابل ، والنهر والموت ، ومدينة بلا مطر ، ومن رؤيا سنة ١٩٥٦ ومدينة السندباد ، وتموز والمدينة • وغير ذلك من القصائد المثقلة بالألم والثورة ضد الارهاب " القاسمى " •

ومن أشهر القصائد الشعرية لهذه الشاعرة ، والتي تركت آثارها في نفس " السياب " هي قصيدة " ثلاث قصائد من القنبلة الذرية " وقصيدة "ترنيمة السرير " التي صورت فيها الشاعرة كيف تحولت القردة الى أم حنون للطفل البشرى الذى وقع ضحية العدوان في عصر الحضارة الزائفة ، وبذلك أثبتت الشاعرة أن القردة أكثر فهما لمعاني الانسانية من تجار الحروب واعداء السلام في العصر الحديث • وقد ضمن الشاعر السياب هذه المعاني الانسانية في ملحمته " من رؤيا فوكاي " حين قال :

ورغم أن العالم استسر واندثر
ما زال طائر الحديد يذرع السماء
وفي قرارة المحيط يعقد الكرى

أصداء طفلك اليتيم ، حيث لا غناء
الا صراخ – البابيون – زادك الشرى
فازحف على الأربع ، فالحضيض والعلاء
سيان ، والحياة كالفناء (١)

فعندما تصبح القردة أكثر عطفا وحنانا على الأطفال اليتامى من الانسان الحديث فان الموت والحياة يتساويان – بل قد تكون حياة القردة اكثر جمالا وروعة من رؤية القتلة سفاكي دماء الضحايا الأبرياء .

ومن الرموز التى استقاها الشاعر " بدر " من الشاعرة كما ذكرنا " المطر " الذى جعله رمزا للثورة والخصب والعطاء كما في قصيدته " انشودة المطر " كما ذكرنا من قبل غير أن المطر قد يكون رمزا للفشل وخيبة الأمل كما جاء في بعض قصائد " السياب " وبخاصة قصيدة " مدينة السندباد " ومدينة بلامطر " ففي الأولى نراه يقول متألما

فآه يامطر
نود لو ننام من جديد
فنومنا براعم انتباه
وموتنا يخبئ الحياة

كما رمز بالعقم والموت عن الظلم والجفاف كقوله في تصوير حياة العراق خلال عهد قاسم :

الموت في الشوارع
والعقم في المزارع
وكل ما نحبه يموت
الماء قيدوه في البيوت (٢)

لكن على الرغم من هذا التأثر والاعجاب بهذين الشاعرين الا اننا نرى أن الشاعر

---

(١) بدر السياب ، ديوان أنشودة المطر – بيروت – مكتبة الحياة سنة ١٩٦٩ ص ٤١ .
(٢) نفس المصدر السابق ص ١٣٤ وما بعدها .

" بدر السياب " لم يفقد شخصيته وهويته العربية ، ولا صوته المستقل - بل بقى محتفظا بخصائصه الذاتيه والفنية الأخرى • وليس أدل على صدق ما ذهبنا اليه من أن " بدر السياب " لم ينس تراثه العربى الأصيل ، ولم يهمل عروض الشعر العربى ، ولا موسيقاه الأصيلة • بل بقى محافظا على ذلك كله بايمان قوى وثقافة عريضة ، كما أنه لم يكتف بالحلول التى آمن بها هذان الشاعران فى مواجهة مشاكل العصر • وهى الايمان المجرد فقط بل آمن بضرورة التصدى والمواجهة الفعلية لحل مشاكل الحياة [1] ، وبذلك جمع بين الايمان والعمل معا ، مما جعله انسانا ايجابيا لا سلبيا كما كان اليوت " وادیت ستویل " وبذلك حارب السياب " السلبية " فى أعماق الانسان بعد أن أنار أمامه طريق الأمل والكفاح والايمان بقدرته على تغيير ورسم حياته بالعمل المطلق والعمل الايجابى المثمر جنبا الى جنب •

والآن بعد أن استعرضنا مسيرة ثقافة الشاعر العريضة والعميقة مما فقد وجدنا شعره زاخرا بالتراث الانسانى وبالآثار الحضارية ابتداء من هوميروس اليونانى وجلجامش البابلى وانتهاء بشعراء مدرسة أبو للو فى الشرق ، واليوت ، وأديت ستويل فى الغرب • ولهذا كله كان ولا زال شعر " بدر السياب " رائدا كبيرا من روافد الشعر العربى الحديث •

* * *

---

(١) راجع ، عبد الجبار البصرى ، بدر السياب رائد الشعر الحر ، بغداد سنة ١٩٦٥ ص ٢٠ وما بعدها •

٦ ـ الأساطير والرمـــوز :

لم تتوقف ثقافة الشاعر " بدر شاكر السياب " عند حدود دراسة الآداب العربيـــة والأوروبية فقط ـ بل تجاوزت ذلك الى دراسة تاريخ الحضارات البشرية القديمة ، بعــد أن وجد فيها العديد من الكنوز والمناجم الغنية بالأساطير والرموز المختلفة ، مما ساعده على اقامة صرح بنائه الشعرى الشامخ . (١)

ومن أهم هذه الحضارات الانسانية القديمة ، اليونانية القديمة ، والمصرية القديمــة والبابلية ، والفينيقية ، والصينية ، والعربية وغيرها من الحضارات الأخرى ذات التاريــخ الحافل الذى أسهم فى بناء الحياة وخدمة الانسان .

ومن أهم الأسباب التى دفعت بالشاعر الى دراسة هذه الأساطير والرموز واستعمالها خيوطا فى نسيجه الشعرى ما يلـــى :

١ ـ قدرتها الخارقة على امتصاص المعانى والصور والشحنات العاطفية المتدفقة فــى أعماق الشاعر أكثر من الألفاظ العادية الأخرى .

٢ ـ قوة الايحاء ، والاشعاع والعمق الفكرى فى ثناياها .

٣ ـ التخلص من الالفاظ المكررة التى رددها الشعراء السابقون من قبل .

٤ ـ كونها ستارا كثيفا تحمى الأديب من بطش الطغاة وارهابهم الفكرى .

٥ ـ اعجاب الشعراء المحدثين بهذه الكنوز والمناجم .

٦ ـ تطلع الشاعر الى الشهرة والمجد الأدبى ، وذلك عن طريق الابداع والابتكـــار فى الأسلوب ووسائل التعبير الجديدة .

هذه هى أهم اسباب اهتمام السياب " بالأسطورة والرمز " فى شعره ، وقد كانـــت بداية هذا الاهتمام بمثابة اشارات فى قصيدته " انشودة المطر " حين رمز بالمطــــر

---

(١) جريدة صوت الجماهير ، بغداد ، سنة ١٩٦٣ فى ٢٦/١٠/١٩٦٣ .

عن الثورة والخصب ، ثم ازداد اهتمامه بها بعد ذلك فى ملاحمه الشعرية وخاصة " المومس العمياء " وأخذ هذا الاهتمام يتزايد مع الزمن حتى تراكم فى مرحلته " التموزية " عندما اشتد " الارهاب القاسمى " فى العراق مما جعل العديد من قصائده ، معتمة الجوانب بعيدة الفهم — غامضة المعنى — وخاصة للقارئ الذى لم يسبق له الالمام بمعرفة هذه الأساطير والرموز — لكنها رغم ذلك تعتبر فى قمة الروعة والابداع حينما يملك القارئ مفاتيح الدخول الى رحاب هذا الشعر الذى يزخر بالصور الرائعة والأسلوب الفكرى الناضج .

ومن أهم الأساطير اليونانية التى طرز بها " السياب " شعره اسطورة " سيزيف " التى اتخذها رمزا لاستمرار العذاب الانسانى فى الحياة كقوله فى تصوير عذابه المستمر لفراقه عن ولده " غيلان " .

بابا ... بابا

ياسلم الأنغام أية رغبة هى فى قرارك ؟

" سيزيف " يدفعها فتسقط للحضيض مع انهيارك (١)

ومنها اسطورة " أوديب " وأمه " جوكست " كقوله :

من هؤلاء العابرون

أحفاد " أوديب " الضرير ، ووارثوه المبصرون

" جوكست " أرملة كأمس ، وباب " طيبة " ما يزال

يلقى " أبو الهول " الرهيب عليه من رعب ظلال

والموت يلهث فى سؤال

وهكذا يربط الشاعر بين اللعنة فى تلاحق " الساقطين " فى أحياء " البغاء " وبين لعنة جدهم " أوديب " ملك الطيبة الذى تزوج بأمه " جوكست " دون أن يحلم

---

(١) بدر السياب ، ديوان انشودة المطر ، قصيدة " مرحى غيلان ، بيروت سنة ١٩٦٩ ص ١٥ — مكتبة دار الحياة .

أنها أمه ، وعند ما عرف الحقيقة المؤلمة فقأ عينيه عقابا على جريمته . ومنها أيضا "أسطورة" " ميدوزا " احدى الآلهة عند اليونان القدماء . حيث كانت قادرة على تحويل الانسان الى حجر بمجرد نظرة من عينها اليه : كقول الشاعر :

وتفتحت " كأزاهر الدفلى " مصابيح الطريق
كعيون " ميدوزا " تحجر كل قلب بالضغينة
وكأنها نذر تبشر " أهل بابل " بالحريق (١)

وهكذا شبه الشاعر آثار مصابيح الطريق فى المدينة على قلب الانسان بآثار نظرة " ميدوزا " الحاقدة على الانسان الضحية .

ومن الأساطير اليونانية القديمة أيضا التى استعملها الشاعر " السياب " كثيرا فى شعره اسطورة " سربروس " كلب الجحيم المسعور الذى كان يحرس مملكة الموتى . وقد رمز به الشاعر الى " عبد الكريم قاسم " عند ما كان يزرع الموت فى " بغداد " المهدمة : فيقول :

ليعو " سربروس " فى الدروب
فى " بابل " الحزينة المهدمة
ويملأ الفضاء زمزمة
يمزق الصغار بالنيوب ، يقضم العظام
ويشرب القلوب
عيناه ينزكان فى الظلام
وشدقه الرهيب موجتان من مدى
تخبئ الردى (٢)

هذا بالاضافة الى العديد من الأساطير اليونانية الأخرى التى تملأ ثنايا شعره مثل :

---

(١) بدر السياب ديوان انشودة المطر ، بيروت سنة ١٩٦٩ ص ١٧٣ وما بعدها .
(٢) نفس الديوان السابق ص ١٥١ .

اسطورة " هوميروس " وهرقل ، نرسيس ، يوليسيس أحد أبطال حرب طروادة وزوجته الصابرة " بينلوب " وغير ذلك كثير .

أما الأسطورة البابلية فكان من أهمها عند السياب اسطورة " تموز " اله الخصب عند بابل والذى قتله الخنزير البرى ، غير ان دماءه لم تذهب هدرا فقد بعثت الحياة والخصب ، كما بعثت أزهار شقائق النعمان . وقد رمز به الشاعر الى الأبطال الذين يجعلون من دمائهم مصدر الحرية والحياة لشعبهم وأمتهم . كقوله :

تموزنا الطعين
يأكله يمص عينيه الى القرار
يقصم صلبه القوى ـ يحطم الجرار
بين يديه ـ يثير الورود والشقيق
أواه لو يفيق ؟ (١)

واسطورة حبيبته " عشتار " التى اتخذها السياب رمزا للمرأة المجاهدة المناضلة فى هذه الحياة ـ مثل " حفصة العمرى " ضحية الشعوبيين فى الموصل سنة ١٩٥٩ اكقوله :

" عشتار " على ساق الشجرة
صلبوها ، دقوا مسمارا
فى بيت الميلاد ـ الرحم
عشتار " بحفصة " مستترة
تدعى لتسوق الأمطارا
تدعى لتساق الى العدم
" عشتار " العذراء " الشقراء ـ مسيل دم (٢)

---

(١) بدر السياب ، ديوان انشودة المطر ، بيروت سنة ١٩٦٦
ص ١٥٢ .
(٢) نفس الديوان السابق ص ١١١ وما بعدها .

هذا بالاضافة الى اسطورة " بابل " المهدمة التى جعلها الشاعر رمزا لخراب " بغداد "
على يد الشعوبيين كقولـــه :

كأن " بابل " القديمة المسورة

تعود من جديد

قبابها الطوال من جديد

يدق فيها جرس ، كأنها مقبرة

تئن فيه — والسماء ساح مجزرة

جنانها المعلقات — زرعها الرؤوس

تجزها قواطع الفؤوس

وتنقر الغربان من عيونها

وتغرب الشموس (١)

هذه هى أهم الأساطير البابلية التى استقاها الشاعر " السياب " من حضارة بابل القديمة لتكون اداة للتعبير عما فى نفسه من جراح لما أصاب وطنه ومدينته بغداد على يد الجلادين .

ومن الحضارة الفينيقية استمد الشاعر " بدر " اسطورة " أدونيس " اله الخصب عند الفينيقيين القدماء ، وهو بذلك يشبه " تموز " عند البابليين ، وقد استعمل الشاعر هذه الأسطورة فى ثنايا شعره وخاصة فى قصيدته " مدينة السندباد " بديوانه انشودة المطر حين قال :

أهذا أدونيس ، هذا الخواء

وهذا الشحوب ، وهذا الجفاف

أهذا أدونيس ؟ أين الضياء

---

(١) بدر السياب ، ديوان انشودة المطر ، بيروت سنة ١٩٦٦ ص ١٣٩ .

وأيـــن القطـــــاف
منا جـــل لا تحصـــد
أزاهـــــر لا تعقـــد
مزارع سوداء من غيـــر مـــاء
أهذا انتظار السنين الطويلة ؟؟
أهـــذا صراخ الرجولـــة ؟؟
أهذا أنيـــن النســـاء ؟؟
أدونيس ـ يا لاندحار البطولة
لقـد حطم الموت فيك الرجـاء (١)

وهكذا صور الشاعر خيبة أمله وفشل رجائه عند ما انحرفت الثورة العراقية عن أهدافهـا الوطنية والقومية بعد ان سرقها " قاسم العراق " فلقد كان الشعب في البداية يأمـل بالخصب والخير والحرية • لكن ذلك لم يتحقق ولم يجن الشعب سوى الموت والفقر والخراب بعد انتظار طويل في وسط الظلام مما جعل السياب " يكفر " بتلك الثورة الزائفة •

ومن مظاهر تأثره بحضارة مصر القديمة قولـــه :

أم انســـل من اهـــرام فرعون هاجع
وقتــه انتقاص الدود منه المباضـع
ومن ليس يحيى لن يرى وهو هالـــك
فلو كان يحيا ما عدتــه الفواجـــع (١)

ومن تأثره " بأبي الهول " أيضا قوله :

كـــأن الصـــدى والسكينـــة

---

(١) انشودة المطر ـ ص ٣٥ ـ دار مكتبة الحياة ـ بيروت سنة ١٩٦٦ •

جناحا " أبى الهول " فيها جناحان ، من صخرة من ثراها دفينة

ومن أساطيره الصينية ما فى ملحمته " من رؤيا فوكاى " حين يقول :

مـــا زال ناقـــوس أبيـــك يقلـــق المســـاء
بأفجـــع الرثـــاء
" هيا ، كونفاى " ، كونفـــــاى "
فيفـــــرح الصغـــــار فـــى الدروب
وتخفق القلـــــوب
وتغلق الدور بيكين ، وشنغهـــــــاى
من رجع " كونفاى ، كونفـــــــاى " (١)

وكونفاى هذه هى أميرة صينية ضحت بحياتها لتمزج دمها بالمعادن التى صنع منهـــا ناقوس " الصين " الكبير ليحذرها من خطر الأعداء القادمين اليها .

أما بالنسبة للاساطير العربية التى تأثر بها " السياب " فهى متعددة من أهمها أسطورة " طلاء الرخ وبيضته الكبيرة " وكأنها قبة مقفلة كقوله على لسان جده :

لـــم أدر الا انـــنى أمالـــنى السحر
الـــى جدار قلعـــة بيضـــاء مـــن حجـــر
كأنمـــا الأقمـــار منذ ألف ألـــف عـــام
كانـــت لـــه الطلاء
كأنمـــا النجـــوم فى المساء .. الخ

ومنها اسطورة " السندباد " التى يرمز بها الشاعر الى الانسان " المغامر فى الحيـاة ليعود بعد ذلك الى وطنه كقوله :

---

(١) نفس المصدر السابق ، المجموعة الشعرية ص ٣٥٥ .

أعـــد بالخطى مداه ، مثل " سندباد "
يسيـــر حـــول بيضة الرخ ،ولا يكـــاد
يعـود حيث ابتـدا
حتى تغيب الشمس ـفهى نورها ســـواد (١)

هذا بالاضافة الى اسطورة " جنة ارم ذات العماد " والعنقاء ، وغيرها مـــن الأساطير العربية الأخرى ، وقد رمز بها الشاعر عن السعادة المفقودة فى الحياة .

أما بالنسبة للرموز لدى السياب فان بعضها مأخوذ من الأساطير كما سبق والبعض الآخر مستمد من الطبيعة والبيئة ـ كالمطر الذى هو رمز للثورة والخصب والعطاء والريح والرعد ، رمز للاستعداد للثورة ، والعقم والجفاف رمز للظلم والاستعباد ، والليـــل رمز للألم والعذاب والاستعباد ، والنهار ، رمز للحرية والربيع رمز للحرية والنصر والخريف رمز للضعف والموت وهكذا بقية الرموز المختلفة . (٢)

والآن وبعد استعراضنا الطويل لروافد الثقافة التى كونت نهر السياب الشعـــرى فاننا نستطيع حصرها فيما يلى .

١ ـ الفولكلور الشعبى ، بأغانيه وقصصه ، النابعة من اعماق البيئة العراقية .

٢ ـ الكتب السماوية المقدسة ، القرآن الكريم ، الانجيل ، التوراة .

٣ ـ دراسة كتب التاريخ ـ العربى ـ والاجنبى .

٤ ـ دراسة الأدب العربى القديم والحديث على حد سواء .

٥ ـ دراسة الآداب الأوروبية على اختلاف مذاهبها الأدبية .

---

(١) بدر السياب ، من ديوان شناشيل ، المجموعة الشعرية ، ص ٦٠٤ وما بعدها .
(٢) راجع ، د / عيسى بلاطة بدر السياب دار النهار ، بيروت سنة ١٩٧١ ص ١٨٥ . وما بعدها .

٦ ــ دراسة تاريخ الحضارات الانسانية القديمة ، بأساطيرها ورموزها المتعددة •

ولهذا نستطيع ان نقرر بأن ثقافة " السياب " كانت عريضة وعميقة في الوقت نفســـه كما ان شعره بمثابة العصارة لهذه الحضارات الانسانية المختلفة • كما يمتاز بتصامـــيم بنائه الشعرى ــ القائمة على الحوار والمنولوج الداخلي والتعبير بالصور ، والرموز والاساطير وتداعى المعانى ، والأفكار العميقة والطابع الانسانى ، وبهذا يعتبر السياب من كبـــار الشعراء المثقفين في وطننا العربـــى •

* * *

:: (أهـم آثـاره الأدبيـة) ::

لم يكن " بدر السياب " شاعرا عبقريا فحسب ، بل كان أيضا ناقدا فنيا رائعا وكاتبا عظيما - ومترجما فذا ، وصحفيا لامعا ، لما امتاز به من عبقرية فذة ، واحساس مرهف ، وثقافة عميقة وعريضة شاملة لجميع حضارات الانسان على اختلاف الوانها ومراحلها

ولهذا استطاع أن يثرى الأدب العربى ، والمكتبة العربية بالعديد من الكنوز الشعرية والنثرية على حد سواء ، التى صدرت خلال حياته وبعد وفاته .

ومن أهم دواوينه الشعرية ما يلى :

١ - " أزهار ذابلة " القاهرة سنة ١٩٤٧

ويحتوى على العديد من القصائد الرومانسية من أهمها " هل كان حبا " التى كانت نقطة البداية فى طريق الشعر " الحر " وقصيدة " ديوان شعر " ونهر العذارى وفى أخريات الربيع ، وغيرها .

٢ - " أساطير " بغداد سنة ١٩٥٠

ويتألف من عدة قصائد شعرية رومانسية رائعة تمثل الحب وآماله وجراحاته والشوق للريف ، ووصف جمال الطبيعة ، كالديوان الأول - غير أنه يمتاز بكثرة قصائده الحديثة " الحرة " التى سار فيها الشاعر على الطريقة الجديدة بأسلوب قصصى رائع وأسلوب حوارى فى بعض الأحيان - كما فى قصائده ، سوف أمضى ، السوق القديم ، أساطير ، واللقاء الأخير ، وغيرها .

وقد قام الشاعر " بدر السياب " بتنقيح هذين الديوانين واعادة طبعهما فى ديوان واحد سماه " أزهار وأساطير " وضم هذا الديوان الجديد تسعا وعشرين قصيدة رومانسية رائعة هى ، أقداح وأحلام ، أهواء ، فى السوق القديم اللقاء الأخير ، أساطير ، اتبعينى ، رئة تتمزق ، سوف أمضى ، هوى واحد

لن نفترق ، سراب ، وداع ، لا تزيديه لوعة ، عبير ، عينان زرقاوان ، في ليالي الخريف ، أغنية قديمة ، ستار ، سجين ، ذكرى لقاء ، ملال ، نهاية ، في القرية الظلماء ، لقاء ولقاء ، هل كان حبا ، الموعد الثالث ، في أخريات الربيع ، ديوان شعر ، وأخيرا ، نهر العذارى .

٣ — ديوان انشودة المطر — بيروت سنة ١٩٦٠

ويعتبر هذا الديوان من أروع وأفضل دواوين الشاعر على الاطلاق — بل ويمثل قمة نضجه الشعرى — وذروة عبقريته ، مما جعله رائدا للشعر الحديث ويضم هذا الديوان اثنتين وثلاثين قصيدة وملحمة شعرية هي :

غريب على الخليج ، مرحى غيلان ، أغنية في شهر آب ، غارسيا لوركا ، تمتسيم المخبر ، عرس في القرية ، مرثية الآلهة ، من رؤيا فوكاى ، قافلة الضياع ، يوم الطغاة الأخير ، الى جميلة بوحيرد ، رسالة من مقبرة ، في المغرب العربي مرثية جيكور ، تموز جيكور ، جيكور والمدينة ، العودة لجيكور ، رؤيا في عام ١٩٥٦ ، قارىء الدم ، ثعلب الموت ، المومس ، النهر والموت ، المسيح بعد الصلب ، مدينة السندباد ، انشودة المطر ، سربروس في بابل ، مدينة بلا مطر ، بور سعيد ، المومس العمياء ، حفار القبور ، وأخيرا الأسلحة والأطفال .

٤ — المعبد الغريق — بيروت سنة ١٩٦٢

وهو يصور بداية مرحلة المرض عند الشاعر ، ويصور آلامه وأشواقه وحنينه الى ماضيه وذكرياته وأهله ووطنه . ويضم هذا الديوان خمسا وعشرين قصيدة هي :

شباك وفيقه (١) ، شباك وفيقه (٢) ، حدائق وفيقة ، أم البروم ، أمام باب الله ، النيمة الغريبة ، دار جدى ، حنين في روما ، الأم والطفلة الضائعة ، النبوءة الزائفة ، مدينة السراب ، نبوءة ورؤيا ، ذهبت ، يانهر

صياح البط البرى ، المعبد الغريق ، أفياء جيكور ، الشاعر الرجيم ، لأنى غريب ابن الشهيد ، فرار عام سنة ١٩٥٣ ، جيكور شابت ، احتراق ، سهر ، وأخيرا الوصية

٥ - منزل الأقنان - بيروت سنة ١٩٦٣

وهو امتداد للديوان السابق من حيث الشكل والمضمون ويضم ثمانى عشرة قصيدة هى :

وحى النهار ، هدير البحر والأشواق ، نداء الموت ، ربيع الجزائر ، خذينى حامل الخرز الملون ، سفر أيوب ، منزل الأقنان ، وصية محتضر ، الشاهدة أمه يبكى ، دريم ، قصيدة من دريم ، قالوا لأيوب ، الليلة الأخيرة ، القصيدة والعنقاء ، هوم المغنى ، وأخيرا قصيدة الى العراق الثائر .

٦ - شناشيل ابنة الجلبى - بيروت سنة ١٩٦٥

ويصور هذا الديوان قمة الصراع المرير بين الشاعر وبين الموت والمرض ، ويضم خمسا وعشرين قصيدة حديثة هى : شناشيل ابنة الجلبى ، ارم ذات العماد فى الليل ، فى انتظار رسالة ، الباب تقرعه الرياح ، ليلة فى لندن ، ليلة فى باريس ، ليلة فى العراق ، خلا البيت ، جيكور وأشجار المدينة ، هـا .. ها ، هوه ، أحبينى ، يقولون تحيا ، وغدا سألقاها ، ليلة وداع ، أغنية بنات الجن ، جيكور أمى ، ياغربة الروح ، أم كلثوم والذكرى ، كيف لم أحبك ؟ أسير القراصنة ، نسيم من القبر ، فى المستشفى ، سلوى ، متى نلتقى ؟

٧ - اقبال والليل ، بيروت سنة ١٩٦٥

وقد سماه الشاعر تقديرا وحبا لزوجته السيدة " اقبال " عبد الجليل يصور فيه آلامه المرضية ، وصراعه مع الموت ، وأشواقه وحنينه لزوجته وابنائه وأهله ووطنه

وذكريات طفولته بالاضافة الى بعض قصائده الرومانسية الأولى التي نسجها عندما كان طالبا بدار المعلمين العالية ببغداد – مثل ملحمته " الروح والجسد " والتي تبلغ ألف بيت من الشعر العمودي – كان قد أعدها للشاعر ، علي محمود طه في مصر لاعتزازه برأيه وحسه الشعري لكن المنايا حالت دون ذلك مما أدى الى ضياع معظمها في النهاية . وقصيدة خيالك ، التي خاطب فيها حبيبته " لبيبه " ذات المنديل الأحمر – والطالبة معه بدار المعلمين خلال دراستهما معا وغيرها من القصائد الرومانسية الأخرى التي أضيفت لهذا الديوان عند الطبع بعد وفاة الشاعر .

ومن أهم قصائد هذا الديوان ما يلي :

أظل من البشر ، الفن والمجره ، عكاز في الجحيم ، لوى مكنيس ، حميد المعول الحجري ، في غابة الظلام ، رسالة ، ليلة انتظار ، نفس وقبر ، اقبال والليل وهذه القصائد تمثل مرحلة الصراع بين الشاعر والموت عندما كان طريح الفراش في المستشفى الأميري بالكويت سنة ١٩٦٤ ، أما القصائد الرومانسية التي نسجها في مطلع حياته وشبابه خلال دراسته الجامعية والثانوية فهي : ضلال الحب ، يوم السفر ، همسك الحاني ، تحية القرية ، ذكريات الريف ، رثاء جدتي ، خيالك ، أغنية الراعي ، بين الروح والجسد ، رثاء القطيع ، عودة الديوان ، المساء الأخير ، شاعر ، أغنية السلوان ، الوردة المنثورة ، السجين . ومما يلاحظ في هذا الديوان تكرار طبع بعض القصائد في دواوين أخرى مثل قصيدة الروح والجسد ، حيث أعيد طبعها في ديوانه الجديد ، قيثارة الريح سنة ١٩٧١ وقصيدة السجين التي سبق وأن طبعت بديوان أزهار وأساطير .

٨ – ديوان " قيثارة الريح " وزارة الاعلام العراقية ، بغداد ، سنة ١٩٧١

وقد قامت وزارة الاعلام العراقية بجمع تراث الشاعر وطبعه في دواوين جديدة حفاظا منها على تراث الشاعر وتخليدا منها لذكراه . وتقديرا لما قدمه الى وطنه وأمته خلال كفاحه المرير من أجل تحرير الانسان العربي من قيود الظلم السياسي

والقهر الاجتماعي ، والارهاب الفكري .

وينقسم هذا الديوان الى مجموعتين هما :

الأولى — وتضم بعض قصائده الرومانسية التي نسجها في بداية حياته الشعرية في تصوير جمال الطبيعة والريف ، والتي أهدى بعضا منها الى شاعر الرومانسية في الغرب الشاعر " ورد زورث " .

الثانية — وتضم ملحمته الخالدة " بين الروح والجسد " التي تأثر فيها بكل من الشاعر الفرنسي " بودلير " والشاعر اللبناني المهجري ، الياس أبي شهكة في ديوانه أفاعي الفردوس . كما تضم هذه المجموعة أيضا قصيدته الطويلة " اللعنات " والتي تبلغ حوالي ثلاثمائة بيت من الشعر العمودي — وفيها يصور ثورته ضد الحكم الملكي في العراق .

٩ — ديوان " أعاصير " بغداد ، وزارة الاعلام العراقية ، سنة ١٩٧٢

ويضم هذا الديوان عشر قصائد عمودية خالدة — تمثل ثورة الشاعر ضد الفساد السياسي والاقطاع العشائري ، وجرائم الاستعمار في العراق خلال الحكم الملكي سنة ١٩٤٦ ومما يؤكد لنا هذا التاريخ ما قاله أحد أصدقاء الشاعر الأوفياء الذين قاموا وأسهموا في جمع تراث الشاعر واعادته للحياة حيث قال : " ان قصائد هذا الديوان كانت وليدة سنة ١٩٤٦ وما قبلها — وقد القاها الشاعر " بدر السياب " جميعها في تجمعات سياسية ، أقيمت في قاعة المكتبة الاسلامية الواقعة في منطقة السيف (السوق) بالبصرة وقد كان بدر السياب وقتها يعيش في فترة (فصله من دار المعلمين العالية ببغداد سنة ١٩٤٦ " (١) وأعتقد أنا بأن هذا الديوان هو الذي سبق وأن أعلن عنه الشاعر في مقدمة ديوانه " أساطير "

---

(١) عبد الجبار عاشور ، مقدمة ديوان السياب (أعاصير) وزارة الاعلام العراقية سنة ١٩٧٢ م .

سنة ١٩٥٠ حين قال : ان هناك ديوانا سياسيا هاما يتناول أمراض المجتمع العراقي سميته "زئير العاصفة" وسيترك أثرا كبيرا على مجرى الحياة السياسية والاجتماعية في العراق • لكن الشاعر لم يتمكن من نشره حينذاك نظرا لخطورته على السلطة الحاكمة حينذاك - وما سيتركه من آثار على مجرى حياته الدراسية والعملية - ولذلك بقيت قصائده دفينة حتى جاء من يبعثها للحياة من جديد •

١٠ - ديوان "بواكير السياب الشعرية" بغداد سنة ١٩٧٥

وهو بمثابة ديوان صغير - يحتوى على بعض قصائد السياب الرومانسية الأولى عندما كان طالبا بثانوية البصرة •

هذه هي أهم دواوين "السياب" الشعرية المطبوعة •
أما آثاره الشعرية المخطوطة فهي :

أ - قلب آسيا :

وهي ملحمة شعرية طويلة سبق أن نشر منها الشاعر جزءا واحدا فقط سنة ١٩٥١ في جريدة العالم العربي •

ب - القيامة الصغرى :

وهي أيضا ملحمة شعرية رائعة - وكانت من أحب آثاره الشعرية الى نفسه •

ج - بعض القصائد المترجمة عن الانجليزية :

وقد ترجمها الشاعر عن الشاعرة الانجليزية "اديت ستويل"

* * *

أهم آثاره النثرية وتشمـــل :

١ ـ الرسائـل الشخصية :

وكان الشاعر قد بعث بها الى أصدقائه أمثال كل من :

أ ـ الشاعر العراقى ، خالد الشواف منذ سنة ١٩٤٣ ـ سنة ١٩٤٧ .

ب ـ الشاعر " ادونيس " بلبنان من سنة ١٩٥٧ ـ سنة ١٩٦٤.

جـ ـ الشاعر الكويتى ـ على السبتى ، وقد نشرت فى مجلة الكويت سنة ١٩٦٣.

د ـ د / سيمون جارجى ـ وقد نشرها فى كتابه " بدر السياب ـ الرجل الشاعر سنة ١٩٦٦.

وأخيرا رسائله الى أخويه د / عبد السياب ، ومصطفى السياب من سنـــة ١٩٦١ ، سنة ١٩٦٤

٢ ـ مقالاته الصحفية والأدبية ومن أهمها :

أ ـ شعر المفاسل ـ وقد نشرت بمجلة الاسبوع العربى ، بيروت سنة ١٩٦٠.

ب ـ مقالات حول القصة والشعر ـ وقد نشرت فى مجلة الاسبوع العراقية أولا ثـم طبعت فى كتيب صغير بعنوان " صفحات مطوية من حياة السياب " للأديب خالص عزمى فى بغداد سنة ١٩٧٢.

جـ ـ مقالات حول الشعر والأدب والسياسة والاجتماع ، وقد نشرت على صفحـات جريدة الحرية العراقية ، بغداد ، سنة ١٩٥٨ .

د ـ مقالات سياسية هاجم فيها الشيوعيين فى العراق خلال حكـم " قاسـم " سنة ١٩٥٩ على صفحات جريدة الحرية العراقية ابتداء من العدد ١٤٤١ وما بعـــده .

هـ ـ مقالات متعددة ومختلفة في الأدب والسياسة والاجتماع أيضا على صفحات الجرائد والمجلات الأدبية في العراق وخارجه مثل ، جريدة الحرية ، بغداد سنة ١٩٥٨ وجريدة الشعب العراقية سنة ١٩٥٧ وجريدة العهد الجديد العراقية سنة ١٩٦١ وجريدة الأيام العراقية سنة ١٩٦٢ ثم مجلة حوار اللبنانية سنة ١٩٦٣ ومجلة شعر اللبنانية سنة ١٩٥٧ ومجلة الآداب اللبنانية حين قامت معركة نقدية عنيفة بين الشاعر من جهة وبين كل من رئيف خوري ، ايليا حاوي ، صلاح عبد الصبور من جهة أخرى استمرت منذ سنة ١٩٥٥ حتى سنة ١٩٥٨ .

و ـ مقالاته عن المسرح العربي بعنوان " العرب والمسرح " وقد نشرت بمنشورات مكتبة النهضة ببغداد ، سنة ١٩٦٠ في السادس والعشرين من ابريل سنة ١٩٦٠

ز ـ رسالة العراق . وقد نشرت بمجلة " حوار " اللبنانية سنة ١٩٦٣ هذا بالاضافة الى العديد من المقالات والرسائل الأخرى التي سوف تظهر مع مرور الزمن .

ومن الآثار النثرية الهامة للشاعر أيضا ـ ما نراه من المقدمات الرائعة في بعض الدواوين الشعرية الحديثة مثل كتابته لمقدمة ديوان راضي مهدي ، ومؤيد عبد الواحد والفريد سمعان ـ هذا بالاضافة الى مقدمته الشهيرة لديوانه " أساطير " التي رسم فيها مذهبه الأدبي خلال تلك المرحلة الواقعية . ونظرا لما لهذه الآثار من قيمة أدبية رفيعة فقد اعددتها كلها تقريبا لنشرها في الكتاب عن الشاعر بعنوان " السياب كاتبا وناقدا " وأرجو الله ان يوفقني قريبا في تحقيق ذلك .

٣ ـ آثاره القصصية :

كتب السياب العديد من القصص القصيرة التي تمثل البيئة العراقية بعاداتها وتقاليدها وآلامها وآمالها .

ومن أشهرها :

أ - كاس حلاق القرية :

وقد سبق أن نشرها الشاعر في الملحق الاسبوعي لجريدة الشعب العراقيــة فـي ١٨/١/١٩٥٨.

ب - خالقويذهب الى المدرسة :

وهي قصة شعبية توضح أهم أمراض المجتمع العراقي - خاصة في الريف وقد نشرت في الملحق السابق أيضا بتاريخ ١٥/ ٣/ ١٩٥٨.

جـ - شجاعة يوم قائــظ :

وتصور الكفاح المرير من أجل الحياة الانسانية • رغم العذاب وقسوة العيــش وقد نشرت أيضا في نفس الملحق الاسبوعي لجريدة الشعب العراقية في ١/ ٢/ ١٩٥٨

د - عبد الماء في شط العرب :

وهي قصة خرافية عن زواج العبد العملاق الذي يعيش في أعماق النهر بفتــاة رغم ارادتها ثم تركته مضحية بأبنائها منه في سبيل الحصول على حريتها • وقــد نشرت أيضا بملحق جريدة الشعب في ١٢/٦/١٩٥٨.

ويغلب على هذه القصص بروز العنصر الذاتي الشديد - في معظم الأحيان بالاضافة الى الاندفاع العاطفي الحاد ، وعدم التركيز - وكثرة الاسهاب والاستطراد وذلــك لغلبة الروح الشعرية عند " السياب " لكنها تدلنا على عمق خياله وخصوبة شاعريتــه في نفس الوقــت •

انظر ص ١١٢

٤ - أهم محاضراته الأدبية :

القى الشاعر العديد من المحاضرات الأدبية داخل العراق وخارجه لكــن أشهرها جميعا ما يلي :

أ ـ الأدب العربي الحديث :

وكان الشاعر قد ألقاها في مؤتمر الأدباء العرب المنعقد في دمشق سنة ١٩٥٦ ممثلا لشعراء العراق حينذاك مما يؤكد لنا مكانته الأدبية ومنزلته الشعرية في العراق حينذاك .

ب ـ محاضرة بعنوان " تطور الشعر العربي " :

وكان قد ألقاها الشاعر في ندوة " مجلة شعر سنة ١٩٥٧ " اللبنانية عندما نال منزلة رفيعة في الشرق العربي .

جـ ـ الالتزام واللا التزام :

وكان قد القاها في مؤتمر الأدباء العرب المنعقد في روما سنة ١٩٦١ م وفيها بين الشاعر الفرق بين الالتزام الحقيقي النابع من داخل الشاعر وبين الالتزام الحزبي المفروض من الخارج على الشاعر .

هذا بالاضافة الى الندوات الأدبية العديدة التي شارك فيها الشاعر وبخاصة ندوة بغداد في ١٩٥٧/١٠/٣١ ـ وندوة الأسبوع العربي في بغداد سنة ١٩٥٢ أيضا حين وقف مدافعا عن الشعر العربي الأصيل ـ مبينا ما فيه من خيال رائع وأوزان وموسيقى جميلة ، كما دعا الشعراء الشباب الى التجديد مع الحفاظ على خصائص الشعر العربي الأصيل . وقد نشرت هذه الندوة في كتاب " خالص عزمي " صفحات مطوية من حياة السياب " بغداد ، سنة ١٩٧٢ .

وهكذا يظهر لنا بالأدلة القاطعة أن الشاعر لم يكن مجرد شاعر عادي بل كان شاعرا عبقريا ـ وكاتبا لامعا ، وناقدا كبيرا ـ كما كان عالما وكونا بذاته .

٥ ـ أهم ترجماته الأدبية :

لم تتوقف عبقرية الشاعر " السياب " عند حدود الشعر والكتابة والمحاضرات

فحسب بل تجاوزت ذلك الى ميدان الترجمة ، حين قام مع العديد من اصدقائه الآخرين في العراق بترجمة العديد من روائع الأدب الأوروبي الى اللغة العربية ومن أشهر هذه التراجم ما يلي :

أ ـ قصيدة " عيون الزا " للشاعر الفرنسي " أراغون " :

وكان الشاعر الفرنسي قد تغنى فيها بالحب وانتصار السلام على اعداء الحياة وقد تأثر بها الشاعر السياب في مطلع حياته النضالية ، وأكثر ما يظهر هذا التأثر في ملحمته " فجر السلام " التي دعا فيها الى كراهية الحرب والحث على السلام من أجل الأطفال الأبرياء والانسان أينما كان .

ب ـ قصائد مختارة من الشعر الأوروبي :

وقد أختارها الشاعر السياب من شعر عمالقة الشعر الأوروبي أمثال كل من اليوت ، أديت ستويل ، رامبو ، لوركا الاسباني ، كافكا ـ بابلونيرودا التشيلي ازرا باوند ، ناظم حكمت التركي ، وغيرهم ، وقد صدرت هذه الترجمة سنة ١٩٥٥ .

جـ ـ ثلاثة قرون من الأدب الأمريكي :

ويتكون هذا الكتاب من جزأين كبيرين ، وقد ترجمه السياب مع عدد من الأصدقاء أمثال الدكتور ، عبد الواحد لؤلؤة ، استاذ الأدب الانجليزي بجامعة الموصل الآن والاستاذ / نجيب المانع ، والياسين ، وغيرهم من الاساتذة الأدباء باشراف الاستاذ / جبرا ابراهيم جبرا ، ويعتبر هذا الكتاب من أهم ما قام به السياب في حياة الترجمة الأوروبية . وقد جمع فيه عمالقة الشعر الامريكي على اختلاف اتجاهاتهم ومذاهبهم الأدبية . هذا بالاضافة الى بعض الكتب الأدبية الأوروبية التي ترجمها الشاعر مع اصدقائه هؤلاء مثل " كتاب مولد

الحرية " و " الجواد الأدهم " وغيرها من الكتب الأخرى •

د — ترجمة بعض القصائد للشاعرة الانجليزية " أديت ستويل " :

قام السياب بترجمة العديد من قصائدها الى العربية لما فيها من رموز وأساطير متعددة وبخاصة رموز المطر التي تعني الخصب والثورة والعطاء • وذلك كما نجده في شعره حيث تأثر بها كثيرا • كما سنبين فيما بعد في مصادره الثقافية •

هـ — ترجمة مسرحية شعرية بعنوان " الشاعر والمخترع " والكولونيل " :

وهي لكاتب روسي اسمه " بيترو ستينوف " وتتكون من فصل واحد وثلاثة أبطال هم :

١ — شارل : وهو مخترع في الثالثة والثمانين من العمر •

٢ — جوني : شاعر في الخامسة والثمانين من العمر •

٣ — براد لي : كولونيل محارب شجاع في الرابعة والثمانين من العمر •

وتدور حوادثها كلها داخل غرفة صغيرة بها نافذة قرب المدفأة التي يجلسون حولها حيث يدور الحوار بين الأبطال الثلاثة حول نظرة كل منهم للحياة • فالشاعر خيالي في نظرته • والمخترع لا يؤمن الا بالحقائق العلمية المجردة والكولونيل ذو نظرة عسكرية واقعية صارمة — وقد نشرت هذه المسرحية على صفحات جريدة الاسبوع العراقية بتاريخ ٢/١١/١٩٥٢ كما نشرت في كتاب " خالص عزمي " صفحات من حياة السياب " سنة ١٩٧٢ •

* * *

((الفصـــــل الثالــث))

((شاعريته ، مراحلها وبواعثها))

اختلفت آراء النقاد والباحثين حول باكورة شاعرية " بدر شاكر السياب " كما اختلفوا من قبل حول مواقفه وحياته .

وقد ذكر فريق منهم أن بواكير شاعريته ترجع الى سنة ١٩٣٦ عندما كان الشاعر طالبا بمدرسة " المحمودية " الابتدائية " بأبى الخصيب " والدليل على ذلك قصيدته الشعرية التى القاها بالمدرسة حينذاك بعنوان " موقعة القادسية " ومنذ ذلك التاريخ بدأت موهبته الشعرية تشق طريقها بين منافسيه من الطلاب الشعراء الآخرين .[1] وذكر فريق ثان ان باكورة " السياب " الشعرية تعود الى بداية الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٤١ عندما كان طالبا بثانوية البصرة . ومما يؤكد قولهم هذا وجود العديد من القصائد الشعرية الغنائية الرومانسية التى نظمها الشاعر حينذاك ومن أهمها قصيدة " على الشاطئ " يقول فيها :

على الشاطئ أحلامى
طواها الموج ياحب
وفى حلكة أيامى
غدا نجم الهوى يخبو
عزاء ، لقلبى الدامى[2]

وقد اعترف الشاعر بركاكتها فيما بعد عندما نضجت شاعريته حين قال " اننى اسجل هذه القصيدة وأنا فى سن الخامسة عشرة من العمر ، وفى هذه القصيدة نلمح العديد

---

(١) مقابلة شخصية مع الشاعر : محمد على اسماعيل ، صديق طفولة " السياب " فى ابى الخصيب بتاريخ ١٠/ ٣/ ١٩٧١ .

(٢) د / احسان عباس ، بدر السياب فى حياته وشعره ، سنة ١٩٦٩ ص ٣٠ .

من وجوه الشبه بين السياب والشاعر " على محمود طه " وبخاصة فى الفاظها المجنحة مثل -شاطئ الاحلام ، والأمواج ، والزوارق ، والأشرعة الذائبه فى الأفق وغير ذلك •

وقد أيد هذا الرأى فيما بعد الدكتور / عيسى بلاطه فى كتابه " السياب " حياته وشعره ، اذ قال " وفى غضون ذلك كان " بدر " قد بدأ يكتب الشعر بانتظام بعد سنة ١٩٦١ وقد كان يكتب الشعر ثم يعيد كتابته ثم يمزقه (١) مرة أخرى حتى استوت شاعريته •

وذكر فريق ثالث ان بداية شاعرية " السياب " قد ولدت بعد انتهاء الحرب الثانية حين قالوا " لقد بدأ السياب حياته الفنية سنة ١٩٤٨ تقريبا ، وكانت مرحلته الفنية الأولى تتمثل فى ديوانين هما ، أزهار ذابلة ، وأساطير " (٢)•

ومهما تعددت الآراء حول باكورة شاعريته الا أننا نرجح مطلعها وبدايتها فى منتصف الثلاثينيات عند ما كان الشاعر طالبا بمدرسة المحمودية الابتدائية للبنين فى " أبى الخصيب " وذلك للأسباب الآتية :

١ - استحالة قدرة الشاعر " السياب " على نظم قصيدته " على الشاطئ " التى مر ذكرها دون مروره بمحاولات شعرية سابقة - وتجارب متعددة •

٢ - اعترافات العديد من أصدقاء الشاعر الذين واكبوا مسيرة طفولته وحياته الدراسية من البداية حتى النهاية أمثال كل من ، خالد الشواف ، ومحمد على اسماعيل وأكرم الوتري وكاظم جواد وغيرهم •

٣ - شهادة العديد من اساتذته فى المرحلة الابتدائية - وبخاصة مدرس اللغة

---

(١) د / عيسى بلاطه - بدر السياب " حياته وشعره ، دار النهار ، بيروت سنة ١٩٧١ ص ٢٥ •

(٢) رجاء النقاش ، أدباء معاصرون - وزارة الاعلام العراقية ، بغداد سنة ١٩٧٣ ص ٢٢

العربية الذى كان يمده بالنصح والارشاد والتوجيه حينذاك — وقد حاولت العثور على هذه القصيدة الأولى للشاعر غير أنى لم أعثر لها على أثر للأسف .

وعندما انتقل الشاعر الى ثانوية البصرة صيف سنة ١٩٣٨ م . أخذت شاعريته تشق طريقها نحو التطور والبناء ، وذلك لاتساع ثقافته عما كانت عليه فى المرحلة الابتدائية واطلاعه على العديد من دواوين فحول الشعراء القدامى ، ودراسته للعديد من المجلات الأدبية فى الوطن العربى وبخاصة ، الرسالة ، والمثقف (١) ، وغير ذلك . ثم ازداد تدفقها وعطاؤها عندما انتقل الشاعر الى بغداد فى خريف سنة ١٩٤٣م حيث وجد الحياة الصاخبة المتجددة والأجواء الثقافية والأدبية التى تملأنوادى ومقاهى بغداد ، بالحركة والعطاء بالاضافة الى اتساع تجاربه ودراسته الجامعية ، ومنذ ذلك الحين أخذت شاعريته تتدفق بغزارة وخصوبة مما فرض على العديد من الباحثين والنقاد ان يعترفوا بها وبمكانتها ومنزلتها فى العصر الحديث ، ومن ذلك قول أحدهم " ان الشاعر " بدر السياب " عظيم بكل معنى الحياة .ولقد ترك وراءه رغم أنه مات وهو فى الثامنه والثلاثين من عمره ثروة من الشعر الغزير الخصب الذى جعل منه شاعرا من اعظم شعراء العربية منذ أقدم العصور الى اليوم — وعظمة السياب " كفنان " يزيد منها تلك الظلال التى تحيط بشخصيته الانسانية " . (٢)

ولم تكد هذه الشاعرية الخصبة المعطاءة تصل الى قمة النضج والابداع طوال الخمسينات حتى بدأت فى الذبول والتراجع عندما حاصرها المرض فى مطلع الستينات وأصبحت بعد ذلك بمثابة شروق يلاحقها غروب الموت . ولو لم تنطفىء هذه الشعلة مبكرا ، وقدر لها ان تعيش مدة أطول ، لاستمرت بلا شك فى التدفق والعطاء " ولهذا كان موته المبكر خسارة كبيرة لا تعوض ، لأنه مات وهو فى عز العطاء انه ما جف فمات

---

(١) مقابلة مع عمه " عبد المجيد السياب " بأبى الخصيب فى ١١/٣/١٩٧١م.
(٢) رجاء النقاش ، ادباء معاصرون ص ٢٢٦ وما بعدها .

ولكنه مات وهو يفيض غزارة وقولا " (١) .

وكما اختلف النقاد والباحثون حول باكورة شاعريته فقد اختلفوا كذلك حول مراحلها المتعددة .

فذكر بعضهم ان مراحل شاعريته قد مرت بمرحلتين اساسيتين هما : (٢)

١ ـ مرحلة ما قبل الحرب العالمية الثانية ـ وتشتمل هذه المرحلة على دواوينه أزهار ذابلة سنة ١٩٤٧ وأساطير سنة ١٩٥٠ حينما كان الشاعر خلالها رومانسيا محضا ، مقلدا وأسير الرواد المدرسة الرومانسية أمثال ، على محمود طه ومحمود حسن اسماعيل ، والشابى وغيرهم .

٢ ـ مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية ـ وتشمل بقية دواوينه الشعرية الأخرى وخلالها استطاع " السياب " ان يتحرر من قبضة التقليد والمحاكاة لرواد الشعر الرومانسى كما استطاع ان يبنى له أسلوبا شعريا مستقلا بذاته ، وقد أكد هذا الرأى بعض الكتاب المعاصرين حين قال أحدهم " ان " بدر السياب " استطاع أن يخلق لنفسه منهجا شعريا مستقلا ، منفصلا عن غيره من الشعراء خلال هذه الفترة الثانية ، كما استطاع ان يعلم شعراء المدرسة الحديثة أشياء أخرى أخذوها عنه فى فن القريض " (٣) ومن يطالع قصائد شعراء مدرسة الشعر الحر يجد فيه الكثير من رواسب السياب .

ونحن بدورنا نرفض هذا التقسيم لعدم مطابقته للواقع التاريخى والفنى معا وذلك للأسباب الآتية :

---

(١) جبرا ابراهيم جبرا ، مجلة الرائد العربى ـ الكويت ، عدد ٥٣ سنة ١٩٦٥ ص١٨
(٢) د / يوسف نور عوض ، رواد الشعر العربى الحديث ، مكتبة الأمل ، الكويت سنة ١٩٦٨ ص ١٥٩ .
(٣) جريدة الأهرام القاهرية ، فى ٥ / ٣ / ١٩٦٥ .

١ - ان صدور دواوين الشاعر السياب كان بعد نهاية الحرب العالمية الثانية وليس قبلها " اذ صدر ديوانه " أزهار ذابلة " سنة ١٩٤٧ كما صدر ديوانه الثاني " أساطير " سنة ١٩٥٠م ٠

٢ - رغم تأثر الشاعر السياب " بشعراء الرومانسية " الأوائل - الا انه لم يكن مقلدا ومحاكيا لهم - ولكنه احتفظ بشخصيته وبأسلوبه وهويته الذاتية ٠

٣ - اتجاه الشاعر نحو الأسلوب القصصي خلال ديوانه " أساطير " كما في قصائده " السوق القديم " وذكرى لقاء ، وسوف أمضي ، وغيرها ، وبذلك استطاع ان يعبر الى مرحلة الملحمة الشعرية فيما بعد ، وبخاصة في ديوانه " انشودة المطر " كما سنوضح فيما بعد ٠

٤ - اختلاف دواوين الشاعر بعد ذلك من حيث الاسلوب والاتجاه والمضامين الشعرية المتعددة ، فبينما كان في " انشودة المطر " واقعيا ، وتموزيا ، فقد تحول الى الذاتية مرة أخرى عندما حاصره المرض ، كما يبدو لنا في بقية دواوينه الأخيرة وهي ، منزل الأقنان ، والمعبد الغريق ، وشناشيل أبنة الجلبي ، واقبال وبهذا لم يكن التقسيم المرحلي السابق جامعا مانعا كما يقال ٠

وذكر فريق ثان ان الشاعر قد مر بمراحل متعددة " فقد بدأها رومانطيقيا خالصا في ديوانه " أزهار ذابلة " ثم رومانطيقيا رمزيا في ديوانه " أساطير " ثم رمزيا واقعيا في " الأسلحة والأطفال " وحفار القبور ، وأخيرا واقعيا تصويريا في بقية دواوينه الأخرى[١] كما ذهب باحث آخر الى تقسيم شاعرية السياب الى ثلاث مراحل أساسية هي :[٢]

---

(١) أحمد أبو سعد / الشعر والشعراء في العراق ، ص ٢٣٩ وما بعدها ٠
(٢) د / غالي شكري ، شعرنا الحديث الى اين ؟ ص ١٧٢ وما بعدها ٠

١ ــ مرحلة أزهار ذابلة " و " أساطير " •
٢ ــ مرحلة ديوانه " أنشودة المطر " •
٣ ــ مرحلة ديوانه " شناشيل ابنة الجلبي •

وقد استند الناقد الباحث في تقسيمه هذا على النواحي الفنية فقط دون الرجوع الى الحياة الفكرية في حياة الشاعر ، وتأثيرها على مواقفه الأدبية • مما جعلها مبتورة ناقصة تحتاج الى القاء الأضواء عليها من جديد •

وذكر ناقد آخر أن مراحل شاعرية السياب تتجسد في المراحل الآتية :(١)

١ ــ مرحلة الرومانسية : وهي التي تمثل فترة الشباب لدى الشاعر •
٢ ــ مرحلة الواقعية : وهي التي تمثل مرحلة النضال والنضج الفكري •
٣ ــ مرحلة الذات : وهي التي تصور صراعه مع المرض والموت •

غير أن أهم النقاد المحدثين الذين تناولوا مراحل الشاعر الفنية بطريقة النقد والتحليل النفسي والأدبي هو الدكتور / احسان عباس في كتابه " بدر السياب " دراسة في حياته وشعره " وقد قسم هذا الناقد مراحل السياب الشعرية الى خمس مراحل هي :(٢)

١ ــ مرحلة " البحث عن النخلة " والتي تمثل مرحلة الرومانسية الغنائية عند الشاعر •
٢ ــ مرحلة " البحث عن الملحمة الشعرية " وتشمل قصائده ، فجر السلام ، الاسلحة والأطفال ، رؤيا فوكاي •

٣ ــ مرحلة " تجلي ارم " وتمثل قمة النضج الشعري لدى السياب ــ وتشمل قصيدته

---

(١) د / محمد التونجي ، بدر السياب والمذاهب الشعرية المعاصرة ، دار الأنوار بيروت سنة ١٩٦٨ ص ٥٥ وما بعدها •
(٢) د / احسان عباس ، بدر السياب دراسة في حياته وشعره ، بيروت ، دار الثقافة سنة ١٩٦٩ ص ٤٢٥ وما بعدها •

" انشودة المطر " مع بقية قصائده الجيكورية " .

٤ ـ مرحلة " سلال الصبار فى بابل " وهى التى تشمل قصائده " التموزية " التى يهاجم فيها جرائم الشعوبيين خلال حكم " عبد الكريم قاسم " للعراق وفيها أكثر الشاعر من استعمال الرموز البابلية " تموز ، عشتار ، بابل ، وغيرها من الرموز الأخرى .

٥ ـ مرحلة " عولسيس يكتب مذكراته " وهى مرحلة الصراع مع المرض والموت .

هذا بالاضافة الى آراء العديد من الباحثين من النقاد الأخرين الذين تناولوا حياة الشاعر وتراثه بالدراسة والتحليل ، وقاموا بتقسيم مراحل شعره وشاعريته غيران معظم هؤلاء غلبت عليهم روح التعصب الحزبى الضيقة مما حال بينهم وبين الرؤيا الحقيقية لشاعريته الخصبة . (١)

وبعد هذا الاستعراض الطويل لأهم آراء النقاد والباحثين حول شاعرية السياب وبعد ان بينا ما فى بعضها من التباس وغموض أو تناقض لعدم الاهتمام بالنواحى الفكرية للشاعر والتطور التاريخى لشاعريته فاننا نعود لدراسة هذه المراحل بما يتفق وروح العلم الحديث ، والواقع لحياة الشاعر وتراثه ، وفكره معا ، ونستطيع ان نقسم مراحل شاعريته الى أربع مراحل رئيسية هى :

١ ـ المرحلة " الرومانسية " ١٩٤٠ ـ ١٩٥٠م

وتعتبر هذه المرحلة بمثابة فترة التأسيس والبناء لشاعريته ، وتشمل دواوينه الشعرية الأولى ، بواكيره ، قيثارة الريح ، أعاصير ، أزهار ذابلة

---

(١) راجع : الشعر العربى الحديث وروح العصر د / جليل كمال الدين ص ٢١ ومجلة الآداب ، بيروت ، مارس سنة ١٩٦٦ ص ٨٨ وما بعدها .

أساطيــــر .

٢ - المرحلة " الواقعية " ١٩٥٠ - ١٩٥٦ م

وتعتبر هذه المرحلة بمثابة القمة والنضج الشعرى عند السياب ،حيث استطاع خلالها ان يتبوأ مكانة الريادة للشعر العربى الحديث ، وتتجسد هذه المرحلة فى معظم قصائد ديوانه " انشودة المطر " مثل قصائده ، فجر السلام ، الأسلحة والأطفال ،حفار القبور المومس العمياء ، المخبر ، غريب على الخليج ، بالاضافة الى قصائده القوميــة المشهورة مثل فى المغرب العربى ، والى جميلة بوحيرد ، يوم الطغاة الأخير ، قافلة الضياع ، بور سعيد وفى هذه المرحلة بلغ الشاعر مرتبة الشعر الملحمى الدرامى الـذى لم يسبقه اليه أحد من معاصريه .

٣ - المرحلة التموزية - ١٩٥٧ - ١٩٦٠ :

وهى مرحلة الكفاح والنضال ضد الظلم " الملكى السعيدى " ، " القاسمـى " فى العراق وفى هذه المرحلة أخذ الشاعر يميل الى الغموض والابهام أحيانا والاكثـار من الأساطير والرموز - البابلية وغيرها مثل ، تموز ، عشتار ، بابل ، وغيرها بهـدف الهرب من براثن الارهاب الفكرى والجسدى الذى فرضه الجلادون حينذاك على الشعب العراقـى .

ومن أهم قصائده التموزية حينذاك قصيدة : مدينة بلامطر ، والنهر والموت ، مدينة السندباد من رؤيا سنة ١٩٥٦ ، سربروس فى بابل ، تموز جيكور ، جيكور والمدينـة تعتيم ، ثعلب الموت ، قارئ الدم ، المبغى ، وغيرها من القصائد المظلمة الحزينـة الأخرى وكلها بديوانه انشودة المطر " .

٤ - المرحلة " الذاتية " المرضية - ١٩٦١ - ١٩٦٤ :

وهى المرحلة الأخيرة من حياة الشاعر عندما عاش فى صراع مع المرض والمـوت

خلالها وتشمل دواوينه الأخيرة مثل ، المعهد الغريق سنة ١٩٦٢ ، منزل الاقنان سنة ١٩٦٣ ، شناشيل ابنة الحلبى سنة ١٩٦٥ اقبال والليل ، سنة ١٩٦٥ وكلاهما صدر بعد وفاة الشاعر بعام واحد — هذه اهم مراحل شاعريته .

١ — المرحلة الرومانسية ١٩٤٠ — ١٩٥٠

لقد ذكرنا سابقا ان باكورة وبذور شاعرية السياب قد ولدت فى منتصف الثلاثينات سنة ١٩٣٦ عندما كان طالبا بالمدرسة " المحمودية " الابتدائية للبنين فى " أبى الخصيب " وقد قام بعض اساتذته حينذاك بعنايتها ورعايتها حتى أخذت تشق طريقها وتتفتح للحياة خلال وجوده بثانوية البصره فى مطلع الحرب العالمية الثانية . وكان الشاعر خلال هذه الفترة الأولى التى تعتبر بمثابة تأسيس وبناء لشاعريته " يقترب من الحياة على أطراف أصابعه يدفعه الأمل حينا ويشده اليأس حينا آخر ، لقد كان خلالها تائها لم يستطع كشف طريقه بعد ، مما حال بلا شك دون انطلاقه وقدرته على بناء عالمه الشعرى الخاص " (١) ومما ساعد على هذا الضياع قلة تجاربه الشعرية أولا ، وضيق مجراه الثقافى ثانيا وضيق محيطه الذى يعيش فيه ثالثا ، فتجاربه لم تتعد دائرة الذات الضيقة وحدود بيئته الريفية — وآماله وآلامه الفردية .

ورغم هذا فقد أخذت شاعريته تنمو وتزدهر فى نهاية دراسته الثانوية بالبصرة سنة ١٩٤٣ م بفضل التنافس بين طلاب المدرسة وتشجيعها للطلبة المتفوقين فى ميدان الشعر هذا بالاضافة الى حبه الأول الذى تركه وراءه بين أفياء " جيكور " والذى يتمثل فى الراعية هالة التى وجد فى قلبها الحب والحنان مما عوضه عن فقد الأم وقسوة الأب وزوجه والحرمان

---

(١) ناجى علوش ، مقدمة مجموعة السياب الشعرية ، دار العودة ، بيروت سنة ١٩٧١ ص ١٠ .

من ابتسامة الجدة الحنون التى اختطفها منه الموت سنة ١٩٤٢ لهذه الأسباب تطورت شاعرية " بدر " ولم يعد الشعر عنده مجرد عبث بالقوافى كما كان الأمر سابقا ، بل أصبح الشعر قدره الذى لا محيد عنه ، فهو فى السادسة عشرة من العمر يحس أنه لم يعد يجد الأمن والاطمئنان الروحى والنفسى الا فى حمى الشعر وتحت ظلاله الوارفة . (١)

وقد ساعده على هذا التطور أيضا قبوله لنصائح العديد من زملائه الشعراء الذين طالبوه بضرورة توحيد القافية فى قصائده الشعرية بدل التعدد ، أمثال " محمد على اسماعيل وخالد الشواف وغيرهما ، واستجاب الشاعر فى البداية لهذه النصائح كما يبدو فى رسالته لصديقه " خالد الشواف " التى بعثها اليه قائلا " لقد تأثرت والله كثيرا بنصائحك فأخذت أحول بعض قصائدى من قواف مختلفة ، الى قصائد موحدة القوافى " (٢) ومما يؤكد لنا هذه الاستجابة ما نجده فى قصائده خلال هذه البداية من شاعريته حيث التزم فى معظمها القافية الموحدة ، والاهتمام فى اختيار الألفاظ المناسبة ، والعناية بالوحدة الموضوعية لقصائده ، والأوزان الموسيقية المناسبة لأغراضه الشعرية . ومن أهم هذه القصائد قصيدة " الخريف " التى مطلعها :

قاد الخريف مواكب الأيام

فالدوح ناى فى يد الأنسام (٣)

وقصيدته " يوم السفر " ومطلعها :

من لقلبى على القدر

قضى الأمر بالسفر (٤)

---

(١) راجع : د / احسان عباس ، بدر السياب ، دراسة فى حياته وشعره ، دار الثقافة بيروت سنة ١٩٦٩ ص ٣١ .

(٢) رسالته الى صديقه " خالد الشواف " بتاريخ ١٩٤٢/١١/٢٣ .

(٣) د / احسان عباس ، ص ٣٢ .

(٤) رسالته الى خالد الشواف فى ١٩٤٢/١١/٢٣ .

ومنها قصيدة " رثاء جدتي " ومطلعها :

جدتي ، من أبث بعدك شكوا
ى طواني الأسى وقل معيني
أنت يامن فتحت قلبك بالأمـ
ـس لحبي ، أوصدت قبرك دوني
فقليل على أن أذرف الدمـ
ـع ويقضي على طول أنيني (١)

ولكن على الرغم من هذا الاهتمام بالشكل والأسلوب غير ان مضامينه الشعرية لم تخرج ـ كما ذكرت من قبل عن وصف جمال الريف البصري ، وحياة الرعاة فيه بالاضافة الى شوقه وحنينه اليه والى محبوبته الأولى " الراعية " بالاضافة الى بعض المناسبات مثل رثاء جدته ، ورثاء شهداء الحرية ، الذين أعدمهم " نوري السعيد " سنة ١٩٤٢م بعد فشل ثورة " رشيد عالي الكيلاني " الوطنية في العراق .

فمن قوله في وصف طبيعة الريف خلال فصول السنة قوله في وصف الشتاء :

وسرى الغمام على الحقول فرجعت
أنهارها لحنا أهاج غرامه
وشجونه ، فجرت هواطل دمعه
وغدا يريق على الفروع مدامه (٢)

ومن قوله في وصف " حسان الريف " بين الطبيعة :

نجوى " حسان " الريف بين الربوع
ورنة المزهر فوق الأكم

---

(١) بدر السياب ، ديوانه " اقبال " ص ٧٨ .
(٢) د / احسان عباس ص ٤٤ .

والزورق السياحي مصـــل خشـــوع
محرابــه الشط البليل النســـم
لو استطاعـــت ، قبلتــك الفــروع
وأسمعتك الريــح عــذب النغــم (١)

ومن قوله في وصف حياة الرعاة وقطعان أغنامهم في الريف وحبه لها :

تذكـــرت ســـرب الراعيات علـى الربى
وبيــن المراعــى فــى الرياض الزواهــر
ورنـــات أجراس القطيــع كأنهـــا
تنهـــد أقداح على ثغــر شاعـــر
أقـــود قطيعي خلفهـــن محـــاذرا
وأنظـــر عن بعد فيحســـر ناظـــرى
وما كنت لــو لــم أتبــع الحــب راعيــا
ولا انصرفـــت نحــوا لمروج خواطرى (٢)

ومن اشواقه وحنينه الجارف الى حبيبته الأولى " الراعية هالة " قوله :

لأجلك أطـــوى الربـــى شـــاردا
أردد أنغامـــــى الهائمـــــه
وأسكـــب فـــى النای قلبی الكئيــب
فتغمـــرها لنشـــوة الخادعــــه

---

(١) د / احسان عباس ص ٤١ ٠
(٢) ديوان " اقبال " ص ٧٣ ٠

وكــان لحونـــا دعتهـــا الربـــى
ففـــرت بأحلامهـــا الرائعـــة(١)

وهنا نلاحظ مدى تأثر " السياب " بشعر " أبي القاسم الشابي " شاعر تونس الذي سبقه الى الاهتمام والتغني بالشعر " الرعوي " كما نلاحظ اهتمامه بآلات الرعاة الموسيقية كالشبابة ، والناي ، وغيرها . وهكذا بقي الشاعر خلال فترته الأولى التأسيسية يعيـــش في نطاق دائرته الذاتية المحدودة وريفه البصري ، وحياة رعاته وأغنامه ، بالاضافة الـــى حبه الرعوي الأول .

حتى انتقل الى بغداد في العام الدراسي ١٩٤٣ ـ ١٩٤٤ لاكمال دراستـــه الجامعية وبذلك أخذت شاعريته تنمو وتتدفق بفضل اتساع محيطه وثقافته وتجاربه الجديدة ففيها وجد عالما جديدا ، فسيح الأرجاء ، صاخبا ، بكل ألوان الحياة المتناقضـــة " وجد فيها الاقطاع العشائري بتضخمه ، والفقر المدقع الذي يطحن أجساد الغالبيـــة العظمى من أبناء شعبه ، ووجد التخلف بأبشع صوره يجثم على معظم أحياء بغداد ووجـــد الأحزاب السياسية المتصارعة بأفكارها المتباينة " (٢) لكنه الى جانب ذلك وجـــد النوادي الأدبية ، والمجالس الثقافية المتعددة ، والأمسيات الشعرية الرائعة ، كمـــا وجد النماذج العديدة من الأنوثة في أروقة دار المعلمين ، تلك النماذج التي حرم مـــن رؤياها خلال وجوده بمحيطه البصري المحدود ، كما وجد الدراسات الجامعية المترامية الأطراف ، كل ذلك ساعد على اتساع رؤياه الشعرية ، وتعميق ثقافته الأدبية وزيـــادة تجاربه في الحياة المتناقضة . واخصاب أفكاره السياسية وتدفق شاعريته . بعد ان كـان يحمل فوق عينيه وحول شغاف قلبه غشاوة الرومانطيقية الأولى مما جعله يحس بالضيـــاع والاغتراب في بداية حياته ببغداد ، مكتفيا بذكريات ماضيه ـ وحنينه لريفه البصـــري

---

(١) من قصيدة مزمار الراعي ، حزيران سنة ١٩٤٢ في رسالة التالي خالد الشواف .
(٢) محمود العبطة المحامي ص ٧١ بدر السياب والحركة الشعرية الجديدة في العراق مطبعة دار السلام ببغداد سنة ١٩٦٥ .

وحيه الأول " لرائعته " (١) غير ان هذه الجدران سرعان ما تساقطت من حول الشاعر بعد ذلك بفضل تعرفه على العديد من فحول الشعراء ببغداد مثل الشاعر " محمد الجواهري ، وخضر الطائي ، وهادي الدفتر ، وعبد الرحمن البناء ، وغيرهم بالاضافة الى تكوين صداقات متعددة أخرى مع العديد من الشعراء الشباب أمثال محي الدين اسماعيل ، وكاظم جواد ، وصالح طعمه ، وشاذل طاقة ، ومحمود العبطه المحامي وغيرهم ويرجع الفضل في هذا التعارف الى صديق طفولته ودراسته الشاعر " خالد الشواف " الذي سبقه الى بغداد من قبل . وكان من أهم نتائج هذا التعارف الجديد أن اهتم الشاعر " بدر " بدراسة ينابيع الأدب العربي ودواوين عمالقته الأوائل مثل ديوان أبي تمام ، والبحتري ، وابن الرومي ، والمتنبي ، وأبي العلاء المعري ، وكتب الجاحظ ، وغيرهم — كما اهتم بدراسة الأدب الأوروبي بعد انتقاله لقسم اللغة الانجليزية كما ذكرنا من قبل (٢) وبهذا استطاع الشاعر ان يصقل شاعريته ، ويعمق مجرى ثقافته وان يفرض وجوده — وان ينتزع اعجاب الأدباء والشعراء في بغداد جميعا يساعده في ذلك حسن القائه للشعر ، وانصهار روحه في تراثه الأدبي ومن مظاهر هذا الاعجاب الشديد بشعره والقائه الرائع ، قيام العديد من الشعراء والكتاب بتقبيله وتهنئته وافساح مجالسهم له (٣) واحتضانهم اياه في معظم ندواتهم وأمسياتهم الشعرية وهكذا تفتحت أبواب الشهرة الأدبية أمام " بدر السياب " في العراق بعد أن حفر اسمه على أعمدة التاريخ .

ومما زاد من شهرته بعد ذلك صدور ديوانه الأول في حياته " أزهار ذابلة " سنة ١٩٤٧ حيث أخذ اسمه يلمع ومكانته ترتفع لا في داخل العراق فحسب بل وفي داخل الوطن العربي كله من المحيط الى الخليج ، كما زاد من شهرته الأدبية أيضا ما قام به من تجديد فني في بناء وعروض القصيدة العربية الحديثه ، كما جاء في

---

(١) د / احسان عباس ص ٤٧ .
(٢) راجع — العبطة ص ٨٢ .
(٣) راجع محمود العبطه ص ٨ .

قصيدته " هل كان حبا " سنة ١٩٤٦ والتى تعتبر بحق أول لبنه فى صرح الشعر الحديث كما سنوضح فيما بعد .

لكن على الرغم من هذه الشهرة الأدبية التى انتزعها الشاعر بعبقريته وغزارة شاعريته وعمق ثقافته ، الا أنه عاش محروما من نعمة الحب الحقيقى ، رغم محاولاته العديدة الفاشلة نظرا لافتقاره الى المال والجاه والوسامة الشكلية ، وغير ذلك من مفاتيح قلب المرأة التى لا تؤمن الا بالمال والثراء والجاه والنفوذ وسط هذا المجتمع المادى الذى لا يعرف سوى لغة الحديد والذهب فقط (١) ونظرا لما قاساه الشاعر منذ طفولته المبكرة من حرمان لحنان الأم وعطف الأب وابتسامة الجدة الحنون ، فقد اندفع الشاعر بكل قواه باحثا عن منابع هذا الحب فى أعماق قلب يمسح جراحه ، حتى أنه كان يتخيل أحيانا فى لطف المعاملة أو الرقة فى الخطاب ، أو الابتسامة العفوية عند التحية ما يحمله على أجنحة الخيال ويهيم فى مسارب الالهام — كما كان يحمله على ان ينسج من شعاع كل نظرة عابرة قصة حب يروى بها ظمأه المتدفق نحو الحنان والحياة " (٢) وقد أحب فى حياته أو خيل اليه بمعنى أصح ما يقرب من سبع فتيات سواء فى داخل دار المعلمين العالية ببغداد أم فى خارجها — ولكنه كان يكتشف فى النهاية أنه لم يعثر على اللؤلؤة وسط أكوام المحار — ولم يكن نصيبه سوى الفشل والطين والحرمان .

وقد استطاع الشاعر فى نهاية حياته ان يصور لنا مسيرة تجاربه العاطفية المتعددة التى تحطمت على صخرة الفشل المتكرر — فى قصيدته " أحبينى " التى كان قد بعثها الى زوجته خلال مرضه ، مبينا فيها حبه القديم وأسباب فشله ، بالاضافة الى ضرورة نسيانها لهذا الماضى وحفاظها على حبه ووفائه حيث يقول فيها :

---

(١) بدر شاكر السياب ، مجلة شعر ، بيروت ، العدد ٣ سنة ١٩٥٧ ص ١١٢ .
(٢) راجع : د / احسان عباس ص ٥١ .

ومـا من عادتي نكران ماضي الـذي كـانا
ولكـن كـل مـن أحببت قبلـك ما أحبوني
ولا عطفـوا علـي ، عشقـت سبعا كـن أحيانا
تـرف شعورهن علـي ، تحملني الى الصين (١)

وقد بين لنا الشاعر فيها محاولاته المتعددة بحثا عن القلب الصادق والحب الحقيقي وكأنه غواص يبحث عن لؤلؤه وسط أكوام المحار ، ولكن بلا جدوى اذ لم يعثر الا على الطين والفشل والمرارة ، لأن جميع من عرفهن تخلين عنه في سبيل ، القصر والسيارة والمال والجاه والنفوذ وغير ذلك من المفاتيح التي تفتح قلب المرأة وسط هذا المجتمع الذي لا يعرف سوى لغة الحديد والذهب .

ونظرا لعدم امتلاكه لهذه الوسائل فقد عجز عن الوصول الى قلب المرأة ، وفي ذلك يقـول :

بيـني وبيـن الحب قفر بعيد
مـن نعمة المـال وجـاه الأب
ياآهـتي كفي ـ ومـت يانشيد
شتان بين الطيـن والكوكـب (٢)

مما أدى بدوره الى ازدياد حقد الشاعر على المدينة ، وطبقة الاقطاع ،والى شوقه وحنينه الى ريفه البصري رمز المثل والقيم الانسانية .

لكن على الرغم من هذا الفشل العاطفي المتكرر فقد تطورت شاعرية السيـاب وازداد تدفقها وعطاؤها بصورة قوية وعنيفة ، كما تطور اسلوبه الشعري بعد ذلك نجد

---

(١) بدر السياب ، من ديوان شناشيل بالمجموعة الشعرية ، دار العودة ، بيروت سنة ١٩٧١ ص ٦٣٩ وما بعدها .
(٢) بدر السياب ، ديوانه أزهار ذابلة ، ص ١٦ .

أن كان الشاعر يسير على نظام الشعر العمودي والموشحات ذات المقطوعات العمودية والقوافي المتعددة كما في ديوانه الأول " أزهار ذابلة " فيما عدا قصيدته الحديثة " هل كان حبا " فقد اتجه الشاعر خلال ديوانه " أساطير " الى أحضان الشعر " الحر " في معظم قصائده، مثل قصيدة " السوق القديم " وسوف أمضي ، واللقاء الأخير وأساطير واتبعيني ، ونهاية ، وفي القرية الظلماء ، وفي ليالي الخريف ، وأغنية قديمة ، وغيرها من القصائد الأخرى في الديوان ، هذا بالاضافة الى وجود بعض القصائد التي حافظ فيها على نظام المقطوعات السابقة مثل " هوى واحد ، لن نفترق ، الموعد الثالث وداع ، لا تزيديه لوعة ، رئة تتمزق ، عبير ، عينان زرقاوان ، ياليالي ، لقاء ولقاء سجين ، حسناء القصر ، كما ذكر قصيدة عمودية ذات قافية موحدة هي قصيدته " خطاب الى يزيد " التي يرثي فيها " الحسين " رضي الله عنه .

ولم يكتف السياب بهذه الأشكال فقط بل استطاع ان يمزج بين الطريقتين معا في القصيدة الواحدة كما في قصيدته ، ذكرى لقاء " بديوانه أساطير " . (١)

وهكذا تطورت شاعرية " بدر " تطورا ملحوظا في ديوانه أساطير عما كانت عليه في الديوان الأول " أزهار ذابلة " كما تطورت شاعريته أيضا عندما قام الشاعر ببناء قصيدته الحديثة على اسس فنية جديدة ، وذلك بالاعتماد على الصور المتقابلة ، والازدواجية في التعبير ، بالاضافة الى المقدمة التمهيدية في مطلع القصيدة بما يرسم للقارئ صورة عن الجو العام المحيط بنفسية الشاعر وذلك كما في قصيدته " السوق القديم " التي يوحي مطلعها بما في ثناياها من احساس الشاعر بالحزن والضياع بعد فراق الحبيب حين يقول : (٢)

---

(١) راجع ديوانه " أساطير " النجف الأشرف ، سنة ١٩٥٠ .
(٢) بدر السياب من ديوان أزهار وأساطير المجموعة الشعرية ص ٢١ وما بعدها .

الليـــل والســـوق القديـــم
خفتـت به الأصوات الا غمغمات العابرين
وخطى الغريب ،وما تبث الريح من نغم حزين
فـى ذلـك الليـــل البهـيم

وهكذا أوحـى هذا المطلع التمهيدى بجوه العام وألفاظه كالليل ، والاصـوات الخافته والغمغمات العابرة ، وخطوات الغريب ، وانغام الريح الحزينة ، وغيرها مـن الصور الحزينة ـ كل ذلك أسهم فى ادخال المتلقى ، الى اعماق الشاعر وعذابه المتدفق بسبب ما يعانيه من فراق لأحبائه . وما يحس به من ضياع ـ واجترار للذكريات :

مـا كان منهـا سوى أنا . التقينا منذ عام
عنـد المساء ،وطوقتنى تحت أضواء الطريـق
ثم ارتخت عنى يداها وهى تهمس والظـلام
يخبو ، وتنطفىء المصابيح الحزانى والطريـق
" أتسير وحدك فى الظلام " ؟؟؟

ولم يكتف الشاعر فى بنائه على الازدواجية والتقابل فى الصور ، ولا على حرية اختيار عدد التفصيلات فقط ، ولا على كثرة الصور الشعرية الحزينة ، بل تجاوز ذلك الى ادخال أسلوب الحوار القصصى الرائع بينه وبين حبيبته عند الوداع فعندما تسأله قائلة :

أتسيـر وحـدك فـى الظـلام ؟
نجد الشاعـر يرد عليها قائلا متخيلا وجودهـا :

أنا سوف أمضى باحثا عنها ، سألقاها هنـاك
عند السـراب ،وسوف أبنى مخدعين لنا هناك

وعند ذلك تؤكد له حبها قائلـة :

أنا من تريد ... فأين تمضي بين أحداق الذئاب
تتلمس الدرب البعيـد ؟؟

غير ان الشاعر يرد عليها صارخا متألما ما علم بقرب زواجها من غيره حيث وقفت الفروق الاجتماعية سدا منيعا في طريق حبهما قائلا .

فصرخت :(سوف أسير ، ما دام الحنين الى السراب)
في قلبي الظامي ، دعيني أسلك الدرب البعيـد
حتى أراها في انتظاري ، ليس أحداق الذئـاب
أقسـى علـى مـن الشمـوع
فـي ليلـة العرس التي ترقبيـن ، ولا الظـلام
والريـح والاشباح أقسى منك أنت ، أو الأنـام

لكن ازدواجية الشاعر تتجسد عند ما يهم بالابتعاد عن حبيبته حين فضل الموت بين احداق وأنياب الذئاب على رؤية شموع زواجها بغيره فيقول معترفا بهذا العجـز لأن حبها كان أقوى من ارادته :

ولكـني وقفـت ، وملء عيني الدمـوع

ففي هذه اللوحة التعبيرية الرائعة تنعكس لنا شاعرية " بدر " حيث جمع فيهـا بين روعة الاسلوب القصصي والحوار الرائع النابض بالحركة والحياة والصور المتراكمة والتقابل بينها ، والازدواجية في مواقفه ، بالاضافة الى بنائها الفني الجديد ، وموسيقاهـا الراقصة الحزينة . وقد تكررت هذه الخصائص في العديد من قصائده الأخرى بديوانـه " أساطير " مثل قصيدته " اللقاء الاخير " مع شاعرته التي أحبها بكل ذرة في أعماقـه وبكل قطرة دم في شرايينه ، لكن العادات والتقاليد والاختلاف الديني وقفت كلـها

حجر عثرة في طريق سعاد تهما .(١)

وكذلك الأمر بالنسبة لقصيدته " أساطير " وسوف أمضي ، وغيرها .

وكان من روعة قصائده هذه وبخاصة " السوق القديم " أن أصبحت مثلا يحتذى لدى العديد من الشعراء في العراق حتى بين أقرب معاصريه أمثال " البياتي " كما في قصيدته " سوق القرية " كما سنذكر عند الحديث عن مكانة الشاعر بين معاصريه فيما بعد :

كما كان من نتائج وفوائد هذا الفشل العاطفي الذي اصطدم به الشاعر أيضا أن أخذ يقترب من ضفاف الواقعية كما في قصيدته " الى حسناء القصر " بديوانه " أساطير والتي ثار فيها ضد الاقطاع العشائري البغيض ، وضد أرباب القصور الذين سلبوا دم ، وعرق الفقراء من أبناء هذا الشعب ، مهددا اياهم بقرب هبوب عواصف الثورة الشعبية لاسترداد دماء وحقوق هؤلاء المعذبين من براثن هؤلاء الطغاة قائلا :

حسناء : ان دام الشباب ، فان مالك لا يدوم
والقصر ينفض بعد حين عنه ، أذرعة النجوم
فيعود أنقاضا مصدعة يجللها الوجوم
يمشي عليه الثائر الغضبان ـ بسام الكلوم
الحاطم المستعبدين ـ وكل جبار ظلوم
ان اللآلىء سوف تنزعها الأكف الداميات
فيفر قلب في المقابر ، أو عيون مطفئات ..الخ (٢)

وبهذا انتقل الشاعر من مرحلة الرومانسية المطلقة الى مرحلة الواقعية فيما بعد كما في ديوانه " انشودة المطر " ليشارك في تصوير آمال وآلام المجتمع والشعب والأمة

---

(١) راجع مقدمة ديوانه أساطير ، النجف ، سنة ١٩٥٠ .
(٢) بدر السياب ، ديوانه أساطير ، النجف سنة ١٩٥٠ ص ٩١ .

والانســـــان •

كما كان من نتائج هذا الفشل فى الحب لدى الشاعر أيضا ان اندفع الشاعر نحـو تتويج عبقريته الشعرية بالصقل والدراسة والتعمق الثقافى ، والانتقال الى دراســـة الآداب الأوروبية مما ساعد، على شق طريقه نحو المجد والخلود بعد أن تربع على عـرش الشعر العربى الحديث • وهكذا رب ضارة نافعة كما يقال •

والآن بعد أن استعرضنا خطوات تطور شاعرية " السياب " خلال هذه المرحلـة الرومانسية فى دواوينه الشعرية الأولى ، فاننا نستطيع ان نقرر بأن أهم بواعث شاعريتــه تنحصر فيما يلـــى :

١ — جمال الطبيعة فى الريف البصرى وحبه العميق لبيئته التى نشأ بين أحضانها •

٢ — موهبته الشعرية التى تجلت منذ طفولته الأولـــى •

٣ — رهافة الاحساس ورقة الشعور ، وعمق الخيال وذلك بسبب آلامه وجراحه المتعددة مثل اليتم المرير لفقد حنان الأم وعطف الأب ، وابتسامة الجدة الحنون •

٤ — ظمأه الجارف الى ينبوع الحب والحنان فى قلب المرأة رغم تعدد صدماته العاطفية ولهذا كان الجمال والحب مدار شاعرية السياب طوال حياته •

٥ — التنافس المستمر بين الشاعر ورفاقه على ريادة الشعر سواء داخل المدارس والمعاهد أم خارجها ، بالاضافة الى التشجيع الذى لاقاه الشاعر من مدرسيه وأساتذته •

٦ — تعدد تجاربه ، واتساع رؤياه الشعرية بسبب تعمق ثقافته واتساعها فى بغداد •

٧ — ايمان الشاعر " بدر " بأن الشعر هو قدره الذى لا محيد له عنه ، لأنه الرئــة التى يتنفس بها ويخفف به آلامه وأحزانه الذاتية ، نظرا لفشله فى حبه واحساسه بالفقر والضياع والاغتراب والعذاب وسط مجتمع المدينة القاسى الذى لا يرحــم

ولا يعرف الا لغة الذهب والحديد •

هذه تقريبا هي أهم الأسباب والبواعث التي فجرت ينابيع الشعر في قلب الشاعر خلال مرحلته الشعرية الأولى من حياته الفنية • بعد أن مشى وسط الصحارى مفتشا وباحثا عن عيون الماء والحب والحنان في قلب المرأة ولكنه لم يجد سوى اليأس والفشل والظمأ القاتل والحزن العميق • غير ان هذا العذاب هو الذى دفع بالشاعر الى الوقوف بجانب الانسان المعذب في هذه الحياة • بعد ان قاسى تجارب الألم والحزن والعذاب معظم حياته دون توقف لحظة واحدة وسط هذا الوهج الحارق • والصحارى الممتدة من القسوة والحرمان والجوع والفقر والاغتراب • كما جعل تجاربه بعد ذلك تمتاز بالصدق والايمان وحرارة الانفعال وانصهار العاطفة وروعة التجربة •

* * *

٢ ـ المرحلة الواقعيـــــة

١٩٥١ ـ ١٩٥٧ :

كانت الحياة الأدبية العربية خلال الحرب العالمية الثانية وبعدها بقليل خاضعـة لسيطرة المذهب الرومانسي غالبا ، هذا المذهب الذى حمل لواءه رواد مدارس الشعـر الحديث فى الوطن العربى خلال الثلاثينات والأربعينات من هذا القرن[(١)] وقد كانـت أهم مظاهره التعبير عن العواطف الفردية والمشاعر الذاتية للأديب بغض النظر عـــن مضامينه الانسانية وعجزه عن مواجهة الحياة وأحداث العصر ، مكتفيا بالشكوى والحنيـن والهرب الى أحضان الطبيعة للتخفيف من الآلام المكبوته والمشاعر الدفينة فى الأعمـاق بسبب الظلم السياسى والتخلف الاجتماعى والقهر الفكرى الذى أقامه المستعمر واعوانـه العملاء حول الانسان العربى حينذاك . (٢)

وبقـيت هذه الموجة السلبية تنخر فى قلوب وعواطف الشعراء الشباب من أبنـاء هذه الأمة حتى بدأت بذور التحول والثورة ضد هذه السلبية كرد فعل على هذا التخلف والقهر والارهاب بعد انتهاء الحرب بفترة قصيرة . وبخاصة فى مطلع عام سنة ١٩٤٨م حين هب الشعب العراقى المناضل ضد معاهدة " بورتسموت " البريطانية العراقيـة التى وقعها كل من " بيفن " وزير خارجية بريطانيا ـ وصالح جبر رئيس وزراء العـراق حينذاك بهدف تقييد حرية العراق وابقائه بقرة حلوبة لمطامع الاستعمار البريطانـى ومصالحه الاجرامية (٣) وقد استطاع الشعب العراقى بفضل كفاحه الوطنى ودمـاء ابنائه الشهداء ان يدفن هذه المعاهدة المشئومة قبل ان تخرج الى عالم النور .

---

(١) راجع : د / عيسى بلاطة ص ١٦٨ بدر السياب ـ حياته وشعره .
(٢) راجع : طراد الكبير ، فى الشعر العراقى الجديد ص ٩ .
(٣) انظر امين سعيد ، ثورات العرب فى القرن العشرين ـ دار الهلال القاهـرة صـ ١٣٨ وما بعدها .

وقد سبق للشاعر " بدر السياب " كما ذكرنا — أن أسهم في تغذية مشاعر الشعب والهاب عواطفه بقصائده الشعرية ، وخطبه الحماسية الثائرة مما جعله فريسة فيما بعد لزبانية الحكم الملكي السعيدي في العراق — وفريسة للجوع والسجن والاغتراب (١) . ثم أخذت العواصف السياسية والاجتماعية والثقافية تهب على أرجاء هذا الوطن العربي منذ ذلك الحين ، بعد ان تعمقت المأساة العربية في قيام دولة اسرائيل العنصرية سنة ١٩٤٨ على أرض فلسطين العربية • قلب العروبة النابض • وكان من نتائج هذا الانهيار السياسي والاجتماعي والثقافي ان أخذ الانسان العربي يعيد النظر من جديد في كل ما يحيط به من مظاهر هذه الحياة • فكانت ثورته ضد الأنظمة السياسية العميلة التي كانت سببا مباشرا في وقوع المأساة • منها ثورة سوريا سنة ١٩٤٩ وثورة مصر العربية في ٢٣يوليو سنة ١٩٥٢ ثم ثورات المغرب العربي ضد الاستعمار الفرنسي الاجرامي • كما قام بثورته ضد الاقطاع العشائري وغيرهم من اعداء انسانيته الذين يعيشون على امتصاص عرقه ودمه ، كما قام في الوقت نفسه بالثورة ضد مفاهيمه السابقة من أجل تنقية تراثه من الشوائب الدخيلة — حتى يتمكن من بناء الانسان المعاصر القادر على اعادة بناء الحياة من جديد •

لهذه الأسباب السابقة كما اعتقد بدأ المذهب الرومانسي الحالم السلبي في التراجع أمام ظهور مذهب أدبي جديد ، هو المذهب الواقعي الذي يتميز بالعديد من الصفات أهمها :

١ — الاعتماد في مضامينه على واقع الحياة وحركات التاريخ ورسالة الانسان •

٢ — الاهتمام بقضايا الجماهير المصيرية ، والبحث عن علاج أمراضها المتعددة •

٣ — الاعتماد على تحليل الشخصيات تحليلا علميا حقيقيا •

---

(١) مقابلة مع / فؤاد طه العبد الجليل ، شقيق زوجة الشاعر ، البصرة ١٠/٣/١٩٧١•

٤ ـ الاعتماد على اطار الشكل " الحر " المتموج والمتلون بتلون الموضوع نفسه •

٥ ـ الانتفاع بأروع مافى جميع المذاهب والتيارات والمدارس الأدبية المختلفة •

٦ ـ اهتمامه بالشكل والمضمون معا ومزجه بين الذات والموضوع •

٧ ـ عدم الاكتفاء بعرض التجربة الشعرية عرضا تقريريا جامدا كما كان الأمر سابقا • في كل من الكلاسيكية والرومانسية السلبية ـ بل ينقلها الشاعر الى نفسه أولا ثم يكثفها فى ذاته لتنصهر بعواطفه فى اعماقه حتى تمتزج مع ذاته امتزاجا كليا ويصبح الشاعر وتجربته شيئا واحدا •

٨ ـ عدم الوقوف عند حدود الواقع الجاف كما يظن بعض القراء ـ والهرب من مواجهة الأحداث كالرومانسية ، بل تتجاوز ذلك الى احتضان هذا الواقع وتفسره محاولة منه لتغيير هذا الواقع وذلك بعد وضع طرق العلاج الكفيلة بذلك • وبعبارة أدق يمتاز المذهب الواقعى بارتباطه بالحياة ارتباطا عضويا من أجل بنائها على أسس من العدل والحق والخير ، وليس مجرد ترف ذهنى وتعبيرات لفظية جوفاء من أى مضمون انسانى واقعى حقيقى •

وبعد أن كانت الكلاسيكية تهتم بالمضمون دون الذات والرومانسية مهتمة بالذات دون المضمون فقد جاء المذهب الواقعى ليجمع بين الذات والمضمون معا فى اطار واحد •

ومما عمق هذا المذهب فى قلوب الشعراء الواقعيين ـ ايمانهم بأن الشعب وحده هو صانع التاريخ ، واستجابة لهذه الظروف الموضوعية ولد هذا المذهب الواقعى الذى خضع له السياب فى مرحلة من مراحل حياته الفنية المتشعبة التيارات والمذاهب وكانت بداية ايمانه به عندما هجر " الشاعر " قوقعة الذات وأبراجها الرومانسية ليؤمن " بأن على الفنان دينا ـ يجب عليه أن يؤديه لهذا المجتمع البائس الذى يعيش فيه "(١) ولم يكتف الشاعر بهذا الايمان وهذا

(١) محمود العبطة المحامى ، بدر السياب والحركة الشعرية الجديدة فى العراق ص٨٣

الالتزام بقضايا أمته ووطنه وانسانه فحسب بل أخذ يحارب الأدب الذاتي الفردي ويعتبره خيانة لقضايا الانسان في هذه الحياة حين قال : " انني أكره الشعر الذاتي واعتبر الشعراء الذاتيين عملاء للاستعمار ، حتى وان لم يشعروا هم بذلك . كما أن أخطر ما يجب علينا أن نحاربه ، أولئك الذين ينشرون الأفكار الانحلالية ، ويحاولون أن يخدعوا الجماهير بأنه لا فائدة من نضالها بحجة ان الحياة تافهة لا تستحق كل هذا الاهتمام " . (١)

ونحن بدورنا لا نشارك الشاعر في تعميم هذا الحكم — فهناك بعض الشعراء الرومانسيين حملو مشاعل الوطنية ورايات النضال القومي والانساني في سبيل حرية الانسان العربي أمثال — أبي القاسم الشابي في تونس وصالح جودت في مصر ، والأخطل الصغير في " لبنان " وغيرهم كثيرون أيضا — كما أننا نؤمن في الوقت نفسه بضرورة انصهار الشاعر في قضايا أمته المصيرية خاصة خلال مراحل الكفاح العادل ، والمعارك المصيرية ، وأن يكون مؤمنا صادقا بما يقول وبما يدافع عنه ، وأن لا يكتفي بالمشاهدة والتحسر السلبي فقط ونحن اذا تتبعنا مسيرة هذا المذهب الجديد في شعر " السياب " وجدناه أكثر ما يكون وضوحا وتجسيدا في ثنايا ديوانه " انشودة المطر " الذي وصل فيه الى قمة الروعة والابداع الفني والنضالي معا " . (٢)

ففي قصائده الأولى بهذا الديوان تتجلى الواقعية الانسانية بأروع صورها عند ما وقف الى جانب الانسان في كل مكان في هذا العالم ، سواء كان هذا الانسان ، طفلا أو امرأة ، أو رجلا ، مسلما كان أو غير مسلم . وذلك كما في قصائده ، فجر السلام والأسلحة والأطفال ، التي حارب فيها أعداء الحرية والحياة دفاعا عن براءة الأطفال وسعادة الأمهات وفرحة الآباء المتعبين ، الذين ينسون آلامهم برؤية الابتسامة على شفاه أطفالهم عند المساء كقوله :

---

(١) محمود البطة المحامي ، بدر السياب والحركة الشعرية الجديدة في العراق ص ٨٤
(٢) د / احسان عباس ص ٢١٣ .

وكم من أب آيب في المساء
الى الدار من سعيه الباكر
وقد زم من ناظريه العناء
وغشاهما بالدم الخائر
تلقاه في الباب طفل شرود
يكركر بالضحكة الصافية
فتنهل سمحاء ، ملء الوجود
وتزرع آفاقه الداجية
نجوما ، وتنسيه عبء القيود (١)

هذا ما تفعله ابتسامة الطفل الصغير ، وكركرته الصافية في أعماق أبيه المتعب المحطم من هموم وأعباء الأحياء ، ان ابتسامة هذا الطفل تزرع الشموس والنجوم والضياء والأمل في الأعماق — وتشحنها بطاقة جديدة من الأمل والاصرار ، والحياة .

ومن أهم قصائده الواقعية الانسانية هذه أيضا " من رؤيا فوكاى " ومرثية الآلهة وحفار القبور ، وغيرها من القصائد الملحمية الرائعة . التي كتبها السياب خلال رحلة منفاه في الكويت عندما هرب من العراق طلبا للنجاة من بطش " نوري السعيد " حينذاك وعندما عاد الى العراق بعد ان تولى المغفور له جلالة الملك " فيصل الثاني " عرش العراق سنة ١٩٥٣ " كان يحمل في حقيبته ثلاث قصائد فنية رائعة اثنتان منهما طويلتان هما " الأسلحة والأطفال " و " المومس العمياء " وواحدة متوسطة الطول هي "غريب على الخليج " كما كان معهما قصيدة رابعة طويلة هي " انشودة المطر " (٢) ونظرا لعدم قدرة الصحف والمجلات الأدبية العراقية على استيعاب هذه القصائد الطويلة فقد اضطر الشاعر الى نشرها على شكل مجموعات شعرية في " كراسات " خاصة في أ و ل

---

(١) بدر السياب ، ديوانه انشودة المطر ، بيروت سنة ١٩٦٩ ، دار مكتبة الحياة ص ٢٢٠ .

(٢) د / احسان عباس ، ص ١٨١ .

الأمر ، وبهذا البناء الفني والموضوعي الجديدين انتقل الشاعر من مرحلة الموشحات ذات المقطوعات المتعددة القوافي والرومانسية الحالمة الى مرحلة الواقعية الانسانية ذات القصائد الطوال والملاحم الشعرية والمضامين الواقعية الجديدة فمن قصيدته وملحمته " فجر السلام " التى تعتبر في الواقع نقطة هذا التحول المرحلي الجديد ، قوله :

هناك بريق السلام
كأهداب طفل ينام
وحيث التقت وهي ترنو
عيون الورى في وئام
برغم اللظى والحديد
تمت زهرة للسلام (١)

ففيها نجد الشاعر قد تحرر من مضامينه الذاتية السابقة التى كانت تدور داخل حلقة وقوقعة الذات الرومانسية • كالوصف لجمال الريف ، والشوق والحنين اليه بصورة سطحية ، والتغني بالحب والغزل الحسي وغير ذلك من أمور أخرى بعيدة عن قضايا الانسان في هذه الحياة • واندفع الشاعر بكل قواه الآن خلال هذه المرحلة الى الدفاع عن الانسان وقضاياه وآماله وآلامه • وكانت أهم قضايا هذا الانسان هي الحرية والاطمئنان والبحث عن السلام وكراهية الحروب وأنصارها وتجارها الذين يعيشون على الخراب والدمار كل ذلك بتصميم فني جديد يقوم على التقابل بين الصور الشعرية والازدواج بين مواقف الحياة المختلفة ، كمقارنته وموازنته بين حياة الأطفال في ظلال السلام وما فيها من سعادة وبراءة وبين حياتهم تحت ظلال الحروب ومطامع تجار الموت • كل ذلك بهدف تعميق الصورة وحفرها في ذهن الانسان المتلقي — ومن نماذج ذلك قوله :

---

(١) د / احسان عباس ص ١٥١ •

عصافير أم صبية تمرح ؟
عليها سنا من غد يلمح
وأقدامها العارية
محار يصلصل في ساقية (١)

فبعد أن يقسم الشاعر بأقدام الأطفال العارية ، وابتسامتهم وكركرة ضحكاتهم وكأنها زقزقة العصافير المنطلقة في ظلال السلام والحب والحياة الانسانية يعود مرة أخرى ليرسم لنا الصورة التي يتركها صوت تجار الحديد والرصاص والموت في أعماق هؤلاء الأطفال الأبرياء وما يلحق حياتهم من خراب ودمار وفناء لا لشيء الا ارضاء لشهوات تجار الموت واعداء الانسانية البشرية الذين يسقط صوتهم على فرحة الأبرياء سقوط وانقضاض الصقور على فرائسها من العصافير البريئة •

وكالظل من باشق في الفضاء
اذا اجتاح كالمدية الماضية
عصافير تشدو على الرابية

هكذا يمزق صوت تجار الموت حياة وسعادة الأطفال الأبرياء انه خنجر مسموم يحمل لهم الموت والخراب — فتعود ملاعب الأطفال ومرابعهم المشرقة الى اطلال خربة ينعق فيها البوم والغربان بعد ان اختطف الموت والرصاص حياة هذه العصافير البريئة •

رصاص ليخلو هذا الطريق
من الضحكة الثرة الصافية
وخفق الخطى • والهتاف الطروب
فمن يملأ الدار عند الغروب ؟
بدفء الضحى — واخضلال السهوب ؟

---

(١) بدر السياب ، من ديوان انشودة المطر ، مجموعته الشعرية ، دار العودة — بيروت سنة ١٩٧١ ص ٥٦٣ وما بعدها •

ورغم ما فى هذه الملحمة من اسلوب عتافى خطابى تقريرى مباشر فى بعض مقاطعها كقوله : سلام على الأطفال ، وغير ذلك من الحشو والاطناب ـ الا انها بلا شك تعتبر من أهم ملاحمه الشعرية ـ لما فيها من مضامين انسانية ـ وبناء فنى مترابطه متماسك ، ودورات متقابلة ، وصور مزدوجة ذات عمق انساني خالد .

ومن نماذج شعره الواقعى الانسانى أيضا ما نجده فى ملحمته " فجر السلام " التى صور فيها جمال الحياة وسعادة الأطفال فى ظلال السلام والحب والحنان وبين حياتهم تحت ظلال الحروب المدمرة لاشباع رغبة وشهوة القتل والتدمير فى نفوس تجارها أعداء الحياة .

ففى ظلال السلام يقول :

هناك يربن السلام
كأهداف طفل ينام

وحيث التقت وهى ترنو
عيون الورى فى وئام

برغم اللظى والحديد
نمت زهرة للسلام

أما فى ظلال الحرب الضروس فقد رسم السياب صورتها البشعة كما رسمها الشاعر العربى " زهير بن أبى أسلمى " من قبل حين قال :

وما الحرب الا ما علمتم وذقتم
وما هو عنها بالحديث المرجم

متى تبعثوها تبعثوها ذميمة
وتضر اذا ضريتموها فتضرم (١)

---

(١) ديوان زهير ابن ابى سلمى ص ١٢٠ .

لكن زهير لم يصب جام غضبه على تجار هذه الحرب كما فعل " السياب حين قال في تصوير وجهها البشع ونتائجها المدمرة قائلا :

شدق يزيد اتساعا كلما رفعت
ستر الدجى ، خفقت من كوكب غربا
آلى على الأرض أن يجتث عاليها
سفلا ويصفع من يأتي به ذهبا
ولا يريق دما الا وأضرمه
نارا وذرى رمادا منه أو لهبا
تسعى به الريح في الآفاق ناسجة
للشمس من جذوة ، أو من دم حجبا

ثم يمضي في بيان آثارها المرعبة على الطفل الرضيع الذي جن والتوى جسده الرقيق من حرارة اللهب القاتل :

جن الرضيع الذي يحبو وشب على
رجليه يعدو ويلوى جسمه العنق
من فرط ما طال واسترخى ، وقد صهرت
أعراقه الزرق نار " فيه تختنق " (١)

وهكذا لم يكتف الشاعر بتعداد مصائب الحرب فحسب بل تجاوزها الى رسم آثارها على أجساد الضحايا من الأطفال الابرياء الذين انصهرت أجسادهم وتشوهت معالمهم وأصبح وجه أرضهم المحترقة وكأنها وجه أبرص مجذوم ينز بالدم والصديد والموت .

---

(١) د / احسان عباس ص ١٥٢ وما بعدها .

وقد تأثر السياب في مضامين قصيدته هذه "بقصيدة "عيون الزا" أو "الحب والحرب" للشاعر الفرنسي "أراغون" شاعر المقاومة الفرنسية خلال الحرب العالمية (١)
وتعتبر هذه القصيدة مقدمة لقصيدته الثانية "الأسلحة والأطفال" التي جاءت مكملة وامتدادا لها، فيما بعد. ولقد استمر السياب في واقعيته الانسانية كتب قصيدته "المومس العمياء" التي أعلن فيها ايمانه المطلق بقوميته العربية في شمم وكبرياء، حين قال فيها على لسان بطلته "سليمة" ضحية المجتمع العراقي حينذاك :

كالقمح لونك يا ابنة العرب
كالفجر بين عرائش العنب
أو كالفرات على ملامحه
دعة الثرى وضراوة الذهب
لا تتركوني — فالضحى نسبي
من فاتح، ومجاهد، ونبي
عربية أنا، أمتي دمها
خير الدماء، كما يقول أبي (٢)

ومما يؤكد لنا هذا الانتماء الواقعي القومي أيضا ما عثرنا عليه من رسائله القومية التي كان قد بعثها الى صاحب مجلة الآداب اللبنانية حينذاك يقول فيها :

" اننا نؤمن بالانسانية وبالامة العربية، لا بأشخاص بذاتهم، ولا بحزب سياسي بذاته وانني أعاهدكم على السير في طريق خدمة هذه الأمة الخالدة، وطريق أدبها السائر نحو النور — وذلك لايماننا المطلق بأن النصر في النهاية لنا ولأمتنا العريقة ".(٣)

---

(١) د / احسان عباس ص ١٨٤.
(٢) بدر السياب ديوان انشودة المطر، دار مكتبة الحياة، بيروت سنة ١٩٦٩ ص ١٩٦ وما بعدها.
(٣) رسالة الى الدكتور / سهيل ادريس في ٤/ ٣/ ١٩٥٦.

وفعلا حافظ الشاعر على قسمه الذى قطعه على نفسه تجاه أمته وقوميته بكل ما يملك من قوة وايمان وصدق ، رغم ما لاقاه في ذلك من عنت ومحاربة من قبل خصوم هذه الأمة الخالدة والذين حاولوا تشويه تاريخه واتهامه بالتذبذب والنفاق والتقلب السياسي وغير ذلك من الاتهامات الباطلة التى بينا فيما سبق زيفها وكذبها وعدم صحتها على الاطلاق ولقد كان من أهم اسباب هذا الايمان فى قلب الشاعر ما حققته هذه الأمة منذ مطلع الخمسينات من انتصارات وثورات شعبية متلاحقة ضد الاستعمار وأعوانه فى جميع أنحاء الوطن العربى ، كما ازداد ايمان الشاعر بأمته وقدراتها الذاتية بعد قيام ثورة ٢٣ يوليو المجيدة فى مصر العربية هذه الثورة التى أعادت للانسان العربى ايمانه المطلق بعقيدته ووطنه وأمته بل وبنفسه أيضا . كما يرجع ذلك أيضا الى ايمان الشاعر بأن هموم وآلام وآمال هذه الأمة لا يمكن ان تنبع من الخارج وانما من اعماقها ذاتها ، فهى القادرة على تغيير مجرى حياتها — وبناء مستقبلها ، بتراثها الأصيل ، وسواعد ابنائها المخلصين .

ولقد كان من أهم نتائج هذا الايمان المطلق بالأمة وقدراتها الذاتية ان اندفع الشاعر بكل قواه الى جانب أبناء وطنه العربى فى كفاحهم ضد المستعمرين الغاصبين يساندهم بالكلمة وسلاح الشعر لما له من تأثير قوى فى النفوس ، وأكثر ما تتجلى هذه الوقفات البطولية للشاعر فى قصائده القومية المتعددة [1] مثل قصيدته " فى المغرب العربى " التى صور فيها كفاح الأجداد القدامى وانتصاراتهم الرائعة اثناء الفتح الاسلامى الخالد وبين كفاح الأحفاد بالمغرب العربى ضد الاستعمار الفرنسى ، وقصيدته " الى جميلة بوحيرد " التى يصور فيها بطولتها وكفاح شعبها العربى الجزائرى ، وقصيدة " يوم الطغاة الأخير " التى يحيى فيها كفاح الشعب العربى بتونس وقصيدته " قافلة الضياع " التى رسم فيها مأساة الشعب الفلسطينى سنة ١٩٤٨ على يد الاستعمار ، والصهيونية العالمية ، وأخيرا ملحمته الرائعة " بور سعيد " التى صور فيها كفاح وبطولة

---

(١) راجع قصائده السابقة بديوانه انشودة المطر .

الشعب العربي في مصر ضد الغزاة المعتدين خلال العدوان الثلاثي على مصر سنة ١٩٥٦ م • وسنوضح ملامح وخصائص هذه الملاحم القومية عند الحديث عن شعره القومي في الباب الثاني ان شاء الله •

ومن قصائده الشعرية الرائعة التي شملت واقعيته القومية والوطنية والانسانية أيضا ملحمة " المومس العمياء " التي تصور مأساة الجوع والخوف والقهر السياسي والفكري في العراق خلال الحكم الملكي السعيدي ، وملحمة " انشودة المطر " الرائعة التي جمع فيها الشاعر بين ذاته ووطنه وقوميته وانسانيته معا ، وسنتحدث عن خصائص ومزايا هذه الملاحم عند الحديث عن تطوره الشعري ، ومراحل اسلوبه الأدبي فيما بعد •

وبعد استعراضنا لهذه المرحلة الواقعية نستطيع ان نوجز أهم خصائصه الفنية ، والموضوعية فيما يلي :

١ - انتقال الشاعر من مرحلة القصيدة والموشحات الى مرحلة القصائد الطويلة والملاحم الشعرية الخالدة •

٢ - القدرة الفذة على التصوير والتجسيد لآمال وآلام النفس البشرية كما في ملاحمه الشعرية •

٣ - حسن اختيار الأشكال والموسيقى الشعرية المناسبة لمضامينه الشعرية وتموجاته النفسية •

٤ - ابداع التصاميم الفنية الجديدة في بنائه الشعري ، مثل التصميم ، الحواري ، والرمزي ، والتقابلي ، والموحي ، كما سنوضح ذلك في ملاحمه الشعرية ، واشكاله وقوالبه •

٥ - بداية اهتمام الشاعر " بالرموز والأساطير " كما في انشودة المطر ، والمومس العمياء وقد رمز في الأولى " بالمطر " عن الثورة والخصب والعطاء ، كما رمز

بالريح والرعد والبرق عن الاستعداد للثورة ، وبالعقم والجفاف عن الظلم والاستعباد .

كما استعمل الأساطير اليونانية في " المومس العمياء " مثل أوديب " وميدوزا وافروديت ، وهيلين ، وغيرها من الأساطير الأخرى مثل ، بابل ، ويأجوج ومأجوج وغير ذلك كثير — كما سنوضح عند الحديث عن الأسطورة والرمز في شعره ان شاء الله .

٦ — الاهتمام بالصور الشعرية الابداعية المتدفقة الى درجة التراكم كما في " المومس العمياء " وحفار القبور وغير ذلك .

٧ — اختفاء المضامين الرومانسية الذاتية — كالتغني بالريف وجمال مناظره ورعاته وأغنامهم ، وذكريات حبه القديم لراعية الغنم " هالة " والتأوه والتوجع من خيانة حبيباته السابقات " بدار المعلمين العالية ببغداد " وغير ذلك من التجارب المحدودة الى عالم فسيح من الواقعية يهتم بالقضايا المصيرية للانسان والوطن والقومية في هذه الحياة " كالحياة والموت والجوع والأمن والخوف والقلق والحرية والاستعباد ، وغير ذلك من نواحي الحياة الواقعية في هذا المجتمع الحديث .

وبعبارة أدق فقد انتقل الشاعر من مرحلة الاكتفاء بالمشاهدة السطحية الى مرحلة المشاركة الفعلية في صنع وبناء الانسان والوطن والقومية معا .

بعد ان نجح الشاعر في المزج بين الحلم والواقع بطريقة فنية رائعة .

* * *

٣ — المرحلة التموزيـــــة :

بدأت ملامح هذه المرحلة تطل على شعر وشاعرية " بدر السياب " في أواخر عـــام سنة ١٩٥٨ عندما بدأت الثورة العراقية التي قامت ضد الفساد الملكي سنة ١٩٥٨ فـــي العراق بالانحراف عن مسيرتها الوطنية والقومية بعد أن سرقها الدخلاء والشعوبيـــون بقيادة " عبد الكريم قاسم " من أبطالها الحقيقيين الذين ضحوا في سبيل تفجيرهـــا وانجاحها • وقد ازداد هذا الانحراف بعد اخماد " قاسم " لثورة الشعب الـــتي انتفضت ضده في الموصل سنة ١٩٥٩ بقيادة الشهيد " عبد الوهاب الشواف " • (١)

ولقد كان من نتائج هذه الأحداث الخطيرة ان اتجه الشاعر " بدر شاكر السيـاب الى الاهتمام بقضايا بلده " العراق " للدفاع عن ابناء شعبه الذين تعرضوا للابـــادة والتصفية الجسدية على يد زبانية " قاسم " ونظرا لسطوة الارهاب الجسدي والفكـــري الذي خيم على سماء العراق خلال ذاك العهد الأسود • فقد غلب طابع الحزن والدموع على الشعر العراقي بصفة عامة وشعر " بدر السياب " بصفة خاصة كما اضطر الشاعـــر " السياب " أيضا الى الاستعانة بالرموز والأساطير البابلية القديمة مثل " تموز " وعشتار " وبابل وغيرها من هذه الأساطير والرموز لتكون شعارا يحتمي به من قبضة الارهاب القاسمي وقد اعترف الشاعر بذلك فيما بعد حين سئل عن اسباب استعماله للاسطورة والرمز فقـــال لعلني أول شاعر عربي معاصر بدأ باستعمال الأساطير ليتخذ منها رموزا ، وكان الدافـــع السياسي أول مـــا دفعني الى ذلك ، فحين أردت مقاومة الحكم الملكي السعيـــدي بالشعر اتخذت من الأساطير التي ما كان زبانية نوري السعيد ليفهموهـــا ، ستـــارا لأغراضي تلك — كما أني استعملتها للغرض ذاته في عهد قاسم — ففي قصيدتي — مثلا — المسماه " سربروس في بابل " هجوت " قاسما " ونظامه أبشع هجاء دون أن يفطـــن

---

(١) مقابلة شخصية مع / محمد على اسماعيل — صديق الشاعر ، بأبي الخصيب فـــي ١٩٧١/٣/١١ •

زبانيته الى ذلك . كما هجوت ذلك النظام أبشع هجاء في قصيدتي الأخرى " مدينة السندباد " وحين أردت ان أصور فشل أهداف ثورة " تموز " الأصلية استعضت عن الاسم " تموز " البابلي باسم " أدونيس " اليوناني الذي هو صورة منه (١) ونظرا لاكثار الشاعر من استعمال اسطورة ورموز " تموز " في قصائده التي كشف فيها جرائم العهد القاسمي سميت هذه المرحلة " بالتموزية " نسبة الى الرمز " بتموز " اله الخصب البابلي القديم الذي صرع على يد الخنزير البري ، فأنبتت دماؤه الخصب وأزهار شقائق النعمان وهكذا لم تذهب دماء وتضحيات الشاعر عبثا بل أنبتت الحرية والخلاص للشعب العربي في العراق ولذلك كانت صورة " تموز " الطعين أقرب الى نفسه من الرموز الأخرى لأنها تمثل موقف الشاعر وتضحيات شعبه الذي سالت دماء ضحاياه (٢) . وقد كانت قصائده مدينة بلا مطر ، والنهر والموت ، وسربروس في بابل ـ وقارئ الدم وتمتيم ، والمبغى وشعلب الموت ، والمسيح بعد الصلب . ومدينة السندباد ، ومن رؤيا سنة ١٩٥٦ وتموز وجيكوره وجيكور والمدينة ، والعودة لجيكور ، وغيرها من أهم قصائده التموزية الكهفية القاتمة . لما ينتابها من ظلام وحزن وقتام وغموض في بعض الأحيان نظرا لتراكم رموزها مما اضطر الشاعر في بعض الاحيان الى الشرح واستعمال الحواشي المفسرة لقصائده في ذهن المتلقي العربي ، ونتيجة لذلك قد تصبح رموزه أحيانا مجرد اشارات أدبية (٣) كما اضطر أحيانا الى استعمال الاقتباس والتضمين من التراث الأدبي والشعبي .

ومن نماذج وصور رموزه البابلية وبخاصة " تموز " قوله : (٤)

نــاب الخنزيــر يشــق يــدى
ويغــوص لظــاه الى كبــدى

---

(١) صوت الجماهير ، بغداد ، في ٢٦/١٠/١٩٦٣ .
(٢) انظر / د / احسان عباس ، ص ٤١٧ .
(٣) راجع د / د / عيسى بلاطه ص ١٨٩ .
(٤) بدر السياب ، ديوان ، انشودة المطر ، دار مكتبة الحياة ، بيروت سنة ١٩٦٩ . ص ٨٨ وما بعدها .

ودمـس يتدفـق ، ينسـاب
لم يفـد شقائـق أو قمحـا
لكن ملحـا

وهكذا صور الشاعر حزنه وآلامه لفشل الثورة وضياع دماء أبناء الشعب العراقي سدى - فبدل ان تنبت هذه الثورة وهذه الدماء الحرية والسعادة للشعب العراقي فقد أنبتت الفقر والجوع والارهاب الدموى ،لقد تحولت ازهار وشقائق النعمان الى ملح أجاج يزيد فى تعميق الجراح واستمرار نزيفها .

ومن اسطورة " عشتار " حبيبة " تموز " التى رمز بها لكفاح المرأة العربية قولـه :

" عشتار " وتخفـق أثـواب
وتـرف حيالـى أعشـاب
من نعـل يخفـق كالبـرق
كالبـرق الخلـب ينسـاب
لـو يومـض فى عرقـى

وكما رمز بكل من " تموز " وعشتار " فقد رمز كذلك " ببابل " عن بغداد المهدمة التى تحولت الى مقبرة على يد " قاسم وزبانيته " الذين زرعوا الموت فى جنباتها وتركوا ابناءها فريسة للجوع والخوف والدمار ، لا هم لهم سوى جمع " المال " الحرام وارتكاب اللذات والشهـوات :

وقـد نـام فى " بابل " الراقصون
ونـام الحديـد الذى يشحذونـه

وغشى — على أعين الخازنين ، لهاث النضار الذى يحرسونه .

حصـــاد المجاعـــة فـــى وجنتيهـــا
رحـــى من لظى — مرد رنى عليهـــا (١)

وهكذا أعلن الشاعر ثورته على المدينة وجلاديها الذين سرقوا دم الشعب وعرقه ليحولوه الى أموال مكدسة فى خزائنهم — وانفاقه على شهواتهم وملذاتهم بقوة الحديـــد والنـــار .

ومن رموزه عن " تموز " أيضا ما نراه فى قصيدته " أغنية فى شهر آب " التـــى يصور فيها جوع العراق وفقر العراق لما فيه من اقطاع عشائرى بغيض يعيش عالة على دموع الثكالى ، ودماء الأطفال ، وعرق البائسين . ولا هم لهم سوى الفسق والفجور ونهـــش أعراض الآخرين كقولـــه :

" تموز " يمـــوت فـــى الأفـــق
وتغـــور دمـــاء مـــع الشفـــق
فـــى الكهف المعتم والظلمـــاء
نقالـــة اسعـــاف ســـوداء
....

" تموز " يمـــوت ومرجانـــه
كالغابـــة تربـــض بردانـــه

الليـــل ، الخنزيـــر الشـــرس
الليـــل شقـــاء

---

(١) بدر السياب ، ديوان ، انشودة المطر ، دار مكتبة الحياة ، بيروت سنة ١٩٦٩ ص ٩٥ .

" تموز " يموت بدون معاد
والبرد ينث من القمر
فتلوذ بمدفأة من أعراض البشر (١)

وهكذا كانت تعيش طبقة الاقطاع المترفة في قصورها ، يسودها التحلل والتفكك ، والانهيار - تقضي أوقات فراغها في سرقة عرق البائسين ، والبحث عن الملذات والشهوات في الوقت الذي تقضي فيه زوجة الاقطاعي فراغها في الضياع والنقمة ونهش أعراض الآخرين

ولهذا تحولت بغداد منارة الاشراق والحضارة الى اطلال قاتمة سوداء تفوح منها رائحة الموت والقبور والعظام مما جعل الشاعر يقف مستغربا متعجبا بل ومنكرا أن تكون هذه هي بغداد التي عرفها من قبل :

أهذه مدينتي ، أهذه الحفر ؟
وهذه العظام ؟
يطل من بيوتها الظلام
وتصبغ الدماء بالقتام
لكي تضيع لا يراها قاطع الأثر ؟ (٢)

انها ليست بغداد الأولى لأن الطاغية سمح لزبانيته بمطاردة وافتراس ابنائها لتنهش لحومهم وحياتهم وأعراضهم .

أهذه مدينتي ؟ جريحة القباب
فيها " يهوذا " أحمر الثياب
يسلط الكلاب
على مهود أخوتي ، الصغار والبيوت

---

(١) بدر السياب ، ديوان ، انشودة المطر ، دار مكتبة الحياة ، بيروت سنة ١٩٦٩ .
ص ١٩ وما بعدها .
(٢) نفس المصدر السابق ص ١٣٩ وما بعدها .

تأكـل من لحومهم – وفى القرى تمـوت
" عشتار " عطشى ليس فى جبينها زهـر
وفـى يديها سلـة ثمارهـا حجـر
ترجـم كل زوجة بـه ، وللنخيـل
فى شطها عويـل

وعلى الرغم من اكثار الشاعر للرموز والأساطير " التموزية " فى شعره خلال هـذه المرحلة ، الا أنها كانت فى معظم الأحيان بمثابة قمم عالية استطاع الشاعر بها ان يوضح لنا رؤياه الشعرية ، وان يجعلها جزءا لا يتجزأ من صميم القصيدة وليست مجرد حشـو أجوف بغرض التظاهر الثقافى كما يزعم بعض خصومه من النقاد . كما سنوضح عند الحديث عن الأسطورة والرمز فى شعره .

كما أن الشاعر يمتاز بالتفاؤل فى المستقبل لايمانه المطلق بأن النصر لا بد أن يكون فى النهاية للمناضلين الأوفياء وللشعب المصمم على الحياة . كما كان يؤمن بقدرة هـذا الشعب على التغيير وانتزاع النصر رغم بطش الطغاة وجرائمهم الوحشية . لأن ارادة الشعب من ارادة الله عز وجل . وقد تجلى هذا التفاؤل والايمان عندما وقف يتحدى الطغـاة الجلادين قائـلا .

ان تكـن من حديـد ونار – فأحداق شعـبى
من ضيـاء السموات ، من ذكريات وحـبى
تحمل العبء عنى . فيندى صليبى . فما أصغره
ذلـك الموت موتـى وما أكـبره .. (1)

---

(1) بدر السياب ، ديوان ، انشودة المطر ، دار مكتبة الحياة ، بيروت سنة ١٩٦٩ ص ١٣١ .

وقد تحققت نبوءة الشاعر اذ سرعان ما هبت ثورة الشعب العراقي من جديد في ١٤ رمضان سنة ١٩٦٣ لتدك حصون البطش والطغيان وان تقتلع جذورهم ـ وتعيد الابتسامة للقلوب المعذبة ، والبطون الجائعة ، والعيون الدامعة ، والآن بعد أن استعرضنا مسيرة هذه المرحلة وأسباب تسميتها " بالتموزية " فاننا نوجز خصائصها الفنية والموضوعية فيما يلي :

١ ـ العودة الى القصائد القصار بدل الملاحم الشعرية الطويلة .

٢ ـ التكثيف والتركيز لاعتماد الشاعر كليا على الرموز والأساطير التموزية .

٣ ـ غلبة الطابع المأساوي الدامي على شعره ، نظرا لجرائم ذلك العهد .

٤ ـ الاعتماد الكلي على الطريقة الشعرية الجديدة في الشعر والابتعاد عن العمودي القديم .

٥ ـ التقليل من الصور والتشبيهات ، والاعتماد على الصور الرمزية والاسطورية .

٦ ـ عدم استعمال المقدمات التمهيدية في مطالع القصيدة كما كان الأمر في المومس والحفار .

٧ ـ اقتصار مضامينه الشعرية على مأساة العراق ، وشعب العراق ، وما قاساه من آلام وجراح على يد الجلادين ، مع ايمان الشاعر المطلق بالنصر في النهاية للشعب .

٨ ـ عدم استعمال الأشكال والتصاميم الفنية الشعرية السابقة كالتصميم الحواري والرمزي والتقابلي ، والموحى الذي اتبعه الشاعر في ملاحمه الشعرية خلال المرحلة الواقعية ، وخاصة في " انشودة المطر ، وفي المغرب العربي ، والأسلحة والأطفال والمومس العمياء ، وحفار القبور ، والمخبر ، وغيرها .

ورغم هذا فقد استطاع الشاعر ان يؤطر قصائده باطار من التركيز المفيد مما حفظها

من الانسياب والتشعب والاسهاب كما فى بعض قصائده السابقة • كما تمتاز بحرارة التجربة وصدق العاطفة ، وروعة الاشعاع ، وعظمة الايجاز • كما كان التزامه خلال هذه المرحلة نابعا من نفسه بحرية تامة ، وليس مفروضا عليه من الخارج كما كان الأمر فى بعض قصائده الأولى — مثل " فجر السلام " والأسلحة والاطفال كما يقول بعض الباحثين ، وان كنا نحن لا نؤمن مطلقا بأن الشاعر كان ملزما فى حياته الفنية ، بل كان ملتزما عن حرية واختيار — وايمان برسالته تجاه الانسان أينما كان ، وأيا كان لونه أو جنسه ، هذا مع حفاظه على الجودة الفنية ما استطاع الى ذلك سبيلا •

وعلى الرغم مما فى شعر هذه المرحلة من غموض وابهام فى بعض قصائده بسبب كثرة الرموز والأساطير • الا ان هذا الغموض يؤدى بالقارئ العربى الى تغذية عقله وقلبه معا • مما يجعله يحس بروعة هذا الشعر ومضامينه الانسانية وكنوزه الوفيرة •

* * *

٤ ـ المرحلة الذاتية " المرضية " :

بدأت هذه المرحلة الدامية تبرز بوضوح في شعر " السياب " منذ مطلع سنة ١٩٦١ عند ما بدأ المرض العضال " الشلل النصفي " يغزو جسده المنهك المحطم ومنذ ذلك الوقت لم يعد الموت بطوليا في نظر الشاعر • ولم يعد يتطلع الى مآسي الانسان والوطن والقومية كما كان الأمر سابقا ، لأن المرض قفل أمام عينيه جميع نوافذ الحياة ولم يترك له سوى كوة صغيرة ينظر من خلالها الى اعماقه الذاتية المحاصرة بالمرض وبراثن الموت من كل جانب ، وهكذا تحول الشاعر الى مرحلة " الدفاع عن " مجرد بقائه " لأن الموت لم يعد رجولة ، ولا حبا ، ولا فداء ، بل أصبح عبثا ، ولكنه عبث لا يرد ولا يعالج ـ ولا يقنع من الغنيمة بالاياب " • (١)

ومما عمق هذا الاحساس في روح الشاعر ـ ان هذا الصراع القديم مع الحياة جعل منه شاعرا خائفا يرى الموت ينتظره عند كل منعطف ، فالموت كان مشكلة السياب الأساسية في الحياة بالاضافة الى اعتلال صحته والازمات القاسية التي مرت به ، وقد اعترف بنفسه بحتمية موته حين قال : " أعرف أنني سأموت ، ولكن هل من الضروري مناقشة ترتيبات الخبازة "(٢) وهكذا أصبح الشاعر خلال مرضه الذي استمر ما يزيد على ثلاث سنوات طوال عانقه فيها المرض والموت بقسوة وعنف ، يحلم بالموت ويشعر بقرب منيته ولم يكتف بذلك بل أصبح يترصد خطوات الموت ويسهر محاذيا له ليصوره شعرا وجراحا ودما • ورغم هذا الصراع فقد كان الشاعر يؤمن في البداية بأن شفاءه منه أمر محتمل بل ومؤكد الا ان هذا الأمل أخذ يتلاشى ويذبل مع الزمن ولقد كان من أهم آثار هذا الاحساس والصراع الدامي مع المرض والموت خلال هذه السنوات العجاف أن تدفقت شاعرية السياب بغزارة وعنف بصورة لم يسبق لها مثيل من قبل ، حتى استطاع خلالها ان ينسج لنا أربعة دواوين شعرية هي ، المعبد الغريق سنة ١٩٦٢ ومنزل الأقنان سنة ١٩٦٣،

---

(١) ناجي علوش ، مقدمة مجموعة السياب الشعرية ـ دار العودة بيروت سنة ١٩٧١•
(٢) مجلة العاملين في النفط ص ١٦ بغداد عدد ٣٧ سنة ١٩٦٥ •

وشناشيل ابنة الجلبي سنة ١٩٦٥ واقبال والليل سنة سنة ١٩٦٥ وقد نشر هذا الديوان بعد وفاة الشاعر بعام واحد • وترسم لنا هذه الدواوين الدامية ، صدق معاناة الشاعر • وحرارة تجاربه ومرارة صراعه مع المرض والموت خلال رحلة العذاب مما جعل شعره تجربة حية لم يسبق لشاعر من قبل ان نجح في تجسيدها كما فعل السياب كما استطاع " ان يجعل من الموت بحساسيته المرهفة تجربة ومصدرا لقصائده التي لم تنقطع "(١) ولم تكن هذه الحساسية مجرد ظاهرة موقتة — أو مفرغة من كل محتوى بل كانت حساسية مفعمة بكل ما هو مأساوي في الحياة ، لأنه كان أولا وقبل كل شئ شاعرا مرهفا وانسانا معذبا بالغ العذاب • (٢)

ومما زاد من عذابه هذا أيضا غربته عن الأهل والوطن متنقلا وحيدا بين غرف المستشفيات الصفراء المظلمة لا رفيق ولا جليس معه سوى الشعر والكلمة وقد وصفته الشاعرة " سلمى الجيوشي " عندما زارته في المستشفى الأميري بالكويت قبل ان يلفظ انفاسه الأخيرة ، بقولها " بدر على سرير المستشفى الأميري في الكويت — الغرفة رقم (١) وفي أنفه أنبوب الطعام والحياة الذي أذوته الجهود والأوجاع — وعذبه ترقب الموت •••• الأنابيب والتبور والهذيان والطعام الذي لم يمس ، لحظات الصفاء اللامعة ثم الكابوس والانهيار ، مودتك وحكاياتك ، وطلباتك الصغيرة ينبوع الشعر الذي ظل ينفجر من قلبك ، لقد عرفت لحظة الشعر في نفسك أطراف النقيضين : نشوة البطولة وانكسار المعذور البائس ، وانسحاقه في الموت " • (٣)

وقد مر الشاعر خلال مرضه وصراعه مع الموت بثلاث فترات وحالات متعددة هي :(٤)

---

(١) جبرا ، ابراهيم جبرا ، مجلة حوار ، سنة ١٩٦٥ ص١٢٨ •
(٢) سامي مهدي ، الآداب ، عدد ٤ بيروت سنة ١٩٦٥ ص ٤٧ •
(٣) سلمى الجيوشي ، الآداب أيار سنة ١٩٦٦ ص ٨ — ٩ •
(٤) انظر د / جلال الخياط ، الشعر العراقي الحديث ، مرحله وتطوره " دار صادر ، بيروت سنة ١٩٧٠ ص ١٩٣ •

١ — مرحلة الأمل بالشفاء العاجل :

ويتجسد هذا الأمل فى العودة معافى الى اهله وأسرته ووطنه وقد تحرر من قبضة المرض دون حاجة الى عصا أو عكازين يستند عليهما ليقدم باقة من الورد خلال عودته الى زوجته الصابرة ويعيد اليها الاحساس بالفرح والحياة . ومن ذلك قوله :

انى لأدرى ان يوم الشفاء
يلمح فى الغيب
سينزع الاحزان من قلبى
وينزع الداء ، فأرمى الدواء
أرمى العصا ، أعدو الى دارنا وأقطف الأزهار فى دربى
ألم منها باقة ناضره
أرفعها للزوجة الصابره
وبينها ما ظل من قلبى (١)

لكن هل تحقق هذا الأمل للشاعر ؟؟ بالعكس فقد ازدادت آلامه عما كانت عليه من قبل وأخذ المرض يزحف الى بقية اشلاء جسده المنهك ، وأخذت قبضة المرض تعتصر روحه وجسمه بقسوة وعنف مما دفع به أخيرا الى التمرد .

٢ — مرحلة التمرد والثورة :

وقد ازداد اهتمام الشاعر خلالها بتصوير آلامه وأحزانه وأشواقه لأسرته ووطنه كما ابتعد عن الالتزام المطلق تجاه الآخرين وفى ذلك يقول : " اننى أكتب هذه الأيام

---

(١) بدر السياب ، ديوان منزل الاقنان سنة ١٩٦٣ بيروت ص ١١١ — ص ١١٥ .

شعرا ذاتيا خالصا ، ولم أعد ملتزما ـ وماذا جنيت من الالتزام ؟ فهذا هو الفقر وهذا هو المرض ـ ولعلى أعيش هذه الأيام أواخر أيام حياتى اننى أنتج خير ما انتجته الآن ـ ومن يدرى ؟؟ (١) وهكذا لم يكن هذا التمرد وليد الفراغ والعدم ، بل وليد الصراع القاسى المرير مع الحياة والموت معا • وعندما بلغ الألم فى أعماقه الى الذروة صرخ فى السماء مطالبا برصاصة الرحمة لتضع حدا لعذابه وجراحه :

أليس يكفى أيها الاله
ان الفناء غاية الحياة ؟
فتصبغ الحياة بالقتام
تحيلنى ، بلا ردى ـ حطام
سفينة كسيرة ـ تطفو على المياه ؟؟
هات الردى ، أريد أن أنام
بين قبور أهلى المبعثرة
وراء ليل المقبرة
رصاصة الرحمة يا اله (٢)

ورغم هذا الصراخ الدامى الا ان العذاب والمرض يستمران فى الضغط على بقايا حطام جسد الشاعر وتبلغ ثورته وسخطه الى الذروة حين يطالب الاله بأن يأخذه اليه حتى ولو قذف به الى الجحيم •

لم تترك بابك مسدودا
ولتدع شياطين النار

---

(١) مجلة الاسبوع العربى ، بيروت ، ٤ كانون ثان ، سنة ١٩٦٥ •
(٢) بدر السياب ـ ديوان اقبال والليل ص ٤٣ وما بعدها ـ بيروت سنة ١٩٦٥ •

تقتص من الجسد الهاري
تقتص من الجرح الهاوي

ولتأت صقورك تفترس العينين - وتنهش القلبا
فهنا لا يشمت بي جاري (١)

غير أن هذا الصراخ الدموي لم يجد نفعا بل استمر العذاب يزداد يوما بعد يوم وأخيرا عندما يوقن الشاعر بحتمية الموت وعبثية الصراخ والتمرد يتحول الى عابد خاشع مستسلم لارادة الله عز وجل .

٣ - مرحلة الاستسلام والخشوع :

ولقد تحول الشاعر خلالها الى خاشع ضارع الى الله يدفعه الأمل والرجاء في عفو الله عز وجل ورحمته التي وسعت كل شيء ، وكأنه متصوف خاشع فوق جبل عرفات وأنه راض بما قسم له ، متقبل لنعمة الله عز وجل عليه وكأنه سيدنا " أيوب " عليه السلام ولهذا اتخذ من " أيوب " رمزا لذاته وصراعه مع المرض خلال السنوات الماضية . ويتجلى هذا الاحساس الديني المتدفق ، المشحون بالايمان والرضا في قوله وتوسله لله عز وجل :

لك الحمد مهما استطال البلاء
ومهما استبد الألم
لك الحمد ان الرزايا عطاء
وأن المصيبات بعض الكرم (٢)

ويستمر الشاعر في تصوفه وخشوعه أمام باب التوبة والرحمة ضارعا .

---

(١) بدر السياب - ديوان اقبال والليل ص ٦٢ .
(٢) بدر السياب - مجموعته الشعرية - دار العودة ، بيروت سنة ١٩٧١ ص ٢٤٨ " منزل الأقنان " .

منطرحاً أمام بابك الكبير
أصرخ في الظلام ، استجير
ياراعي النمال في الرمال
وسامع الحصاة في قرارة الغدير
أصيح كالرعود ـ وفي مغاور الجبال
كآهة الهجير
منطرحاً أمام بابك الكبير
أحس بانكسارة الظنون في الضمير
أثور ـ أغضب ؟؟
وهل يثور في حماك مذنب ؟؟ (١)

وهكذا يحس الشاعر بالندم على ثورته السابقة ـ ويعود طالبا المغفرة والرحمة على ما ارتكب من حماقة في المرحلة السابقة .

وفي هذه المرحلة الأخيرة من حياة الشاعر تزداد غزارة الشاعر تدفقا وعطاء لتسجل كل ما في اعماقها قبل ان تنطفيء الشعلة البالية ـ ولتبقى هذه الكلمات منارة للاجيال القادمة فيقول مخاطبا خياله وشاعريته بالاسراع في العطاء قبل الموت :

قدونك ياخيال ـ مدى وآفاق وألف سماء
وأشعل من دمي زلزال
لأكتب قبل موتي ، أو جنوني ، أو ضمور يدي من الاعياء
خوالج كل نفسي ، ذكرياتي ، كل أحلامي

---

(١) بدر السياب مجموعته الشعرية دار العودة بيروت سنة ١٩٧١ ص ١٣٥ ديوان المعبد الغريق " .

وأوهامـــــ
وأسفـــح نفسي الثكلــى علــى الـــورق
ليقرأهـــا شقـي بعـــد اعـــوام وأعـــوام (١)

ونحن اذا تأملنا شعر السياب خلال هذه المرحلة " الذاتية " المرضية من حيث المضامين نجده يدور حول تجاربه الذاتية ، ويميل الى استبطان الذات — لقد عاودته ذكريات ماضيه وفاة أمه — ودار جده — وقريته جيكور ، وصور حبه القديم وتصوير آلامه وجراحه موازنا بين الماضي والحاضر المظلم وبين المثال والواقع . الذى يعانيه ويمتص منه دماء الحياة . وقد حددها أحد النقاد المعاصرين بقوله :

" لقد أصبحت هذه المرحلة الأخيرة في حياته تسجيلا للماضي والحاضر ، بصورة عفوية تلقائية " (٢) " كما أنه ركز على حياته الداخلية . وخوفه من الموت ، فأنتج قصائد معبرة عن تجارب وجودية نادرة في الأدب العربي . ولعبت ذكريات التجارب الماضيـــة دورا رئيسيا في هذه القصائد بعد ان فقد السياب قدرته على النشاط لكنها ليســـت ذكريات رومانسطيقية وأشواقا للعودة الى الطفولة والصبا ، انها بالأحرى استعراض واع للحياة على أنها سلسلة من الاحساسات التي لا تستعاد — وقد سجل الشاعر ذكريات الألم وذكريات اللذة — لكن ذكريات السعادة لاتظهر فيها الاعابرة خاطفة زائلة " (٣) ونحـــن بدورنا لا ننكر غلبة الطابع الذاتي على شعره خلال هذه المرحلة . لكن ليس معنى هذا ان الشاعر بقي أسيرا لقبضة الذات فقط بل كان يتجاوزها أحيانا وبخاصة في مرحلـــة المرض الأولى ، حيث كان يربط بين ذاته ووطنه ارتباطا عضويا ، ولم ينس عراقة الحبيب وما يعانيه من ظلم واضطهاد خلال العهد القاسمي كما في قصيدته " الى العـــراق الثائر " التي صور فيها فرحته وسعادته لقيام الثورة العراقية ضد " قاسم " وزبانيتـــه

---

(١) ديوان " اقبال والليل " ص ٣٩ وما بعدها .
(٢) د / احسان عباس ، بدر السياب دراسة في حياته وشعره ، بيروت — دار الثقافة سنة ١٩٦٩ ص ٤٠٩ .
(٣) د / عيسى بلاطه ص ١٩١ بدر السياب ، حياته وشعره بيروت سنة ١٩٧١ —

حتى كاد ينسى أوجاعه وآلامه — ويعد ودون الاستعانة بشيء مما يدل لنا على ان الام العراق كانت من أهم أسباب مرض الشاعر وجراحاته عندما كان يعالج في لندن — اذ يقول :

هرع الطبيب الى آه لعله عرف الدواء
للداء في جسدي فجاء ؟
هرع الطبيب الي وهو يقول : " ماذا في العراق ؟
الجيش ثار — ومات " قاسم " أي بشرى بالشفاء
ولكدت من فرحي أقوم — أسير ، أعدو دون داء (١)

كما تعكس لنا قصيدته مرحى غيلان عمق حبه لوطنه وتلاحمه في ثراه وأرضه وسمائه . وما صوت ابنه اليه خلال الظلام الا عبير للعراق ، وأشجار في جيكور وقطرة من مياه بويب مما يغرس الحياة في جسده من جديد .

بابا ... بابا
أنا في قرار بويب أرقد ، في فراش من رماله
من طينه المعطور — والدم من عروقي في زلاله
......
بابا ... بابا

جيكور من شفتيك تولد ، من دمائك في دمائي
فتحيل اعمدة المدينة
أشجار توت في الربيع — ومن شوارعها الحزينة

---

(١) بدر السياب ، مجموعته الشعرية ص ٣٠٩ " منزل الاقنان " .

تتفجر الأنهار — اسمع من شوارعها الحزينة
ورق البراعم — وهو يكبر — أويمس نـدى الصباح .. الخ (١)

وهكذا العديد من القصائد الأخرى خلال هذه المرحلة التى تربط بين الشاعر وبين وطنه وابناء شعبه .

لكن أكثر ما يتجسد فى تجاربه ومضامينه خلال هذه المرحلة شيئان رئيسيان هما :

أ — اضافة المرض والموت كتجربة جديدة صادقة لم تكن فى الشعر العربى بهذه الصورة من قبـل .

ب — غلبة الحب الحسى المكشوف بكل ما فيه من احتراق ا شهوانى عنيف نتيجة الحرمان والاغتراب والانهيار الجنسى المشلول . وأكثر ما يتجلى هذا الاحساس فى بعض قصائده الاخيرة مثل .. حنين فى روما ، احتراق ، بديوانه المعبد الغريق فى انتظار رسالة — وغدا سألقاها ، كيف لم أحببك ، سلوى ، بديوانيه شناشيل واقبال . فمن قصيدته " وغدا سألقاها " قوله :

وغـدا سألقاهـا
سأشدهـا شـدا — فتهمس بى
وحماك — ثم تقـول عيناهـا
" مزق نهودى — ضـم أواهـا
ردفى ، واطـو بر عشـة اللهـب
ظهـرى ، كأن جزيـرة العـرب
تسـرى عليـه بطيـب رياهـا " (٢)

---

(١) بدر السياب ، مجموعته الشعرية من ديوان انشودة المطر ص ٣٢٤ وما بعدها .
(٢) بدر السياب — ديوان شناشيل ص ٦٤٧ .

ولا شك ان هذا الاحساس كان وليد الحرمان الذى لاقاه الشاعر منذ بداية حياتـــه بالاضافة الى الشلل الذى أفسد عليه قواه الجنسية بعد ان حطمه المرض .

أما بالنسبة الى اسلوبه الشعرى خلال هذه المرحلة ، فقد اختلف حوله النقاد ، والباحثون ، فقد ذكر أحدهم " أن شعره خلال هذه المرحلة كان يتميز بالغزارة الفائقة لكنه لم يكن بجودة شعره فى الفترة السابقة لمرضه - لأن معظم محتوياته ترتكز علـــى الاهتمامات الشخصية للشاعر ، كما أنه يمتاز بالبساطة والاخلاص مما يجعله قريبا من قلـب القارئ العربى " .(١)

كما وصفه فريق آخر " بأنه لم يخرج عن كونه " مذكرات " تدون تباعا ، اعتمد فيـــه صاحبه على تتابع الحركة والخبر السردى - وخاصة فى قصائده التى أخذ يؤرخ فيها ذكريات الماضى " (٢) غير أن هذا الحكم لا ينطبق - كما نرى - انطباقا تاما الا على القليـــل من القصائد التى سجلها خلال مرحلته المرضية - مثل شباك وفيقه ، ودار جدى ، حنيـن فى روما ، النهوة الزائفة ، صباح البط البرى ، وكلها بديوانه " المعبد الغريـــــق " أما بقية القصائد الأخرى فان اسلوبها أبعد ما يكون عن السرد العفوى ، كما ذكـــر بعض النقاد السابقين ، لما فيها من تحليل دقيق للذات الانسانية وتطلعاتها المتدفقـــة نحو الحياة . كما تمتاز بأفكارها الفلسفية واسلوبها الأدبى وصورها الرائعة ، وبخاصـــة قصيدته ، أمام باب الله ، والمعبد الغريق ، أفياء جيكور ، كقوله فيها :

جيكور ، ماذا ؟ أنمشى نحن فى الزمـــــن
أم أنه الماشـــى ؟

ونحن فيـــــه وقـــــوف
أيـــن أولـــه

---

(١) د / عيسى بلاطه ص ١٩١ .
(٢) د / احسان عباس ص ٩٠٤ .

وأين آخـــره ؟
هـــل مـــــر أطولـــه ؟
أم مـــر أقصـــره المتد في الشجـن (١)

وهكذا نجد الشاعر يحهر الى ما وراء الطبيعة — وآفاق الزمن متسائلا بصورة فكريـة وفلسفية عميقةعن مجرى الحياة وتطور الزمن — وما يتركه على البشرية والانسان من آثـار وبصمـات •

هذا بالاضافة الى قصيدته ابن " الشهيد " التى صور فيها الشاعر مأساة العـراق وابن أحد الشهداء وأسرته الثكلى قائلا •

ماذا تخلف في العراق سوى الكآبـة والجنون
أرأيت أرملـة الشهيـد ؟
الزوج مـد عليه مـت تـرب لحافا ثم نـام
متمـددا بأشـد ما تجـد العظـام (٢)

هذا بالاضافة الى العديد من القصائد ذات الأسلوب العميق الذى تجاوز مرحلـة السرد العفوى كما يقول هؤلاء الباحثون ، مثل ، نداء الموت ، ربيع الجزائر — سفـر أيوب ، منزل الأقنان ، قالوا لأيوب ، قصيدة الى العراق الثائر ، وكلها بديوانــه منزل الأقنـــان •

أما ديوانا شناشيل واقبال ، ففيهما العديد من القصائد الشعرية الرائعة الـتى تعتمد على التعبير بالصور والايحاء ، والرمز والاسطورة رغم قلتها عما كانت عليه من قبـل مثل قصيدة " شناشيل ابنة الجلبى " على الرغم من تصوير ذكريات الماضى من شناشيـل وأمطار متساقطة كالرطب تحت جذوع النخل ، ووصف البرق والرعد غير أنها لم تعتمـد

---

(١) بدر السياب ، مجموعته الشعرية ، ديوان المعهد الغريق ص ١٨٦ وما بعدها •
(٢) نفس المصدر السابق ص ١٩٧ وما بعدها •

على أسلوب السرد العفوي كما ذكر من قبل ، ولكن على الاسلوب التصويري ، المتلون والمتحرك ، والنابض بالايحاء والحياة معا ـ كقوله منها :

وطوقت المعابـر من جذوع النخل فى الأمطـار
كغرقى من سفينة ـ سندباد كقصة خضـــراء
أرجأها وخلاهـــا
الى الغد " أحمد " الناطور وهو يدبوفى الغرفة
كؤوس الشاى ـ يلمس بندقية ويسعل ثم يعبر طرفه
الشرفـة (١)

فعلى الرغم من سريان روح القصة فى ثنايا هذه القصيدة الا انه يعتمد على الايحـاء والصورة الجميلة بالاضافة الى تصوير التراث الشعبى ، والرمز ، " بالسندباد " والتضمين والاقتباس من قصة الجد حين يخترق صوته الظلام :

وصـاح " أخـى الثرثـار "
" أتمكث فى ظلام الجوسق المقتل ننتظـر ؟
متى يتوقف المطـر " .. الخ (٢)

وخلاصة القول نستطيع ان نقول بأن خصائص شاعرية هذه المرحلة الفنية منها والموضوعية تتلخص فيما يلـى :

١ ـ غزارة التدفق والعطاء بلاحدود قبل ان تجف وتهب عليها الرياح العاتية .

٢ ـ السهولة والوضوح لدرجة السرد أحيانا فى بعض القصائد وليس جميعها .

٣ ـ عدم الاعتماد على تدافع الصور وحشدها ، والتفريعات فى المناظر ، واستخـدام

---

(١) بدر السياب ، مجموعته الشعرية ، ديوان شناشيـل ص ٥٩٨ وما بعدها .
(٢) نفس القصيدة السابقة " شناشيل ابنة الحلبى " ديوان شناشيل ص ٥٩٩ .

التشبيهات بكثرة كما كان الأمر سابقا فى المراحل المتقدمة •

٤ — التقليل من الرموز والأساطير بل والابتعاد عنها فيما عدا بعض الرموز الجديدة التى تتناسب ومرحلة المرض والاغتراب مثل " أيوب " عليه السلام " واسطورة " السندباد " ويوليسيس " اللذين يرمزان للبعد والاغتراب والأمل فى العودة الى الوطن •

٥ — ولادة تجربة شعرية جديدة هى تجربة " المرض والموت " اذ لم يسبق لشاعر قط ان واجه هذا الصراع مواجهة حقيقية ولسنوات طوال ، كما عاناها السياب •

ولقد كانت هذه التجربة من أهم البواعث الرئيسية التى فجرت شاعرية السياب خلال سنواته الأخيرة •

٦ — الاهتمام بالقضايا الذاتية للشاعر غالبا وخاصة ما يتصل منها بمرضه واغترابه وأشواقه واحتراقه الجنسى للمرأة بعد ان حطم الشلل قواه •

هذه هى أهم خصائص شعره وشاعريته معا خلال هذه المرحلة ، وعلى الرغم مما فيها من تراجع عما كانت عليه من حيث البناء الفنى ، والاصالة الحقيقية ، الا ان الشاعر كان صادقا فى عطائه ، مؤمنا بذاته ، ملتهبا فى عواطفه • مما جعل شعره يصافح القلوب ويعانق الأرواح ، المتطلعة للتجارب والحياة معا •

* * *

((الفصـــل الرابـــع))

((السياب فى حركة الشعر العراقى المعاصر))

من هنا حتى صفحة ٢٠٧ استعراض لأقوال الشعراء وهى ليست فى صميم الرسالة

كان " السياب " شاعرا بكل ما فى اعماقه من عاطفة وخيال وتصوير واحساس ، وقد غذى الحركة الشعرية فى العراق بشعره الرومانسى والواقعى والانسانى والذاتى كما أسهم فى حركة الشعر العراقى المعاصر اسهاما فعالا .

وكان الشعر منذ ولادة السياب يمر بمرحلة من مراحل حياته ، هى مرحلة التقليد المتطورة التى كان يعيش فى تيارها شعراء كثيرون من أمثال ، محمد مهدى الجواهرى وابراهيم الحلى وخضر الطائى ، وعبد الرحمن البناء ، واكرم الوترى ، وغيرهم .

ولقد كان من أهم رواد هذه المرحلة الشعرية الهامة — الزهاوى ، الرصافى — الكاظمى رغم نفيه ولجوئه الى مصر ، وأحمد الصافى النجفى والشبيبى ، ومحمد البصير ومحمد صالح بحر العلوم ، والجواهرى ، وغيرهم كثيرون .

وفى خلال هذه المرحلة النضالية استطاع الشعر العراقى ان يشق طريقه فى قلب الحياة رغم ما اعترضه من صخور وعقبات متعددة ، وأن ينتقل الى جانب الانسان بعد أن كان وقفا على خدمة الملوك والسلاطين ، وأصحاب النفوذ والجاه فقط ولهذا " انتقل الشعر العراقى من خدمة الحكام الى خدمة الشعب ، ومن مديح السلاطين والاذناب الى تصوير آمال وآلام الأمة " (١) واصبح بذلك منارة تضئ للشعب طريق النضال والحياة الحرة الكريمة فى ظلال الاستقلال الحقيقى للانسان العربى المعاصر .

واستمر الشعر الواقى الحديث فى تدفقه ومضامينه الانسانية " مبتعدا عن قصور

---

(١) عبد الكريم الدجيلى ، محاضرات فى الشعر العراقى الحديث ص ١٦٤ ومابعدها .

السلاطين والحكام متجها الى دنيا الشعب ، وحل مشكلاته وقضاياه المصيرية العامة "(١)
وكما تحرر الشعر ذاته من هذا القيد الذى كان يشوه مضامينه ، فقد تحرر الشاعر نفسه أيضا من قبضة الزيف والكذب والتصنع ، والتكلف والنفاق ، مما جعله ينبض بحرارة الصدق ونبض الحياة من جديد — كما تدفقت فى شرايينه دماء جديدة وعواطف صادقة — نابعة من أعماق الشعب صانع التاريخ ، وليس أدل على تحرر الشعر والشعراء فى العراق خلال معارك النضال الوطنى والقومى فى العراق خلال ما بين الحربين العالميتين الأولى والثانية ، من قيام هؤلاء الشعراء بغرس روح الوعى السياسى فى أعماق الجماهير المنطلقة الى الحرية والاستقلال من قبضة الانتداب البريطانى ، ومن تحذير هذا الشعب من سياسة الاستعمار الدخيل ، تلك السياسة القائمة على الخداع والكذب والمماطلة — بعد أن فرض وجوده بقوة الحديد والنار ، وفى هذا المجال السياسى نجد قول الشاعر " جواد الشبيبى " فى تحذير شعبه من سياسة الاستعمار الخادعة :

غزانا الغرب فى جيش لهام
تجهزه السياسة بالخداع

وفى الشرق الجميل نبيل مكر
نفرق شمله بعد اجتماع

وحمل أهله عبئا ثقيلا
وكلفهم بغير المستطاع (٢)

وفى التحذير من سياسة الخداع الاستعمارية أيضا قول الشاعر العراقى محمد باقر الحلى :

---

(١) مجلة الفكر المعاصر ، بغداد ، وزارة الاعلام العراقية سنة ١٩٧٤ ص ١٥٢ وما بعدها .
(٢) مجلة الاعتدال العراقية ، العدد الثامن ، تشرين ثانى سنة ١٩٣٩ .

بني يعرب ، لا تأمنوا للعدا مكـــرا
خذوا حذركم — فهم قد أخذوا الحذرا

فلا يخدعنكم لينهـــم وتذكـــروا
أضاليلهم في الهند ، والكذب في مصرا

يريدون فيكم بالوعود مكيـــــدة
ويبغون ان حانت بكم فرصة غـــدرا

ولا تقبلـــوا منهـــم بقول ممـــوه
فما عاقـــل يرجـــو بأعدائه خيـــرا (١)

وكما حذر الشعراء أبناء شعبهم من الوقوع في شرك الاستعمار ووعوده المعسولـــة الكاذبة ، فقد دعوا الى التكاتف والتعاون بين أبناء هذه الأمة ، كما دعوا الى وحـــدة الصف والكلمة في وجه المستعمر الدخيل ، لما في هذه الوحدة من قوة قادرة على تحطـيم مؤامرات المستعمرين وأطماعهم — وقد كان على رأس هؤلاء الشعراء القوميين العراقييـــن الشاعر " عيسى عبد القادر " الذي قال :

بني النهريـــن نســـل الطيبينـــا
أفيقوا واسمعوا حـــقا يقينـــا

تفرقنا شعوبـــا واختلفنـــا
فأصبحنـــا جميعـــا صاغرينـــا

واسلمنـــا بأجمعنـــا لقـــوم
بغاة مـــن طغـــاة جائرينـــا

فماذا يابني قومي — فمـــاذا ؟
فماذا من تفرقنا لقينـــا ؟؟ (٢)

---

(١) شعراء الثورة العراقية ص ٨٣ ، خضر العباس .
(٢) محمد طاهر العمري ، تاريخ مقدرات العراق السياسية ج ٣ ص ٤٢٣ .

أغير الذل ، والخسران قومـــي
لقينـــا لا — وعز المسلمينـــا

ألا هبو رفاقـــي واستفيقـــوا
وكونـــوا كلكم متعاضدينـــا

وهكذا بين لنا الشاعر أسباب استعباد هذه الأمة وأسباب تخلفها وضياعها وذلك بسبب التفرق والنزاع والكراهية الذاتية بين ابنائها وزعمائها وان عودة الحياة لهذه الأمة لا يمكن ان تتحقق الا بالوحدة والتكاتف والتعاضد • ولم يكتف الشعراء العراقيون بالتحذير من اطماع المستعمر وسياسته الخداعية والحث على الوحدة والتكاتف فحسب بل تجاوزا ذلك الى محاربة الانتداب البريطاني الذي فرضه المستعمرون على أبناء هذه الأمة بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى ، تنفيذا للمعاهدات السرية الاستعمارية التي كان من أهمها " اتفاقية ز سايكس ، بيكو ز " التي عقدت بين بريطانيا وفرنسا سنة ١٩١٦ لاقتسام الوطن العربي بينهما — في الوقت الذي كان فيه العرب يبذلون دماء أبنائهم في سبيل الحرية والاستقلال من الحكم العثماني بعد ان وعدهما لمستعمرون المخادعون بهذه الحرية الوهمية (١) ولقد وجد الشعراء العراقيون في هذا الانتداب امتدادا للاحتلال الاستعماري كما كان اهانة كبرى لهذه الأمة واذلالا لوجودها وكرامتها وعقيدتها السمحاء • وأمانيهم القومية والوطنية والانسانية ولهذا اندفع هؤلاء الشعراء بكل ما في اعماقهم من حقد كراهية لمحاربة هذا المستعمر الدخيل مهما كانت التضحيات ولقد تجلى هذا الرفض المطلق للانتداب البريطاني لدى العديد من شعراء العراق أمثال الشاعر عبد الكريم العلاف الذي عبر عن لسان الشعب العربي في العراق قائلا :

ألا خبروا عنا العداة بأننـــا
أناس على ذل الوصاية لا نرضـــى

وقولوا لمهوفوا العهـــود فخلفكـــم
أسود عرين ، رابضون لكم ربضـــا (٢)

---

(١) راجع الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث د / رؤوف الواعظ بغداد سنة ١٩٧٣ ص ٩٧ وما بعدها •
(٢) ابراهيم الوائلي ، ثورة العشرين في العراق ص ٦٣ •

ومنهم الشاعر ، محمد حبيب ، الذى رفض مبدأ الوصاية الاستعمارية رفضا قاطعا قائلا انه لن تكون هناك وصاية فى التاريخ والحياة الا " لآل البيت " الكرام فقط متأثرا فى ذلك بروح الدين كقوله :

الى الغرب جئت شيئا فريا
ما علمنا غير " الوصى " وصيا
قسما بالقرآن والانجيل
لسنا نرضى وصاية لقبيل
أو تسيل الدماء مثل السيول
أبعد " الوصى " زوج البتول
نحن نرضى بالانجليز وصيا ؟؟؟(١)

وهكذا اقتبس الشاعر بقوله " جئت شيئا فريا " من القرآن الكريم كما ورد فى سورة مريم عليها السلام ـ كما أقسم بالقرآن والانجيل فى رفضه لهذه الوصاية الاستعمارية وعدم اعترافه بوجودها الا لآل البيت الكرام فقط ـ مهما كانت التضحيات .

وكما حارب الشعراء العراقيون سياسة المستعمر واطماعه وخداعه ، فقد حاربوا العملاء الخونه الذين ساعدوا الاستعمار فى تمكين قبضته على العراق الثائر ، وتتجسد ثورة هؤلاء الشعراء على العملاء الخونة فى قول الشاعر " على الخطيب " فى قصيدته التى بعنوان " على المكشوف " التى يقول فيها :

وللحلفة أعوان تؤازرهم
منا علينا وقد أضحوا لها خدما

---

(١) ديوان ، محمد حبيب العبيدى ، ص ٢١٠ وما بعدها .

لا يغضبون اذا نيلت كرامتهم
عافوا الاباء ، وعافوا العز والشمما

مستسلمون — ضعاف في مراكزهم
ما قدموا قدما ، أو أخروا قدما

دمى تحركها أيدي مخبأة
تستضحك الشعب والتاريخ والأمما

ليهلك الشعب ما دامت مناصبهم
مضمونة تغدق الألقاب والنعما (١)

وهكذا نجد الشاعر قد شرح لنا هؤلاء العملاء الذين فقدوا معاني العزة والكرامة وملامح الانسان ، بعد أن أصبحوا دمى يحركها الاستعمار كيفما شاء ، وأصفارا تعيش على هامش الحياة لا وجود لها ولا قيمة لها على الاطلاق فهم موتى بلا احساس أو شعور لا هم لهم سوى مناصبهم ورواتبهم وملذاتهم وشهواتهم الفردية مما جعلهم سخرية وأضحوكة — بل ووصمة في جبين التاريخ والزمان .

ومما يؤكد لنا هذا الاحتقار لهذه الطبقة المتطفلة العميلة — ضعيفة النفس والاحساس الانساني ، قول أحد الشعراء العراقيين فيهم :

ياحاكمين بلادا لا نميزكم
عن البهائم الا بالعناوين

للتقدم هذا الحزب يجمعكم
أم للتأخر في جمع الميادين ؟؟ (٢)

---

(١) جريدة العراق عدد ٢٢٦٦ ، في ١٤ يناير سنة ١٩٢٩ .
(٢) د / رؤوف الواعظ — الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث ص ١٧٧ .

ولم تكن الخيانة والعمالة محصورة فى فئة معينة بل كانت منتشرة فى صفوف الحكام والوزراء • وأصحاب المال والجاه وغيرهم من الاقطاعيين الذين لم يكونوا سوى قطع من الأثاث يحركها المستعمر كيفما شاء •

وكان من أشد الشعراء تهكما وسخرية بهؤلاء الحكام والوزراء الشاعر احمد الصافى النجفى الذى قال :

وزير تحكم الوزراء فيه
يكاد يعد من سقط المتاع

ففى أيديهم حل وعقد
وفى يده اجابة كل داع

اذا اجتمعوا لأمر فيه خاضوا
فغايته التصدر فى اجتماع

أثاث فى الوزارة ليس الا
ولكن ليس يصلح لا بتياع (١)

ومنهم الشاعر الساخر • معروف الرصافى " الذى وصفهم بأذيال " الحمير " حين قال :

ووزير ملحق كالذيل فى عجز الحماره
ووزير القوم لا يعمل من غير اشاره
وهو لا يملك أمرا غير كرسى الوزاره
يأخذ الراتب — اما يبلغ الشهر سراره (٢)

---

(١) احمد الصافى النجفى — ديوان " التيار " ص ١٤٦ وما بعدها •
(٢) ديوان الرصافى ص ٤٥٤ •

وبذلك لم تكن الوزارة العراقية خلال الانتداب البريطاني الا وزارة وهمية " ورقية " لا تملك من أمرها شيئا - وليست سوى صورة زائفة - ودمى يحركها المستعمر على المسرح ليخدع بها الشعب العراقي الثائر المتطلع الى حريته الحقيقية واستقلاله الكامل الحقيقي غير ان هذا كله لا ولن يخدع الشعب العراقي الذى واصل مسيرة النضال والثورة حتى النصر .

وكما كشف الشعراء العراقيون زيف الحكام وعملائهم - فقد كشفوا زيف الاستقلال الكاذب الذى تشدق به المستعمرون وأعوانهم وكان من أشد هؤلاء الشعراء سخرية واستهزاء بهذا الزعم الشاعر " محمد باقر الشبيبي " الذى قال :

قالوا استقلت فى البلاد حكومة
فضحكت أن قالوا ولم يتأكدوا

أحكومة والاستشارة ربها ؟؟
وحكومة فيها المشاور يعهد

الحكم حكمهم بغير منازع
والأمر مصدره هم والمورد

المستشار هو الذى شرب الطلا
فعلام يا هذا الوزير تعربد ؟؟؟(١)

ومنه قول الشاعر " محمود الملاح " الذى سخر بهذا الاستقلال الزائف ، لأن الحكم الحقيقى بقى فى أيدى المندوب السامى البريطانى ومستشاريه البريطانيين فقط .

---

(١) راجع : د / يوسف عز الدين ، الشعر العراقى الحديث وأثر التيارات السياسية والاجتماعية فيه ص ١٩٥ .

الاستشارة قيد بين أرجلنا
وكيف يمشي الفتى في حال تقييد

كم أمة دونها في الشرق قد نجحت
ونحن منها بحال غير محسود

المستشار الذي تجلى به عقد
لا من يجيء لمحلول بمعقود (١)

ولم تتوقف ثورة الشعراء العراقيين على كشف حقيقة الانتداب والوزراء المزيفين فقط بل شملت أيضا " النواب " المزيفين أيضا ، الذين فرضهم المستعمر على الشعب العراقي رغم ارادته ليكونوا دمى يحركها في المجلس كيفما شاء .

ومن الشعراء الذين كشفوا القناع عن وجوه هؤلاء النواب الضعاف العملاء قول الشاعر " علي الخاقاني " في العذاب المحنطين في متاحف المجلس النيابي :

ونائب يملأ الكرسي قلت له
ماذا السكوت ، تكلم أيها الصنم

الحامل الرأس ، لم تسمع له اذن
والصاقل الوجه ما في صفحتيه فم

بم استحل من العمال راتبه
وفي السكوت انقضت أيامه الحرم (٢)

وفي وصف هذه التماثيل أيضا ما قاله الشاعر " محمد اليعقوبي "

---

(١) جريدة النهضة العراقية العدد ٣٢٠ السنة الثانية ، سنة ١٩٢٩ .
(٢) علي الخاقاني - شعراء الغري ، ج ٢ ص ٤٣٤ .

أرى البرلمان ونوابــــه
سكوت به سكتة الأخرس
تماثيل ينحتها الانتداب
وتعرض فى قاعة المجلس (١)

وكما شملت ثورة الشعراء جميع مؤسسات الحكم فى العراق فقد شملت الملك فيصل نفسه ، الذى اعتبره " الرصافى " مجرد موظف لدى الاستعمار لا يملك من الأمر شيئا سوى قبض الراتب فى نهاية كل شهر ، اذ يقول فيه :

لنا ملك تأبى عصابة رأسه
لها غير سيف التيمزيين عاصبا
وليس له من أمره غير أنه
يعدد أياما ويقبض راتبا (٢)

كما وصف بلاط الملكى بالانحلال والانهيار الاخلاقى حين صرخ قائلا :

أبلاط ؟ أم بلاط ؟ أم لواط ؟
أم مليك بالمخانيث محاط ؟؟

ولم يكتف الرصافى بذلك بل شملت سخريته كل مظاهر الدولة المصطنعة حين وصفها بالزيف والكذب والوهم ، وبأنها مجرد الفاظ بلامعانى ، حين قال :

علم ودستور ومجلس امة
كل عن المعنى الصحيح محرف
الفاظ ليس لنا سوى اسمائها
أما معانيها فليست تعرف (٣)

---

(١) ديوان ، محمد اليعقوبى ج ١ ص ٨٠ .
(٢) ديوان الرصافى " المخطوط " انظر الاتجاهات الوطنية د / رؤوف الواعظ ص ٢٠٥ .

وكما حارب الشعراء العراقيون أنظمة الحكم العميلة فى العراق خلال الحكم الملكى فقد وقفوا الى جانب الشعب العراقى فى محاربة القيود والمعاهدات الاستعمارية التى حاول المستعمر فرضها على الشعب لابقاء العراق بقرة حلوبة لمطامعه الشخصية • وزرع الفقر والجوع بين ابنائه • ومن أشهر هذه المعاهدات الجائرة كل من معاهدة سنة ١٩٢٢ ، سنة ١٩٢٦ ، سنة ١٩٢٧ ، سنة ١٩٣٠ • التى اعترف فيها المستعمر باستقلال العراق الزائف • بعد انضمامه لعصبة الأمم سنة ١٩٣٢ م •

وكان من أشد الشعراء العراقيين جرأة فى هذا المجال الشاعر " معروف الرصافى " فى قصيدة له عنوانها " عند نشر المعاهدة " شرح فيها مضار وقيود هذه المعاهدة وآثارها على مصير ومستقبل الشعب العراقى ، لأنها بمثابة المعاهدة بين الذئب والحمل وفيها يقول :

نشروا المعاهدة التى فى طيها
قيد بعض بأرجل الآمال

قد أبلغونا حبة استعبادنا
لكن مموهة بالاستقلال

والعهد بين الانجليز وبيننا
كالعهد بين الشاة والرئبال

منذ رأى ذو بالذئاب مصافحا ؟
يتود د حملا من الأحمال ؟ (١)

وهكذا كانت هذه المعاهدة الأخيرة تحمل فى ظاهرها الرحمة وفى باطنها العذاب للشعب العراقى لما فيها من قيود وشروط قاسية تلزم العراق ببقائه مرتبطا بعجلة الاستعمار

---

(١) ديوان الرصافى ص ٥١٢ •

البريطانى • وارغامه على الاعتراف بحقوق ومصالح بريطانيا السياسية والاقتصاديـــة والعسكرية فى العراق ، واخضاع الجيش العراقى لمراقبة وتدريب وتسليح الضباط الانجليز بالاضافة الى تخصيص قاعدتين عسكريتين لبريطانيا فى العراق احداهما فى " الحبانيـة " قرب بغداد والثانية فى " الشعيبة " قرب البصرة بجنوب العراق ، وكان من أقســى شروط هذه المعاهدة ارغام العراق على تقديم كافة التسهيلات اللازمة للجيش البريطانــى خلال الحرب • (١) وهكذا كان الاستعمار يستبدل معاهداته بمعاهدات أخرى أشــد قسوة ونكبة من سابقتها ، كقول الزهاوى :

تلغى معاهـــدة وأخـرى تعقـــد
والشعـب يستفتى لها ويهـــدد
والشعب يطــوى للجهالة خنجـرا
فى صدره عما قريـب يغمـــد
وكان يوم الغاصبيـــن لحقهـــم
ليـل وهذا السيل بحـر مزبـد (٢)

وهكذا خاض الشعراء العراقيون غمار الحياة السياسية فى العراق دفاعا عن حريــة وطنهم وأمتهم التى ابتليت بالاستعمار البريطانى ، واعوانه العملاء الذين كانوا يعيشـون على امتصاص عرق الشعب العراقى • دون ان يتركوا له شيئا سوى الفقر والجوع والحرمان

وكما خاض هؤلاء الشعراء غمار الحياة السياسية ، فقد خاضوا غمار الحيـــــاة الاجتماعية والاقتصادية المتخلفة التى فرضها المستعمر وأعوانه من العملاء الاقطاعييـــن على الشعب بقوة الحديد والنار •

---

(١) راجع : الاتجاهات الوطنية فى الشعر العراقى الحديث ، د / رؤوف الواعـــظ ص • ١٩ وما بعدها •
(٢) الزهاوى ديوانه " الاوشال " ص ٦٤ •

ففى الوقت الذى كان فيه هؤلاء العملاء والاقطاعيون يعيشون فى قصورهم المترفة كان الشعب العراقى يئن ويتألم من قسوة الجوع والخوف والحرمان رغم ما كان يبذله ابناؤه من عرق ودم فى أراضى ومصانع هؤلاء السادة الذين نهبوا كل شىء لينفقوه على ملذاتهم وشهواتهم فى قصورهم تارة وفى مصاريف العالم الخارجى تارة أخرى •

وقد وازن الشاعر " جواد الشبيبى " بين حياة هؤلاء العملاء المترفين وبين حياة أبناء الشعب المحرومين فى قصيدته " تنهدات " حين قال :

غزوا المصايف والهوى يقتادهم
لمسارح الفتيان والفتيات

مال تكفلت الجباه بعسفهم
احضاره لخزائن الملذات

نهب من الحجرات صيح بـه
وفى غرف القيان ، يرد ن للحجرات

أما فى حياة البائسين المعذبين فقد استمر قائلا :

أنظر لحالتهم تجد أحياءهم
صورا مشين بأرجل الأموات

باتوا وسقفهم السماء وأصبحت
خيل الجباة تغير فى الأبيات

غرقى وأمواج الهموم تقاذفت
بهم لشاطىء الظلم والظلمات

هذى الضرائب لا تزال سياطها
تستوقف الزعماء للضربات (١)

---

(١) مجلة الاعتدال " بغداد " عدد ٣ السنة السادسة ، مارس سنة ١٩٤٦ •

هكذا كانت قطرات العرق والدم تنزع بسياط الجباه ورجال الضرائب لتتحول أخيرا الى كنوز وأموال فى خزائن السادة لانفاقها على شهواتهم وملذاتهم دون ان يتركوا للشعب العراقى سوى الفقر والعذاب والدموع • ومن صرخات الشعراء فى هذا المجال أيضا صرخة الشاعر الكبير " محمد الجواهري " حين وقف فى وجه هؤلاء السادة العملاء قائـــلا :

لا تفكر بأن حولك ناســـا
يتمنون ان يمصوا العظامـــا

لا تفكر وهبهم صخورا
لا تحس الاوجاع والآلامـــا

لا تفكر بأن خمرتك الصهباء
حازت بها دموع اليتامـــى (١)

وفى تصوير الجوع والفقر والعذاب فى أنحاء العراق يقول أيضا

ومروا بأنحاء العراق ضاعة
وزوروا قرى موبوءة وبقاعـا

تروا ما يثير العابرين الا أقلة
عراة ، حفاة ، صاغرين ، جياعا (٢)

ومن الشعراء الذين ضحوا فى سبيل الفلاح العراقى أيضا الشاعر " احمد الصافى النجفى " فى قصيدته " الفلاح " التى يصور فيها هموم وفقر وآلام الفلاح العراقـــى بسبب قسوة الاقطاع العشائرى البغيض اذ يقول :

بغضون وجهك للمشقة أسطـــر
وعلى جبينك للشقا ألـواح

---

(١) ديوان الجواهري ، ج ١ بغداد سنة ١٩٤٦ ص ١٦٢ •
(٢) نفس المصدر السابق ص ١٤٥ •

عرق الحياة يسيل منك لآلئا
فيزان منها للقى وشاح

أتصد جيش الطامعين ولم يكن
لك في الدفاع سوى الصياح سلاح

في الليل بيتك مثل دهرك مظلم
مافيه من شمع ولا مصباح

فيحز سقفك ان همت عين السما
ويطير كوخك أن تهب رياح

هذي عيونك لم يسدد بعضها
عجزا فكيف تسد الأرباح

يغضون وجهك للمشقة أسطر
وعلى جبينك للشقا الواح (١)

وهكذا صور لنا الشاعر البؤس والشقاء المحفور على وجه الفلاح العراقي وسواد حياته وكوخه المظلم الذي لا يقي حر الصيف ولا زمهرير الشتاء ، تتقاذفه العواصف والرياح كما صور لنا آلام الفلاح الذي يقاسي براثن المرابين الذين يلاحقونه ليل نهار لامتصاص ما تبقى في عروقه الصفراء من قطرات الدماء .

كما كان من أهم الشعراء العراقيين الذين وقفوا الى جانب الفلاح أيضا الشاعر " محمد صالح بحر العلوم " الذي أهدى ديوانه " العواصف " للفلاح العراقي رغم ما لقيه من عذاب وتشريد في سبيل مبادئه الانسانية .

وكما وقف الشعراء العراقيون الشرفاء الى جانب الفلاح فقد وقفوا للدفاع عن حقوق

---

(١) احمد الصافي النجفي ، ديوانه " الامواج " ص ٢٦ وما بعدها .

العامل العراقى الذى كان ضحية لأصحاب المعامل والمصانع الاحتكارية أيضا ، وعلى رأسهم " الرصافى " الذى أهدى قصيدته المشهورة " الى العمال " يقول فيها :

عندنا اليوم فى الحياة نظام
قد حوى كل باطل ومحال
حيث يسعى الفقير سعى أجير
لغنى مستأثر بالغلال
فترى المكثرين فى طيب عيش
أرغدته لهم يد الاقلال (١)

وفى ثورته على الأغنياء الذين ظلموا الفقير نراه يقول :

أرى كل ذى فقر لدى كل ذى غنى
أجيرا له مستخدما فى عقاره
ولم يعطه الا اليسير وانما
على كده قامت صروح يساره
ويلبس من تذليله العز ضامنا
وينظره شزرا بعين احتقاره (٢)

وهكذا ثار الشاعر على هؤلاء الاغنياء الذين يعيشون على عرق العامل دون ان يقدموا له سوى الاحتقار والازدراء — ولولا كفاح هؤلاء المعذبين لما تيسر لهذا السيد ان ينعم بهذا الثراء .

---

(١) ديوان الرصافى ص ٣٢٥ .
(٢) نفس المصدر ص ٢٠٣ .

وكما حارب الشعراء العفن السياسى والاقطاع العشائرى البغيض ، والمحتكرين لعرق العمال والفلاحين فقد حاربوا مظاهر الفقر المنتشرة فى صفوف الشعب العراقى وذلك بتصويرها أمام الناس من ذوى الاحساس الانسانى للمساهمة فى علاجها — ومن هؤلاء الشعراء الشاعر " عبد الرحمن البناء " الذى رسم صورة ناطقة بالحزن والفقر والجوع الذى سيطر على المرأة الثكلى وطفلها الرضيع حين قال :

رأيت فتاة أنهك السقم جسمها
يحيط بها كوخ هناك مهدم

تعالج طفلا يشتكى شدة الطوى
وتحنو عليه والمدامع تسجم

وتعطيه ثديا أذهب الجوع دره
فينظرها تبكى عليه فيبسم

تدله واليأس ملء جفونها
يكلم عنها وهى لا تتكلم (١)

وفى هذه الصورة الدامية لاحتراق الأم التى جف ضرعها من اللبن بسبب الجوع والفقر والحرمان — الأم الباكية على طفلها الرضيع الجائع ، وسط كوخ الفقر والحرمان نجد الغنى المترف يغنى ويرقص على أنات هؤلاء الجياع المعذبين وهو يلهو فى قصره المشيد من عظام العبيد :

والقصر بالقرب منهم ربه ثمل
تحفه الحور والولدان والخدم

---

(١) ديوان عبد الرحمن البناء ، الجزء الثانى ص ١١٥ وراجع الشعر العراقى الحديث / د / يوسف عز الدين ص ٢٧٢ .

لم تدر ما حل في جيرانها وعلـــى
أفكارها ، لم يدر عن حالهم حلم
أين التناسب بيـن الكفتين وهـــل
عن رؤية الشرق ما كالو الحقوق عمو ؟
فالظلم منتشـر والعـدل مندرس
والزيغ متبع ، والحق مهتضــم (١)

وبعد هذه المعارك في ميادين السياسية والاجتماع والاقتصاد . فقد كافح هـؤلاء الشعراء أيضا مظاهر الجهل والتخلف المطبقة على الشعب العراقي ـ فدعوا الى محاربة الجهل والخرافات ، وذلك عن طريق بناء المدارس ودور العلم والمعرفة من أجل بناء جيل قادر على مواجهة الحياة بسلاح العلم والمعرفة . وليستطيع الشعب تحقيـق أهدافه وأمانيه الوطنية والقومية والانسانية .

وفي هذا المجال نرى " الرصافي " يحث ابناء الشعب الشرفاء على بناء المدارس والمعاهد قائـلا :

ابنوا المدارس واستقصوا بها الأمـلا
حتى نطاول في بنيانهـا زحـلا
جودوا علينـا بمـا درت مكاسبكـم
وقابلوا باحتقار كل من بخـلا
ان كان للجهل في احوالنا علـل
فالعلم كالطب يشفي تلكم العلـلا

---

(١) ديوان العواطف ، محمد صالح بحر العلوم ص ١١٥ وما بعدها .

سيروا الى العلم فيها سير ملتزم
ثم اركبوا الليل فى تحصيله جملا

لا تجعلوا العلم فيهـا كل غايتكم
بل علموا النشء علما ينتج العملا (١)

كما دعا الشاعر " الزهاوى " أيضا الى الاهتداء بالعقل لأنه مصدر التفكير السليم والتطور الحضارى للشعوب كقوله :

على العقل فى كل الأمـور المعول
ولولاه لم ينحل للمرء مشكل

وما العقل فى الانسان الا ابن رأيه
تولد فيه آخر وهو أول

وللعقل أنوار بها يهتدى الفتى
وأبهج بأنوار لها العقل يوسل (٢)

ولم يتوقف الشعراء العراقيون عند الهموم الوطنية فحسب بل تجاوزوا ذلك الى الهموم القومية ، فدعوا الى وحدة الأمة العربية من محيطها الى خليجها لما فيها من قوة وعز ومجد لهذه الأمة التى حطمها المستعمر بعد تفكيك اجزائها وبعثرة أشلائها فتغنى الشعراء العراقيون بهذا الشعور القومى لا فرق لديهم بين العراق وبقية الأقطار العربية الأخرى ـ يفرحون ويتألمون ويتحرقون شوقا الى هذه الأقطار جميعا كما يحسون ويتألمون ويفرحون ويحنون الى العراق واكثر ما يتجلى هذا الشعور القومى لدى العديد من الشعراء العراقيين أمثال " الكاظمى " الذى قال فى تصويره مشاعره القومية :

---

(١) ديوان الرصافى ص ٢٩ وراجع ، محاضرات فى الشعر العراقى الحديث الدجيلى ص ٨٧ .
(٢) ديوان الزهاوى ص ٧٩ .

أحن اذا قيل العراق وأنحنى
واشهق ان قيل الشآم وأزفر

وأطرق ان قيل الحجاز على جوى
وأعجب ان قيل مصر وأبهر

جميع بلاد العرب في القدر واحد
اذا وزنوا البلدان يوما وقدروا (١)

ومن هؤلاء الشعراء أيضا الشاعر " محمد الجواهري " الذى صور عمق جراح العراق بمأساة فلسطين حين قال :

ثقوا أنا توحدنا هموم
مشاركة ويجمعنا مصاب

تشح كريمة فى كل طرف
عراقى طيوفكم العذاب

وسائلة دما فى كل قلب
عراقى ، جراحكم الرغاب

يزكينا من الماضى تراث
وفى مستقبل جذل نصاب (٢)

وفى هذا المجال القومى أيضا ما قاله الشاعر " عبد الغنى الخضرى " الذى دعا الى الوحدة العربية الشاملة ، والعمل الجاد فى سبيل بنائها ـ لما بين أبناء هذه الأمة من روابط قومية متعددة أهمها العقيدة ، والدم ، والتاريخ ، واللغة

---

(١) ديوان الكاظمى ، المجموعة الثانية ، ص ٢١٥ .
(٢) ديوان الجواهرى ص ٧٢ .

والمصير المشترك - والوطن ووحدة الآمال والآلام وغير ذلك . وذلك لقوله :

أبناء بغداد الجميلة نهضة
لسلامة الأبناء والأحفاد

فعسى نحقق للعروبة وحدة
كبرى تضم شتاتها المتمادى

أنا كيف سرت أرى الأنام أحبتى
والقوم قومى والبلاد بلادى

بردى كدجلة - والفرات محبة
والنيل كالأردن طى فؤادى

وأرى الرصافة فى العراق وكرخها
كالصالحية مرقد العباد

والغوطتين - وكرم وادى زحلة
كنخيل مصر فى ظلال الوادى

وحفيف هذا الأرز فى لبنانه
كحفيف ذاك النخل فى بغداد (١)

وهكذا نجد أحاسيس الشعراء العراقيين خلال هذه المرحلة التاريخية الممتدة ما بين الحربين العالميتين لم تكن وقفا على العراق فحسب بل كانت شاملة لأرجاء الوطن العربى كله من المحيط الى الخليج .

---

(١) راجع ، الاتجاه القومى فى الشعر المعاصر د / عمر الدقاق ، معهد الدراسات العربية - القاهرة سنة ١٩٦١ ص ٢٥٣ .

وهكذا تحولت مسيرة الشعر والشعراء فى العراق عن المديح الكاذب للسلاطين والحكام والأذناب الى أحضان الشعب العربى داخل وخارج العراق دفاعا عن وجود وكرامة الانسان فى هذا الوطن العربى الكبير .

وكما تطور الشعر العراقى فى هذه المرحلة بمضامينه وفنونه وأغراضه الشعرية فقد تطور أيضا بأشكاله وألفاظه وصوره وعواطفه وأبنيته الفنية ، فقد أعاد اليه الشعراء العراقيون حينذاك التجديد فى الشكل الخارجى وبخاصة " الشعر المرسل " الذى دعا اليه الزهاوى فى بعض الأحيان ، لكن أهم ما قاموا به بالفعل هو تحرير الشعر العراقى من قيود المحسنات اللفظية والمحسنات البديعية التى كانت تشوه وجهه وتخنق روحه خلال العهد العثمانى ـ كما حرروا القصيدة العربية من بعض الألفاظ ذات الروح البدوية والصحراوية التى كانت تحشر فى ثناياه بهدف التقليد والمحاكاة وللدلالة على التعمق فى دراسة التراث فقط .

هذا بالاضافة الى تحريره من قيود الاوزان الموسيقية القديمة ذات القوافى الموحدة وذلك باستعمال المقطوعات ذات القوافى المتعددة لدى بعض الشعراء .

وبهذه المحاولات المتعددة الرامية الى تحرير الشعر العراقى من قيود التكلف والتصنع السابقة برزت مدرسة الرصافى والزهاوى الشعرية ، وهى مدرسة تجديد وبناء ذات أسس فنية جديدة متأثرة بعوامل التجديد وأسبابه فى الشعر العراقى الحديث (١) أما من حيث البناء الفنى للقصيدة فقد حررها الشعراء العراقيون من الاستهلال ، والمطالع القديمة كالبكاء على الاطلال والديار والدمن ، ومن الغزل الكاذب المتكلف والاغراض المتعددة المبعثرة والمحشوة فى ثناياها ـ مما أعاد للقصيدة العربية وحدتها الموضوعية الكاملـــة .

---

(١) د / محمد عبد المنعم خفاجى ، معروف الرصافى شاعر العرب الكبير ، حياته وشعره ، جمهورية مصر العربية سنة ١٩٧١ ، ص ٣١٧ وزارة الثقافة والاعلام .

ولكن على الرغم من هذه المحاولات غير ان القصيدة بقيت أسيرة لقبضة البيت العمودى القديم ذى التفعيلات المحددة فى كل شطر منه • مما أدى الى عجز هذه المدرسة عن خلق " اطار " شعرى جديد يساعد على انطلاق هذه القصيدة الى أجواء أوسع وأرحب •

ونظرا لكون هذه المدرسة قد جمعت بين التطور فى المضامين والاغراض الشعرية وبين الحفاظ على الشكل التقليدى القديم فى الغالب — وذلك باعتمادها على وحدة البيت الخليلى القديم كوحدة موسيقية مستقلة اطلقنا عليها مدرسة الشعر التقليدى المتطور •

ومن أهم ما يؤخذ على هذه المدرسة ما يلى :

١ — عجزها عن خلق " الاطار الشعرى " الجديد القادر على استيعاب هذه المضامين الجديدة مما جعلها مسطحة فى الغالب ، وقيدا يحد من ابداع الشعراء المحدثين •

٢ — اتخاذها بعض العلوم الجافة كالفلسفة والمنطق والرياضيات مادة للشعر وبخاصة عند " الزهاوى " •

٣ — الاعتماد على الأساليب التقريرية الخطابية ، كأساليب الأمر ، والنهى وغيرهما •

٤ — ركاكة الالفاظ فى بعض الاحيان لدرجة الاسفاف والنثرية ، وكأنها مقالات صحفية وبخاصة لدى الزهاوى أولا والرصافى ثانيا •

٥ — ضعف الطابع الدينى والنزعة الاسلامية عما كان بالماضى ، ولعل ذلك عائد الى سقوط الخلافة العثمانية أولا ، وانشغال الشعراء بآلام وطنهم أولا وأمتهم ثانيا • بعد الغزو الاجنبى للعراق فى خلال الحرب العالمية الأولى •

ولكن على الرغم من هذا كله الا اننا لا نستطيع مطلقا ان ننكر هذا الفضل الكبير

الذى قام به هؤلاء الرواد المناضلون فى سبيل تحرير الوطن والأمة والانسان وما قدموه من خدمات جليلة فى سبيل تطور الشعر العراقى وبخاصة فى مجال المضامين والأغراض وفى تحريره من قبضة المحسنات اللفظية والمعنوية التى كانت عبئا ثقيلا على روح هـذا الشعر ، كما أننا لا ننكر أيضا ما قامت به هذه المدرسة من اعمال خالدة حين وضعت علامات على الطريق أمام الشعراء المحدثين فيما بعد للوصول بالشعر العربى الى مرحلة شعرية جديدة . هى مرحلة الرومانسية التى انتقلت للعراق خلال وبعد الحرب العالمية الثانيـة .

وهكذا فقد تبين لنا بعد هذا الاستعراض الطويل لمسيرة الشعر والشعراء فـى العراق الحديث ، أن هؤلاء الشعراء استطاعوا بلاشك ان ينهضوا بالشعر العراقـى وأن يضيفوا اليه الكثير من المضامين والأغراض الشعرية الجديدة بسبب تحولهم بمسيـرة هذا الشعر من أبواب القصور وعتبات الحكام الى أبواب الشعب وآماله وآلامه ، سـواء كانت سياسية ، أم اجتماعية واقتصادية أم ثقافية وهذا مما أدى الى نهضة الشعـر العراقى وازدهاره فيما بعد .

ثم حملت رياح الشعر العراقى آثار الشعر المهجرى وانتاج شعراء مدرسة الديوان وشعراء مدرسة " أبوللو " وقد وجد فيه الشعراء الشباب بالعراق منفسا لآلامهـم وجراحهم المكبوتة فى الاعماق حيث " كان الوضع السياسى والاجتماعى والاقتصـادى لا فى العراق وحده - بل فى جميع انحاء العالم العربى كله تقريبا ، كان قاسيـا داميا كان ثمة أنين وعويل - وجوع وقوانين عسكرية صارمة قاسية " (١) كان من أهـم نتائجه أن أصبح كل الشعر والشعراء متأرجحا بين السلب والايجاب ، هذا بالاضافـة الى شيوع روح الحزن والقلق والضياع كنتيجة حتمية وطبيعية لظروف الحرب - وما أعقبهـا من ويلات ومصاعب " . (٢)

---

(١) طراد الكبيسى ، فى الشعر العراقى الجديد ، منشورات المكتبة العصرية ، بيروت سنة ١٩٧٢ ص ٥ .

(٢) د / عبد القادر القط ، ذكريات شباب ، ص ١٦ .

وقد استطاعت الشاعرة المبدعة نازك الملائكة التى عايشت وعاصرت تلك المرحلة القاسية ان ترسم صورة بقولها : " ان الجيل الذى نشأ خلال الحرب ، وفتح عينيه على الوجود ، لم يجد ما يسره فلقد رأى الجمود والعذاب والصرامة والتزمت والضغط وكبت العواطف ، كما رأى القيود الرهيبة ، رأى نفسه المشتاقة الى الحب والرغبة والحياة ، ولكنها لم تستطع ان تحقق له ما يرغب فيه ، وما يتمناه ، فانطوى على ذاته وانسحب من عالم الواقع الذى لم ينسجم معه ، ليحيا وحده متقلبا بين اليأس والأمل يعيش فى غربة ، وينشر حوله الأشباح والظلمة ، وعلم بالعودة الى الطفولة • أو يلتمس العزاء فى الطبيعة • منشدا اياها أناشيده الملأى بالأنات والتأوه والحسرات والدموع والشكوى من قسوة الزمن واليأس من الحياة ، ومناداته الموت تخلصا من شقاء الحياة "(١)

وقد عبرت الشاعرة عن هذا الاحساس المتفجر بالحزن والضياع حين قالت :

أعبر عما تحس حياتى
وأرسم احساس روحى الغريب
فأبكى اذا صدمتنى السنين
بخنجرها الأبدى الرهيب
وأضحك مما قضاه الزمان
على الهيكل الآدمى العجيب(٢)

ونظرا لقسوة هذه الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية خلال الحرب العالمية الثانية فقد اتجه شعراء العراق وبخاصة الشباب منهم الى المرحلة الرومانسية ومن أشهر هؤلاء الشعراء الشباب بالعراق كل من : الشاعر "بدر السياب" و "نازك الملائكة" وبلند الحيدرى ، وعبد الوهاب البياتى ، وغيرهم من الشعراء الشباب

---

(١) راجع ، الشعر والشعراء فى العراق احمد أبو سعد ، ص ٢٧ •
(٢) نازك الملائكة مقدمة ديوانها "عاشقة الليل" بغداد سنة ١٩٤٧ •

حينذاك .

ولقد تجلى هذا التأثر الرومانسي لدى هؤلاء الشعراء خلال مراحلهم الشعرية الأولى في دواوينهم الشعرية مثل " أزهار وأساطير " و " للسياب " و " عاشقة الليل وشظايا ورماد " لنازك الملائكة ، وملائكة وشياطين " للبياتي " و " خفقة الطين وأغاني المدينة الميتة " لبلند الحيدري " وغير ذلك .

ولم يقتصر تأثر وأعجاب هؤلاء الشعراء الشباب برواد الرومانسية في الشرق العربي بل شمل كذلك رواد الشعر الرومانسي في الغرب كذلك ، وخاصة " شيللي " وكيتس و " شكسبير " و " وورد زورث ، وبايرون ، وبليك ، وادجار ألن بو ، وغيرهم " لاعتقاد هؤلاء الشعراء الشباب ان الاقتصار على أدب واحد ضعف وفقر فكري وثقافي وفني — ولايمانهم أيضا بأن النقل من الاداب والتزاوج بينها انما هو ضمان لبقائها واستمرار للحيوية والحياة فيها " (١) هذا بالاضافة الى وجود الأسباب الأخرى التي دفعت بهؤلاء الشعراء الشبان الى أحضان الرومانسية والتي كان من أهمها " سأم هؤلاء الشعراء الشباب من أساليب الوعظ والارشاد والخطابة التي كانت تسير عليها مدرسة الزهاوي والرصافي السابقة " (٢) ولتكون رد فعل على الكلاسيكية والتقليدية المتطورة السابقة ، من أجل تأكيد ذاتية الشاعر وأحاسيسه الفردية التي كانت محطمة في قبضة الكلاسيكية من قبل . والتي لم تكن تهتم الا بالشكل الصارم والعقل والمنطق فقط ، دون اهتمام بالعواطف والمشاعر والاحاسيس الذاتية للأديب .

وبعد ان تم لهؤلاء الشباب التحرر من قبضة التقليدية السابقة ، انطلقوا بأحاسيسهم ومشاعرهم للتحليق في سماء الخيال بأجنحة العواطف الذاتية الملتهبة

---

(١) د / ابراهيم سلامة ، تيارات بين الشرق والغرب ، ص ٢٦٥ .
(٢) طراد الكبيسي ، في الشعر العراقي الجديد ص ١٢ .

بعد أن كانوا مقيدين من قبل بسلاسل العقل والفكر والواقع المرير ، كما انتقلوا فى الوقت نفسه الى الابداع فى التصوير الشعرى المناسب لمشاعرهم الذاتية المشحونة بالألم والعذاب وبالرواسب العقلية الباطنية التى لا يستطاع التغلب عليها الا بجهاد النفس العنيف "(١) ثم استمرت الرومانسية فى التدفق والعطاء بقوة حتى " تحولت الى عاصفة زلزلت قواعد الكلاسيكية السابقة ، واقتلعتها من جذورها تقريبا أو مهدت لاقتلاعها على الأقل " (٢) ومما ساعد على هذا التدفق وقدرتها على زلزلة أركان الكلاسيكية تعلق هؤلاء الشعراء الشباب بها فى بداية الأمر بعد ان اتسعت آفاقهم وتفتحت عيونهم على عوالم رحبة من الأدب والفكر العالميين والآداب الانسانية سواء عن طريق الترجمة أم الدراسة " (٣)

غير ان أهم ما لفت نظرنا فى هذه الرومانسية بالعراق غلبة طابع الحزن والأسى عليها عكس الرومانسية فى معظم البلاد الأخرى التى تشع فيها روح الاشراق والغناء والترف فى الغالب وبخاصة لدى الشاعر " على محمود طه ، ومحمود حسن اسماعيل وصالح جودت وغيرهم .

أما فى العراق فهى مأزومة حزينة دامية تقطر أسى ولوعة ومرارة وذلك كما نشاهده لدى الشعراء الشباب فى العراق أمثال " بدر السياب ونازك الملائكة شاعرة الحزن المتدفق وبلند الحيدرى ، والبياتى وغيرهم ، ولا شك ان اسباب هذا الحزن العميق يعود أولا وأخيرا الى قسوة الظروف والحياة فى العراق اكثر من أى بلد آخر ، ومما يؤكد لنا هذا الاعتقاد ما وجدناه فى دواوين هؤلاء الشعراء خلال الفترة الأولى من حياتهم الرومانسية كقول " السياب " فى ديوانه أساطير " :

فى ليالى الخريف الطوال
آه لو تعلمين

---

(١) مصطفى السحرتى ، الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث ، مطبعة المقتطف ، مصر سنة ١٩٤٨ ص ٢١٨ .
(٢) د / محمد غنيمى هلال ، مجلة الآداب ، بيروت ، سبتمبر سنة ١٩٦١ ص ٣١ .
(٣) نفس المصدر السابق ص ٣١ ، ٣٢ .

كيف يطفى على الملال
في ضلوعي ظلام القهور السجين (١)

وقول نازك في قصيدتها " ذكريات " :

كان قلبي متعبا يسكنه حزن فظيع
رقصت فيه ـ وشدته الى الجرح دموع
صور في قصره يصبغ مرآها النجيع (٢)

وقول " بلند الحيدري " في التعبير عن احساسه بالخوف من عالمه المليء بالاشباح وجرائم السفاحين ومنظر العيون الحزينة المطفأة من قسوة العذاب الرهيب وكأنها صور لثعابين قاتلة :

ودجا الصمت ، فاستفاقت عيون ، وأطلت من الكوى الأشباح
وتراءت خلف النوافذ ، أنصاف وجوه أذ لهن السفاح
أطرتها ضفائر تتدلى كالثعابين رنحتها الرياح
وتبارت الى المسارح أيد عاريات كأنهن رماح (٣)

وكان من نتائج هذا الاحساس المشحون بالحزن والضياع والعذاب ان لجأ الشعراء الشباب الى الطبيعة هربا من قسوة الحياة ، فانصهروا بها وامتزجوا بأرواحهم معها لأنها الأم الرؤوم التي تفسح لهم صدرها الحنون ، وها هي الشاعرة " نازك " تصور " ليلها " الموحش القاتل الذي يخنق روحها المعذبة :

كان ليل ، كانت الأنجم لغزا لا يحل

---

(١) ديوان اساطير ، المجموعة الشعرية ص ٦٥ .
(٢) راجع ، الشعر والشعراء في العراق ـ احمد ابو سعد ص ٢٠٧ .
(٣) نفس المصدر ص ٢٢٨ .

كان فى روحى شىء صاغه الصمت المحل
كان فى حسى تحذير ووعى مضمحل
كان فى الليل جمود لا يطاق
كانت الظلمة أسرارا تراق
كان صمت راكدا حولى كصمت الأبدية
ماتت الأطيار ، أو نامت بأعشاش خفية (١)

وكما كان الليل موحشا مقفرا مفزعا للشاعرة " نازك " فقد كان كذلك أيضا للشاعر " أكرم الوترى " لما يعكسه على روحه من حزن وعذاب ووحشة :

فى وحشة الليل المقيم شذا من الحلم القديم
أصداء أغنية تذوب وهيمنات فى النسيم
وشعاع حب لا ينام يفيض من ثقل النجوم
ياوحشة الأشباح فى دربى المقفر لن تدومى (٢)

وكما كانت هذه الرومانسية حزينة فى الغالب كما ذكرت فقد كانت هناك بعض الرسوم والصور المشرقة أيضا رغم قلتها وندرتها ـ وبخاصة عند وصف جمال الطبيعة واشراقه الحب والأمل فى العيون والقلوب الظامئة لابتسامة الحياة :

ففى تصوير جمال الطبيعة لدى " السياب " قوله :

مقل الظباء وأعين الشعراء
صور الى المجرى الضئيل النائى
بكرت تتابع موجه وظلاله
ومساحب الأنسام فوق الماء

---

(١) راجع الشعر والشعراء فى العراق ، احمد أبو سعد ، ص ٢٠٥ .
(٢) نفس المصدر السابق ص ٢٢٨ .

ومنابت العشب الندى تناثـــرت
في الفقر أو في الشفة الخضـــراء
كسيت بسلسل مائه انصافهـــا
وتلثمت أنصافهـــا بهـــواء
ولكل عـــود صـــورة أو ظلـــة
تنساب فوق الصفحة الزرقـاء .. الخ (١)

وكما اهتم الشعراء الرومانسيون بالتعبير عن مظاهر الاحتراق الداخلى ومظاهـــر الطبيعة التى كانوا يهربون الى احضانها من قسوة الحياة فقد كانوا يلجأون أحيانا الى الذكريات الماضية هربا من هذا الهجير اللافح كقول " نازك الملائكة " :

لنفترق الآن ، وما زال في شفتينـــا نغـــم
تكبران يكشف السر فاختار ، صمت العـــدم
وما زال فـــى قطرات الندى شفة تشفـــنى
وما زال وجهك مثل الظلام له ألـــف معـــنى (٢)

ومن ذلك أيضا قول " السياب " :

وأمسيت استحضر الذكريـــات
وما كان بالأمس كل الحيـــاة
أضاعت حياتى ؟ أغاب الغرام ؟
أماتت على الأغنيـــات الشفـــاه ؟

---

(١) بدر السياب ، ديوان قيثارة الريح ، وزارة الاعلام العراقية سنة ١٩٧١ مطابع الجمهورية ص ٤٠ .
(٢) نازك الملائكة قرارة الموجة ، ص ٧٢ .

وهكذا نجد ان الشعر خلال هذه المرحلة الرومانسية الجديدة قد تغير في مضامينه الشعرية ، فبعد ان كان يخوض معركة النضال ضد الاستعمار ومعاهداته وانتدابه وعملائه وغيرهم في سبيل الاصلاح السياسي والاجتماعي والفكري ، نراه اليوم قد تحول لتصوير هموم الشاعر الذاتية وعواطفه الفردية ، من حب وشقاء وخوف وقلق ، بالاضافة الى وصف الطبيعة ومناجاتها ، والهرب الى ذكريات الماضي ، والحنين والشوق الى مرابع الحب والطفولة والصبا وغير ذلك من الاغراض والفنون الشعرية .

وكما تحررت ذات الشاعر من قبضة التقليد المتطور ، فقد تحررت القصيدة العربية أيضا من قبضة القافية الموحدة ، وأصبحت القصيدة بمثابة مقطوعات ذات قوانى متعددة كما عند السياب في ديوانيه " أزهار وأساطير " كما سنوضح فيما بعد بالاضافة الى ظهور الشعر " الحر " خلال هذه المرحلة الذى حرر الشعر من قبضة البيت العمودى واتخاذ " التفعيلة " وحدة موسيقية جديدة بدلا من وحدة البيت السابقة كما تحرر الالفاظ من قبضة الجزالة والقوة الى السهولة والوضوح ، مع الاهتمام بالصورة الشعرية نظرا لانطلاق الخيال لدى الشاعر وتحليقة فى أجواء الفضاء الشعرى .

والآن بعد استعراضنا لأسباب ظهور الرومانسية فى العراق وطابعها العام الحزين وخصائصها الفنية " الموضوعية فاننا نستطيع ايجاز هذه الخصائص والمزايا فيما يلى :

١ - الاهتمام الشديد بتصوير جمال الطبيعة والتفاعل معها والامتزاج بها .

٢ - معانقة الذكريات كالطبيعة هربا من قسوة الواقع المرير .

٣ - غلبة طابع الحزن والأسى على روح الشعر والشعراء الرومانسيين نظرا لقسوة الحياة

٤ - غلبة الروح الغنائية الصافية الممزوجة بالايحاء والفكر معا .

٥ - الانتقال من التعبير التقريرى المباشر الى التعبير الموحى المعبر بالصورة

والألفاظ الشفافة الرقيقة • بدلا من الالفاظ الجزلة القويـــة •

٦ - الانتقال من قبضة القافية الموحدة الى القوافى المتعددة - وحرية التفعيلـــة أحيانـــا •

٧ - اطلاق العنان للخيال المبدع لدى الشاعر وبالعواطف الفردية والمشاعر الذاتية •

٨ - ظهور بعض التيارات الأدبية الأخرى كالسريالية ، والرمزية ، والبرناسية وغيرهـــا

٩ - الابتعاد عن شعر المناسبات بصورة واضحة •

١٠ - الحفاظ على الجمال الفنى خلال بعض الموضوعات الفكرية والفلسفية التى تعـــرض لها شعراء الرومانسية حينذاك •

لكن الى جانب هذه المزايا والخصائص للرومانسية الا ان هناك بعض العيوب الـتى أدت الى تقهقرها وتراجعها أمام الواقعية فيما بعد ومن أهما ما يلى :

١ - سلبية الشعراء الرومانسيين غالبا ، وهربهم من مواجهة الواقع والحياة مما جعلهـم سلبيين أكثر من كونهم ايجابيين •

٢ - الاهتمام " بالذات " لانفصال الشاعر عن قضايا مجتمعه الانسانى •

٣ - ظهور بعض الضعف اللغوى لدى بعضهم •

٤ - الاهتمام بالشكل دون المضمون مما جعل من الشعر طيرا عاجزا عن التحليق فـــى سماء الخلـــود •

لكن هذه المرحلة كان لا بد منها لتكون بمثابة جسر وقنطرة عبور الى عالم الشعـــر " الحر " الذى يعتبر من أهم مظاهر التطور فى الشعر العربى الحديث • والـــذى وضع أساسه الشاعر ، بدر شاكر السياب ، مع رفاق جيله الذين واكبوا معه مسيرة هـــذا الشعر امثال كل من نازك الملائكة وعبد الوهاب البياتى وبلند الحيدرى وكاظم جـواد وغيرهم من الشعراء الشباب فى العراق الذين حملوا راية الشعر خلال وبعد الحـــرب العالميـــة الثانيـــة •

((مرحلة الشعر الحر في العراق))

تعريفـــــه :

اختلفت آراء النقاد والباحثين حول تسمية هذا الشعر الذي ولد بالعراق فـــي أعقاب الحرب الثانيـــة ٠

وكان أول من أطلق عليه هذه التسمية الشاعرة " نازك الملائكة " عندما نظمـــت أول قصيدة لها في مطلع يناير سنة ١٩٤٧ بعنوان " الكوليرا " تصور فيها آلامها وحزنها على ما أصاب الشعب العربي في مصر حينذاك حيث تعرض الشعب لوباء الكوليرا الذي حصد العديد من الضحايا ٠

وقد استطاعت هذه الشاعرة المبدعة ان تحدد ملامح هذا الشعر عندما قالت :
" انه الشعر الذي لا يتقيد بقافية واحدة ـ وبحر تام ـ بل يقيم القصيدة " على التفعيلة" بدلا من الشطر محطما استقلال " البيت العمودي " قاضيا على عزلته من أجل دمجه مـــع الأبيات الأخرى في بناء فني متماسك " (١) كما عرفت اسلوبه أيضا حين قالت " انه شعـــر ذو شطر واحد ، ليس له طول ثابت وانما يصح ان يتغير فيه عدد التفعيلات من شطر الـــى شطـــر ، ويكون هذا التغيير وفق قانون عروضي يتحكم فيه " ٠(٢)

وقد اعترف العديد من النقاد والشعراء بهذه التسمية التي أطلقتها الشاعـــرة " نازك الملائكة " حين قالوا " ان الشعر الحر ـ هو الشعر الذي لا يتقيد بقافية واحدة ولا بحر تام ، ويقيم القصيدة الجديدة على " التفعيلة " بدلا من الشطر الشعـــري

---

(١) نازك الملائكة مقدمة ديوانها " شظايا ورماد " ٠
(٢) نازك الملائكة ـ قضايا الشعر المعاصر ص ٦٠ ٠

محطما استقلا ل البيت العمودى "(١) وهو نفس التعريف الذى وضعته الشاعرة من قبل وهكذا اهتم هؤلاء النقاد بالشكل الخارجى للشعر فقط دون المضمون ، حتى قام الشاعر "بدر شاكر" بوضع العلامات المميزة لهذا الشعر الذى دعاه بالشعر "الحر" أيضا غير أنه لم يكتف بالتعريف الشكلى السابق الذى حددته الشاعرة "نازك الملائكة" من قبل ، حين قال عنه " ان الشعر الحر اكثر من اختلاف عدد التفعيلات المتشابهة بين بيت وآخر ، انه بناء فنى متماسك جديد ، واتجاه واقعى جديد ، جاء ليسحق الشعر الخطابى ـ والميوعة الرومانتيكية وأدب الأبراج العاجية ، وجمود الكلاسيكية كما جاء ليحطم الاسلوب الخطابى التقريرى الذى اعتاد الشعراء السياسيون والاجتماعيون الكتابة به " (٢) وبهذا التعريف استطاع الشاعر ان يشمل الشكل والمضمون لهذا الشعر ورسالته فى الحياة معا ، لايمانه المطلق بأن الثورة فى الشكل هى وليدة الثورة فى مضامين الحياة حين قال " لا بد لكل ثورة ناضجة من أن تبدأ بالمضمون مثل الشكل فالشكل تابع يخدم المضمون والجوهر الجديد هو الذى يبحث له عن شكل القصيدة الجديدة ، ويحطم الاطار القديم " . (٣)

وقد اعترض بعض النقاد والباحثين على تسميته "بالشعر الحر" بحجة ان هذه التسمية غير دقيقة . وانها تسمية غربية مأخوذة من كلمتين ومعناها الشعر المنثور الذى بدأه الشاعر الأمريكى "وولت وايتمان" فى ديوانه الشعرى "أوراق العشب" سنة ١٨٥٥ م . والذى لا يعتمد فيه على وزن أو قافية ، ولهذا أثر هذا الفريق ان يطلق عليه اسم "الشعر العمودى المطور" (٤)

وذهب فريق آخر الى تسميته بشعر التفعيلة تارة "والشعر الحديث" تارة أخرى قاصدا بذالك الحداثة الفنية لا الزمنية . وذلك لأنه شعر يصور مرحلة حضارية

---

(١) د / احمد مطلوب ـ النقد الأدبى الحديث فى العراق ص ٢٣٢ .
(٢) محمود العبطة المحامى . ص ٣٨ .
(٣) خضر الولى آراء فى الشعر والقصة ص ١٢ .
(٤) د / عبد الواحد لؤلؤة ، الشعر والفكر المعاصر ، وزارة الاعلام العراقية سنة ١٩٧٤ ص ١٩٢ .

جديدة برؤية شعرية جديدة .(١)

غير ان احد النقاد المحدثين آثران يسميه بالشعر " المنطلق " حين قال : لقد انتهينا بعد التفكير الى اقتراح تسميته بالشعر " المنطلق " ونعنى بهذا أنه وان لم يكن لا يزال شعرا يقوم على الوزن ـ ويلتزم أساسا ايقاعيا ذا اطراد ـ فهو لا يتقيد بعدد محدد من التفاعيل لكل بيت ، ولا يلتزم بجميع أحكام العروض التقليدية بل يسمح لنفسه بتنويع الايقاع مجاراة لما يتطلبه المضمون الفكري والعاطفى ، الا أنه من ناحية أخرى لا يصل هذا الانطلاق الى مرحلة التخلص التام من كل ضابط وزنى " (٢) هذه هى أهم آراء النقاد والباحثين والشعراء حول تعريف هذا الشعر وهويته وشخصيته وعلى الرغم من تعدد هذه التسميات الا أننا نؤيد تسميته بالشعر " الحر " لأنها أقرب للواقع شريطة فهمنا لمعنى " الحرية " أولا والنظر بعين الموضوعية العلمية ثانيا . فالمقصود بكلمة الحرية هنا ليست بمعنى الفوضى والركاكة والابتذال والخروج على قيود الفن كما يتبادر الى بعض الأذهان ولكنها تعنى القدرة الكاملة على تحمل المسئولية نحو الذات والمجتمع والانسان بأصالة وصدق وثورية حقيقية شكلا ومضمونا . فمن حيث الشكل يحاول أن يحطم قبضة الكلاسيكية الصارمة التى تخنق ذاته وعواطفه وهويته الشخصية وأن يخلق اطارا جديدا قادرا على استيعاب واحتواء مشاعره الثورية النضالية المتدفقة هبوطا وارتفاعا دون زيادة أو نقصان بين الشكل والمضمون وأن يكون حرا فى اختيار البحور المناسبة لهذا التدفق وهذا العطاء العاطفى وكأنه سيمفونية مترابطة متلاحمة تصور ما فى أعماق الانسان ومواقفه تجاه قضايا نفسه وامته وانسانيته . فاذا توافرت هذه الشروط السابقة فى الشعر كان شعرا " حرا " حقيقيا لا زائفا دخيلا .

أما تسميته بالشعر العمودي المطور فان هذا المفهوم بلا شك يؤدى الى التباسه

---

(١) د / غالى شكرى ، شعرنا الحديث الى اين ص ٧٢ .

(٢) د / محمد النويهى ، قضية الشعر الجديد ، المطبعة العالمية ، القاهرة ، سنة ١٩٦٤ ص ٢٧٠ .

مع الشعر التقليدي المتطور الذي كان سائدا خلال مدرسة الزهاوي والرصافي التي تحدثنا عنها سابقـــا •

كما ان مفهوم " الحرية " هنا ليس مقتبسا من الشعر الغربي كما ذكر بعض النقاد السابقين لأن هناك فرقا شاسعا بين الشعر المنثور الذي بدأه الأديب الأمريكي " وولت وايتمان " وبين الشعر " الحر " الذي ولد في العراق عقب الحرب العالمية الثانية فالأول لا يعتمد على وزن أو قافية • أو بحر وعروض ، عكس الشعر " الحر " فهـــو يعتمد اعتمادا كليا على الوزن والايقاع وبحور الشعر العربي ، بالاضافة الى مفهومـــه الثوري النضالي من أجل تحرير شخصية الأديب وهويته الذاتية الى جانب ثوريته الانسانية كما ان تسميته بالشعر الحديث تسمية موقتة — لأن كل جديد أو حديث سيصبح مـــع الزمن قديما — هذا بالاضافة الى احتمال ظهور نوع جديد من الشعر خلال العصـــور القادمـــة •

وأما تسميته بالشعر المنطلق " فهي تسمية غير دقيقة لأنها قد تؤدي بالسامـــع والقارئ الى الالتباس بالشعر " المنثور " الذي انطلق من قيود الوزن والقافية ، ومـــن بحور الشعر العربي ، وهذا بلا شك مخالف تماما لطبيعة الشعر " الحر " الذي يقوم على بحور الخليل بعد ان أتخذ " التفعيلة " وحدة موسيقية جديدة بدلا من وحدة البيـــت العمودي على الرغم من خروجه على الطريقة التقليدية السابقة ذات التفعيلات المحـــددة في كل شطر من شطري البيت العمودي •

ومما يوضح لنا هذه الفروق بين الشعر " المنثور " والشعر " الحر " ما نـــراه في طريقة بناء كل منهما فمن نماذج الشعر المنثور الذي بدأه " أمين الريحانـــــي " في كتابه الريحانيات " قوله في احدى مقطوعاته :

ويومهـــــا القطيـــب المهـــوس
وليلهـــــا المنيـــر العجيـــب

ونجومها الأفل ـ يحدج بعينه الرقيب
وصوت فوضاها الرهيب
من هتاف ـ ولجب ونحيب
وزئير وعندلة ونعيب
وطغاة الزمان ـ تصير رمادا
واخياره يحملون الصليب (١)

فنحن اذا تأملنا هذا النوع فاننا لا يمكن ان نعتبره " شعرا " وذلك لخلوه من أهم مقومات وعناصر الشعر • وبخاصة الوزن والايقاع الموسيقى وغير ذلك •

ومما يؤكد صحة ما ذهبنا اليه أيضا قول الزهاوى " حين وصف هذا النثر بقوله :

" أما ما يسمونه بالشعر المنثور " فهو تطور فى النثر لا النظم ، وليس من الشعر المصطلح عليه عند الادباء فى شىء ، بل هو رجوع الى النثر المسجوع الذى دالت دولته منذ أمد بعيد " •

أما الشعر " الحر " الحقيقى فانه يتجسد فى شعر الرواد الأوائل أمثال : " السياب " (٢) ونازك ، والبياتى ، و بلند الحيدرى وغيرهم من عمالقة الشعر "الحر " ومن شعر " السياب " قوله فى " انشودة المطر " :

فى كل قطرة من المطر
حمراء أو صفراء من أجنة الزهر
وكل دمعة من الجياع والعراة
وكل قطرة تراق من دم العبيد

---

(١) أمين الريحانى " الريحانيات " ج ٢ ص ١٨١ •
(٢) راجع ، النقد الأدبى الحديث ، د / أحمد مطلوب معهد الدراسات العربية القاهرة ص ١٧٠ وما بعدها •

فهـي ابتسـام فى انتظار مبسم جديـد
أو حلمـة توردت على فـم الوليـد
فـى عالـم الغد الفتى واهب الحيـاة (١)

ومنه أيضا قول " نازك الملائكة " فى تصوير احتراقها وعذابها وحزنها المتدفق :

ياعـام لا تقـرب مساكننا فنحن هنا طيوف
من عالـم الأشبـاح ـ ينكرنـا البشـر
ويفـر منا الليل ـ والماضى ويجهلنا القدر
ونعيـش أشباحـا تطـوف
نحـن الذيـن نسير لا ذكرى لنـا
لا حلم ، لا اشواق تشـرق ، لا مـنى
آفـاق أعيننـا رمـاد
تلك البحيرات الرواكد فى الوجوه الصامتـة
ولنـا الجبـاه الساكتـة
لا نبـض فيهـا ، لا اتقـاد
نحن العراة من الشعور ذوو الشفاه الباهتـه (٢)

ومنه أيضا قول " البياتى " فى تصوير فقره وضياعه ومرارة منفاه واغترابه عن وطنه :

من القـاع أنـاديـك
لسانـى جـف ، واحترقـت
فراشاتـى علـى نيـك
أهذا الثلـج مـن بـرد لياليـك ؟

---

(١) بدر السياب ـ ديوان انشودة المطر ـ بالمجموعة الشعرية ، بيروت دار العودة سنة ١٩٧١ ص ٤٨١ .

(٢) راجع : فى الشعر العراقى الجديد ، طراد الكبيسى ، ص ١٠٣ .

ومنه أيضا قول البياتي في تصوير فقره وضياعه ومرارة منفاه واغترابه عن وطنه :

من القـــاع أناديــك

لسانـــي جـف واحترقـــت

فراشاتـــي علـــى فيـك

اهذا الثلج من برد لياليـك

أهذا الفقر مـن جـود أياديـك ؟

على بوابـة الليـل

يسابـق ظلـــه ظلـــي

ويقبـع ساغبـا عريـان فـي الحقل

ويتهـــنى الـــى النهـــر

أهذا الحجر الصامت مـن قبـري

أهذا الزمن المصلوب في الساحات من عمري ؟

أهـــذا أنـــت يافقـــري ؟

بـــلا وجــه _ بـلا وطـن

أهذا أنـت يازمـــني ؟ .. الخ (١)

وهكذا نجد الشاعر " الحر " الحقيقي ينبض بالاحتراق والتمرد والثورة ضد الظلم والفقر والاغتراب من أجل كرامته وكرامة الانسان أينما كان _ كل ذلك بايقاع موسيقي متموج بتموجاته النفسية ومشاعره المتدفقة .

وعلى الرغم من خروج الشاعر " الحر " على نظام الشطر العمودي التقليدي الا أنه " بقي محافظا كما رأينا على البنية الأساسية للموسيقى الشعرية المتجسدة في "التفعيلة" مما ساعد على ميلاد قصيدته الجديدة في ثياب الوحدة المتماسكة _ والقوافي المتعددة بعد أن نظر في العروض نظرة تأمل وعمق واستلهام حقيقي " (٢) وهذا بلا شك قد ساعده على حرية التعبير _ واطالة العبارات حينا ، وتقصيرها حينا آخر على حسب مقتضى الحالة النفسية والشعورية للشاعر دون حشو أو اطناب أو ابتسار وقطع لأطراف القصيدة .

وهكذا نجد أن التفاعيل عند الشاعر " الحر " هي نفس تفاعيل العروض العربـي الخليلي رغم عدم تساويها في العدد في جميع السطور كما كان الوضع سابقا في البيت

---

(١) عبد الوهاب البياتي ، ديوان " شعر الفقر والثورة " ص ١٥ وراجع في الشعر العراقي الجديد ص ٥٣ .

(٢) نازك الملائكة ، قضايا الشعر المعاصر ص ٣ .

العمودي ومن خلال ما تقدم فاننا نستطيع ان نقرر بأن تسمية هذا الشعر " بالحر " هي تسمية حقيقية واقعية شريطة ان نفهم معاني الحرية الحقيقية المتجسدة في الالتزام النابع من داخل الشاعر وايمانه بقضاياه المصيرية ، وانسانيته المطلقة ، كما نخلص أيضا الى القول بأن الشعر " الحر " ليس مجرد اختلاف في عدد التفعيلات فقط كما ذكرت الشاعرة " نازك " من قبل ولا مجرد اختلاف التفعيلات مع ثورية المضمون كما ذكر الشاعر " بدر السياب " في مقدمة ديوانه " أساطير " النجف سنة ١٩٥٠ بل هو بالاضافة الى ما سبق شعر البحور الحرة لا شعر التفعيلة " الواحدة فقط ، كما أنه شعر التحرر من قبضة القوافي الموحدة الصارمة ذات البناء الهندسي المزخرف وأنه الشعر الذي يؤمن بالقيم الموسيقية " السيمفونية " المتلاحمة والمكونة من رنيات نفسية متموجه ودفقات شعورية صادقة مترابطة " انه الشعر الذي تستطيع فيه موسيقاء متابعة ومواكبة الاحساس والمشاعر المتدفقة على امتداد القصيدة ـ بتلاحم وانصهار تام بين الموسيقى ونبضات الروح وتموجات النفس ، وذلك بعد ان تلونها وتنوعها بما يتجاوب والشعور الصادق كالموسيقى التصويرية الرائعة " (١)

ومن أمثلة هذا التموج والتلاحم بين عواطف الشاعر وموسيقاه ما نجده في معظم قصائد هؤلاء الرواد وبخاصة " السياب " كما في ملحمته " بورسعيد " التي صور فيها بطولة الشعب العربي في مصر ضد الغزاة المعتدين سنة ١٩٥٦.

فعندما وقف الشاعر ثائرا في وجه الطغاه لجأ الى القافية الحادة والموسيقى الصاخبة العنيفة لما فيها من توازن مع ثورته النفسية الجارفة ضد المستعمر الغاصب حين قال :

---

(١) أدونيس ، مجلة المثقف العربي ص ٤٢ .

ياحاصد النار من اشلاء قتلانا
منك الضحايا وان كانوا ضحايانا

كم من ردى فى حياة وانخذال ردى
فى ميتة ،وانتصار جاء خذلانا

ان العيون التى طفأت انجمها
عجلن بالشمس ان تختار دنيانا

وامتد كالنور فى أعماق تربتنا
غرس لنا من دم واخضل موتانا

فازلزلى يابقايا كاد أولنا
يبقى عليها من الاصنام لولانا
حييت بورت سعيد من مسيل دم
لولا اقتداء لما يغليه ماهانا (١)

وهكذا نجد الشاعر قد تحول الى شلال جارف وبركان ثائر نظرا لعاطفته الثورية المتدفقة ضد الغزاة الصاخبين مما دفعه الى الاعتماد على الألفاظ القوية الجزلة والعبارات الصخرية ، والأوزان والموسيقى الصاخبة المنيفة ، بما يتلاءم ونفسيته وعواطفه .

ولكن عندما التفت الشاعر الى جراح الضحايا ، فقد تراجعت ثورته لتتحول الى عطف واشفاق على هؤلاء الضحايا الأبرياء ــ مما دفعه الى اللجوء الى الاوزان والموسيقى الجنائزية الحزينة النابعة من القلب ــ بصوت مهموس يقطر دما وحزنا واحتراقا فيقول :

من أيما رئة ؟ من أى قيثار
تنهل أشعارى ؟
من غابة النار ؟؟

---

(١) بدر السياب ، مجموعته الشعرية ص ٤٩٢ وما بعدها .

أم من عويل الصبايا بين أحجار
منها تنز المياه السود ، واللبن المشوى كالقار؟
من أى أحداق طفل فيك تغتصب ؟
من أى خبز وماء فيك ما صلبوا ؟
من أيما شرفة ؟ من أيما دار
تنهل اشعاري
كالنار
كالنور فى رايات ثوار ۰۰۰۰ الخ (١)

وهكذا نجد الشاعر " السياب " قد نجح فى التعبير عن عواطفه وأحاسيسه بعد ان زاوج بين الصورة والعاطفة الثائرة حينا ضد المستعمر ، الحزينة المنسابة حينا آخر على ما أصاب ابناء بورسعيد على يد الجلادين المعتدين ، كما نجد تفصيلاته تقصر وتطور بما يتناسب وهذا التدفق الشعورى والتموج النفسى ۰ وهذا بلا شك ما منح هذا الشعر الحركة والحياة ولم يقتصر الشعر " الحر " على الاغراض الشعرية السابقة بل أصبح شاملا لجميع قضايا الانسان المعاصر ، بآماله وآلامه ، جراحاته وابتساماته على السواء ، مما أدى الى انتشار هذا الشعر وسيطرته على أكبر مساحة فى قلوب وعقول الشعراء الشباب فى الوطن العربى حتى يومنا هذا وليس أدل على ذلك من كثرة شعرائه ورواده فى الوطن العربى وكثرة الكنوز الشعرية التى تملأ مكتباتنا العربية ـ مما خلق لنا ثروة أدبية ستبقى متدفقة بالخير والعطاء للانسانية بأسرها ۰ كما سيبقى هذا الشعر صورة ومرآة لحياة الانسان ، تمتاز بالصدق والواقعية التصويرية ۰ وروعة التعبير والأساليب والموسيقى الشعرية المتجددة ، ما دامت الحياة ـ بعد ان قام الرائد الأول " بدر السياب " بارساء الحجر الأساسى لهذه المدرسة الخالدة ، كما سنبين عند الحديث عن اسلوبه الشعرى ان شاء الله ۰

---

(١) بدر السياب ، مجموعته الشعرية ص ٤٩٥ ص ٤٩٦ ۰

أهم الخصائص الفكرية والفنية لشعر هذه المرحلة :

١ ـ الاهتمام بالحادثة الداخلية ، وخلق التوتر النفسي حولها ، والتعبير عنها بشكل حدسي اشراقي ، حيث عمد الشاعر " الحر " الى توزيع الحادثة على أزمان مختلفة ، متعددة " لخلق العمق في الصورة ـ وتأكيد دراميتها ـ كما في الملاحم الشعرية لدى السياب ، وبلند الحيدري ، وبعض قصائد " نازك الملائكة " وغيرهم .

٢ ـ الاهتمام بالوحدة العضوية للقصيدة ، ونمو معمارية بنائها الفني بالاضافة الى غلبة الروح الواقعية في الشعر " الحر " .

٣ ـ الاهتمام بالمنولوج والتضمين ـ والاقتباس من التراث الشعبي والأدبي والحضارات الانسانية .

٤ ـ التعبير بالصورة بدلا من الالفاظ ، سواء كانت مستمدة من الرمز او الاسطورة أو الفولكلور الشعبي ، أو التاريخ كما سنوضح فيما بعد .

٥ ـ سهولة الالفاظ واللغة الايحائية المعبرة بدلا من التقرير المباشر .

٦ ـ تطور الرؤيا الشعرية من الرؤيا من الخارج الى الامتزاج العميق بالحوار النابع من الداخل .

٧ ـ الاعتماد على التفعيلة كوحدة موسيقية بدلا من وحدة البيت القديم .

هذه هي أهم خصائص الشعر الحر خلال مرحلة السياب .

***

«الباب الثاني»

اتجاهات الشعرية

الفصل الأول : الاتجاه الذاتي ويشمل :

١ ــ وصف الطبيعة في الريف .

٢ ــ الحب والغزل .

٣ ــ الشوق والحنين .

٤ ــ الرثاء .

٥ ــ الشعر الديني .

الفصل الثاني : الاتجاه الاجتماعي ويشمل :

١ ــ الفلاح والاقطاع .

٢ ــ الفقر والاستغلال الطبقي في المدن .

٣ ــ الانحدار الخلقي .

الفصل الثالث : الاتجاه السياسي .

الفصل الرابع : الاتجاه القومي .

الفصل الخامس : الاتجاه الانساني .

* * * * * *

((الفصل الأول))

:: الاتجـــاه الذاتي ::

بعد أن تتبعنا مسيرة شعر " السياب " من المنبع حتى المصب وجدنا أن هـــذا الاتجاه قد برز بصورة قوية في بداية حياته الشعرية وخاصة في ديوانيه الأوليين ازهـــار ذابلة سنة ١٩٤٧ وأساطير سنة ١٩٥٠ ثم عاد ليتوارى ويضعف خلال مرحلته الواقعيـــة التي أنكر فيها الشعر الذاتي واعتبر اصحابه عملاء للاستعمار حتى وان لم يشعروا هم بذلك حين قال رأيه في هذا الموضوع " انني أكره الشعر الذاتي — واعتبر الشعراء الذاتييـــن عملاء للاستعمار حتى وان لم يشعروا هم بذلك وأهم خطر يجب علينا ان نحاربه على الأخص أولئك الذين ينشرون الأفكار الانحلالية ويحاولون ان يخدعوا الجماهير بأن لا فائدة مـــن نضالها لأن الحياة شيء تافه لا يستحق كل هذا الاهتمام " • (١) ورغم هذا الانكار نجد الشاعر قد لجأ لهذا الاتجاه في بعض قصائده وعندما عزف أحزانه وآلامه بعد أن فـــارق وطنه مرغما منفيا مشردا على شواطئ الخليج " بالكويت " كما في قصائده ، غريب علـــى الخليـــج وأنشودة المطر ، رغم ما فيهما من ربط بين مشاعره الذاتية والوطنية والقوميـــة والانسانية معا • ويزداد هذا الاتجاه لديه مرة أخرى في مرحلته الأخيرة عندما سقـــط صريع المرض والموت في مستشفيات العالم الخارجي بحثا عن العلاج والشفاء ، وفي خـــلال هذه المرحلة عادت الذاتية لتغطي المساحة الكبرى من شعره اذ أخذ يعود للماضـــي وذكرياته تارة وتصوير واقعه المؤلم تارة أخرى •

ولهذا فان المرء ليقف حائرا بالفصل أمام " موضوعات " السياب " كيف يؤرخهـــا وينقدها ؟

---

(١) محمود العبطة ، بدر السياب والحركة الشعرية الجديدة في العراق — مطبعـــة — السلام بغداد سنة ١٩٦٥ ص ٨٣ وما بعدها •

فالواقع أنها تنطبق تمام الانطباق على مراحل حياته ، فقد عاش في مرحلة الطفولة والشباب كأحسن ما يكون الشباب ، ونجده في المرحلة الثانية ، مرحلة النضج والاكتمال يعي واجبه وما عليه ، ثم اذا بلغ المرحلة الثالثة ، مرحلة الأسقام والدنو من المصير المحتوم نراه قد عاد ذاتيا يشرح للعالم آلامه ، ويصف لكل انسان كيف يدنو الموت بل كيف يكون " (1) ،

ولكن على الرغم من ذلك كله فاننا نستطيع ان نقول بأن هذا الاتجاه كان ذاتيا محضا خلال مرحلته الشعرية الأولى عندما كان الشاعر " رومانسيا " يتغنى بجمال ريفه الحبيب ويبحث عن حبيبته الراعية على ضفاف " بويب " ويلتقي بشاعرته ليبثها كل ما في أعماقه من ظمأ وحرمان ، وقد كان الشاعر خلالها يبحث عن الحب واللذة والمتعة عوضا عما فقده من حنان الأم المتوفاة وعطف الأب الذي تزوج بامرأة أخرى وابتسامة الجدة التي حرمه منها القدر فيما بعد ، وقد اعترف هو بذلك حين قال " لقد فقدت أمي وما زلت طفلا صغيرا ، فنشأت محروما من عطف المرأة وحنانها ، وكانت حياتي وما تزال كلها بحثا عمن تسد هذا الفراغ — وكان عمري انتظارا للمرأة المنشودة كما كان حلمي في الحياة ان يكون لي بيت أجد فيه الراحة والطمأنينة وكنت أشعر بأنني لن أعيش طويلا " ، (٢)

" وهكذا أمضى الشاعر حياته وهو يفتش في صحراء قلبه عن عيون الماء واشراقة الضياء وسفائن العطور والفل واللبلاب ، وعن لؤلؤة واحدة وسط أكوام " المحار " ولكن بلا جدوى (٣) اذ لم يجد بعد هذا البحث الطويل سوى الوهم والسراب ، وقطرات العذاب تنزف من قلبه الجريح لأن كل من أحبهن لم يجد واحدة منهن تحمل عنه آلام جراحه ، وقد جاء هذا الاعتراف أخيرا في رسالته التي بعثها لزوجته طالبا منها الغفران عن ماضيه ،

---

(١) د : محمد التونجي ، بدر السياب والمذاهب الشعرية المعاصرة — دار الانوار بيروت سنة ١٩٦٩ ص ٥٦ ،

(٢) بدر السياب : مقدمة ديوانه " أساطير " النجف سنة ١٩٥٠ ،

(٣) انظر مقدمة " صفحات مطوية من حياة السياب — خالص عزمي ،

سفائن من عطور نهود هن - أغوص فى بحر من الأوهام والوجـــد
فالتقـــط المحار ، أظن فيــــه الدر ، ثم تظلـــنى وحـدى
جدائـــل نخلـة فرعــــاء

فأبحث بين أكوام " المحار " لعل لؤلؤة ستبزغ منــه كالنجمــه
واذ تدمى يداى وتنزع الأظفار عنها لا يئز هناك غيـــر المـــاء
وغير الطين من صدف المحار ، فتقطــر البسمــه
علـــى ثغرى دموعـــا من قرار القلـب تنبثــــق
لأن جميـع مـــن أحببـت قبلك لـــم يحبونـــــى (١)

ومما ساعد على بروز هذا الاتجاه الذاتى فى شعر " بدر السياب " تأثره بالرومانسية التى سيطرت على ناصية الشعر العراقى غالبا فى فترة الحرب العالمية الثانية أولا والـــى فقر التجارب والثقافة حيث كان الشاعر ما زال فى بداية الطريق اذ لم تنضج أفكاره وتطلعاته بعد .

كما كان ما زال فتى مراهقا يبحث كغيره من الشباب عن اللذة والحنان والعطف بعد أن حرم منها لسنوات طوال .

وعندما تجاوز الشاعر مرحلة الرومانسية الى مرحلة الواقعية الانسانية وفتح عينيه على نوافذ الفكر والحضارات الانسانية المختلفة وجدنا ان هذا التيار الذاتى عاد ليتوارى ويضعف فى أعماق الشاعر لاهتمامه بآلام شعبه وأمته بل وبالانسان المجرد - وعلى فرض وجوده فى ثنايا شعره الا أنه ربطه ربطا محكما بقضايا الوطن .

كما فى قصائده " غريب على الخليج " وانشودة المطر " ولكن عندما حاصره المرض بقسوة وعنف عاد هذا الاتجاه بصورة أقوى وأوضح عما كان عليه فى مرحلة " الواقعيـــــة "

---

(١) بدر السياب - ديوان " شناشيل ابنة الجلبي " دار الطليعة ، بيروت سنة ١٩٦٧ ص ٥٩

على اختلاف انواعها •

وقد ذهب بعض النقاد الى أن تجارب " السياب " الشعرية خلال هذه المرحلة كانت تدور كلها حول محورين اساسيين هما ، الرجوع للماضى بكل ذكرياته ومظاهره ووصف الواقع المرير الذى يخوضه ويعانيه مما جعل شعره " مذكرات واعتبارات " سطحية لا قيمة لها من الناحية الفنية "(١) وذلك بسبب غزارة التدفق أولا ولعدم اهتمام الشاعر ببناء قصيدته وتنقيحها كما كان يفعل فى الماضى •

كما ذهب فريق آخر الى اعتبار شعره الحزين بمثابة " تسجيل للماضى والحاضر بصورة عفوية تلقائية واضمحلت الأسطورة القديمة ـ فأخذ يتلمس الاستعانة بأسماء جديدة يوفر بها حاجاته وواقعه "(٢) •

كما اتهمه فريق آخر بالانهيار أمام أحداث الحياة وعدم القدرة على الصمود أمام الحياة رغم تعلقه وحبه الشديد لها " •(٣)

ونحن لا نسلم بكل ما ذهبوا اليه : فالشاعر رغم اهتمامه بآلامه وواقعه الحزين وعودته لذكريات الماضى هربا من قسوة الألم ومرارة الجراح الا ان هناك العديد من قصائده المتناثرة فى احشاء دواوينه الثلاثة التى صاغها خلال هذه المرحلة : وهى :المعبد الغريق " ومنزل الأقنان " وشناشيل ابنة الجلبى واقبال " وسواها من القصائد التى مزج فيها الشاعر بين آلامه الذاتية وذكرياته الخاصة وبين وطنه وعراقه وجيكوره ، ولم يكن الشاعر خلالها الا رمزا لآلام الانسان العراقى الذى يقاسى الجوع والحرمان والخوف ومن هذه القصائد على سبيل المثال لا الحصر قصيدة " من نسيم القبر " التى يناجى فيها وجه امه الميتة لعل عالمها يكون أفضل من عالم الأحياء حيث لا يوجد لديها جوع ولا خوف أو عذاب اذ يقول :

---

(١) انظر ، بدر السياب حياته وشعره د / عيسى بلاطه ص ١٩١ •
(٢) راجع بدر السياب ودراسة فى حياته وشعره د / احسان عباس ص ٤٠٩ •
(٣) انظر ، الشعر العربى الحديث وروح العصر ، د / جليل كمال الدين ـ دار العلم للملايين ـ بيروت سنة ١٩٦٤ ص ١٨١ •

أما حملت اليك الريح عبر سكينة الليـــــل
بكاء حفيدتيك من الطوى وحفيدك الجوعـــان
لقد جعنا - وفى صمت حملنا الجوع والحرمـان
ويهتك سرنا الأطفال ينتحبون مـــن ويـل
أفى الوطن الذى آواك جوع ؟ أيمـــــا احــــزان
تؤرق أعين الأمـــوات
لا ظلـــم ولا جـــور (١)

ان آلام الشاعر هنا لم تقتصر على آلامه الذاتية فحسب بل شملت آلام وجراح أطفـــال وشباب وشيوخ ونساء العراق معا • ان عالم الموت سيكون أكثر عدلا ورحمة من عالم الأحيـاء المسموم بالحقد والاضطهاد والاستعباد •

كما نجد هذه النزعة الانسانية والوطنية فى العديد من قصائده خلال هذه المرحلة مثل قصيدة الى العراق الثائر " التى بعث بها من لندن الى جيش العراق يهنئـــه فيها بالنصر على جلاد العراق "عبد الكريم قاسم " ، كما ان قصائده " الجيكوريـــة التى تصور آلامه واحتراقه الذاتى والاجتماعى لما أصاب وطنه خلال الحكم القاسمى الاســود من نكبات ولهذا كان من الصعب جدا ان توجد قصيدة واحدة " للسياب " دون ان تحمل فى ثناياها الألم الاجتماعى بالاضافة الى الألم الفردى • وخاصة منذ هجرته الأولى مـــن وطنه الى الكويت سنة ١٩٥٢ حتى وفاته كما أن من النادر جدا ان نجد فى دواوينـــه الشعرية خلال مرحلته الواقعية وما بعدها قصيدة واحدة لا تحمل أحاسيس الشاعر تجـــاه وطنه وقومه بل والانسان • وبذلك لا نستطيع ان نعتبر الشاعر ذاتيا فرديا الا فى خــلال مرحلة الرومانسية الأولى وخاصة فى ديوانية الاولين ، ازهار ذابلة وأساطير ، عندمـــا

---

(١) بدر السياب ديوان شناشيل واقبال ص ٩٦ •

كان يعيش من أجل نفسه وذاته ، قبل ان تتفتح شاعريته الانسانية ، وتتسع رؤياه الشعرية على أفق هذا العالم العريض • كما برزت أحيانا بعض ملامح هذا الاتجاه خلال الفتـــرة الاخيرة من حياته ، حينما حاصره المرض بقسوة وعنف مما جعل الشاعر يلتفت الى تصويـــر أحزانه وأمراضه وأوجاعه حينا والهرب الى ماضيه وذكرياته حينا الآخر لأنها الملجأ الوحيـــد أمامه من وهج العذاب •

أما بالنسبة لاتهام الشاعر بالضعف والاستسلام خلال هذه المرحلة فان الشاعر لـــم يستسلم بل بقى متفائلا بالشفاء ، متطلعا للعودة رغم حصار المرض القاتل " الذى لـــم يكن أمامه لمحاربته سوى سيف الكلمة " (١) •

والآن بعد ان استعراضنا مسيرة هذا الاتجاه فى شعر " الشاعر ـ السياب " فاننـــا نستطيع أن نحدد ملامحه فى التجارب والاتجاهات الآتية :

أولا ـ وصف جمال الطبيعة فى الريف البصرى •

ثانيا ـ وصف رحلة المرض والموت •

ثالثا ـ الحب والغزل •

رابعا ـ وصف الفقر ومرارة الاغتراب •

خامسا ـ الشوق والحنين •

سادسا : الشعر الدينى •

هذه هى أهم تجارب السياب الذاتية خلال هذا الاتجاه ، وسنتحدث الآن بايجـاز عن كل تجربة مستدلين على ذلك من شعر الشاعر نفسه بعد أن درسنا بيئته وعصـــره وعرفنا الظروف والملابسات التى أحاطت به •

---

(١) جبرا ابراهيم جبرا ، مجلة ـ العاملون فى النفط ، بغداد عدد ٣٧ سنة ١٩٦٥ ص ١٢ •

١ - وصف الطبيعة فى الريف

منذ أن أفاق الشاعر على هذا العالم ، وتأمله جيدا بعينيه الصغيرتين وارهافه الحسى المتفجر رأى " بصره " الخصب والانهار ، والأشرعة ، وطيور النوارس ، كما رأى شواطئ الرمال والنخيل الممتدة فى أعماق " جيكور " وأبى الخصيب ، فهو اذا ابن الطبيعة الساحرة التى احتضنت جنوب العراق مسقط رأسه ومهبط ميلاده وملعب طفولته وصباه ، " انه بلا شك عالم زاخر بكل ما فيه من ابتسامات ريفية وساطة ، وكل ما فيه من حركة د وًرب وسفائن ، وسكك حديدية ، ونفط ، كلها غمرت ذهن السياب بالألوان المختلفة ، وحرارتها الصيفية المتوهجة ، ويدفئها ، وحزنها الشتائى العميق " (١)

وكان يعشق النخيل الذى أصبحت له منزلة فى شعره لم يسبق لها مثيل عند غيره من الشعراء الآخرين " وما أظن شاعرا خلد النخيل وهام به على نحو ما ذهب اليه السياب مما جعل من الشاعر انسانا متميزا ومنفردا عن أقرانه باخلاصه للبيئة التى نشأ فيها ، تلك البيئة التى تستقر فى الريف المصرى الحافل بالماء والشجر " (٢) وهكذا ولد الشاعر " فى قرية من أجمل بقاع جنوب العراق حيث يتفصل النخيل والشط والرمال " (٣) فأحب بيئته حبا طفوليا ، وامتزج بالطبيعة ووصفها - وأكثر من الشعر الغنائى الذى يصف جمال الريف - كما أصبحت جيكور فى شعره فردوسا وانشودة خالدة .

وأكثر ما يظهر هذا الانصهار والتفاعل مع جمال النخيل وروعته فى ثنايا شعره وروائع قصائده المتعددة وخاصة " انشودة المطر " حين يهتف قائلا :

عيناك غابتا نخيل ساعة السحر

---

(١) محمد الجزائرى " ويكون التجاوز " وزارة الاعلام العراقية بغداد سنة ١٩٧٤ ص

(٢) د / ابراهيم السامرائى ، لغة الشعر بين جيلين ص ٢١٩ وما بعدها .

(٣) ديزى الأمير ، مجلة الآداب ، بيروت سنة ١٩٦٥ ص ٧ .

أو شرفتان راح ينأى عنهما القمر
عيناك حين تبسمان تورق الكروم
وترقص الأضواء — كالأقمار فى نهر
يرجه المجداف وهنا ساعة السحر
كأنما تنبض فى غوريهما النجوم
وتغرقان فى ضباب من أسى شفيف
كالبحر سرح اليدين فوق الماء
دفء الشتاء فيه وارتعاشة الخريف
والموت والميلاد — والظلام والضياء
فتستفيق ملء روحى — رعشة البكاء
ونشوة وحشية تعانق السماء (١)

وهكذا نجد الشاعر قد استطاع أن يصور أحاسيسه ومشاعره وهو يودع أمه الحنون لكن الحزن سرعان ما عاد ينضح من أعماق الشاعر لأن المطر فى الحقيقة ليس سوى قطرات دموع هذه الأم الحزينة لفراق ولدها المشرد المنفى وسط صحارى الفقر والاغتراب والعذاب وقد استطاع الشاعر أن يجمع معظم عناصر الطبيعة بالاضافة الى فصولها المتعددة ، فالنخيل والكروم والقمر والنجوم والانهار ، والبحر والظلام والضياء كل ذلك بلا شك يجسد الطبيعة بأجلى مظاهرها حيث نظمها الشاعر فى " عقد واحد " يجمع الظلال مع الضياء والحركة مع الألوان المتعددة — والماء مع النسيم والهواء كلها داخل اطار رائع • كما يظهر حب الشاعر لجمال بيئته ونخيله فى قصيدته الرائعة " شناشيل ابنة الجلبى " التى بين فيها فرحة الطفولة بين أزهار — وحقول جيكور — بحثا عن الفراشات

---

(١) بدر السياب — انشودة المطر ص ١٤٢ •

والأرانب — ودعوة الناس للمطر لأنه رمز الحياة والعطاء ، وما هي الا لحظات حتى أرعدت السماء ثم أبرقت ليهطل المطر فوق ذوائب الشجر وسعف النخيل ليمدها بالحياة والنقاء كل ذلك بتصوير ملون رائع شفاف .

وأرعدت السماء فرن قاع النهر وارتعشت ذرى السعف
وأشعلهن ومض البرق أزرق — ثم أخضر ثم تنطفئ
وفتحت السماء لغيثها المدرار بابا بعد باب
عاد منه النهر يضحك وهو ممتلئ
تكلله الفقائع ، عاد أخضر ، عاد اسمر ، غص بالأنغام واللهف

وتحت النخل حيث تظل تمطر كل ما سعفه
تراقصت الفقائع وهي تفجر انه الرطب
تساقط في يد العذراء ، وهي تهز في لهفه
بجذع النخلة الفرعاء تاج وليدك الأنوار لا الذهب
سيصلب منه حب الآخرين — سيبرئ الأعمى
ويبعث من قرار القبر ميتا هده التعب (١)

وهكذا استطاع الشاعر برهافة حسه الشعري وقدرته القوية على التصوير وعمق الخيال ان يستغل هذه الصور الرائعة من القرآن الكريم حيث استطاع ان يربط بين المطر والرطب لأن كلا منهما مصدر للحياة .

كما استطاع أن يصور جمال الطبيعة بالعراق عندما تستقبل هطول المطر بألوانه

---

(١) بدر السياب ديوان شناشيل ابنة الجلبي ٥٠ وما بعدها .

المختلفة ، حيث تعود الفرحة للنهر والابتسامة للأرض والفرحة للنخيل والفلاحين الظامئين اليه كل ذلك بأسلوب ايحائى شفاف ومن أمثلة حبه للنخيل أيضا ما نراه فى تصويره لرسالة زوجه التى وصلته عندما كان مريضا فى احدى المستشفيات وقد أعادت اليه الأمل الأخضر بالحياة وكأنها سعفة من نخيل العراق تحمل قطرات مطره .

جاءت رسالتك الخضراء كالسعف
بل الحيا منه ، والأنسام والمطر
جاءت لمرتجف
على السرير ، وراء الليل يحتضر (١)

ومن حبه للنخل وسعفه أيضا ما نجد فى بعض قصائده الأخرى حيث صور آثار سماعه أغانى حبيبته على نفسه ، هذا الغناء الذى حول صحراء حياته الى واحة واسعة من النخيل — والأمل والاشراق .

وزرع ألف غاب للنخيل — غناؤك المكسال
ترقرقت الجداول ، بينهن وأزهر الليمون
وأنسام الربيع تمر تنثر زهره فى مائها السلسال (٢)

هكذا كان أثر غنائها على روحه الظامئة الموحشة فزرع فى اعماقه ألف غابة نخيل وحديقة ليمون يشذاها المطر ، ولكن هذه هى بعض الصور التى تبين لنا " خشوع السياب " وتصوفه امام نخيله الذى أحبه أكثر من الحياة فجعله جسرا موصلا لرياض شعره وحدائق نفسه .

وكما أجاد الشاعر وصف جمال النخيل وهطول المطر ، وتفتح الزهور ، وتدفق النهر

---

(١) بدر السياب ديوان شناشيل ص١٣٦ من قصيدة " رسالة "
(٢) نفس المصدر السابق ص ١٠٥ من قصيدة " سلوى " .

فقد أجاد كذلك وصف " الشط " وما يحيط به من غابات النخيل وجداول المياه وأسراب الطيور وشراع السفن المتهادية على صفحته ، والأمواج والملاحين والزوارق المختالة على الشواطئ وبذلك رسم لنا صورة كاملة لجمال الطبيعة فى بيئته العراقية الراقدة على صفحة شط العرب ، وبين أحضان غابات النخيل الممتدة لمسافات طويلة حول قريته " جيكور " وفى وصف شط العرب وما حوله من مظاهر الحياة يقول :

الشط رواحه الأصيل
فمضى على ورد يسير
وأتاه بعد المد جزر
فهو موهون كليل
الماء غادر جانبيه
وراح يحدوه الرحيل
فتجردا من صفحة
زرقاء زينها النخيل
ياعين طوفى وامرحى
فمطافك الشط الجميل
وامشى على ثبج المياه
كما مشى النسم البليل
فهنا شراع خافق الجنبات
ذهبه الأصيل
وهناك سارية تلوح
وثم مجداف يجول
وبدا نخل بضفته الأخرى
تحركه القبول

يامـوج ياملاح يابيـض
الـزوارق يانخيـل

ياريـح ياسـرب الطيور
البيـض يرشـده الدليل (١)

وعلى الرغم من سطحية هذا الوصف نظرا لأن الشاعر كان فى بداية حياته الشعرية حينذاك حيث كان ما يزال طالبا بالمرحلة الثانوية • ورغم ضعفه التعبيرى والتصويرى واللغوى الا انه استطاع ان يجمع جميع مظاهر الطبيعة فى بيئته من أشجار ومياه وطيور ونسيم • وملاحين وزوارق وغير ذلك مما يعطينا صورة حية لهذه البيئة التى نشأ فيها الشاعـر •

كما استطاع الشاعر أن يصور لنا جمال حقول الريف البصرى عندما كان فى بداية الطريق الشعرى برسوم رومانسية بسيطة لكنها صادقة وعفوية حين قال :

ياضياء الحقول ، ياغنوة الفلاح ، فى الساجيات من اسماره
أقبلى فالربيع ما زال فى الوادى فبلى صداك قبـل احتضاره
دوحة عند جدول تنفض الأفيـاء عنها وترتمى فى قـراره
وعلـى كـل ملعب زهـرة فينـاء فرت اليه مـن آذاره (٢)

وكذلك استطاع أن يصور أيضا جمال الريف البصرى فى فصل الصيف وقد اثقلت الأغصان بالثمار الناضجة على الرغم من لفح الهجير فى هذا الفصل :

أغانى والغاب قفـر الركـون
حبيـس النسائم تحت الدوالـى

---

(١) بدر السياب — ديوان قيثارة الريح ص ٢٦ •
(٢) بدر السياب " ديوان أزهار وأساطير " مكتبة دار الحياة — بيروت ص ١٤٥ •

ترى مـــاءه لاتقـــاد الهجير
حريقا بما فوقـــه من ظـــلال

وفـوق التماشيب حيث الغصون
ينوءن بأفيائهن الثقـــال (١)

كما نجح في رسم صورة لحياة الرعاة في الريف البصري وهم يقودون قطعانهم للمراعي علـــى نغمات الآلات الموسيقية البدائية " الشبابة " حين يقول :

تذكرت سـرب الراعيات على الربـى
وبيـن المراعـى في الرياض الزواهر

ورنات أجـــراس القطيع كأنهـــا
تنهـــد أقداح على ثغر شاعـــر (٢)

ومن شعره الرومانسي البدائي في وصف جمال الطبيعة في الريف البصري أيضا قوله :

صـــور تسجـــد النفوس لديهـــا
وتضـــج القلـــوب بالصلـوات

اينما دار ناظرى طالعـــتـــنى
فتنة تستعيد عـــا نظراتـــى (٣)

كما نجح أيضا في تصوير قريته الحبيبة " جيكور " بنوافيرها وأزهارها وجداولها المتدفقة وظلال نخيلها • وخاصة عندما ترقد في ضوء القمر فتزداد سحرا وجمالا كما في قصيدتـه " أفياء جيكور " حيث يقول :

---

(١) بدر السياب " أزهار وأساطير " ص
(٢) د. / احسان عباس " بدر السياب دراسة في شعره وحياته ص ٤٢ •
(٣) بدر السياب — ديوان اقبال — ص ٧٢ •

نافــــورة مـــن ظلال ، من أزاهيـــر
ومن عصافيـــر
جيكور جيكور ياحقــلا مـــن النــــور
ياجدولا من فراشـــات نطاردهــــا
فـــى الليل فى عالــم الأحــلام والقمـــر
ينشرن أجنحـــة أندى مـــن المطـــر

أما عن روعة نخيلها فيقول :

ظــل مــن النخل ، أفيــاء من الشجـر
أنـــدى مـــن السحـــر
فـــى شاطىء ـ نـــام فيه الماء والسحـــب
ظل كأهـــداب طفـــل هده اللعـــب
نافـــورة ماؤهـــا ضوء من القمـــر
أود لـــو كـــان فـــى عينى ينســـرب
حتى أحس ارتعاش الحلم يفيع من روحى وينسكب (١)

هذه بعض النماذج التى تبرهن على مقدرة الشاعر وعلى روعة التصوير للبيئة التى عشقها وتفاعل معها لدرجة الحب والعشق والتصوف اللانهائى .

* * *

(١) السياب مجموعته الشعرية ، دار العودة بيروت سنة ١٩٧١ ص ١٨٦ وما بعدها .

:: الحب والغزل ::

كان الجدب والقحط العاطفي والمادي الذي عاناه الشاعر طوال حياته من أهم الأسباب التي دفعته للبحث عن واحة يستظل بها من وهج الحياة القاسية ، ولكنه ما كاد يقترب من ظلالها حتى تتحول الى وهم وسراب خادع .

وقد كانت بداية رحلته العاطفية هذه عندما تعرف على راعية للغنم " بجيكور " اسمها " هالة " وجد في أعماقها قلبا نابضا بالحب والخصب والعطاء ، وقد اختلف بعض الباحثين والنقاد حول " هويتها " وطريقة التعارف التي توصل بها الشاعر الى قلبها وقد ذكر بعضهم قائلا " كانت هذه الفتاة البدوية من احدى القبائل العربية التي تعيش في الحدود الايرانية ، ثم انتقل اهلها فسكنوا في أرض لهم بأبي الخصيب وفي احدى السنوات غطى الماء اراضيهم ـ فأعطاهم " السياب " " الجد " قطعة من أرضه ليقطنوا فيها وكانت هالة ترعى القطيع كل يوم ، فتعرف عليها " بدر " وخفق لها قلبه ، وهو في آخر عام دراسي بثانوية البصرة ، فأصبح هو الراعي صاحب " الناي " (١)

وذكر فريق آخر " بأن " بدرا " كان يقوم برعاية قطيع " جده " رغبة منه في مقابلة راعية فتية من القرية بدأ يشعر نحوها بميل وحب ، لا احساسا منه بواجب المساعدة لوجه الله ، ولكن لمقابلة الراعية " هالة " (٢) وهكذا تضاربت الأقوال حول هويتها رغم اتفاقهم حول طريقة التعرف عليها ، فبينما يرى بعضهم أنها من احدى القبائل العربية التي تعيش على الحدود الايرانية رأى بعضهم أنها من بنات قريته . " والحقيقة أنها فتاة قروية بالقرب من " جيكور " كانت تقوم برعاية غنم اسرتها بعد وفاة والدها وبينما كانت ترعى غنمها بالقرب من ضفاف " بويب " تعرف عليها " السياب " بعد ان سمعته

---

(١) د / احسان عباس ، بدر السياب ودراسة في حياته وشعره ص ٤٢ .
(٢) د / عيسى بلاطه ـ بدر السياب ، حياته وشعره ص ٢٦ .

وهو يعزف بعض الألحان القروية على " شبابته " ثم توطدت بينهما الصداقة حتى تحولت الى حب جارف فيما بعد " (١) •

وكان هذا هو الحب الأول فى حياة الشاعر • حيث دفع به الى التغنى بحبها وحب قطيعها من " أجلها كما كان على استعداد لقطع الروابى والوهاد من أجل الالتقاء بها •

لأجلــك أطــوى الربا شــاردا
أردد أنغامـــى النائمـــه

وأسكـــب فى الناى قلبى الحزين
فتغمره النشــوة الخادمـــه

كأن لحونـــا دعتهـــا الربـــا
ففـــرت بأحلامهـــا الرائعـــه

يسلبهـــا الليـــل فى صمتـــه
فتوقـــظ أشواقـــه الهاجمـــه (٢)

لذلك كثيرا ما كانا يلتقيان خلسة من أعين الرقباء تحت ظلال كوخهما الراقد تحت أقدام النخيل وبين أغصان الشجر الكثيف •

فكـــم قبلـــة ذاب فيهـــا الغرام
تطـــوف على قلـــبى الحائـــر

فيا لمحـــة مـــن شعـــاع الخلود
ســـرى الوجد فـــى حلمها العابر

---

(١) مقابلة شخصية مع عم الشاعر : عبد المجيد السياب بأبى الخصيب بتاريخ ١١ / ٣ / ٧١

(٢) د / احسان عباس ص ٤٢ •

ويابسمة في قلوب الرعاة
يفيض بأنغامها خاطري (١)

لكن هذا الحلم لم يدم طويلا اذ سرعان ما فرقت بينهما يد الزمن القاسي واضطرته الأيام للسفر الى بغداد ليكمل دراسته الجامعية بدار المعلمين العالية ، كما أجبرتها العادات والتقاليد على الزواج بغيره . وكان ذلك أول خنجر يغمد في قلب " بدر " العاشق المراهق ، وكان جرحا نازفا بغزارة حين صرخ متألما قائلا :

دعاك فؤاد طوى صفوه
وكفنه بدموع المقل
أقام الهوى فيه محرابه
فرددت ثم صلاة القبل
ولكنك اليوم حطمته
وأطفأت فيه شعاع الأمل (٢)

لكن هذا الجرح سرعان ما توقف عن النزف الدامي حين تعرف الشاعر على بعض زميلاته بدار المعلمين وكانت احداهن جميلة ثرية تمتاز " بغمازتين " ساحرتين سماها الشاعر " بالأقحوانة " كانت قد طلبت منه استعارة ديوانه الشعري الأول " أزهار ذابلة " وظن الشاعر أن هذا هو بداية حب جديد . الا انها سرعان ما أعادته اليه بعد اسبوعين من استعارته ، وأحس الشاعر بأن هذا لم يكن سوى وهم .

وقد بقي قلبه يخفق بحبها رغم ذلك فترة من الزمن حتى سماها " بأخت روحي "

---

(١) د / احسان عباس ص ٤٣ .
(٢) بدر السياب ديوانه اقبال ص ٨٢ وما بعدها .

كما عزف لها أرق ألحان الغزل حيث كان صوتها يزرع في أعماقه المجدية معاني الخصب والحياة والجمال .

حيث قال :

أي صوت نث سحرا في دمي
شاعري اللحن غض النبرات

عاث لي شعرا .. فؤادي كله
صار أنغاما عذابا ساحرات

كل جرح في فؤادي شاعر
صادح القيثار . مسحور اللهاة

الأغاريد التي رتلتها
والخيالات التي في اغنياتي

تفتدي غمازتين الملتقى
لابتسامات الهوى بعد الشتات (١)

وعند ما أقفرت حياته منها أخذ يبحث عن واحة جديدة حتى لقيها في فتاة أخرى اسمها "لبيبة" أطلق عليها فيما بعد ذات المنديل الأحمر " لأنها كانت تربط منديلا احمر حول عنقها دائما . الا أنها كانت تكبره "بسبع سنوات" مما خلق جدارا من الوهم بينهما . الا أنه كان يرى فيها تجسدا لعطف وحنان الأم والحبيبة معا وكم تمنى الشاعر ان يهدم هذا الجدار الزمني بينهما حتى يحقق أحلامه .

مشى العمر بيننا فاصلا
فمن لي بأن أسبق الموعدا

---

(١) بدر السياب — ديوان أزهار ذابلة ص ٨ وما بعدها .

ومن لـــي بطـــي السنين الطوال
ستمضـــي دموعـــي وحـــبي سدى (١)

وعندما أحس الشاعر بابتعاد حبيبته عنه نظرا للفروق الزمنية والاجتماعية بينهما اتجـه اليها بكل مشاعره طالبا منها الحفاظ على حبه غير ان هذا الرجاء لم يتحقق مما دفعـه للتوسل اليها قائلا :

خيالـــك مـن أهلـــي الأقربيـــن
أبـــردان كـان لا يفعــــل
أبي منــــه جردتـــني النســـاء
وأمـــي طواعـــا الردى المعجـــل
ومالـــي من الدهـــر الا رضـــاك
فرحمـــاك ، فالدهر لا يعـــدل (٢)

وجع هذا التوسل اليها انهار حبه وتحطم مما جعله يهين اسباب ذلك فيما بعد حين قال في احدى رسائله لزوجته :

وتلك لأنها في العمر أكبر ، أم لأن الحسن أغراها
بأنـــي غير كـــفء ـ خلقتني كلما شرب الندى ورق
وفتح برعـــم مثلتهـــا ـ وشممت رياهـــا
وأمس رأيتهـــا فـــي موقـــف " للباص" تنتظـــر
فباعدت الخطى ، ونأيت عنها ، لا أريد القرب منها
هـــذه الشمطاء

---

(١) د / احسان عباس ص ٥٢ .
(٢) بدر السياب ـ ديوان اقبال ص ٨٢ .

لها الويلات ، ثم عرفتها ،حسبت ان الحسن ينتصر[1]

وهكذا تخلت عنه هذه الحبيبة لما بينهما من فوارق اجتماعية أولا والعمر ثانيا • مما جعل الشاعر يفقد الأمل بالحب من جديد نظرا لفقره وفقدانه المال والذهب الذى يفتح أمامه الطريق نحو قلب المرأة :

بينى وبيـن الحب قفر بعيـــد
مـن نعمـة المال وجـاه الأب

ياآهتى ••• كفـى وصـت يانشيد
شتان بيـن الطيـن والكوكـب[2]

لكن احساسه المتفجر بالوحدة والحرمان القاتل دفعه مرة أخرى للبحث عن حـب جديد وبعد لأى وجهد استطاع ان يجد بصيصا من الأمل والنور وسط هذا الظـلام واليأس كان هذا النور يتمثل فى فتاة صديقة ظن ابتسامتها رمز حب ووفاء الا أنها لـم تشاركه هذا الشعور والاحساس حيث كانت تخشى ان يكون مصيرها الفقر والضياع والنسيان فيما بعد وقد حاول الشاعر ان يعيد لها الأمل والاطمئنان لكن بلا جدوى ، فبعث اليها بقصيدة عنوانها :

" نشيد اللقاء " يقول فيها :

أنت الوجـود فحيثمـا انطلقت
بـى مقلتـان ملكـت منطلقى

---

(١) بدر السياب ، ديوانه شناشيل ابنة الجلبى من اقبال " ص ٥٩ وما بعدها •

(٢) السياب ، ازهار ذابلة ص ١٦ •

سيان عندى مت من ظمأ
ما دمت عبد هواك أو غرق

سيان عندك كنت فى سحر
ما زلت أنت سماى أو غسقى

روحى فداوك بت راضية
انى فديتك ، أو على حنق (١)

وكما فشلت محاولاته السابقة فى الاحتفاظ بالحب فقد فشل للمرة الرابعة وبذلك فقد الأمل بعد أن حطمه اليأس والقنوط حيث قال فى احدى رسائله لصديقه " خالد الشواف " " لقد نذرت نفسى للألم والشقاء واليأس والفناء ، وما أجهل من لا منى على أن سميت مجموعة اشعارى " بالأزاهير الذابلة " ليته كان معى ليرى أن كل هذا الكون ، الأرض والسماء ، والتراب ، والماء والصخر ، والهواء " أزهار ذابلة " فى عينى الشاحبتين ونفس الهامدة " (٢) وهكذا تفتحت جراحه من جديد وبقيت تتدفق بقوة وعنف حتى أسعدته الأقدار بالتعرف على فتاة أديبة وشاعره كانت زميلة له بدار المعلمين العالية ببغداد ـ كانت فتاة سمراء جميلة فى الثامنة عشرة من عمرها ـ رشيقة القد حوراء العينين وكان يبدو على سيماها طابع الحزن ـ ويزيده عمقا ملازمتها لبس السواد ـ وكانت تلبس العباءة العراقية غالبا ـ عندما تغادر الدار ، كما كانت متزنة ـ مقتصدة فى علاقاتها ناعمة الصوت ، كما كانت رقيقة الحس شاعرة . (٣)

وكان هذا الحب المتفجر من الأعماق يعتبر الحب الوحيد الحقيقى الذى اختلط

---

(١) د / احسان عباس ، ص ٨٠ .
(٢) رسالة للاستاذ الشاعر / خالد الشواف بتاريخ ١٩٤٦/١/٣١ .
(٣) د / عيسى بلاطه ، بدر السياب ، حياته وشعره ص ٢١ ـ ٢٢ .

يروح الشاعر أكثر من جسده المنهوك فقد كانت شاعرته بالنسبة اليه بمثابة الميلاد والضياء والحياة ، حتى ظن بأن الحياة المجدبة قد ولت الى غير رجعة ، وأن الأيام قد عوضته عما فات من حياته القاسية ، لكن هذا الحب كان يتعرض أحيانا لهزات عنيفة حيث هناك بعد السدود والقيود التي تقف في طريق نموه وتطوره الكامل ، منها الاختلاف الديني حيث كانت شاعرته "صابئيه" بينما كان الشاعر مسلما سنيا ، بالاضافة الى الفوارق الاجتماعية بينهما ، والخوف من المستقبل ومن تكرار تجاربه الفاشلة السابقة •

مما كان يترك على حبهما بعض الظلال القاتمة في بعض الأحيان • وقد حاول الشاعران ينزع هذا الخوف والشك من قلب حبيبته حيث يقول :

لا تتركي ، لا تتركي لغدي
تعكير يومي ما يكون غدي
واذا ابتسمت اليوم من فرح
فلتعبس ملامح الأبد
ما كان عمري قبل موعدنا
الا السنين تدب في جسدي
أختاه لذ على الهوى ألمي
فاستمتعي بهواك وابتسمي
هاتي اللهيب فلست أرهبه
ما كان حبك أول الحمم (١)

---

(١) بدر السياب ، ديوان أساطير ص ٢١ ـ ٢٢ وازهار وأساطير ص ٤١ •

وهكذا نجح الشاعر فى تعميق مجرى حبه فى قلب شاعرته التى بادلته حبا بحب ووفاء بوفاء حتى سمته " بالنبى الوديع " وخاصة بعد أن تكرر اللقاء ، غير ان العادات والتقاليد كانت ما زالت خنجرا يهدد حبهما العميق وجاء اليوم الذى أخبرته فيه بانتهاء علاقتهما وانهيار سعادتهما بعد أن شربا معا بعض كئوس الحب مترعة . مما جعل الشاعر يصاب بصدمة قاسية تمنى معها ان يتوقف الزمن عن الحركة والدوران حتى يبقيا معا الى مالا نهاية .

وقد صور لنا الشاعر هذا اللقاء السعيد الذى اعقبه الألم والجرح عندما علم بأنه اللقاء الأخير :

والتف حولك ساعداى ، ومال جيدك فى اشتهاء
كالزهرة الوسنى ، فما احسست الا والشفاه
فوق الشفاه ، وللمساء

عطر يضوع فتسكرين به ، وأسكر من شذاه
فى الجيد ، والفم ، والذراع
فأغيب فى أفق بعيد ، مثلما غاب الشراع

لكن الشاعر سرعان ما يرتد ويصطدم بقسوة وعنف عندما سمع منها النبأ المفجع بنهاية اللقاء .

لا . لن ترانى ، لن أعود
هيهات ، لكن الوعود
تبقى تلح ، فخف أنت ، ولسوف آتى فى الخيال

فيجيبها والأسى يمزق لبه غير مصدق ما يسمع .

هـذا هـو اليـوم الأخيـر ؟
واحسرتاه ، أتصدقين ، ألن تخف الى لقاء؟
هذا هو اليوم الأخير ، فليته دون انتهاء ؟

وعند ذلك يثور الشاعر ضد هذه العادات والتقاليد التى فرقت بينه وبين حبيبته التى اعادت له الحياة بعد موت طويل ، فيسميها " بالأساطير " والخرافات من نسيج الزمن البالـى :

أساطيـر من حشرجات الزمـان
نسيـج اليـد الباليـة
رواهـا ظـلام مـن الهاويـة
وغنى لها ميتـان
أساطير ، كالبيد ـ ماج بها السـراب (١)

وهكذا بقى الشاعر يقاسى آلام الوحدة ومرارة الحرمان حتى تزوج سنة ١٩٥٥ من السيدة " اقبال عبد الجليل " بالبصرة حيث كانت اخت زوجة عمه المرحوم " عبد القادر السياب " فكانت نعم الزوج وفاء وصبرا وتضحية ، كما أنها انجبت له ابنه " غيـلان " وابنتيه غيداء وآلاء " مما ملأحياته بواجباته العائلية ، نحو اسرته ، واستمر فى طريقه هذا حتى نكب بالمرض والشلل " النصفى " فى نهاية عام سنة ١٩٦١ (٢) واضطر الشاعر بعد ذلك للسفر بحثا عن العلاج والشفاء فى مستشفيات العالم الخارجى بعد أن حاصره المرض العضال من كل جانب ، وأخذ الموت يحملق فى وجهه صباح مساء بقسوة وحقد لا مثيل لهما " ولم يكن بيد الشاعر من سلاح سوى سلاح الكلمة " (٣)

---

(١) بدر السياب ، أزهار وأساطير ، ص ٤٦ .
(٢) مقابلة شخصية مع السيدة " اقبال " زوجة الشاعر بالبصرة بتاريخ ١١/ ٣/ ١٩٧١ .
(٣) جبرا ابراهيم جبرا ، مجلة " العاملون فى النفط ، بغداد ، سنة ١٩٦٥ ، ص٤٧ .

وفى خلال هذه المرحلة يلتهب احساس الشاعر نحو المرأة بقوة وعنف ، وأكثر ما يتجلى هذا الالتهاب فى بعض قصائده التى يهرب خلالها من مواجهة واقعه وحاضره المؤلـــم وقد بلغ به الأمر الى تخيل هذه الصبية وقد تجردت من ملابسها :

أشم عبيرك الليلى ، فى نبراتك الكسلـــى
ينادينى ، ويدعونـــى
الى نهدين يرتعشان تحت يدى وقد خـــلا
سوى الأزرار من ذاك القميص ويملأ الليـــلا
مشاعل فى زوارق ، فـى عرائش ـ فى بساتين (١)

ومن خيالاته الوهمية عن هذا الحب المكشوف أيضا ما تخيله عن جارته الصبية :

وجارتنا الصبيـــة فى حريـــر النوم تنســرب
يشـف الثوب عن نهدين طوديين كما رجفـــا
من الاحلام تحت يد تعصر برد ما لهـــب
لها من فورة العــذراء عطـــر ، يرتخى يشب
يمازج نفخ ما نفـخ الحشيش يسيل مرتجفـــا (٢)

ولم يتوقف هذا عند حدود الحبيبات الوهمية بل شملت رسائله لزوجة حيث تمــنى الشاعر عودته معافى من المرض ليسعد بحياته فقال :

يـــود القلـــب لـــو حطمتــــه
لـــو حطمـــت خفقاتـــــه شفتيـــك

---

(١) بدر السياب ، ديوان شناشيل ص ١٠٢ .
(٢) بدر السياب : ديوان شناشيل واقبال ص ١٠٣ .

والكتفيـــن والصـــدرا
ولــو ذرتــك مـــن زفراتــي الحــرى
رياح الوجد والحرمان ـ وأغفى على عينيـــــك
ليتهمـــــا تمــران
يدفع أو بأشفاق على صحــــــراء حرمانـــى
لينبت فـــى مداهـــا الزهــــر
ليتهما ثمـــران ؟ (١)

ومن صور هذا الاحتراق الجنسي المشبوب لزوجه أيضـا قولــه :

وغـــدا سألقاهـــا
سأشدهـــا شـــدا فتهمـــس بـــى
" رحماك " ثـــم تقـــول عيناهـــا
" مزق نهودى " ضـــم ـ أواهـــا
ردفـــى ، وأطـــو برعشـــة اللهـــب
ظهـــرى ، كأن جزيـــرة العـــرب
تســرى عليـــه بطيـــب رياهـــا (٢)

ورغم هذا الاحتراق فقد كان الشاعر يحس بحاجة الماسة للحب الذى حرم منه منذ مطلع حياته حتى انطفأت شمعة وجوده ، مما حمله لأن يطلب من زوجه ان تحبه حتى بعد موته لأ نه يحبها من اعماقه رغم ماضيه الطويل ، اذ يقول لها :

أحبينى ، اذا ما ادرجت في كفـــنى ، احبينى

---

(١) بدر السياب ، منزل الأقنان ، مجموعتها الشعرية ص ٢٣٣ ·
(٢) ديوان شناشيل ـ دار الطليعة ، بيروت ط ٣ سنة ١٩٦٧ ص ٦٨ ·

ستبقى حين يهلى كل وجهي كل أضلاعي
وتأكل قلبي الديدان ،تشربه الى القاع
قصائد كنت أكتبها لأجلك في دواويني
أحبيها ، تحبيني (١)

وفعلا أثبتت الأيام نبل واصالة هذه الزوجة الصابرة التي حققت أماني زوجها بعد وفاتها ، فقد حافظت على العهد ، والوعد ، اذ رفضت الزواج في سبيل تربية أبنائها ليكونوا أملا لوطنهم ، كما احتفظت بقصائد زوجها حتى قامت وزارة الاعلام العراقية مشكورة بأحياء تراث الشاعر حيث أصدرت بعض دواوينه الشعرية منها ديوان " قيثارة الريح " سنة ١٩٧٠ وهو يمثل بعض قصائده الرومانسية الأولى ، وديوان " أعاصير " الذي يمثل قصائده السياسية خلال سنة ١٩٤٦ وغير ذلك من الأعمال التي تحفظ تراث هذا الشاعر الكبير ، كما أقامت له الدولة أيضا تمثالا ضخما في شارع الكورنيش بالبصرة حتى غدا بمثابة قبلة يحج اليها العديد من الأدباء والشعراء والفنانون من معظم انحاء العالم .

هذه صورة مصغرة لحياة الشاعر العاطفية وما لاقاه خلالها من سعادة وشقاء ، وابتسامات ودموع .

* * *

---

(١) بدر السياب ــ ديوان شناشيل أبنة الجلبي واقبال ــ دار الطليعة ــ بيروت ط ٣ سنة ١٩٦٧ ص ١٤١ .

أين صفحة ٢٥٤؟

صباه ، فتسح عيناه بالدموع ، وترتجف أطرافه لدى ذكراه عندما تتجسد أمامه ذكريات طفولته وصباه " فتفور في روحه لتزوغ فيها الف نصل ، فيهرب الى استعراض حكايات الأحباب والأصدقاء ، ومجالس السمر التي تهزه ، وتتراءى له الجنة التي حرم منها "(١)

لهذا كله " فاق السياب جميع الشعراء في موضوع الشوق والحنين ، وتحسر بكل جوارحه على أرض نهم منها ثم هجرها ، وتمنى ان يعود اليها " (٢)

وقد صور لنا الشاعر في بداية قصيدته " غريب على الخليج " كيف جلس على شاطئ الخليج بالكويت وهو يسرح ببصره العذب وقلبه الجريح نحو وطنه الحبيب " العراق " وعواطفه تفور وتغلي شوقا وحنينا الى عراقه الغالي :

وعلى الرمال على الخليج
جلس الغريب ، يسرح الطرف المحير في الخليج
ويهد أعمدة الضياء بما يصعد من نشيج

وعندما يتوقف بصره الحائر على العراق تتفجر اعماقه بالشوق الجارف والحنين المتدفق ولم يعد يرى أمامه سوى صورة العراق ، كانت اعماقه تعلو تهبط وكأنها امواج الخليج الصاخبة :

أعلى من العباب يهدر رغوه من الضجيج
صوت تفجر في قرارة نفسي الثكلى : عراق
كالمد يصعد ـ كالسحابة ، كالدموع الى العيون
الريح تصرخ بي : عراق،
والموج يعول بي ، عراق ، عراق ، ليس سوى عراق (٣)

---

(١) انظر الشعر العربي الحديث ، وروح العصر د / جليل كمال الدين دار العلم للملايين ، بيروت سنة ١٩٦٤ ص ٢٥٨ .

(٢) د / محمد التونجي ، بدر السياب ، والمذاهب الشعرية المعاصرة دار الأنوار بيروت سنة ١٩٦٨ ص ٨٠ .

(٣) بدر السياب ديوان انشودة المطر دار مكتبة الحياة بيروت سنة ١٩٦٩ ص ٩ .

وفى خلال لحظة هذا الصراع المرير الصاخب فى أعماقه يلجأ الشاعر الى ذكريات طفولته وصباه ، وانه ما زال يتغذى على ذكريات أحاديث أمه له . وقصص عمته وجدته العجوز ، وجده الحبيب وكيف ينساها وهى زاده الوحيد فى رحلة العذاب والتشرد والفقر والحرمان ، ان عقله وروحه تسبح فى أضواء " جيكور " الحبيبة وبين ربوعها وظلال نخيلها ، وتنور منزلهم الوهاج مسرح أقاصيص أحبائه وأهله . وكانت هذه الذكريات الحلوة بمثابة شريط سينمائى يمر سريعا أمام عينيه المقروحتين المغروقتين بالدموع والاحتراق انه ما زال يعيش على قصص أمه الحنون التى كانت تبثها لروحه الصغيرة قبل ساعات النوم عن الأشباح والخرافات وغيرها :

هى وجه أمى فى الظلام
وصوتها يتزلقان مع الرؤى حتى أنام
وهى النخيل أخاف منه ، اذا ادلهم مع الغروب
فاكتظ بالأشباح تخطف كل طفل لا يؤوب (١)
من الدروب

كما أن قصص عمته العجوز عن الملوك الغابرين بين النساء الجالسات خلف أبواب مغلقة بعيدا عن نظر الرجال كما هى عادة العرب فى الريف ، ما زالت خضراء فى ذهنه تسرى فى عروقه ودمه :

زهراء أنت .... أتذكرين ؟
تنورنا الوهاج ، تزحمه أكف المصطلين ؟
وحديث عمتى الخفيض عن الملوك الغابرين

---

(١) بدر السياب ، ديوان انشودة المطر ، دار مكتبة الحياة بيروت سنة ١٩٦٩ ص ١٠.

وراء بـــاب ، كالقضـــاء
قد أوصدتــــه على النســاء
أبد تطاع بما تشاء لأنها أيدى رجـــال
كان الرجال يمد بدون ويسمرون بلا كــلال (١)

كما أنه لم ينس قصص جدته العجوز التى كانت تدور حول الحب العذرى عند العرب مثل قصص " قيس وليلى " وعنترة ، وعبلة ، وقيس ولبنى ، وحزام وعفراء ، الذى شـق القبر عنه أمام حبيبته عفراء :

وهى المغلية العجوز ، وما توشوش عن حزام
وكيف شق القبر عنه أمـام " عفراء الجميلـة "
فاحتازهـا الا جديلـة (٢)

كل هذه الذكريات المذبة فجرت اعمال الشاعر بالشوق والحنين للعراق مرت فـى خياله وقلبه .

حشد من الحيوات ، والأزمـات ، كما عنفوانه
كنـا مداريـه اللذين بينهما كيانــه
أفليس ذاك ســوى هبــاء ؟
حلم ودورة اسطوانــــة !
ان كان هذا كل ما يبقى ، فأين هو الفراء ؟ (٣)

وبعد ان استعرض الشاعر حياته الطويلة خلال لحظة سريعة من الزمن وفتح عينيه على واقعة المرير وحاضره المظلم المحاصر بالاغتراب والفقر والتمزق ـ تملو امواج الشوق

---

(١) بدر السياب ديوان انشودة المطر ، دار مكتبة الحياة ، بيروت سنة ١٩٦٩ ص ١٠ .
(٢) انشودة المطر ص ١٠ .
(٣) نفس المصدر السابق ص ١١ .

والحنين فى أعماقه شوق أقوى من شوق الغريق للهواء والجنين للضياء .

شوق يخض دمى اليه كأن كل دمى اشتهاء
جوع اليه كجوع دم الغريق الى الهواء (١)
شوق الجنين اذا اشرأب من الظلام الى الولادة

ومما زاد فى تدفق هذا الشوق والحنين للوطن ما كان يقاسيه الشاعر من مرارة الاغتراب وقسوة الفقر والعري وعذاب التشرد بين صحارى الذل والاستجداء ونظرات الاحتقار التى تلاحق الغريب المشرد فى هذا العالم المادى العفن .

تحت الشموس الأجنبيه
متخافق الأطمار ، أبسط بالسؤال يدا نديه
صفراء من ذل وحمى ، ذل شحاذ غريب
بين العيون الأجنبيه

بين احتقار ، وانتهار ، وازدراء ، أو خطيه
والموت أهون من " خطيئة "

من ذلك الاشفاق تعصره العيون الأجنبية
قطرات ماء ... معدنيه (٢)

وعندما تهدأ نفسه بعض الشيء يعود للتحسر والأمل من جديد بالعودة الى عراقه الحبيب متمنيا العودة اليه لينام ولو مرة واحدة تحت ظل العراق وعبير العراق .

واحسرتاه متى أنام

---

(١) انشودة المطر ص ١١ .
(٢) انشودة المطر ص ١٢ .

فأحس أن على الوسادة
من ليلك الصيفي طلا فيه عطرك يا عراق (١)

لكن هذا الأمل تقف في طريقه عقبات وصخور عديدة منها الخوف من بطش نوري السعيد أولا والفقر المدقع ثانيا • حيث لم يكن الشاعر يملك أجرة العودة الى عراقه •كانت النقود لعنة المدينة " سجنا كبيرا " وقضبانا قاسية " تحول دون تحقيق الأمل بالعودة فتعود اعماق الشاعر الى الصخب والتفجر والتمزق من جديد فيصرخ متألما :

واحسرتاه ••• فلن أعود الى العراق
وهل يعود
من كان تعوزه النقود ؟ وكيف تدخر النقود ؟
وأنت تأكل اذ تجوع ، وأنت تنفق ما يجود
به الكرام على الطعام
لتبكين على العراق
فما لديك سوى الدموع
وسوى انتظارك ، دون جدوى ،للرياح وللقلوع (٢)

وهكذا اجتمعت لدى الشاعر تجربتان جديدتان هما الشوق والحنين الجارف وتجربة الفقر الملعون الذى وقف حجر عثرة في تحقيق أمل الشاعر بالعودة •

ولقد كان من نتائج هذا الاحساس المرير أن عرف الشاعر قيمة وطنه جيدا وارتفعت مكانته في نفسه بعد أن ذاق من صنوف العذاب في تشرده ، وفقره وجوعه ما يفوق الوصف ولذلك كان يرى كل شيء في وطنه جميلا حتى الظلام لأنه يحتضن العراق •

---

(١) انشودة المطر ص ١٢•
(٢) نفس المصدر ص ١٤•

الشمس أجمل في بلادي من سواها والظلام
حتى الظلام ، هناك أجمل فهو يحتضن العراق

....

بين القرى المتهيبات ، خطاي والمدن الغريبة
غنيت تربتك الحبيبة (١)

وقد نقشت هذه الكلمات الصادرة من الاعماق المحترقة على تمثال الشاعر الذى أقامته الدولة تكريما له فى أعظم شوارع البصرة على شاطئ البحر .

ولم يضعف ايمان الشاعر ، ولم تتزعزع مبادئه ، رغم ما لاقاه من حرمان وغربة وتنكيل وتشريد وفقر ، بل ظل الثائر العنيف يهاجم الطغاة . ويمحو اليأس عن النفوس ، ويبشر المحرومين المعذبين العطشى بقرب بزوغ الفجر . ونزول الغيث . فالمطر هو رمز الثورة ، وانشودة المطر هى انشودة قافلة الأحرار المتطلعين الى الاصلاح والحياة الكريمة ... فكانت ولادة قصيدته الرائعة الخالدة " انشودة المطر " التى تعتبر أغلى درة فى تاجه الشعرى ففيها مزج الشاعر بين أحاسيسه الذاتية وبين واقع " عراقه " الحبيب " وبين الانسان أينما كان ، وفيها الشوق والحنين للوطن الحبيب المعذب وفيها الثورة على اعداء الوطن والانسانية حين يقول :

عيناك غابتا نخيل ساعة السحر
أو شرفتان راح ينأى عنهما القمر .. الخ (٢)

فالحبيبة هنا تتجسد فى الأم والقرية " جيكور " والعراق " معا .

---

(١) انشودة المطر ص ١٢ .
(٢) بدر السياب ، ديوان انشودة المطر ص ١٤٣ .

وقولـــــه :

وفـــي العـــراق جــــوع
وينثر الغـــلال فيه موســـم الحصـاد
لتشبـــع الغربـــان والجـــراد
وتطحـــن الشـــوان والحجـــر
رحى تدور في الحقول ... حولها بشـــر (١)

وفي خلال هذه الرحلة يعود الشاعر بذاكرته الى قبر امه الحنون الراقدة على سفـوح التل المقابل للقرية حيث كان يهب من نومه مذعورا متسائلا عنها دون أن يتلقى جوابـــا سوى " غدا تعود " :

كأن طفلا بـــات يهـذى قبل ان ينـام
بأن أمه ـ التي أفـــاق منـــذ عـــام
فلم يجدها ـ ثم حين لج فـــي السؤال
قالـــوا له : " بعد غد تعـــود "
لا بد ان تعـــود
وان تهامس الرفاق أنهـــا هنـــاك
فـــي جانب التـــل تنام نومة اللحـــود
تسف مـــن ترابها وتشـــرب المطـــر (٢)

وهكذا لم ينس الشاعر وجه أمه ، وذكريات طفولته الشقية عندما كان يصحو من نومـــه باحثا عنها بلا جدوى لأنه لم يكن يعرف معنى العدم وقسوة الموت .

---

(١) بدر السياب ، ديوان انشودة المطر ص ١٤٥ .
(٢) انشودة المطر ص ١٤٣ .

ولكن هذا الشوق والحنين يزداد التهابا واشتعالا في السنوات الأخيرة من حياته حين تعرض لقسوة المرض حيث عاش سنوات عجاف غريبا عن وطنه ، وفي هذه الفترة القصيرة يشمل شوق الشاعر وحنينه العديد من ذكريات الشاعر ـ كأبنائه وزوجه وقريته ، وملاعب طفولته وصباه ، وجيكوره ونهره بويب . وذكريات حبه القديم ابتداء من حبه الأول " هالة" الراعية وانتهاء بزوجه ، واكثر ما يشتعل هذا الاحساس عندما يحس الشاعر باقتراب خطوات الموت منه ، " حيث لم يبق أمامه سوى العودة للماضي وصوره والحديث عن آلام الحاضر ، وقد يجمع بين الموضوعين علاقة الشاعر بالموت " .(١)

فمن نماذج شعره المشحون بالشوق والحنين لابنه " غيلان " ما نراه في العديد من قصائده وخاصة قصيدته التي بعنوان " مرحى ـ غيلان " بديوانه انشودة المطر والتي يصور فيها مدى ظمأه وعطشه لرؤية ابنه وأثر سماع صوته في نفسه ، وكيف يزرع في أعماقه حدائق الأمل والحياة . فيقول في تصوير ذلك :

بابا ... بابا
ينساب صوتك في الظلام اليّ كالمطر الغضير
ينساب من خلل النعاس ، وأنت ترقد في السرير
من أي رؤيا جاء ؟ أي سماوة ؟ أي انطلاق ؟
وأظل أسبح في رشاش منه ، أسبح في عبير

....

" بابا ... " كأن يد المسيح
فيها ، كأن جماجم الموتى تبرعم في الضريح
تموز عاد بكل سنبلة تعابث كل ريح

....

(١) د / احسان عباس ص ٤٠٩ .

" بـابـا " ... يـا بـا "
ياسلم الأنغام ، أية رغبـــة هــــى فى قـــرارك
" سيزيف " يرفعها فتسقط للحضيض مــــع انهيــارك
ياسلـــم الدم والزمـــان : مــن المياه الى السماء

ان ذكرى وسماع صوت غيلان يكفى لتورق الحياة فى نفس وروح الشاعر ، وتتفتح الزهور فى أعماقه كأوراق توت " جيكور " فى فصل الربيع .

" بـابـا .... بـابـا "

جيكـــور مــن شفتيـك تولـد من دمائـــك فى دمائـى
فتحيـــل اعمـدة المدينـــة
أشجار توت فى الربيـــع ومن شوارعهـــا الحزينـــه
كل ذلك لأن الابن امتداد لحياة أبيـــه
ياظلى الممتد حين أموت ياميلاد عمرى من جديـد (١)

وهكذا استطاع الشاعر أن يصور أثر كلمة " بابا " فى نفس الأب الطريح الكسيح " وما تهمته كلماته البريئة من شفتيه الصغيرتين فى روح الأب الظامى للحياة ، بأسلـــوب اسطورى مستقل وبناء فنى محكم يدل على عمق ثقافة الشاعر وتدفق عواطفه الصادقة النابعة من تجارب انسانية خالدة .

ومن شوقه وحنينه لابنته " آلاء " الطفلة البريئة التى تسأل دائما عن والدهـــا المريض دون ان تعرف معنى المرض وقسوة الموت فيسائل زوجه عنها قائلا :

---

(١) انشودة المطر ص ١٥ وما بعدها .

ويا حديثك عن "آلاء" يلذعها
بعدى ، فتسأل عن بابا ، أما طابا" ؟
أكاد أسمعها
رغم الخليج المدوى تحت رغوته
أكاد ألثم خديها وأجمعها
فى ساعدى
كأنى أقرع البابا
فتفتحين ... وتخفى ظلنا الستر (١)

وكما كان الشاعر متحرقا للقاء ابنائه وسماع حديثهم كان احساسه يتدفق نحو زوجه الصابره :

آه لو عندى بساط الريح
لو عندى الحصان الطائر
آه لو رجلاى كالأمس ، تطيقان المسيرا
لطويت الأرض بحثا عنك
لكن الجسورا
قطعتها بيننا الاقدار ، مات الشاعر
فى وانسدت كوى الأحلام (٢)

ومن شوقه وحنينه الى أيام ماضى الطفولة البريئة فى "جيكور"

آه لو ان السنين الخضر عادت ، يوم كنا
لم نزل بعد فتيين لقبلت ثلاثا أو رباعا

---

(١) بدر السياب ، ديوان شناشيل وأقبال ص ١٣٨ وما بعدها .
(٢) بدر السياب ، ديوان شناشيل واقبال ص ٨٩ .

وجنتي " هالة " والشعر الذى نشرأمواج الظلام
فى سيول ، من المطور التي تحمل نفسي الى بحار عميقه
ولقبلت برغم الموت ثغرا من وفيقه (١)

ومن شوقه وحنينه الجارف وتحسره على ذكريات صباه الضائع قوله :

لكن الصبـــا ولـــى وضـــاع
الصبـــا ، والزمـــان لن يرجعـــا بعـــد
نفـــري ياذكريـــات ونامـــى (٢)

وقوله أيضــــا :

طفولتي ، صباى ، أين ، أين كـــل ذاك ؟
أيـــن حياة لا يحد من طريقها الطويل سور؟
كشـــر عن بوابـــة ، كأعين الشبـــاك
تفضـــى الى القبـــور (٣)

ومن شعره الذى حلم فيه بالعودة الى جيكور فوق جواد ، الأشهب قوله :

علـــى جـــواد الحلم الأشهـــب
وتحـــت شمـــس المشرق الأخضـــر
فـــى صيـــف جيكـــور السخـــى الثرى
أسريـــت أطـــوى دربـــى النائـــى
بيـــن النـــدى والزهـــر والمـــاء (٤)

ومنه أيضا عن " جيكور " :

---

(١) بدر السياب ، ديوان شناشيل واقبال ص ٧٩ .
(٢) بدر السياب مجموعته الشعرية دار العودة ، بيروت سنة ١٩٧١ ص ٦٥٨ .
(٣) نفس المصدر السابق ص ١٤٦ .
(٤) ديوان انشودة المطر ص / ٩٩ .

جنة كان الصبي فيها وضاعت حين ضاعا
آه لو ان السنين السود قمح أو صخور
فوق ظهري حملتهن ءلألقيت بحمل فنفضت جيكور
عن شجيراتها ترابا يغشيها وعانقت معرفي ملتاعا (١)

وكما اهتم الشاعر بذكريات أمه ، وأقاصيصها وقصص عمته وجدته ، وبأبنائه وأحاديثهم وزوجه وصباه ، عاش ذكريات نهره الحبيب " بويب " الذى يعتبر مصدر حياته وشريان ذكريات طفولته حيث قال :

بويب بويب
يانهري الحزين كالمطر
أود لو عدوت في الظلام
أشد قبضتي تحملان شوق عام
في كل اصبع كأني أحمل النذور
اليك من قمح ومن زهور
أود لو أطل من أسرة التلال
لالمح القمر
يخوض بين ضفتيك يزرع الظلال
ويملأ السهول
بالماء والأسماك والزهر (٢)

وهكذا عاش الشاعر معانقا النهر الحبيب وكأنه طفل يحمل بخشوع وتقدير علامات النذور كما هى عادة العرب فى الشرق . كما تمنى أن يعود الى طفولته وصباه مرة أخرى

---

(١) بدر السياب - ديوان شناشيل واقبال ص ٧٨ .
(٢) بدر السياب ، مجموعته الشعرية ، دار العودة - بيروت سنة ١٩٧١ ص ٤٥٣ .

هذه ما كان يجري على ضفاف النهر بحثا عن الماء والأسماك والزهور والمحار .

ولكن هل تحققت آمال الشاعر ؟ انها مجرد ذكريات عاش في ظلالها هربا من واقعه المظلم وبذلك تحول العراق بكل ما يحويه من ذكريات واحة للشاعر يتحرق شوقا وحنينا اليه .

أصبح العراق كعبة يتطلع اليها الشاعر بكل خفقة قلب ، وبكل نبضة عرق في جسده المنهوك حتى تحول شوقه للعراق انشودة يتغنى بها كلما حاصرته الأوجاع والآلام

أين العراق ، وأين شمس ضحاه تحملها سفينه
في ماء دجلة ، أو " بويب " وأين أصداء الغناء
خفقت كأجنحة الحمام على السنابل والنخيل
من كل بيت في العراء
من كل رابية تدثرها أزاهير السهول (١)

وبذلك شمل الشوق والحنين لدى الشاعر كل ما شاهده في حياته من ذكريات الأم والعمة والجدة وجيكور ، وبويب ، وذكريات حبه القديم ابتداء من الراعية وانتهاء بزوجه كما شملت كل أرجاء العراق ، بأنهاره وسهوله ، ونخيله وشواطئه ذات النخيل والرمال ، والنورس والملاحين بزوارقهم ، وأغاني فلاحيه ورعاته وكل ما يتعلق بمظاهر حياة الانسان .

* * *

---

(١) بدر السياب ، مجموعته الشعرية ، دار العودة بيروت سنة ١٩٧١ ص ٤٥٣ .

الرثاء في شعره و(تجربة المرض والموت) :

ان أهم ما يلفت نظر الباحث في شعر " السياب " هو غلبة الطابع الحزين على شعره حيث كانت حياته بمثابة " ملحمة " مشحونة بالصراع والألم ضد الموت والحياة القاسية ولم يتوقف هذا الصراع طوال فترة وجود الشاعر على هذه الحياة .

كما أننا اذا تتبعنا شعر " السياب " في الرثاء نجده يسير في جدولين متوازيين لكنهما يصبان في محيط واحد .

والجدول الأول منهما في رثائه لأحبائه وأبطال وطنه الذين سقطوا في ساحة الشرف والخلود والثاني هو رثاؤه لنفسه وذاته طوال مرضه الذى انهك جسده وحطم كيانه .

وكانت بداية الرثاء في شعره عندما نكب بوفاة جدته الحبيبة سنة ١٩٤٢ عندما كان طالبا بثانوية البصرة . ونظرا لكونها الواحة الأخيرة له في صحراء حياته القاسية فقد كان موتها صدمة قاسية لنفسه مما جعله يترنح أمام هذه النكبة المؤلمة . حتى وصل به الأمر الى أن يقول في احدى رسائله لصديقه خالد الشواف :

(أفيرضى الزمن الماني . أيرضى القضاء . ان تموت جدتي أواخر هذا الصيف ؟) فحرمت بذلك آخر قلب يخفق بحبي ويحنو علي ؟ انني أشقى من ضمت هذه الأرض . (١)

وبذلك تفجرت ينابيع شاعرية " بدر " مما دفعه الى رثاء تلك الجدة العزيزة على نفسه فيقول :

أسلمتني أيدي القضا للشجون
اذ قضى من يرد ني لسكوني

---

(١) من رسالة بدر الى صديقه خالد الشواف — البصرة بتاريخ ١٩٤٢/١١/٢٣ .

رفعوا نعشها ونحن حيارى
فاستفاضت نفوسنا بالجنون

فبكائي على الحبيب بليل
وهو قربي والدمع ملء جفوني

كان خيرا من السود اع صباحا
وحبيبي اغتدى بمركب المنون (١)

وعلى الرغم من سطحية الصياغة الشعرية لديه لكونه في بداية الطريق، ولعجزه عن تصور فلسفة الحياة والموت • الا أن الشاعر استطاع أن يبث فيها روح الصدق وحرارة الاحساس وخاصة في قصيدته الثانية التي رثى فيها جدته مرة أخرى حين قال :

جدتي من أبث شكواي ؟ طواني الأسى وقل معيني
أنت يامن فتحت قلبك بالأمس لحبي أوصدت قبرك دوني
فقليل على أن أذرف الدمع ويقضي على طول أنيني (٢)

وهكذا رسم الشاعر لوحة نابضة بصدق الاحساس والشعور ومرارة الفقد • وتدفق الحزن القاتل وسط احساس رهيب بالوحدة والوحشة والعذاب •

ولم يقتصر رثاء الشاعر على وفاة جدته فحسب بل تعدى ذلك لرثاء الأبطال الذين قام الاستعمار واعوانه باعدامهم بعد فشل ثورة رشيد عالي الكيلاني في العراق سنة ١٩٤١ وكان على رأس هؤلاء الشهداء كل من البطل • يونس السبعاوي، وزير الاقتصاد وفهمي سعيد ومحمود سلمان من قواد الجيش العراقي الذين قاموا بالثورة ضد الاستعمار بقيادة رشيد عالي الكيلاني • وبعد ان قام المستعمر وأعوانه باعدام هؤلاء الأبطال

---

(١) د / احسان عباس • بدر السياب دراسة في حياته وشعره ص ٣٤ •
(٢) بدر شاكر السياب • ديوان ـ اقبال ص ٧٨ وما بعدها •

وقف الشاعر " بدر السياب " رغم صغر سنه حينذاك ليرثي أبطال العراق في احدى روائعه الشعرية " شهداء الحرية " وفيها يقول :

شهيد العلا لن يسمع اللوم نادبه
وليس يرى باكيه من قد يعاتبه

طواه الردى فالكون للمجد مأتم
مشارقه مسودة ومغاربه

الى أن يقول :

رجال أباة عاهدوا الله أنهم
ضحون حتى يرجع الحق غاصبه

أراق عبيد الانجليز دماءهم
فياويلهم ممن تخاف جوانبه

أراق عبيد الانجليز دماءهم
ولكن دون الثأر من هو طالبه .. الخ (1)

ومن عيون قصائده أيضا في الرثاء قصيدته " عيد الثأر فاهتفي ياضحايا " التي ألقاها في جامع " الحيدرخانة " ببغداد بمناسبة الذكرى الأولى لسقوط شهداء وثبة كانون سنة ١٩٤٨ ضد معاهدة " بورتسموت " وكان على رأس الشهداء " قيس الألوسي " " وجعفر الجواهري " شقيق الشاعر العراقي محمد مهدى الجواهري وفي هذه القصيدة يقول :

بسمة النور في ثغور الجراح
أنت قبل الصباح نجم الصباح

---

(1) د / عيسى بلاطة ، بدر السياب حياته وشعره ، دار النهار ببيروت سنة ١٩٧١ ص١٩٦

كلما لحت في خيال الطواغيت
والهبت موقد السفاح

ذاب قيد على اللظى وتراخت
قبضات على حطام السلاح

وبعد ان صور الشاعر خوف الطغاة من دماء الشهداء وثورة الشعب انتقل الى رثاء الأبطال الشهداء قائلا :

وأسألي قبر " جعفر " البارد المحزون
ما ذنب هذه الارواح

جعفر الحق يانشيد البطولات
تغنيه تحت ظل الصفاح

مد من قبرك المدى بيمناك
فما زلت حامل المصباح

أنت فرقت ظلمة الليل بالنور
فلا تمهن مقلة السفاح (١)

وكما وقف الشاعر يرثى احباءه واعزاءه وأبطال وطنه الذين سقطوا في سبيل حرية الشعب والأمة فقد وقف يرثى ذاته ونفسه عندما وقع فريسة للمرض يصور آلامه وأحزانه وعذابه وهو يعانق الموت صباح مساء حتى لفظ انفاسه الأخيرة .

ومن أهم قصائده في رثاء نفسه التي حولتها عواصف المرض والشقاء الى سفينة متناثرة الألواح على شاطئ الصخور المهجور ، قصيدته الى زوجه " اقبال " بعنوان " ليلة انتظار "

---

(١) بدر السياب ديوانه _ أعاصير ، مطبعة الأديب البغدادية _ وزارة الاعلام العراقية سنة ١٩٧٤ ص ٩ وما بعدها .

والتى يقول فيها :

غدا تأتين يااقبـــال ، يابعثى من العدم
ويامـــوتى ولا مـــوت
ويامرسى سفينتى التى عادت ولا لوح على لوح
وياقلبى الذى ان مت أتركه على الدنيا ليبكينى
ويجأر بالرثاء على ضريحى وهو لا دمع ولا صوت .... الخ (١)

ومن رثائه لنفسه أيضا مخاطبا الله عز وجل أن يرحمه من قسوة العذاب وآلام المرض وذلك بأن يأخذه اليه تخلصا من عذابه :

أليـس يكفـى أيهـا الالـــه
ان الفنـــاء غايـــة الحيـــاه
فتصبـــغ الحيـــاة بالقتـــام ؟
تحيلـــنى بـــلا ردى ، حطـــام
سفينـــة كسيرة تطفو على الميـــاه ؟
هات الردى أريـــد أن أنـــام
بيـــن قبـــور أهلـــى المبعثرة
وراء ليـــل المقبـــرة
رصاصـــة الرحمة ... ياالـــه . (٢)

ونحن اذا تتبعنا شعره عبر دواوينه الأخيرة ، منزل الأقنان ، المعبد الغريق شناشيل وجدناه زاخرا برثاء النفس خلال مرحلة الصراع الدامى مع المرض .

---

(١) بدر السياب ، ديوانه شناشيل ، مجموعته الشعرية بيروت سنة ١٩٧١ ص ٧١ وما بعدهـــا .
(٢) بدر السياب ، ديوان " اقبال " ص ٤٣ وما بعدها .

شعـــره الديـــنى :

وكما نظم السياب فى الغزل والوصف والرثاء والشوق والحنين فقد أرتاد أيضا مجـال المديد من شعر المناسبات الدينية والوطنية التى كان يشهدها العراق خلال كفاحـه الا أن هذا النوع من الشعر كان نادرا وقليلا وذلك نظرا لتركيز الشاعر على الشعـر الانسانى والحضارى خلال كفاحه وصراعه من أجل حرية الانسان •

وقبل أن يصاب بالمرض العضال فى أواخر حياته ، أما شعر المديح والفخر والهجـاء فلم يهتم الشاعر به وذلك بسبب تحول الشاعر الحديث من قصور الحكام وأصحاب النفـوذ الى صفوف الشعب وقضاياه • ومن أشهر المناسبات التى اهتم بها الشاعر فى بعض الاحيان المناسبات الدينية مثل " ليلة القدر " و" مولد المختار " صلى الله عليه وسلم " وهجرته النبوية والاسراء والمعراج ، بالاضافة الى تاريخ الأمام " الحسين " رضى الله عنه وغيـر ذلك من المناسبات الدينية •

ففى ليلة القدر المباركة استطاع الشاعر أن يرسم صورة رائعة لمكانتها السامية فـى نفوس المسلمين حين قال :

شعر عطى

ياليلة القدر ، ياظلا نلوذ بـه
ان مسنـا جاحم الرمضـاء ملتهبـا
ذكراك فـى كـل عام صيحـة هبت
من عالم الغيب تدعـو الفتيـة العربا
ياليلة القدر يانـورا أضاء لنـا
قاع السمـاء فأبصرنا مـدى عجبـا
تنزل الـروح رفـافـا بأجنحـة
بيض على الكون أرخاهن أ سحبـا

وللملائك تسبيح وزغــــــردة
تكاد رناتها أن تذهل الشهبا .. الخ (١)

وفي هذه القصيدة تتجلى روح القوة والجزالة في الألفاظ والسمو في المعاني والروعة في التصوير مما يدل على عمق شاعريته واتساع ثقافته العربية الأصيلة .

ومن أهم قصائده التي قيلت في المناسبات الدينية . قصيدة " مولد المختـــار " صلى الله عليه وسلم وفيها يصور لنا الشاعر حياة المجتمع البشري قبل الاسلام وما كـــان يعانيه من قهر واستعباد على أيدي الطغاة امثال قيصر في الشام وكسرى في فارس .

دمـــوع اليتامى في دجى الليل تقطر
ونـــوح الثكلى عاصف فيه يصفـــر
وقامت على الأنصاب في البيت عصبـــة
كدوح مـــن الصوان بالشر يثمـــر
وفي الشام يطغى في حمى الروم تابـع
ويحدو على الأحرار كسرى وقيصـــر

ثم انتقل الشاعر لتصوير أثر هذا الميلاد العظيم على البشرية وما تركته على عروش الظلم والطغيان :

وأشرقت فاهتـــزت نواويس في الدجـى
وأوشك موتى ان يهبـــوا وينشـــروا
نبي الهدى يانفحـــة الله للـــــورى
وياخير ما جاد الزمـــان المقتـــر

(١) قصيدة مخطوطة في مكتبة الشاعر بالبصرة بتاريخ ١٩٦١ .

اذا ما افتخرنا كنت للفخر أولا
وان جاءنا نصر فذكراك تنصر

ولولاك ما اندكت عروش ولا هوى
صليب على كفيه كنا نسمر

وكم سار في شرق من الغرب جحفل
بقرآنك الهادى وفي الغرب عسكروا

ويامولد المختار ميلاد أمة
وميعاد بعث أنت فيه مقدر

وبعد ذلك ينتقل الشاعر الى ذكرى الاسراء والمعراج وما أصاب فلسطين من ظلم وتشريد على أيدى أعداء البشرية من اليهود وأخيرا يطلب من رسول الله صلى الله عليه وسلم العفو والمغفرة :

شعر سلطى

تذكرت والميلاد حال بنوره
شعاعا من المعراج ذكراه مطهر

سما في مطاوى نومه يقصد السما
نبى تلقاه البراق المطهر

أتى صخرة بيضاء يندى بياضها
كما لاح في الظلماء نجم منور

فيا صخرة المعراج قد سد بالدجى
وبالأثم منا فيك شق ومعبر

وعاث ببيت الله قزم مشرد
كأن فلسطين المدماة خيبر

نبي الهدى عذرا اذا الشعر خانني
ولكنــــه قلبي بما فيــــه يقطر .. الخ (١)

* * *

---

(١) قصيدة مخطوطة لدى الشاعر مؤيد عبد الواحد - البصرة سنة ١٩٦١.

((الفصـــل الثانـــى))

((الفصل الثاني))

الاتجاه الاجتماعي :

ان المتتبع لشعر السياب يجده في شعره النضالي صادرا عن نظرة عريضة شاملة تربط ظواهر الحياة بعضها ببعض ، فهي تربط النظام السياسي بالتركيب الاجتماعي والاقتصادي كما تربط مشاكل المرأة بوضعها الطبقي والتاريخي ، والحالات الاجتماعية باجزائها الفرد يةولذلك كان الشاعر ملتزما بقضايا شعبه المتعددة التزاما نابعا من عالم الوعي العميق المتعانق بمفهوم العروبة والانسانية ودون انفصام بين قضايا الوطن وقضايا العالم المعاصر .

ولذلك فان " السياب " لم يسر على نمط الشعراء التقليديين الذين يخصون كل موضوع بقصائد خاصة كما لم يقم بتقسيم شعره الى أبواب متعددة -بل جاءت معظم قصائده مزيجا من التاريخ والمجتمع والانسانية مما جعل شعره تعبيرا عن حركة الأمة وتطلعاتها المعاصرة .

ولقد أحس الشاعر بلا شك منذ صباه بما يعانيه وطنه من تمزق وضياع واستغلال واضطهاد واستعمار ، ولكنه برغم ذلك كان يؤمن في قرارة نفسه بأن هذا الظلام لا بد أن يلد النور والضياء ، وأن هذا الجوع والحرمان سيخلق في اعماق الشعب بذور الثورة والتضحية في سبيل الحياة الانسانية .

كما كان يؤمن بأن الضياء يولد من اعماق الدياجي السود وبذلك جاء شعره كما ذكرته دليلا على ان الشاعر قد عاش مأساة وطنه العربي ووعاها وعيا كافيا من جميع نواحيها السياسية والاجتماعية والقومية والانسانية وقد تبلورت ثورة الشاعر ضد الظلم الاجتماعي والتخلف الاقتصادي الذي كان ينخر في عظام مجتمعه عقب الحرب العالمية الثانية ، حيث وصل العراق الى الحضيض والضياع .

ولقد استطاع الشاعر خلال مسيرة نضاله أن يحدد أهم الأمراض الاجتماعية التي كانت تنخر في عظام مجتمعه كما رسم الحلول وطرق العلاج لهذه الأمراض ولم يكن هذا الصوت أو هذا الشعر مجرد قشرة خارجية كما كان يفعل الشاعر القديم الذي يصور المشهد دون معاناة أو تجربة حقيقية بل بالعكس كان شعره انعكاسا لنفسيته ومشاعره وتطلعاته لأنه فرد من أبناء هذا الوطن الذي رضع لبانه وآمن به ، انه صوت صاعد من الأعماق مما اكسب شعره صفة الابداع والخلود وسيبقى كذلك ما بقيت الحياة . ومن اهم هذه الأمراض الاجتماعية ما يلـــي :

أولا - الفلاح والاقطـــاع :

لست مبالغا اذا قلت بأن الاقطاع العشائري في العراق كان من أهم اسباب تخلف العراق خلال السنين الطويلة الماضية ، كما أنه مصدر الفقر والجهل والمرض والتخلـف انه السم القاتل للشعوب ، والعدو اللدود لحرية الانسان ، انه الرق بذاته والاستعباد بنفسه حيث يتحول معظم أبناء الشعب الى قوافل من العبيد لخدمة فئة قليلة مترفة تملك كل وسائل الحياة على انقاض سعادة شعب بأكمله . ولم يعان أو يقاس شعب في العالم من مرارة الأقطاع ما قاساه وعاناه شعب العراق .

لذلك فقد كان الشعب العراقي ينقسم غالبا الى طبقتين رئيسيتين هما طبقة السادة المترفين من العملاء والاقطاعيين وطبقة العبيد التي تمثل ما يقرب من ٩٠٪ من أبنـــاء الشعب العراقي كما كانت الأولى منهما تسكن القصور وتنام على الحرير وتموت من التخمـة وتنفق الملايين على شهواتها وملذاتها بلا حساب والثانية تعيش في أعماق الأكواخ والقبور تفترش الأرض وتلتحف السماء .

وقد استطاع الشاعر أن يرســم صورة رائعة زاوج فيها بين حياة كل منهما حيـــن قـــال :

النائمين على الحرير وحولهم
شعب مراقده على الغبراء

التاركين لكل كوخ آهة
ولكل قصر ضحكة استهزاء

السارقين من الرضيع وأمه
" لبنا " لكلب نابح وجراء

السالبين من العذارى بسمة
ذابت فكانت " لمسة " لحذاء

والصانعين " قياثرا " أوتارها
أعراق هذه الأمة " الخرساء " (١)

كانت قلة من ابناء الرافدين تعيش مترفة متخمة في قصورها في الوقت الذي كان فيه الشعب بمثابة اشباح متثقلة من وطأة الجوع والخوف تعيش وسط أكواخ وقبور مظلمة :

ومما يزيد من مأساة الفلاح أنه كان محروما من التعبير عن مأساته وحزنه ، اذا حاول يوما ان يشكو لسيده أو يطلب منه الرحمة كان جزاؤه السياط لذلك وقف " السياب " في وجه هؤلاء الطغاة السارقين لأمل وحياة الشعب مهددا اياهم بأن يوم الانتقام آت لا ريب فيه ، وأن هذه الأشباح المحطمة سوف تنتفض وتتحول الى قوة جارفة لتحطم الطغاة :

حيث التفت رأيت شعبا جائعا
عريان يملأ جوفه بالماء

يسقي الزروع دما لتثرى " طغمة "
تبني سعادتها على الأشقاء

---

(١) بدر السياب — ديوان — أعاصير وزارة الاعلام العراقية — مطبعة الأديب البغدادية سنة ١٩٧٢ ص ١٨ .

وإذا تضجر أطعمته رصاصها
و" كسته " بالأكفان والبوغاء [(١)]

وهؤلاء المعذبون في الأرض لا بد أن يثوروا يوما على جلاديهم ، لأن الظلم يزرع الثورة والحقد في القلوب .

ياحاقر " الغوغاء " يعصر مجده
بالسوط من أجسادها الصفراء

إن الجراح وقد فتحت ثغورها
يحفرن قبرك في الغد المتراثي

الظلم يزرع في السجون بذورها
والشعب يحصدها على الأشلاء [(٢)]

ثم يستمر الشاعر في لوحة أخرى ليرسم ثراء المترفين من دماء الفلاحين البائسين

ياوجوه الجياع ياقصة
أضحى لها من مواطني أسفار

حاك أحداثها الرهيبة جلاد
زها سيفه الذميم اقتدار

أنت للجوع لاح فيك اصفرار
وهو للبشر في يديه اصفرار [(٣)]

ولم يكتف الشاعر بتصوير جوع الفلاح وفقره وتهاوي جسده الأصفر فحسب بل وقف

---

(١) بدر شاكر السياب - ديوان - أعاصير ، وزارة الاعلام العراقية - مطبعة الأديب البغدادية سنة ١٩٧٢ ص ٢٠ .
(٢) نفس المصدر السابق ص ٢٢ .
(٣) نفس المصدر ص ٣٤ .

الى جانب الفلاح يرثيه بكل بغضات قلبه الممزق ، فهو يرثي نفسه في الواقع لأنه ابن هذا الريف المستغل فيقول صارخا متألما :

أيها الحاصد المعنى يجوب السهل
مستوحدا حزين الغناء
شاحب الناظرين ممشي حريق الظل
في لافح الثرى والسماء
يورد المنجل المعنى جراحات
بكفيه دافقات الدماء (١)

وبعد أن صور حياة الفلاح البائس المعذب انتقل صارخا في وجه جلاد ، الاقطاعي الجشع ليعود بعد ذلك الى بيان مكانة الفلاح ومأساته :

اصغ هل أنت سامع من أنين
خافت الجرس دائب في بكاء
طاف بين المقابر السود تسقيه
بفيض اللظى صدور النساء
ذاك والله موكب للجراحات
وان أخطأته عين الرثاء
انه النعش انه الكادح المنكود
يمضي الى الردى والفناء
انه مطعم الورى ، وهو من راح
قتيل الطوى ، صريع العناء (٢)

---

(١) بدر السياب ـ ديوان أعاصير ، وزارة الاعلام العراقية ـ مطبعة الأديب البغدادية سنة ١٩٧٢ ص ٣٩ .
(٢) نفس المصدر ص ٤٠ .

لكن مأساة الفلاح لم تتوقف عند حدود الحياة فحسب بل تجاوزتها الى المـــوت حيث عاش الفلاح نكرة ومات نكرة دون أن يسير أحد من المنافقين فى جنازته :

مات لا شاعر القـــوم يبكيــــه
ولا نادب مـــن الأوفيــــاء

غير طفلين مرغــا فى ثدى القبـــر
جبينين صوحا مـــن شقـــاء

وابنة تعصف الهمـــوم بخديهـــا
تريق الدموع دون انتهـــاء

مزق الثوب نفســه عنـد نهديهـا
فوارتهما بكـــف الحيـاء(1)

أما موت الغنى صاحب القصر فهو كارثة كبرى تهز أرجاء البلاد ويتبارى المنافقــون والمتزلفون الى اظهار الحزن المزيف :

أمس قد مات صاحب القصر فانحـل
على نفســه نسيــج اللـــواء

واغتدى كل تاجر بالقوافـــــى
يثقل الصوت والصدى بالرثـــاء

واعتلى النعش هامـــة المدفع الضخم
وئيـــد الخطى رهيـــب الحداء

سار والحشد خلفه واجم الأنفـــا
س مثل القطيــع خلف الرعـــاء

---

(1) بدر السياب — ديوان أعاصير ، وزارة الاعلام العراقية — مطبعة الأديب البغدادية سنة ١٩٧٢ ص ٤١ .

ذاك والله موكب للظلامات

فهل أخطأته عين السماء

مات لم يجن منه في الناس خيرا

غير من كان وارثا للثراء (١)

حقا انها لمأساة انسانية في هذا المجتمع أن نرى الانسان المخلص المضحي بحياته وعرقه في سبيل بلاده يعيش وحيدا فقيرا ويموت منسيا في الوقت الذي نرى فيه الطغاة يودعون بالحفاوة والتكريم • ولكن هذا التناقض ليس غريبا على مجتمع قائم على التناقض ذاته انه مجتمع يؤمن بقوة المال وسطوة الجاه والنفوذ والشر والطغيان وان كان لا يؤمن بالقيم والمثل الانسانية لأن معانيها تغيرت في عصر الاستعباد الجديد •

ولم تقتصر مآسي الفلاح على جلاديه الذين امتصوا عرقه وألهبوا ظهره بالسياط فحسب بل أخذت الطبيعة نفسها تشارك هؤلاء الجلادين في قسوتها وطغيانها على الفلاح وخاصة عندما تتدفق الفيضانات الجارفة في العراق لتعمق من جراح هذا البائس وتزيد من آلامه وأحزانه بعد أن تجرف في طريقها كل شيء دون أن تترك له سوى الموت والخراب والدمار •

وقد استطاع الشاعر " السياب " ان يصور هذه المأساة التي عاناها الفلاح العراقي عندما ثار نهر دجلة في خلال الأربعينيات حين قال :

زمزم الموج في السهول الذياب

مغيظا وصاح في كل دار

سائل الكوخ والربى والصحاري

كيف أرعش في يد التيار

---

(١) بدر السياب ـ ديوان أعاصير • وزارة الاعلام العراقية ـ مطبعة الأديب البغدادية سنة ١٩٧٢ ص ٤٢ •

أيها النائمون في الضفة السكرى
على الجوع والضنى والصفـــار

ضرب المــاء ما بنى كــل بان
وطوى كــل مأمـل بالثمـــار (١)

وهكذا قضى الفيضان على كل أمل للفلاح وعلى كل رجاء يربطه بالأرض والحيــاة وعندما حاول هذا البائس ان يشكو للسيد الأقطاعي ان يرحمه ويساعده نظرا لما أصابه من خسارة ودمار بسبب الفيضانات ، لم يجد لديه أذنا صاغية بل قوبل بالاستكبار والازدراء والاصرار على دفع حق الشيخ كاملا دون نقصان مهما كانت الأسباب فكان مثله كمثل شاة تشكو لجزارها بلا فائدة ولا رحمة :

واشتكى صاحب القطيـــع المـــوج
لذئـــب رآه أو جـــزار

واشتكى الحاصد المعنى الى الشيخ
فمـــا كـــان منه غير ازورار

وهكذا نجد الظروف القاسية المتعددة تعاونت ضد هذا الفلاح المسكين فالجلاد لا يرحم والأقطاعي لا يحس ولا يتألم ، والطبيعة أيضا تشارك في تعميق الجراح دون أن يجد رحمة أو مساعدة من أحد ، ولذلك نجد الشاعر يصرخ في وجه هذا الاقطاعـــي الجشع الذى قد قلبه من الصخر ، متمنيا لو كان يملك القوة لافناء ومحو هؤلاء الطغـــاة

ليت لـــي قوة المياه فأقتـــص
من " الشيخ " للدمـــوع الغزار

---

(١) بدر السياب ـ ديوان أعاصير ، وزارة الاعلام العراقية ـ مطبعة الأديب البغدادية سنة ١٩٧٢ ص ٤٦ .

ليتني أهدم القصور وأبنيهن
بيتا لشارد في القفار

ليتني أبدل القلوب التي تغفو
على الذل بالحصى والحجار (١)

ثم يتوجه الى جموع هؤلاء الفلاحين المعذبين طالبا منهم الثورة المسلحة ضد هؤلاء الجلادين الطامعين ، لأن الثورة هي الدواء الناجع الوحيد للتحرر من قهضة الجوع والخوف الرهيب :

الدواء الذي ترجى سيأتيك
اسمه من حناجر الثوار

تعصف الصيحة المدماة بالتاج
على كل مفرق مستطار

يوم لا الظالم الغشوم بمنجيه
من الثائرين وشك الفرار

الردى والهوان حظ الأذلاء
وكل الحياة للأحرار (٢)

وهكذا وقف الشاعر الى جانب المظلومين من أبناء شعبه في بداية حياته الشعرية عندما كان طالبا بدار المعلمين ببغداد واستمر في ثورته ضد الاقطاع طوال حياته دون توقف .

---

(١) بدر السياب - ديوان أعاصير ، وزارة والاعلام العراقية - مطبعة الأديب البغدادية سنة ١٩٧٢ ص ٤٩ .
(٢) نفس المصدر السابق ص ٥٢ .

ومن قصائده الرائعة فى محاربة الاقطاع ودفاعه عن حقوق الفلاحين من أبناء ريفه الحبيب ما نجده فى قصيدته عرس فى القرية " حيث يروى لنا قصة الفتاة القروية " نوار " التى اضطرت ان تبيع حبها القروى للاقطاعى لما يملكه من مال وقصور وجاه ونفوذ مما يبين لنا سطوة الاقطاع فى قرى الريف وتحكم هذه الطبقة حتى فى قلوب ومشاعر الفقراء وحينذاك ينفجر فى القرية نشيد جماعى متفجع نادب :

حلوة أنت مثل الندى ياعروس
يارفاقى سترنو اليها " نوار "
من عل باحتقار

زهدتها بنا حفنة من نضار
خاتم أو سوار ، وقصر مشيد
من عظام العبيد (١)

وحين يدافع السياب عن الفقراء المعذبين لا ينطلق من عطف سطحى ساذج وانما من موقف فكرى وجدانى — مبينا ما فى احشاء هذا المجتمع المتخلف من فساد وجراح • مما يزيد فى حقد هؤلاء البائسين على جلاديهم ومصاصى دمائهم •

وروعة التصوير لدى السياب نجدها فى قصيدته " انشودة المطر " التى تعتبر بحق ذروة انتاجه الشعرى حين رمز بالمطر والريح والرعد والبرق الى الثورة والخصب والعطاء كما بين ان المطر رغم كونه رمز الخصب والعطاء الا انه باعث الحزن والالم فى نفس الشاعر لأنه يذكره فى غربته فى الكويت بأمه الغالية " وطنه " العراق الباكى حزنا لفراقه •

---

(١) بدر السياب — ديوان انشودة المطر — بيروت — دار مكتبة الحياة سنة ١٩٦٩ ص ٣١ وما بعدها •

كما يذكره المطر في الوقت نفسه بالفقر والجوع والحرمان ، ولم يكن هذا الجوع وليد الجفاف في العراق بل بالعكس فالعراق أرض الخصب والنماء والعطاء ، لكن خيراته وثرواته تذهب الى اسراب الجراد التي تمتص الأخضر واليابس والى الأفاعي السامة من شيوخ الاقطاع الذين لم يتركوا للشعب الفقير سوى الدموع والجوع والخوف وقد صور الشاعر هذه المظاهر في قصيدته " انشودة المطر " (١)

وفي العراق جوع

وينثر الغلال فيه موسم الحصاد

لتشبع الغربان والجراد

وتطحن الشوان والحجر

رحى تدور في الحقول .. حولها بشر

مطر ، مطر ، مطر

وهكذا أصبح الجوع أهم ظاهرة في حياة العراق :

وكل عام ـ حين يعشب الثرى ، نجوع

ما مر عام والعراق ليس فيه جوع

لكن هذا الجوع القاتل ليس وليد القحط والجفاف بل بسبب الاقطاع الذي أنشب مخالبه في عنق الشعب .

من زهرة يربها الفرات بالندى

وأسمع الصدى

يرن في الخليج

مطر،مطر ، مطر

---

(١) بدر شاكر السياب ،ديوان انشودة المطر ، بيروت ـ دار مكتبة الحياة سنة ١٩٦٩ ص ١٤٥ وما بعدها .

وهكذا يتحول المطر الى مصدر حزن للشاعر وصدى عذاب لأنه يذكره بجوع وطنه وأبناء شعبه المعذب ٠

وعلى الرغم من هذا الأسى والجراح الا ان الشاعر لم يفقد الأمل كعادته فقد كان يؤمن بأن هذا الجوع والعذاب لا بد ان يفجر الثورة من الأعماق ضد الطغاة والاقطاعيين وأن قطرات الدماء النازفة من جراح الضحايا لا بد ان تتحول الى سيل جارف قوى يدك عروش الطغيان في العراق :

في كل قطرة من المطر
حمراء أو صفراء من أجنة الزهر
وكل دمعة من الجياع والعراة
وكل قطرة تراق من دم العبيد
فهي ابتسام في انتظار مبسم جديد
أو حلمة توردت على فم الوليد
في عالم الغد الفتى واهب الحياة
ويهطل المطر (١)

وتحققت نبوءة الشاعر حين هطل المطر بغزارة وعنف اذ قامت الثورة العراقية في ١٤ تموز سنة ١٩٥٨ لتغسل العراق من الحكم الملكي البائد وأذنابه من الاقطاعيين وكم كانت سعادة الشاعر عندما رأى مطر الثوره يهطل ليبعث الربيع والخصب والأمل في النفوس الظامئة التى انتظرت منذ مئات السنين ٠ لكن هذه الفرحة للأسف لم تطل طويلا اذ سرعان ما انحرفت الثورة عن اهدافها الوطنية الشعوبية على يدى "عبد الكريم قاسم"

---

(١) بدر شاكر السياب ، ديوان انشودة المطر ، بيروت — دار مكتبة الحياة سنة ١٩٦٩ ص ١٥٠٠

فعاد الجوع والخوف والارهاب من جديد • حتى قامت ثورة ١٤ رمضان سنة ١٩٦٣ ضد الحكم الشعوبي القاسمي لتغسل " بابل " من خطاياها من جديد •

* * *

ثانيا — الفقر والاستغلال الطبقي في المدن :

كان من أهم نتائج سيطرة النظام الاقطاعي البغيض على الريف العراقي أن تركزت الثروة والأرض في ايدي قلة من الاقطاعيين مما أدى الى تدهور حياة الفلاحين وعرقلة تطور القوى العاملة بأجمعها • ومما دفع بقوافل الفلاحين المنهكين للهجرة من الريف الى المدن بحثا عن العمل في مصانع الرأسماليين

وكان المجتمع العراقي حينئذ خليطا ممزوجا من الملكية المشائرية والنظام الاقطاعي مع وجود شرائح أخرى تتمثل في أصحاب المهن والحرف اليدوية الاخرى والتي كانت فريسة سهلة لأصحاب النفوذ الاقطاعي من جهة وأصحاب المعامل والمصانع من جهة أخرى •

كما تشمل هذه القوى العاملة المستغلة أيضا طبقة العمال الزراعيين والفلاحين المهاجرين وبعض صغار الموظفين والطلاب الفقراء بالاضافة الى بعض المثقفين الذين ولدوا بين أحضان الفقر والجوع • وكانت هذه القوى تزداد تراكما في شوارع المدن هربا في قسوة الاقطاع والفقر حتى اضطر معظمها الى السكن داخل أكواخ من الصفيح في ضواحي المدن وخاصة بغداد والموصل والبصرة •

وكانت أكثر المناطق العراقية ازدحاما بالعمال والمهاجرين من اعماق الريف هي مناطق المدن وخاصة بغداد والبصرة والموصل • وذلك نظرا لتركز المعامل والمصانع فيها — لكن أكثرها ازدحاما كان في بغداد بالذات

مما أدى بالتالى الى نتائج سلبية عديدة أثرت بصورة مباشرة وغير مباشرة على نمو الطبقة العاملة نوعا وكما ، فقد ظل مستوى وعى العمال فى المنطقتين الشمالية بالموصل والجنوبية فى البصرة منخفضا بالنسبة للمنطقة الوسطى " بغداد " كما أدى بالتالى الى حرمان العديد من العمال من فرص الثقافة والتعليم بالنسبة لزملائهم الآخرين فى بغداد .

وفى وسط هذا الجو الاجتماعى والاقتصادى المتدهور اصطدم الشاعر " بدر شاكر السياب " بمظاهر الحياة الزائفة القائمة على استغلال الاحتكاريين لدماء هذه الطبقة الفقيرة العاملة ، كما اصطدم بالواقع " المادى " الجاف الذى حطم النفوس وحل مكان القيم والمفاهيم الانسانية التى عاشت وترعرعت فى أحضان الريف الساذج البرئ ، مما دفع به الى الحقد والثورة على " المدينة " لكونها وكرا للطغاة واللصوص .

يقول من قصيدته " مأساة الميناء " :

سل الميناء لو سمع الخطايا
فروى غلة الصادى جوابا

وأبطال " النقابة " كيف باتوا
يذوقون المذلة والعذابا

أذنب ان يقال لنا حقوق
أبى أصحابهن لها اغتصابا ؟

وعدل ان تجرع كل حر
يد المستعمرين قذى وصابا

حلال لابن " لندن " فى حمانا
دم ابن الرافدين .. فلا عتابا

---

(١) بدر السياب ، ديوان أعاصير ، ص ٥٣ وما بعدها .

وحوران نمد يدا اليـــه

وحـــق ان يمـــد لنا حرابـــا ؟

لقد كانت ثورة المظلوم ابان ذلك الوقت جريمة تقابل بالرصاص والموت من قبل العملاء الخونة أما امتصاص الدماء وقتل الأبرياء من قبل الجلادين والمستعمرين فهو عمل لا غبار عليـــه •

ويستمر الشاعر فى بذر روح النضال والتضحية فى نفوس أبناء وطنه من العمال فـــى مواصلة الثورة مبينا ما بينهما من روابط ومشاعر مشتركة ضد المستعمر واعوانه الخونة :

جموع الكادحيـــن وجمعتنـــا

مصائـــب لست أدركهـــا حسابـــا

وحقد ان ذممت ســـواه حقـــدا

فـــلا ألقـــاه الا مستطابـــا

على المستعمرين يصـــب نـــارا

وأبناء الشراء لظـــى مذابـــا

جموع الكادحين ••• وجل عـــارا

رضانـــا بالهوان وخس عابـــا

دعاك الى النضال شقاء شعـــب

تحمل من مذلتـــه الصعابـــا

خذى بالثأر خصمك لا تلينـــى

وجدى غيـــر قاصـــرة طلابـــا

وسار لك الغد الذاهى فسيـــرى

وزيدى من محيـــاه اقترابـــا

يكـــاد الظامئـــون من الضحايا
يصيحـــون : اجعلى دمه شرابا

تطل عليــكأحداق المـــذ ارى
مـــن الأكفـــان حانقـــة غضابا

لك الغد والحيـــاة وللأعـــادى
معاول تحفرين بهـــا الترابـــا .. الخ

وهكذا دعا الشاعر أبناء وطنه المعذبين الى مواصلة الكفاح والنضال مهما بلغـــت التضحيات في سبيل النصر وكما وقف الشاعر الى جانب العمال الثائرين المطالبين بحقوقهم المهضومة فقد وقف صارخا فى وجه أصحاب المعامل والمصانع من العملاء الذين لا هـــم لهم سوى زيادة أموالهم من دماء الضحايا العمال ،مهددا اياهم بأن هذه الجمـــوع المهضومة لا بد ان تثور من أجل حقها فى الحياة اذ يقول :

يا زاعميـــن الآلة " الصماء " مدعاة الشقـــاء
خلف الدخان الثائر المنفوث فـــى عرض الفضـــاء
والمرجل الفوار ، يزفر باللظى دون انتهـــاء
يوم هو التاريخ ، مخضوب الحواشـــى بالدماء
تلك الأكف الهاويات على الطغـــاة الأدنيـــاء
تلك العيون الدامعات يوج منهن اللهيـــب
تلك اللواتى ترهبون رغر منهن المريـــب (١)

ثم يعلن الشاعر وقوفه بشعره الى جانب هؤلاء الثائرين على ظلم الاحتكار :

---

(١) بدر السياب ، نفس المصدر السابق ص ٩١ .

شعري لهاث الكادحين وليس أنفاس الغواني
توجيه آلاف الأكف القابضات على الزمان
وافرحتاه اذا تلاقى في اللهيب الثائران
داس القيود " ابن المصانع " فاقتضاه " ابن الجنان " (١)

وعندما تقوم ثورة هؤلاء العمال فانها سوف تنتقم من جلاديها انتقاما مريعا رهيبا لشدة مالاقته هذه الضحايا من ظلم واستعباد :

أين الطغاة الحاجبون عن الوثوب خطى الصغار ؟
الساحقون سواعد الأطفال فوق دم ونار
ويح الصغار الكادحين من الطواغيت الكبار
اليوم ينتقم الأب الموتور من ذاك النضار
يجري عليه دم ابنه المسفوح أي دم ونار (٢)

ولم تتوقف جرائم المحتكرين عند حدود سرقة عرق العامل وامتصاص دمه فحسب بل تعدت ذلك الى انتهاك عرضه وشرفه .

وقد صور الشاعر ذلك بقوله :

يا من تبيع شبابها المضني بما يئد الشبابا
ان جردتك من الثياب يد لتلبسك الثيابا
أو غل من فمك الشراب فم ليسقيك الشرابا
جور الشرائع كم أذل فتى وكم أفنى كعابا (٣)

---

(١) بدر السياب نفس المصدر السابق ص ٩٢ .
(٢) نفس المصدر السابق ص ٩٥ .
(٣) نفس المصدر السابق ص ١٠٠ .

وبعد أن يقضي وطره الدنيء هذا الوحش يقذف بضحيته الى عرض الشارع :

حتى اذا انكسف الشباب وخان خديك الطلاء

والتف بالنهدين ثوب كان يملؤه امتلاء

أواك ركن في الرصيف يهينه منك اجتداء

اليوم تسخر من عصاك الغانيات بل الخطوب

يسخرن منك فتصرخين الام أبقى ياشعوب ؟ (١)

ومن القصائد الثورية التي رمى الشاعر بها في وجه الطغاة قصيدته الرائعة " الى حسناء القصر " والتي يقارن فيها بين حياة " حسناء القصر " المترفة المنعمة في قصرها وبين الفتاة الفقيرة المهضومة التي تعيش في أحضان البؤس والفقر والجوع :

حسناء يهنئك الشباب الغض والمال العميم

يهنئك يابنت القصور الشم انك في نعيم

....

يهنئك ياحسناء هاتيك اللآلىء والثياب

لم يضرب الغواص مهتاج الخواطر في العباب

أو يقطع الأنفاس والأمواج ترقص في ضباب

الا بخطى جيدك الوسنان " باللطف " الرطاب

لم يسرب الفلاح وسط الحقل عريان الاهاب

والشمس تحرق في رحاب الأفق أشتات السحاب

الا ليلبسك الدمقس يضوع بالعطر المذاب (٢)

---

(١) بدر السياب المصدر السابق ص ١٠١ .

(٢) بدر السياب ديوان أساطير النجف الأشرف منشورات دار البيان سنة ١٩٥٠ ص ٨٨ .

وهكذا تتحول جماجم الصيادين ودموعهم الى لآلئ تتزين جيد ابنة الاقطاعـــي والرأسمالي كما تتحول قطرات العرق والدم في عروق الفلاح الى ثياب حريرية تكسو جسدها في الوقت الذي تعيش فيه ابنة الصياد والعامل والفلاح في ظلام الموت والفقر والحرمان •

لم تسر بنت الكوخ في اسما لها تحت الظـلال
مذعورة الألحاظ ، عاثرة الخطى بين الـرجـام
حيرى تودع خدرها المهجور بالدمع السجـام
عذراء ، تطرح جسمها المنهوك في دار الأثـام
الا لتمس أنت طاهرة ، مصفاة الغـــرام (١)

ولذلك نجد الشاعر يعود ثائرا متوعدا بقرب قيام ثورة هؤلاء العبيد المستضعفيـن من أجل انتزاع حقوقهم المسلوبة — بعد دك قصور الظلم والطغيان وانتزاع هذه اللآلى لتعود الى أصحابها الحقيقيين المعذبين :

حسناء ان دام الشباب فان مالك لا يـدوم
والقصر ينقض بعد حين منه ، أذرع النجـوم
فيعود أنقاضا مصدعة يجللها الوجـــوم
يمشي عليه الثائر الغضبان بسام الكلـــوم
الحاطم المستعبدين ، وكل جبار ظلـــوم
العامل الموتور : يأخذ بالتراث من الخصوم (٢)

وكما أن هذا الشعب سوف يدك قصور الطغيان لا بد ان يسترجع ثروته التي صارت

---

(١) بدر شاكر السياب ديوان أساطير النجف الأشرف — منشورات دار البيان سنة ١٩٥٠ ص ٨٩ •
(٢) نفس المصدر السابق ص ٩١ •

لآلي في جيد الحسناء :

ان اللآلىء سوف تنزعها الأكف الداميات
فيقر قلب ، في المقابر أو عيون مطفئات
قلب تنقل في البحار على زئير العاصفات
وعيون غواص هتكن دجى الليالي المظلمات
وبحثن في الأغوار ، والامواج كالحة الثياب
حسناء والدنيا بأجمعها تفيق من السبات
قد آن أن تنسل أثواب الدمقس العاطرات
من جسمك الكاسي ، الى تلك الجسوم العاريات
فاذا أبيت فسوف تنزعها الأكف الداميات(١)

ولقد تحققت نبوءة الشاعر عندما قامت ثورة الشعب والجيش في ١٤ تموز سنة ١٩٥٨ حيث تحولت القصور الى انقاض تحت أقدام الثائرين ويثور بقسوة ضد طبقات المترفين الأغنياء الذين يمتصون دماء الفقراء لاهم لهم في الحياة الا تحقيق ملذاتهم وشهواتهم :

وعلى الاكتاف البيض فراء
الذئب يدثر انسانه
وعلى الأثداء من النمر
شرق يتسلل ملء الغاب من الشجر
والليل يطول من السمر (٢)

---

(١) بدر شاكر السياب ديوان أساطير النجف الأشرف ـ منشورات دار البيان سنة ١٩٥٠ ص ٩١ وما بعدها .
(٢) بدر السياب ، ديوان انشودة المطر ص ٢٠ .

فهذه الطبقة لا تخرج عن كونها ذئابا مفترسة لآمال وآماني ابناء هذا الشعب •

ولقد ازداد حقد الشاعر " السياب " على المدينة وثار على حياتها الزائفة المجسودة من القيم الانسانية والمبادئ المثالية التي شوهها من نهج بفه الطامع البرئ مما جعله يحن شوقا الى " جيكور " رمز الطهارة والبراءة والحياة الانسانية بكل مقوماتها ومفاهيمها المتعددة ومن كراهيته للمدينة المزيفة كآكلة أبنائها قولـــه :

وتلتف حولـي دروب المدينـــــه
حبالا مـــن الطين يمضغن قلبـــي
ويعطين ، عن جمرة فيـــه طينـــه
حبالا من النور يجلدن عرى الحقول الخزينه
ويحرقن " جيكور " فـــي قـــاع روحـــي
ويزرعن فيها رماد الضغينــــــه (١)

وكان السياب يحس بالاختناق في جو المدينة المسموم بالحقد والكراهية والظلـــم واستغلال الانسان لاخيه الانسان مما يدفعه للهرب بروحه وفكره الى " جيكور " رمـــز الطهارة والمحبة :

وجيكور خضراء مس الأصيل ذرى النخل فيها
بشمـــس حزينـــة
يمد الكـــرى لـــي طريقـــا اليهـــا

---

(١) بدر السياب ، انشودة المطر ص ٩٣ •

من القلب يمتد ، عبر الدهاليز ، عبر الدجى والقلاع الحصينة [1]

لقد كانت " جيكور " بمثابة الرئة الوحيدة التي يتنفس من خلالها الشاعر والنافذة الوحيدة التي يطل من خلالها على ساحة الحياة الانسانية .

أما مدينته " بابل " فقد كانت مصدر شقائه وأحزانه ، لسيطرة الجشع وحب المال على النفوس المريضة حتى تحولت الى سجن مظلم ومهض يزخر بالفساد والعفن :

وقد نام في بابل الراقصون
ونام الحديد الذي يشحذونه
وغشى على أعين الخازنين ، لهاب النضار الذي يحرسونه
حصاد المجاعات في جنتيها
رحى من لظى مردري عليها
وكم هاليجة الماقرات ، شرايين تموز عبر المدينة
شرايين في كل دار ، وسجن ومقهى
وسجن وبار ، وفي كل ملهى
وفي كل مستشفيات المجانين
في كل مهض لعشتار
يطلعن أزهارهن الهجينة (٢)

وهكذا تحولت المدينة في نظر " السياب " الى عالم من الجنون والسقوط وعبادة المال ومقبرة القيم الانسانية . مما كان يدفعه دائما للهرب الى أفياء قريته وريفه

---

(١) بدر السياب - ديوان انشودة المطر ص ٩٤ .
(٢) نفس المصدر السابق " انشودة المطر " ص ٩٥ .

الحبيب على جواده الأشهب :

على جواد الحلم الأشهب
وتحت شمس المشرق الأخضر
في صيف جيكور السخي الثري
أسرب أطوي دربي النائي
بين الندى والزهر والماء
أبحث في الآفاق عن كوكب
عن مولد للروح تحت السماء
عن منبع يروي لهيب الظماء
عن منزل للسائح المتعب (١)

انه كظامئ في الصحراء يفتش عن واحة يستريح تحت ظلالها من وهج الحياة القاسية وبراثن المدينة الظالم أهلها . لكن " جيكور " وريف الحبيب قد خيم عليهما الموت والجفاف لأنهما ضحية المدينة الظالمة التي امتصت شرايينهما ولم تترك لهما سوى الجوع والخوف والحرمان :

جيكور ، جيكور ، أين الخبز والماء ؟
الليل وافى وقد نام الأدلاء ؟
والركب سهران من جوع ومن عطش
والريح صر ، وكل الأفق أصداء
بيداء ما في مداها ما يبين به
درب لنا ، وسماء الليل عمياء

---

(١) بدر شاكر السياب " ديوان انشودة المطر " ص ٩٩ .

جيكور ، مدى لنا بابا فندخله
أو سامرينا بنجم فيه أضواء (١)

وأخيرا يتهالك الشاعر حزينا محطما لما أصاب وطنه من خراب ودمار لكنه يعرض جسمه المنهوك طعاما وشرابا للبائسين المعذبين ليكون فداء لهم ولحريتهم السليبة •

هذا طعامي أيها الجائعون
هذه موحي، أيها البائسون
هذا دمائي، أيها العابدون
جيكور نامي في ظلام السنين (٢)

الا ان هذا الموت والفناء ليس الا مقدمة للبعث والنشور من جديد حينما يثور الشعب على اعدائه حيث يتحول دم الشاعر وجسده الى فكرة ومستقبل وحياة جديدة •

منكي يؤكل الخبز باسمي لكي يزرعوني مع الموسم
كم حياة سأحيا ، ففي كل حفره
صرت مستقبلا ، صرت بذرة
صرت جيلا من الناس ، في كل قلب دمي
قطرة منه أو بعض قطرة (٣)

ومع مرور الزمن تعمقت الكراهية في اعماق الشاعر ضد المدينة وخاصة خلال حكم قاسم " للعراق حينما حولها الى مقبرة خرساء عقب فشل ثورة " الشواف " بالموصل سنة ١٩٥٩•

---

(١) بدر شاكر السياب ، ديوان انشودة المطر ص ٩٩ •
(٢) نفس المصدر السابق ص ١٠١ •
(٣) بدر السياب ، ديوان انشودة المطر ص ١٢٩ •

جثثها المعلقات زرعها الـرؤوس
تزرعها قواطع الفـؤوس
وتنقر الغربان من عيونها
وتشرب الشموس (١)

ثم يتساءل الشاعر متحسرا متألما أهذه بغداد التي عرفها ؟ لا يمكن ان تكون هي على الاطلاق لما أصابها من خراب ودمار على يدي " الجلاد " الطاغية وزبانيته المجرمين :

أهذه مدينتي ؟ خناجر التتر
تغمد فوق بابها ، وتلهث الفلاة
حول دروبها ، ولا يزورها القمر؟
أهذه مدينتي ، أهذه الحفر؟
وهذه العظام ؟
يطل من بيوتها الظلام
وتصبغ الدماء بالقتام
لكي تضيع ، لا يراها قاطع الأثر؟ (٢)

لهذا كله امتلأ قلب الشاعر بالكراهية على المدينة التي تحولت الى وكر للطغاة وسارقي الأمل الأخضر من عيون الأطفال والابرياء والنساء الثكالى والأرامل ٠

ان عالم المدينة هو عالم الغاب والقهر والطغيان انها " وجر " الذئاب وعش الغراب انها عمياء في وضح النهار وأن ضحاياها موتى بلا قبور ٠

---

(١) بدر السياب ، ديوان انشودة المطر ص ١٤٠٠
(٢) نفس المصدر السابق ص ١٤٠ وما بعدها ٠

عمياء كالخفاش في وضح النهار هي المدينة
والليل زاد لها عماها
والعابرون
الأضلع المقوسات على المخاوف والظنون
والأعين التعبى تفتش عن خيال في سواها
وتعد آنية تلألأ في حوانيت الخمور
موتى تخاف من النشور
قالوا لنهرب ، ثم لاذوا بالقبور من القبور (١)

ولم تتوقف كراهية الشاعر للمدينة وحدها بل شملت " المال " لأنه سبب الانحراف والاستعباد في هذا العالم ، انه مصدر الصراع الوحشي في هذا المجتمع ، انه مقياس التفاضل في مجتمع لا يعترف بالفقر والقيم الانسانية ، فهو الذي أذل الفقير وهو الذي دفع بالمرأة لتبيع جسدها في سوق البغاء كما في قصيدته " المومس العمياء " وهو الذي دفع بالحفار الى عالم الأنانية وحب الذات ، وهو الذي خلق " المخبر " الحقير المجرد من الضمير الانساني ، وهو مصدر وشقاء المعذبين في الأرض :

المال شيطان المدينه
لم يحظ ، من هذا الرهان - بغير أجساد مهينه
فاوست في اعماقهن يعيد أغنية حزينه
المال شيطان المدينة " رب فاوست " الجديد
جارب على الأثمان وفرة ما لديه من العبيد (٢)

---

(١) بدر السياب " انشودة المطر " ص ١٧٤ ·
(٢) نفس المصدر السابق ص ١٧٩ ·

لكن ثورته على المال تزداد وتتعمق بعد فراره الى الكويت سنة ١٩٥٢ هربا من بطش نوري السعيد حين جلس على شاطئ الخليج بالكويت حزينا متألما لعجزه عن دفع ثمن أجرة السفينة التي ستعيده الى وطنه الحبيب ولكن أنى له ان يعود والفقر يحاصره من كل جانب وعندما يفتح الشاعر عينيه على واقعه المرير المؤلم يصرخ متألما في وجه النقود التي تقف حجر عثرة في طريق عودته :

فلتنطفي ياأنت ، ياقطرات ، يادم ، يانقود
ياريح ، ياابرا تخيط لي الشراع ــ متى أعود
الى العراق ، متى أعود ؟
يالمعة الأمواج ، رنحهن مجداف يرود
بي الخليج ، وياكراكبه الكبيرة .. يانقود (١)

انها القوة الدافعة لتحقيق آماله ، انها الشراع الذي يقود سفينة عودته ، ولمعة الأمواج وكواكب الخليج التي تضيء له الطريق ولكن ... للأسف لم يستطع تحقيقها وتوفيرها . ولذلك تمنى لو كان السفر في السفن مجانا بلا ثمن ، وأن الأرض متصلة بلا بحار تفصل بينها :

ليت السفائن لا تقاضى راكبيها عن سفار
أو ليت ان الأرض كالأفق العريض بلا بحار

ويستمر الشاعر في الصراع بين الأمل والشوق للعودة وبين العجز عن تحقيق هذا الأمل لعدم توافر المال والنقود التي لا يمكن بدونها تحويل الأحلام الى واقع ملموس .

---

(١) بدر السياب " انشودة المطر " ص ١٢ وما بعدها .

وأخيرا يشعر باليأس والألم لعدم حصوله على مفتاح العودة وهو " النقود

واحسرتاه فلن أعود الى العراق

وهل يعود

من كان تعوزه النقود ؟ وكيف تدخر النقود ؟

وأنت تأكل اذ تجوع ؟ وأنت تنفق مايجود

به الكرام على الطعام ؟

لتبكين على العراق

فما لديك سوى الدموع

وسوى انتظارك ، دون جدوى للرياح وللقلوع(١)

ونحن اذا تابعنا مواكبة دواوين الشاعر نجدها نابضة بهذه الصور الرائعة التى تمثل مأساة الانسان العربى المعاصر سواء على المستوى الاجتماعى والاقتصادى أوالتاريخى والقومى والانسانى ، لأن كل قصيدة من شعره بمثابة لوحة كاملة ذات الوان متعددة لكنها جميعا تكون لوحة فنية رائعة متعددة الصور والجوانب .

* * *

ثالثا - الانحدار الأخلاقى :

كان من نتائج الانهيار الاجتماعى والاقتصادى فى العراق - أن تردت الأخلاق والقيم الانسانية بسبب الفقر والجوع والحرمان ، حيث برزت طوائف جديدة جحدت هذه المبادئ والاخلاق السامية واندفعت لتحقيق اغراضها ومطامعها الشخصية مهما كانت الوسائل " حتى أصبحت الحاجة تبرر الوسيلة " وخاصة لدى العديد من الانتهازيين

---

(١) بدر السياب " انشودة المطر " ص ١٤ .

من ذوي النفوس الضعيفة .

وفي هذا الجو من عدم الاستقرار والاضطراب في المفاهيم والقيم المادية والفكرية والسياسية أخذ الفرد العراقي يتعرض للعديد من الضغوط الاجتماعية والتمزقات النفسية الحادة والأفكار المتصارعة والاحساس المستمر بالجوع والتهديد بالسجن والتعذيب مما أدى بالتالي الى تفكك العلاقات الاجتماعية وتعرضها لأقسى هزة عرفها التاريخ الاجتماعي في العراق .

وفي وضع مثل هذا الوضع الذي صار طابعه الخوف والجوع والاستغلال وفقدان الحرية والأمن وظهرت امراض اجتماعية خطيرة أدت الى انهيار القيم والمبادئ الانسانية فالأنانية وحب الذات وتحقيق الشهوات والملذات ولو كان ذلك على حساب سعادة الآخرين صارت كلها ظاهرة واضحة في حياة الناس مما تحدث عنه السياب في بعض قصائده الفنية الرائعة مثل " حفار القبور " الذي يمثل الرجل الأناني الجائع الذي يتمنى موت الناس جميعا واستمرار الحروب ليهلك البشر حتى يتوفر لديه المال في سبيل تحقيق شهواته وغرائزه الحيوانية في ظلام المدينة كما جاء في قصيدته " حفار القبور[1] " :

كفاه جامدتان أبرد من جباه الخاملين
وكأن حولهما هواء كان في بعض اللحود
كفان قاسيتان جائعتان كالذئب السجين
وفم كشق في جدار ... ومقلتان بلا بريق

فالحفار الأناني ذئب مفترس في صورة الانسان ، لاهم له في الحياة سوى مطامعه وشهواته ولو أدى ذلك الى انهيار المجتمع وموت الانسان - ولم يكتف بالتمني بل يتجاوز ذلك الى مرحلة الدعاء لهلاك هذه البشرية :

---

(١) بدر السياب " ديوان انشودة المطر ص ٢٠٣ وما بعدها .

يـــارب مـــا دام الفنـــاء
هو غاية الأحياء - فأمر يهلكوا هذا النساء
سأمـــوت من ظمـــأ وجـــوع
ان لــم يمت بعـــض الأنـام (١)

وما كاد يبصر قدوم احدى ضحاياه حتى رقص قلبه بالفرح لأنه سيحصل على بعض النقود ليروي ظمأه الجنسي الثائر في أعماقه ، لكنه سرعان ما يكتشف أن الضحية ليست سوى المومس التي كان معها بالأمس :

ماتت كمن ماتوا ووارها كما وارى سواهـا
واسترجعت كفاه من يدها المحطمة الرقيقة
ما كـان أعطاهـا
وتظل أنـوار المدينة وهي تلمع من بعيد
ويظل حفار القبور ، ينأى عن القبر الجديد
متعثر الخطوات يحلم باللقاء وبالخمـور (٢)

لكن هذا الحفار الوحشي البوهيمي يعيش في صراع بين عقله وبين غرائزه في بعض الأحيان فعندما يصحو ضميره نادرا يحاول ان يختلق الأعذار لنفسه على انحطـاط نفسيته بحجة جهله وعدم ثقافته - وأن الجريمة تقع على عاتق الطغاة انفسهم الذيـن يتحكمون في حياة ومقدرات الشعب .

أنـــا لســـت أحقـــر من سواي
وان قسوت فلي شفيع ، اني كوحش في الفلاة

---

(١) بدر السياب " ديوان انشودة المطر ص ٢٠٧ .
(٢) نفس المصدر السابق ص ٢١٩ .

لـــم أقـــرأ الكتـــب الضخــــام
وشافنــــــى ظمـــــأ وجـــوع
أو مــــا تــــرى المتحضريـــن
المزدهين من الجديد بما يطير وما يذيع
الى نويـــت ... ويفعلـــون
والقاتلون هم الجناة ، وليس حفار القبـــور (١)

ان المأساة الحقيقية في هذه الشخصية المريضة تكمن في تعاسة المرأة الضحية الـتي التي أجبرها النظام الفاسد والمجتمع المفكك التي بيع جسدها من أجل حفنة من النقـود خوفا من الجوع - كما أنها تكمن في موت ضمير هذا " الحفار " الذى يرمز الى مـوت ضمير الاقطاع والطغاة في العراق الذين يجمعون المال من أشلاء الشعب البائـس

ونظرا لما تتميز به هذه الملحمة من تحليل نفسي وتصوير صادق للعقد النفسية التي تتصارع في أعماق الفرد الانساني والوحش المفترس - كان فيها رمز للثورة النفسية الذاتية ضد : " الأبوة " والتعاطف الكامل مع الأمومة المعهودة في هذا المجتمع المتخلف .

وكذلك تمتاز بطريقة بنائها الفني المعتمد على التقابل بين العقل والغريزة ، وبين الخير والشر ، وتداعي الأفكار وترابطها وروعة التصوير الفني لشخصية الحفار ومظهـره الكريه ، كقوله :

كفان قاسيتان جائعتان كالذئب السجين
وفم كشق في جدار ، ومقلتان بلا بريـــق

---

(١) بدر السياب " انشودة المطر " ص ٢١٠ .

وغير ذلك من الصور الابداعية التي استطاعت مخيلة الشاعر الخصبة أن تلدها وتبتكرها مع استعمال الرمز ذي الدلالات البعيدة والحوار والنغم الداخلي الذي يمثل الصراع في أعماق الحفار .

ولا شك ان هذا الانحدار الأخلاقي ما كان يمكن ان يوجد في المجتمع لولا انهيار قيمه ومبادئه بسبب الخوف والاضطهاد والجوع والفقر وغير ذلك من الأسباب التي أوجدها هذا النظام الاحتكاري الاقطاعي العشائري طوال السنين القاسية الماضية من تاريخ العراق .

كما تتجلى هذه الأنانية بأوسع صورها أيضا في قصيدته " المخبر " الذي ارتضى لنفسه أن يكون بمثابة " كلب " للحراسة في خدمة سيده ، مقابل ان يوفر له بعض " الفتات " على مائدته مما أدى الى موت ضميره وأحاسيسه الانسانية وتحوله الى حيوان مفترس يعيش على خراب البيوت واختلاق النكبات والمصائب للضحايا من أبناء هذا الشعب ، وقد وصف الشاعر " السياب " في احدى رسائله لصاحب مجلة الآداب اللبنانية حيث يقول له :

(انه الجاسوس الذي يفتري على أخيار الناس ، ويلصق بهم التهم الباطلة والأكاذيب وأقرب الناس اليه وأشبههم به من داس على ضميره ، فاتهم الوطنيين بالخيانة وأكل لحم أخيه ميتا) (١)

ثم افتتحها بالآية الكريمة (أيحب أحدكم ان يأكل لحم أخيه ميتا)

وفي المخبر يقول كاتب عراقي :

المخبرون والوكلاء ضحايا النظام الاقطاعي ـ الاستعماري ووظيفة هذه الكلاب هي احتلال المقاهي والشوارع والحدائق ، ليحصوا الأنفاس والحركات والسكنات ، انهم

---

(١) بدر شاكر السياب في رسالة للدكتور سهيل ادريس ـ بتاريخ ١٩٥٤/٧/١٧ .

اجزاء صدئة في الآلة البوليسية الدكتاتورية)(١) .

انهم وصمة عار في المجتمع المتعفن القائم على الكبت والارهاب ، وذلك بعد أن فقدوا الاحساس ومات عندهم الضمير الانساني ، ورغم ذلك يصرون على مواصلة الطريق القذر الذي رسمه لهم أسيادهم الطغاة . واذا استيقظ الضمير لديهم فسرعان ما يخمد ويتوارى خلف سحب الجشع والطمع والأنانية .

أنا ما تشاء : أنا الحقير
صباغ أحذية الغزاة ، وبائع الدم والضمير
للظالمين ، أنا الغراب
يقتات من جثث الفراخ ، أنا الدمار أنا الخراب
شفة البغي أعف من قلبي ، وأجنحة الذباب
أنقى وأدفأ من يدي .. كما تشاء ، أنا الحقير
لكن لي من مقلتي .. اذا تبرمتا خطاك
وتقرنا قسمات وجهك وارتعاشك - ابرتين
ستنسجان لك الشراك (٢)

ثم يقول فيه :

أنا حامل الأغلال في نفسي ،أقيد من أشاء
بمثلهن من الحديد ، وأستبيح من الخدود
ومن الجباه ، أعزعن ،أنا المصير أنا القضاء (٣)

وتبلغ به الأنانية وحب الذات الى ذروتها عندما يدعو على هذا العالم بالفناء

---

(١) د . جليل كمال الدين . الشعر العراقي الحديث وروح العصر . دار العلم للملايين ، بيروت سنة ١٩٦٤ ص ٢٦٥ .
(٢) بدر السياب " ديوان انشودة المطر " ص ٢٧ .
(٣) نفس المصدر السابق ص ٢٨ .

والدمار ما دام ذلك يشبع بطنه ويطون أطفاله الجائعين .

سحقا لهذا الكون أجمع ، وليحل به الدمار
مالي وما للناس ؟ لست أبا لكل الجائعين
لي حفنة القمح التي بيدي ودانية السنين (١)

لكنه في النهاية يحس في اعماقه بجريمته النكراء وأنانيته المطلقة ولكن بعد فوات الأوان وعندما لا ينفع الندم ، فيعترف بحقارة نفسه وأنانيته التي أدت الى خراب الكثير من بيوت الضحايا الأبرياء لاشباع غرائزه وشهواته :

اني سأحيا لا رجاء ولا اشتياق ولا نزوع
لا شيء غير الرعب والقلق الممض على المصير
ساء المصير
رباه ان الموت أهون من ترقبه المرير
ساء المصير
لم كنت أحقر ، ما يكون عليه انسان حقير؟ (٢)

وفي القصائد الأخرى التي رسم فيها "السياب" ضحايا هذا النظام الفاسد وما قاموا به من جرائم في حق أبناء شعبهم أيضا "قصيدة المومس العمياء" التي تعتبر وصمة عار لا تمحى في جبين الأمة والمجتمع حيث ألجأتها الظروف الاجتماعية القاسية بعد مقتل أبيها الفقير الى الهروب الى بغداد وعندما حاصرها الجوع والفقر اضطرت ان تبيع جسدها لجنود الاحتلال وغيرهم من السكارى بحثا عن لقمة العيش الملطخ بالذل والعار والموت . هذه بعض اسباب الانحدار الاخلاقي في المجتمع الذي عاصره "السياب"

---

(١) بدر السياب "ديوان انشودة المطر" ص ٣٠ .
(٢) نفس المصدر ص ٣٠ .

((الفصـــل الثالـــث))

((الفصـــل الثالـــث))

:: الاتجاه السيـــاســـي الوطـني ::

كانت حياة العراق السياسية والاجتماعية والاقتصادية بمثابة سلسلة من النكبـــات والمصائب التي لم يشهد لها التاريخ مثيلا ، وبخاصة خلال الحرب العالمية الثانيـــة حيث كانت جيوش الاستعمار تجثم على صدره بقسوة وعنف بعد ان قوضت أركان ثورة : " رشيد عالي الكيلاني " الوطنية سنة ١٩٤١ ٠

وفي خلال هذه المرحلة الدامية تفتح الشاعر " السياب " شاعريته الثورية على منظـر البصرة وشوارعها المليئة بجموع الشعب الثائر من عمال وفلاحين ومثقفين من أجل استرداد حقهم في الحياة الحرة الكريمة ، كما شاهد دماء الضحايا المتناثرة في ميناء البصرة (١) والمعقل والفاو وغيرها من موانيء العراق كما شاهد قوافل الفلاحين وهم ينزفون الدماء في حقول الأغنياء ٠

من أجل هذا كله ثار الشاعر ضد الجلادين المستعمرين واعوانهم من الخونة ، كمـا ثار ضد اعداء شعبه ثورة عاتية ومن نماذج شعره الثوري ضد الاستعمار البريطاني البغيض الذي كان يقابل اصوات الشعب المناضل بالرصاص والوحشية التي لا مثيل لها قوله :

دع الآفاق تزخر بالضحايـــــا
وسمع الريـــح يمتلئ انتحابــــا
وغذ بنا السجون ومــن دمانـــا
فرو البيد أو فاســـق السرابـــا

---

(١) انظر " ويكون التجاوز " محمد الجزائري ، وزارة الاعلام العراقية بغداد سنة ١٩٧٤ ص ٥٤٥ ٠

فما غير الجلاء لك انتهاء
فان الشعب قد هتك الحجابا (١)

ثم يستمر الشاعر فى ثورته ضد هذا العدو اللدود الذى يحاول اسكات صوت الشعب بقوة الحراب والرصاص لأنه يطالب بحقه فى العدل والحياة •

وعدل ان تجرع كل حر
يد المستعمرين قذى وصابا

حلال لابن " لندن " فى حمانا
دم ابن الرافدين — فلا عتابا

وجور ان نمد يدا اليه
وحق ان يمد لنا الحرابا ؟

وحقد ان ذممت سراه حقدا
فلا القاه الا مستطابا

على المستعمرين يصب نارا
وابناء الثراء لظى مذابا (٢)

وهنا يتساءل الشاعر : كيف تكون المطالبة بالحقوق جريمة ؟ اليس الاعتداء بالموت والرصاص والحراب جريمة ؟ لكنها شريعة الغاب التى لا تعترف بعدل أو حق •

وكما كشف الشاعر جرائم المستعمرين فى حق شعبه كشف ألاعيبه وخداعه فأخذ يحذر شعبه من وعود المستعمر الكاذبة وألاعيبهم المفضوحة ، اذ لا هم للمستعمر سوى امتصاص خيرات العراق فقط •

---

(١) بدر السياب — ديوان اعاصير " وزارة الأعلام العراقية بغداد سنة ١٩٧٢ ص٥٨ •
(٢) نفس المصدر السابق ص ٥٣ وما بعدها •

ان الحليف هو الحليف وان صفا
لا تخدعنك صفحة الحرباء

قل للحليف ليس يجدى " برقع "
فاليوم تهتكه يد الأنواء

عاد الحليف بباليات عهوده
فرقا يجمعها عن " الألفاء "

يتلمس التمديل من اعوانه
ويحوك ألف دسيسة عمياء

ويبث في الظلماء من أذنابه
زمرا تنافق جهوة وترائي

قل للحليفة ان شعبا واعيا
هيهات ان يرضى بغير جلاء (١)

وكما حذر الشاعر شعبه من وعود المستعمرين الكاذبة ومن دسائسهم الدنيئة التي يبثها عن طريق عملائه الخونة حذره كذلك من مغبة وكوارث المعاهدات الاستعمارية التي يسعى المستعمر الى عقدها بل وفرضها على الشعب بمساعدة اعوانه العملاء الخونة وذلك لما تحويه من رق وعبودية للشعب العراقي المناضل :

قال الحليف كما يشاء ووقعت
باسم " الجياع " صحائف الأرزاء
في كل سطر آهة من أيم
ولهى وكفا وسائل بيكاء

---

(١) بدر السياب ـ ديوان اعاصير " وزارة الاعلام العراقية بغداد سنة ١٩٧٢ ص ٢٣ وما بعدها .

عشرون عاما روعت أشباحهـــــا
مهد الرضيـــع ومرقد العذراء (١)

وهكذا استطاع الشاعر ان يفضح المستعمر وأساليبه ووعوده الكاذبة كما كشف مطامعه في عقد المعاهدات مع العراق ، حيث اعتبرها قيدا داميا ووصمة عار ، منذ ان نكب العراق بالاحتلال البريطاني البغيض وكما وجه الشاعر سهامه نحو المستعمر وجهها كذلك بقسوة وعنف الى العملاء الخونة الذين يعتبرون في الواقع مصدر الشقاء والألم للعراق وللأمة بأسرها . هؤلاء العملاء اللصوص الذين يعيشون على استنزاف دماء الفقراء من الفلاحين والعمال من ابناء هذا الشعب . والذين يقضون لياليهم الحمراء في قصورهم المترفة . ولذلك حذر الشاعر شعبه من هؤلاء الخونة قائلا :

وعصابة جمع الشـــراب لصوصهـــا
في مخدع الآثـــام ذات مســـاء
آلت تبيعـــك للغريـــب وأقسمت
بالليل والخمـــار والصهبـــاء
ألا يذوب الصبـــح فـــي أقداحها
الا وأنت مكبـــــل الأعضـــاء
وتسلمت عـــن كـــل جرح مثلـــه
ذهبا . فأثرت مـــن دم الأشـــلاء (٢)

وهكذا عاش الشعب العراقي محاطا بالاعداء من الداخل والخارج معا ، من المستعمرين الدخلاء ومن الخونة الذين باعوه مقابل حفنة من الذهب ارضاء لسيدهم المستعمر .

١٧

(١) بدر السياب ـــ ديوان اعاصير " وزارة الاعلام " العراقية بغداد سنة ١٩٧٢ ص
(٢) نفس المصدر ص ١٦ وما بعدها .

ومشت لتفرض بالحديد قيودها
والنار " شرذمة " من الأجراء
حتى انتفضت فلا الرصاص مزمجرا
يثني خطاك ولا " الوعيد " النائي
ووقفت تهزأ بالمنايا عاضدا
عزم الشباب بصبية ونساء
ووقفت تدفع بالحجارة والحصى
كيد الطغاة ، وباليد العزلاء (١)

وهكذا تغنى الشاعر بنضال شعبه الذي كان يقابل الحديد والنار بالحصى والحجارة وبصدور شبابه وشيوخه وأطفاله ونسائه دون خوف أو تردد لايمانه المطلق بأن النصر حليف الشعوب .

وقد استهزأ الشاعر بهؤلاء الخونة مرة أخرى لاعتقادهم أن هذا الاستبداد الوحشي سيحفظ عروشهم وكراسيهم من الانهيار تحت أقدام الشعب الثائر .

يامن يشيد لكل حر محبسا
خوفا على كرسيه المنهار
ان الظلام اذا تناهى غيه
زاد العيون صدى الى الأنوار
والحابس الأبطال عن أن يزأروا
ظن الزئير قضى قتيل اسار

---

(١) بدر السياب ـ ديوان أعاصير " وزارة الاعلام " العراقية بغداد سنة ١٩٧٢ ص ١٩ .

حتى تكشف عن سراب ظنه
وانفض جوف الصمت عن اعصار

فاذا الحناجر والزمازم تنبري
غضبى تجوز عليه عقر الدار (١)

وبين الشاعر لهؤلاء الطغاة المخدوعين بأن وسائلهم لن تخمد الاعصار ولن تمنع البركان من الانفجار • وكلما ازداد الظلام اقترب فجر الشعوب • وكلما ازدادت أعداد الضحايا اقترب هدير الطوفان الذى سيقتلع الطغاة من جذورهم لأن النصر لا بد أن يكون حليفا للحق وللشعب على السواء •

واستمرت وطنية السياب وثورته فى التدفق على الرغم من أساليب التجويع والتعذيب والمطاردة ومعانقة ظلام السجون ، وليس أدل على ذلك من قيام الشاعر بالهاب حماس الجماهير الثائرة ضد معاهدة " بورتسموث " الاستعمارية التى حاول المستعمر من خلالها ربط العراق بعجلة الاستعمار العالمى سنة ١٩٤٨ وفيها وقف الشاعر ثائرا ومنددا بالمستعمر وأعوانه الخونة ، ورثى الشهداء الذين سقطوا خلال مسيرتهم الوطنية عند على أرض " الجسر " ببغداد مبينا للعملاء الخونة أن دماء الأحرار لن تذهب سدى بل ستكون مصدر رعب قاتل للخونة ومصابيح مشرقة لقوافل الشعب الثائر •

بسمة النور فى ثغور الجراح
أنت قبل الصباح نجم الصباح

كلما لحت فى خيال الطواغيت
وألهبت مرقد السفاح

ذاب قيد على اللظى وتراخت
قبضات على حطام السلاح (٢)

---

(١) بدر السياب ديوان اعاصير ص ٦٦ •
(٢) نفس المصدر السابق ص ٩ •

وعندما اشتد طغيان " نوري السعيد " وأعوانه في منتصف الخمسينات وعمل على ربط العراق بعجلة " حلف بغداد " المشئوم سنة ١٩٥٤ وقف الشاعر " السياب " في وجه هذا الطوفان الدموي الرهيب الذي زرعه العملاء وكان من أهم قصائده التي صورت الخوف والارهاب " السعيدي " قصيدة " المخبر " الذي أصبح غرابا ينعق بالموت والخراب في منازل بغداد وأكواخ البائسين في الريف العراقي • هذا المخبر الذي يعيش على مضغ لحم هذا الشعب اذ يقول :

قوتي وقوت بني لحم آدمي أو عظام
فليحقدن علي ، كالحم المسعرة والانام
كي لا يكونوا اخوة لي أنذاك ، ولا أكون
وريث قابيل اللعين ، سيسألون
عن القتيل ، فلا أقول
أأنا الموكل ، ويلهم بأخي ؟ فان المخبرين
بالآخرين موكلون (١)

وهنا نلاحظ أن الشاعر سار على طريقته الفنية الجديدة في نظم الشعر " الحر " معتمدا في ذلك على الرمز " بقابيل " لما فيه من عمق على تصوير الجريمة التي يرتكبها الانسان في حق أخيه الانسان •

ورغم هذا العذاب الدامي الطويل الذي عاناه شعب العراق منذ قرون طويلة الا أن الشاعر لم يفقد الأمل بالنصر • انه ما زال يأمل بهطول المطر الذي سيغسل العراق من هؤلاء العملاء الخونة ، انه يؤمن بأن الثورة آتية بلا ريب لأنه كما قال :

---

(١) بدر السياب ، ديوان انشودة المطر ص ٢٩ •

أكـــاد أسمع العراق يذخر الرعـــــود
ويخزن البـــروق في السهول والجبـــال
حتى اذا ما فض عنها ختمهـــا الرجـال
لـــم تترك الريـــاح من ثمـــود
فـــي الواد مـــن أثـــر[1]

وفعلا لم تمض سوى سنوات قلائل حتى هطل المطر الذى تنبأ به الشاعر ، اذ قامت الثورة الهادرة صبيحة الرابع عشر من تموز سنة ١٩٥٨ لتكتسح قوم ثمود من العراق .

وتعيد اليه وجهه العربي المشرق الأصيل . بعد أن دكت عروش الطغاة ويقف "السياب" في " قصيدته " يوم ارتوى الثائر " يصور لنا هذه الفرحة وكيف تم القضاء على العمـــلاء الذين سرقوا الأمل الأخضر من عيون الأطفال وزرعوا الخوف والحرمان والجوع في عيـــون الثكالى والأرامل :

بشراك هذا سحاب الذلـــة انقشعـــا
وانفـــك عن ساعديك القيـد وانقطعـــا

ياأمة ما انهـــوى عن صدرهـــا ضـــم
الا وأوصى لدان منه ما اقترعـــــا

اللـــه أكبـــر ما امهلـــت طاغيـــة
الا لكـــى يحصد النار الـــتى زرعـــا

من كل جازى يـــد بالـــزاد تطعمــه
غلا ، ومن آكل الثدى الـــذى رضعـــا

....

---

(١) بدر السياب ، ديوان انشودة المطر ص ١٤٤ وما بعدها .

وزمرة من لصوص كل ما جمعت
ما رد عنها قضاء الشعب أو دفعا

أنزلت بالثورة البيضاء عاليها
سفلا وعاجلت منها الرأس فاقتطعا

لم يرنو الثأر من جلاد أمته
حتى وان جند لته النار وانصرعا

فاقتص من جيفة الجلاد مجتزيا
منها عداد الضحايا منذ مد فعا

هذا الذى كل ثكلى فهو مثكلها
والمستحل الضحايا ليته ارتدعا

بالأمس كنا سبايا دون سدته
واليوم نعطيه ما اعطى وما منعا

ما قطعته الجموع الثائرات ولا
أدمته الا بما أدمى وما قطعا (١)

وهكذا استقبل الشعب ثورته فى بدايتها اعتقادا منه بأن عهد الظلم والجوع والرعب قد ولى الى غير رجعة الا أن هذه الفرحة لم تعمر طويلا — للأسف " اذ سرعان ما (٢) انحرفت الثورة عن مسيرتها الوطنية والقومية بسبب الصراع الدامى الذى نشب بين قادتها " واستطاع أخيرا ان يسرقها الشعوبيون بقيادة " قاسم " وكان من نتائج هذا الصراع ان انتشر الموت والرعب فى شوارع العراق وخاصة " الموصل " عقب ثورة " عبد الوهاب الشواف " سنة سنة ١٩٥٩ حيث أباح " قاسم " لأذنابه ان يرتكبوا من المذابح والمجازر

---

(١) د. عيسى بلاطه ، بدر السياب ، حياته وشعره ص ٢٠٤ وما بعدها .
(٢) داود الكبير ، فى الشعر العراقى الجديد ص ١٩ — المكتبة المصرية ، بيروت صيدا سنة ١٩٧٢ .

ما لم يرتكبه هولاكو التترى أو تيمورلنك أو جنكيز خان ، لقد شملت جرائمهم النساء والأطفال والشيوخ والزرع والضرع . وأصبح الموت مخيما على العراق صباح مساء .

وقد استطاع ان يرسم لنا بعض صور هذه الجرائم بكل ما فى قلبه من حقد وثورة على هؤلاء العملاء الجدد حين قال فى تصوير الاطفال الضحايا الممزقين الذين ألقيت جثثهم المقطعة على قارعات الطريق :

ما الذى يبدو على الأشجار حولى من ظلال ؟
منجل بجثث أعراق الدوالى
قاطعا اعراق تموز الدفينه
وعلى القنب أشلاء حزينه
رأس طفل سابح فى دمه
نهد أم تنقر الديدان فيه فى سكينه
أى آه من دم فى فمه ؟
ما الذى ينطق من حلمته ، من لحمه ؟

حتى الشيوخ الكبار لم يسلموا من حبال الكلاب المسعورة المتعطشة للدماء .

ياحبالا تسحب الأحياء من شيخ كبير
من فتاة أو عجوز ، من ضلوع حطموها
علقت فيها تميمه
من صدور مزقوها
زرعوا فيها بذورا من رصاص ، من حديد
ما الذى تثمر هاتيك البذور
غير أحجار القبور؟
غير تفاح صديد ؟ (١)

---

(١) بدر السياب " ديوان انشودة المطر " ص ١٠٨ وما بعدها .

ولم يتوقف الشاعر عن مهاجمة الطغاة رغم ما تعرض له من وسائل التجويع والفصل والتعذيب والنفي ، وبقى صامدا مؤمنا بأن الفجر لا بد أن يبزغ من جديد على العراق حتى استطاع خلال هذه الفترة المظلمة ان ينظم العديد من القصائد الوطنية الصادقة التي تفضح جرائم الشعوبيين الطغاة هذه القصائد التي سماها بعض النقاد "بالجيكوريات" أو القصائد الكهفية المظلمة ، وعلى الرغم مما فيها من ألم اجتماعي حاد فهي تصور لنا مدى ما وصل اليه العراق خلال الحكم القاسي الأسود ، ومن أشهرها : "مدينة السندباد ، مدينة بلا مطر" "سيربروس في الجحيم" "من رؤيا سنة ١٩٥٦ !" "تموز جيكور ، جيكور والمدينة ، العودة لجيكور ، قارئ الدم ، ثعلب الموت المغني ، النهر والموت ، وغيرها من القصائد الأخرى بديوانه "انشودة المطر" .

وقد صور لنا فيها ما قام به هؤلاء العملاء الجدد من جرائم وحشية في حق الشعب العراقي خلال حكم قاسم الذي امتد ما يقرب من خمس سنوات من سنة ١٩٥٨ - سنة ١٩٦٣ م . اذ يقول :

هم التتار أقبلوا - ففي المدى رعاف
وشمسنا دم ، وزادنا دم على الصحاف
محمد اليتيم أحرقوه فالمساء
يضيء من حريقه - وفارت الدماء
من قدميه ، من يديه ، من عيونه
واحرق الآن في جفونه (١)

وهكذا تحولت حياة الشعب الى دماء تنزف بلا ذنب أو جريرة - كما قام الشعوبيون

---

(١) انشودة المطر ص ١٣٦ .

بمحاربة الدين بشتى الوسائل لأنه مصدر الحياة الانسانية الكريمة ٠

وقد تحولت بغداد على يد الكلب الوحشي " سربروس " حارس مملكة الموت عند اليونان الى مقبرة خرساء صامتة تحوي بين جدرانها المتهدمة هياكل الموتى ، وراح الجلاد " قاسم " في طرقاتها مسعورا يقتل ، ويسلب ، ويحرق كيفما شاء ٠

وجـال في الدروب فـارس مـن البشـر
يقتـل النسـاء
ويصبـغ المهـود بالدمـاء
ويلعـن القضـاء والقـدر (١)

فصارت بغداد — بل والعراق كله مقبرة مظلمة محترقة مما دعا الشاعر الى الاحتراق والعذاب — غير مصدق عينيه بأن هذه هي بغداد الحضارة والثقافة والعلم ٠

أهذه مدينتي ، جريحة القباب
فيها يهوذا أحمر الثياب
يسلط الكلاب
على مهود أخوتي الصغار ، والبيوت
تأكل من لحومهم ، وفي القرى تموت
عشتار عطشى ليس في جبينها زهر
وفي يديها سلة ثمارها من الحجر (٢)

ورغم هذا العذاب الدامي الطويل الا ان الشاعر كان يؤمن بأن هذه الأشلاء لا بد أن تبعث من قبورها من جديد لتنتقم من الطاغية وكلابه المسعورة — كما آمن بأن

---

(١) انشودة المطر ص ١٣٩٠

(٢) نفس المصدر ص ١٤٠٠

هذه الدماء الزكية لا بد وأن تتجمع من جديد لتصبح طوفانا يكتسح هؤلاء الوحوش الضارية •

ليمـو " سربروس " فـي الـدروب
لينهش الآلهة الحزينة ، الآلهة المروعة
فان من دمائها ستخصب الحبوب
سينبت الآله ، فالشرائح الموزعة
تجمعت ، تململت ، سيولد الضياء
من رحم ينز بالدماء (١)

وفعلا حققت الأيام أحلام الشاعر وأمانيه ، اذ سرعان ما أبرقت السماء من جديد وتجمعت الأشلاء المبعثرة وتململت الشرائح الموزعة ، والدماء الزكية المسفوحة لتكون جميعها بركانا وطوفانا جارفا زلزل أركان العراق ، وقامت الثورة من جديد ضد قاسم وعصابته صباح الرابع عشر من رمضان سنة ١٩٦٣ م بقيادة البطل " محمد عبد السلام عارف " قائد الثورة ضد الحكم الملكى سنة ١٩٥٨ وصاحب الثورة الحقيقى •

وقد كان الشاعر خلالها طريح الفراش بأحدى مستشفيات لندن بعد ان حاصره المرض الذى أصيب به ـ وكم كانت فرحته عظيمة عندما علم بنبأ الثورة حتى كاد يقوم على قدميه المشلولتين دون وعى من شدة الفرح • كما كاد ينسى آلامه وأوجاعه فيقول :

هرع الطبيب الى آه لعلع عرف الـدواء
للداء فى جسدى فجاء

---

(١) انشودة المطر ص ١٥٤ •

هرع الطبيب الى وهو يقول : ماذا في العراق ؟
الجيش ثار ومات " قاسم " أي بشرى بالشفاء
ولكدت من فرحي ، أقوم ، أسير ، أعدو دون داء (١)

وعندما اطمأنت نفس الشاعر الى نجاح الثورة عاد الى وطنه ليرى أهله وأسرته وأبناء شعبه في ظلال السعادة والاستقرار ، لكن المرض سرعان ما شدد قبضته القاسية على أطلال جسده الواهي مما دفعه الى السفر مرة أخرى الى خارج وطنه بحثا عن العلاج والشفاء وأخيرا سافر الى الكويت بتاريخ ١٩٦٤/٧/٦ ليرقد في المستشفى الأميري على أمل الشفاء والعودة الى وطنه الحبيب لكن الموت كان أقوى من أمانيه اذ سرعان ما انطفأت شمعته الغالية بعد صراع مرير مع الموت دام ما يزيد على ثلاث سنوات مريرة ، وقد كانت أمنيته قبل موته ان يدخل في ثرى العراق :

ان مت ياوطني فقبر في مقابرك الكئيبة
أقصى مناي ، وان سلمت فان كوخا في الحقول
هو ما أريد من الحياة ، فدى صحاراك الرحيبة
أرياض لندن والدروب ، ولا أصابتك المصيبة (٢)

* * *

---

(١) بدر السياب ، مجموعته الشعرية ديوان منزل الأقنان ص ٣١٠ وما بعدها .
(٢) نفس المصدر السابق ص ٢٨٢ ، ٢٨٣ .

((الفصـــل الرابـــع))

((الفصـــل الرابـــع))

:: الاتجاه القومـــــــي فـــي شعــــــره ::

ذهب بعض النقاد العرب المحدثين الى أن الاتجاه القومي في شعر " بـــدر السياب " كان ضعيفا وشاحبا رغم بروزه في بعض قصائده القليلة خلال فترة انتمائه القومي

ومما يؤكد لنا هذا الرأي ما قاله بعضهم (وأكبر الظن ان بعض قصائد هذه الفترة التي امتدت قرابة ثلاث سنوات قد جعلت الكثيرين يظنون ان السياب قد استل قلمــه الحاد وجنده في خدمة القضية العربية ، ثم يستمر قائلا ، ولكن الحقيقة الفنية أقـــوى دلالة من الأماني والرغبات) .(١)

وقد استند هؤلاء النقاد في حكمهم هذا على عدة أمور أهمها ما يلي :

١ ـ قلة القصائد الشعرية ذات الطابع القومي في شعر " السياب " خلال فتـــرة انتمائه القومي ، اذ بلغ ما نظم الشاعر خلالها ما يقرب من خمس عشرة قصيــدة متعددة الاتجاهات ولم يكن من بينها سوى أربع قصائد قومية هي ، في المغـرب العربي ، والى جميلة بوحيرد ، وقافلة الضياع التي يصور فيها مأساة فلسطيــن سنة ١٩٤٨ وأخيرا قصيدة " بور سعيد " التي تجسد بطولة الشعب العربـــي في مصر ضد العدوان الثلاثي سنة ١٩٥٦.

أما بقية قصائده الأخرى البالغة احدى عشرة قصيدة فقد كان بعضها انسانيا كما فـــي قصيدته " من رؤيا فوكاي " التي تصور مأساة مدينة " هيروشيما " اليابانية الـــتي

---

(١) د . احسان عباس ، بدر السياب دراسة في حياته وشعره ص ٢٤٨ .

دمرتها القنبلة الذرية الأمريكية فى أواخر الحرب العالمية الثانية وقصيدة " لوركا " بطل الثورة الأهلية الأسبانية وغيرها .

والبعض الآخر من هذه القصائد كان " ذاتيا " وخاصة قصيدته " عرس فى القرية " التى تصور لنا قسوة الاقطاع فى الريف العراقى ومأساة الاستغلال الطبقى للضعفاء وقصيدة " مرثية جيكور مما يدل على أن الجرح القديم عاد فانتفض حتى ليغدو بعد قليل هو المنفذ الذى تنسكب منه الدماء فتشغل صاحبها عن النظر الى الدماء المنسكبة من ظهور الفقراء وجنوبهم . وأياما كان الأمر فان الشاعر طرق الموضوعات السابقة فى أبواب جديدة - باب انسانى عريض ، وباب قومى عربى وأخيرا باب ذاتى .

ولا شك ان هذا التزاوج والتراوح بين هذه الموضوعات يعتبر دليلا فى نظرهم على عدم وضوح الرؤيا القومية فى نظر الشاعر .

٢ - استمرار الشاعر فى ايمانه " بالالتزام " فى الشعر والفكر .

٣ - ولم يكتفوا بذلك " بل اتهموه بالتذبذب السياسى والتأرجح الفكرى " (١) .

٤ - معانقة الشاعر " السياب " لمجلة الآداب اللبنانية ذات الاتجاه القومى كرد فعل على " مجلة الثقافة الوطنية " اليسارية فى لبنان التى احتضنت الشاعر اليسارى " عبد الوهاب البياتى " وبذلك لم يكن انضمام الشاعر " السياب " للمجلة القومية فى نظرهم نابعا عن ايمان بها وانما بدافع الاحتماء بها أولا وطلبا للشهرة فى أنحاء الوطن العربى ثانيا .

ونحن نرى أن هذه الاتهامات بعيدة كل البعد عن الحقيقة الموضوعية

---

(١) انظر جبرا ابراهيم جبرا ، مجلة حوار اللبنانية ص ١٢٨ ، د / لويس عوض الاهرام ٥/٣/١٩٦٥ .

للأسباب الآتية :

أولا — ليست العبرة بالقلة والكثرة لتكون دليلا على قوة أو ضعف انتماء الشاعر ، بل العبرة بجودة الانتاج الفني أولا وصدق الأحاسيس والمشاعر ثانيا . فالسياب لم يتخل عن قضايا الانسان ، طوال حياته على اختلاف مبادئه السياسية والفكرية حتى خلال قصائده الذاتية المحضة التي لم يصور فيها ذاته بقدر تصويره لمأساة الانسان في كل مكان وزمان ، وبذلك لم ينفصل الشاعر عن ايمانه بالانسان المطلق ، رغم تركيزه على الانسان العربي في بعض قصائده .

ثانيا — ان بقاء ايمان الشاعر " بالالتزام " دليل قوى على التزام الشاعر بقضايا وطنه وأمته التي حمل جراحها منذ طفولته حتى مموته .

ثالثا — حدد هؤلاء النقاد فترة انتمائه القومي العربي بثلاث سنوات امتدت منذ عام سنة ١٩٥٤ حتى عام سنة ١٩٥٧ (١) " ولا شك ان هذا التحديد مجاف للواقع وبعيد عن الحقيقة وليس أدل على صدق ما نقول من أننا لو رجعنا الى انتاجه الشعري قبل ذلك التاريخ لوجدنا في بعض قصائده ما يؤكد لنا عدم تخليه عن أطفال أمته ووطنه سواء في العراق أو فلسطين أو المغرب العربي وبذلك ربط بين التحرير الوطني القومي والتحرر الانساني الشامل . وخاصة في قصيدته " الأسلحة والأطفال " التي ثار فيها على تجار الحروب الذى يخنقون أزهار الانسانية في سبيل امتصاص دماء الشعوب .

ففي دفاعه عن أطفال العراق الأبرياء وحقهم في الحياة يقول :

وأن الحيـــــــاة انعتـــــــاق

---

(١) انظر ناجي علوش ، مقدمة مجموعة السياب الشعرية ، ود . احسان عباس ص ٢٥٣ بدر السياب ود راسة في حياته وشعره ، وعيسى بلاطه ، السياب ، حياته وشعره ص ٨٠ .

وأن ينكروا ما تـــراه العيـــون
فـــلا بيدر فـــي سهـــول العـــراق (١)
ولا صبيـــة فـــي الضحـــى يلعبـــون

أما عن اطفال وطنه العربي في فلسطين فقد تجلت ثورته ضد الطغاة عندما صـــرخ قائـــلا :

ألا بلـــدة ليـــس فيهـــا سمـــاء ؟
فـــلا قاذفـــات المنايـــا تغيـــر
ولا مـــن شظايـــا تســـد الفضـــاء
ولا اختير في العرصـــر اللاجئـــون
ولألأء " يافا " تـــراه العيـــون
وقـــد حـــال دونـــه الغاصبـــون
بما اشرعـــوا من عطـــاش الحـــراب
وما استأجـــروا مـــن شهود كـــذاب
وما صفحـــوا بالـــردى من حصـــون (٢)

وبعد ان صور الشاعر مأساة طفله العربي في المشرق انتقل الى أطفال امته في المغرب العربي حين قال :

" علـــى تونـــس " مـــن لظاها ظلال
وحـــول " الرباط " المدمـــى الهديـــر (٣)

ثم ربط بين أمته وبين العالم الانساني في الآخر في كل بقاع العالم البشرى بأسره

---

(١) بدر السياب " انشودة المطر " من قصيدة الأسلحة والاطفال ص ٢٣٥ .
(٢) نفس المصدر السابق ص ٢٤٠ .
(٣) نفس المصدر ص ٢٤١ .

سواء في آسيا أو أوربا حيث يقول :

وفي جيـــــرة الصيـــن حـــل انخذال
بقطمانهـــــا . القطـــة الضاريـــــة
لـــــك المجـــــد ياآسيـــــة (١)

ومن هنا نستطيع ان نحكم بأن الشاعر لم يتخل عن احساسه القومي العربي وايمانه المطلق بأطفال أمته الذين يتوقون ويتطلعون الى السلام وكراهية الحروب الدامية التي يثيرها اعداء الانسانية .

كما أن شعره القومي المتدفق لم يقتصر على بعض القصائد التي ذكرها هؤلاء النقاد السابقون بل شمل معظم انتاجه الأدبي طوال حياته ، وكانت بداية هذا التركيز كما أرى في نهاية قصيدته وملحمته الشهيرة " المومس العمياء " التي كانت بمثابة القشة التي قصمت ظهر البعير " (٢) وأثارت عليه خصومة الشعوبيين اعداء الحياة وخاصة عندما يتحدث عن أساة " ضحيته " وبطلة ملحمته " سليمة " بكل ما في اعماقه من احتراق وثورة على ما أصاب وطنه الذبيح من مآس وخطوب :

من ضاجع العربيـــة السمـــراء لا يلقـى خسارا
كالقمـــح لونـــك يا ابنـــة العـــرب
كالفجـــر بيـــن عرائـــش العنـــب
أو كالفـــرات ، على ملامحـــه (٣)
دعة الثـــرى وضـــراوة الذهـــب

---

(١) بدر السياب ، " انشودة المطر " من قصيدة الأسلحة والأطفال ص ٢٤١ .
(٢) رجاء النقاش ، أدباء معاصرون ص ٢٢٥ وما بعدها .
(٣) بدر السياب ، ديوان انشودة المطر ، من قصيدة " المومس العمياء " ص ١٩٦ ص ١٩٧ .

وتتجلى مأساة هذا الوطن عندما تصرخ " سليمة " في وجه السكارى الذين استباحوا هذا الجسد العربي والدم العربي الذي هو من خير الدماء .

لا تتركوني فالضحى نسبي
من فاتح ومجاهد ونبي
عربية أنا ، أمتي دمها
خير الدماء .. كما يقول أبي (١)

ومما يدل على استمرار تدفق الشعور القومي في شرايين الشاعر بعد سنة ١٩٥٧ التي حددها النقاد السابقون وقوفه في وجه الطغاة والجلادين سواء في العهد الملكي أم في عهد " قاسم " وليس أدل على ذلك من اعتزازه بقوميته عندما قامت ثورة العراق في ١٤ تموز سنة ١٩٦٣ ضد حكم الارهاب القاسمي : حيث قال في قصيدته الى العراق الثائر يهنيء فيها الشعب والأمة بالحرية والانطلاق من براثن الظلم والاستعباد القاسمي " الرهيب مع ضرورة الحفاظ على هذه الثورة القومية من غدر أعداء هذه الأمة :

مرحى لجيش الأمة العربية ، انتزع الوثاق
ياأخوتي بالله ، بالدم ، بالعروبة ، بالرجاء
هبوا فقد صرع الطغاة ، وبدد الليل الضياء
فلتحرسوها ثورة عربية صعق " الرفاق "
منها وخسر الظالمون
لأن تموز استفاق
من بعد ما سرق العميل سناه ، فانبعث العراق (٢)

---

(١) بدر السياب " ديوان انشودة المطر " من قصيدة " المومس العمياء " ص١٩٧ .
(٢) بدر السياب ، المجموعة الشعرية ، منزل الاقنان ص ٣١١ .

وهذا الشعور الصادق المتدفق بالحب لهذه الأمة وهذه القومية أكبر دليل على اخلاص الشاعر لقوميته وأمته ، واستعداده للتضحية بروحه ودمه من أجل كرامة هذه الأمة الخالدة •

وهكذا تبين لنا ان الدم العربي لم يتوقف في شرايين " السياب " طوال حياته بل ولد عربيا وعاش عربيا ومات وهو يهتف باسم أمته وقوميته العربية •• ونحن اذا تأملنا جميع قصائده منذ منبعها حتى مصبها وجدناها كلها تحمل في أحشائها روح هذه الأمة ونماءها الزكية ، وان كانت تختلف من مرحلة الى أخرى الا انها بقيت تعبق بعطر هذه القومية وهذه الأمة التي هي خير أمة أخرجت للناس •

رابعا ـ ان اقتصار الاتجاه القومي على القصائد الأربع التي ذكرها النقاد السابقون وهي : في المغرب العربي ، والى جميلة بوحيرد ، وقافلة الضياع ، وبورسعيد أقول أن هذا الاقتصار يعتبر بعيدا عن الواقع والحقيقة الموضوعية ، اذ أن هناك العديد من القصائد القومية الأخرى التي تصور آمال وآلام هذا الوطن الممتد من المحيط الى الخليج العربي منها على سبيل المثال لا الحصر كل من قصائده الآتية " غريب على الخليج " و " انشودة المطر " التي تنقل خلالها من مرحلة الذات الى ساحة الوطن " العراق " ومنها الى دائرة القومية بأسرها و " رسالة من مقبرة " التي يصور فيها احزانه وآلامه لعدم ثورة المشرق من أجل " وهران " وجبال الأطلس بسبب الظلم والارهاب في هذا المشرق •

يبشراك ـ في " وهران " أصداء صور
سيزيف ألقى عنه عبء الدهور
واستقبل الشمس على " الأطلس "
آه لو وهران التي لا تثور •• الخ (١)

---

(١) انشودة المطر ص ٧٤ •

وقصيدة " يوم الطغاة الأخير " التي هي بمثابة اغنية عربي في " تونس " لرفيقته في الكفاح ضد المستعمر :

" الــى الملتقــى ... " وانطوى الموعد
وظــل الغــد
غــد الثائريــــن القريــــب
يــدا بيــد من غمــار اللهيـــب
سنرقـــى الـــى القمــــة العاليــة
وشمـــرك حقـــل حبـــاه المغيـــب
أزاعيـــر قانيـــة (١)

وغير ذلك من القصائد التي برزت فيها ملامح القومية بصورة أشد وأوضح من بقية القصائد الأخرى ولم يقتصر هذا الاتجاه القومي على القصائد السابقة بل شمل معظم قصائده ودواوينه الشعرية تقريبا .

ويزداد بروز هذا الاتجاه القومي على جبين ملامح الشاعر وفي صوته الثوري المدوي حينما وقف في وجه اعداء أمته ووطنه في منتصف الخمسينات مع وطنه الذى عمل على ان يحطم قيود الاستعباد والذل التي طوقت عنقه لقرون طويلة وكانت بداية هذه الصرخة القوميــة عند ما تعرضت فلسطين لجرائم الاستعمار والصهيونية سنة ١٩٤٨ حيث أعادت للذهــن العربي مأساة " قابيل " قاتل أخيه " هابيل " ان " هابيل " يرقد في خيام اللاجئين التي أحرقتها نار الكراهية والحقد الصهيوني البغيض ، وهي تصرخ في العراء في جــوف الصحراء ، وكأنها لعنة قوم موسى حين غضب عليهم الله في سيناء .

---

(١) انشودة المطر ص ٥٩ .

أنـــا النضـــار
أنا هجل سينـــاء الألــــه
أنا الضمير ، أنا الشعوب ،أنا النضار (١)

ان بشاعة الجريمة تكرار لجرائم التتار والمغول التى تجهض النساء من شدة الخـوف والرعـــب .

المغول على ظهور الصافنات وراء اللاجئين
الجنين يطرح ،والنساء يجهضن مـــع
الليل الجهيض

ولم تتوقف آثار المأساة على الموت والاجهاض بل تمدت ذلك لتخرج الانسان مـــن ثياب الآدمية الى عالم الضياع والفناء والعدم انها اسئلة تدور فى ذهن الشاعر والانســان

هل يدفـــن الموتـــى موتاهـــم ؟
ماذا يصنــــع مكتـــب الغـوث ؟
ليـــس لـــــلاجئيـــــن دار ؟

وهكذا رسم الشاعر صورة ناطقة يعمق المأساه التى أصابت الشعب الفلسطينى علـــى أيدى الغزاة الجدد اعداء الحيــــاة .

أما قصيدته القومية الرائعة " الى جميلة بوحيرد " فاننا نجد الشاعر يبكى ألمـــا وحزنا من أجل " هذه البطلة " الخالدة ، انه يطالبها ويتوسل اليها الا تسمع الـــى صوته الملوث بالعجز والاستسلام ، لأنه ضحية جلاد قاس حال بينه وبين المشاركـــة الفعالة لها فى النضال انه ينحنى أمام عظمة هذه " البطلة " التى حملت آثار المأســـاة

---

(١) انشودة المطر ص ٥١ .

من أجل الانسان العربي في الوقت الذي وقف فيه العميد والمستضعفون مشدوهين أمام هذه العظمة الخالدة ان الشاعر يحتقر نفسه أمام هذا الصمود والاصرار ، لكن عذره أنه سجين خلف قضبان الجلاد الذي يحاول أن يمنع عنه نور الشمس وطريق التحرير الثوري فيقول لها :

" ياأختنا المشهوحة الباكية "
أطرافك الدامية
يقطرن في قلبي ويبكين فيه (١)

وعلى الرغم من كون بطلته دوحة عارية من الأغصان ، وفتاة فقيرة المال الا أنها استطاعت بتضحيتها أن تمنح الدفء والأمل لأبناء هذه الأمة ، ولذلك لا بد ان تنتصر في كفاحها مهما طال الظلام ومهما ازدادت وحشية المستعمر وأذنابه ضد الأحرار .

ولهذا الأمل القوي في أعماق الشاعر ينطلق في النهاية بأسلوب ثوري خطابي مخاطبا جميلة ان تستمر في النضال لترفع رأس " أوراس الشماء " وعامة هذه الامة حتى عنان السماء .

" انا سنمضي في طريق الفناء "
ولترفعي " أوراس " حتى السماء
حتى تروي مسيل الدماء
أعراق كل الناس . كل الصخور
حتى نبي الله (٢)
حتى تثور

لكن أمل الشاعر في الثورة لم يتوقف ، اذ يصرخ في قبور موتى أمته ان تهب من

---

(١) انشودة المطر ص ٦٢ .
(٢) نفس المصدر ص ٧٠ .

كهوف الظلام والاستعباد حتى ننتزع النصر •

نتاف يملأ الشطآن : ياوديا ننا ثـــورى
وياهذا الـــدم الباقى على الأجيـــال
يا ارث الجماهيـــر
تشظ الآن • واسحق هــذه الأغـــلال
وكالزلـــزال
هز النير أو فاسحقه واسحقنا مع النير (١)

والموت بلا شك أفضل بكثير لدى الحر من حياة الذل والاستسلام والخنوع وعندما تثور فلا بد أن ننتصر لأن الله والرسول صلى الله عليه وسلم والحياة مع الحق والعدالة •

تمخضـــت القبـــور • لتنشر الموتى ملايينا
وهـــب محمـــد والهه العربى والأنصـــار
ان الهنـــا فينـــا (٢)

لا بد ان ننتصر ما دامت العقيدة الاسلامية تعانق أرواحنا ودماءنا المتطلعة للحياة • وهكذا انطلق الشاعر بصوته المدوى في أرجاء هذا الوطن العربى مبينا أن انتصار المغرب هو انتصار للدين واحياء لذكرى الأجداد الأبطال • وأن النصر لا بد ان يكون حليفنـــا ما دامت الحقيقة فى أعماقنا والعقيدة منارنا • والاسلام الحنيف أملنا • والقرآن مرشدنا •

عبر الشاعر عن حبه العميق لوطنه الذى يعيش فى دمه وروحه بقوة وعنف • ومما يؤكد هذا الحب للوطن ما نراه فى نصيحته لأخوانه العراقيين بضرورة حب العراق والتمسك به لأنه أفضل بلدان العالم عند الشاعر :

---

(١) انشودة المطر ص ٧٧ •
(٢) نفس المصدر ص ٨١ •

أبنـاء شعبي فـي قراه وفي مدائنه الحبيبة

لا تكفـروا نعـم العـراق

خير البـلاد سكنتموها بيـن خضـراء و مـاء

الشمـس ، نور اللـه ، تغمرها بصيف أو شتـاء

لا تبتغـوا عنها سواها

هي جنة ، فحذار من أفعى تدب على ثراهـا

أنا ميت ، لا يكذب الموتى ، وأكفـر بالمعانـي

ان كان غير القلب منبعهـا

فيا ألق النهـار

أغمر بعسجدك العراق ، فان من طين العـراق

جسـدي ومـن مـاء العـراق (١)

وهكذا ينصح الشاعر أبناء شعبه بالحفاظ على العراق والتمسك به وحمايته لأنه جنة الله في الأرض ، وأن نصيحته لهم صادرة من الأعماق .

هذه بعض النماذج على سبيل المثال لا الحصر الدالة على مدى كفاح الشاعر فـي سبيل وطنه وحريته وكرامته — ومدى حبه ووفائه لهذا الوطن الذي عاش في دمه وروحـه حتى بعد الموت .

أما قصيدته وملحمته البطولية " بور سعيد " فهي أغنية متدفقة بالحياة والخصب والعطاء وقد زاوج " السياب " فيها بين الشعر " العمودي " والشعر " الحـر " معا . فجاءت لوحة تعبيرية كاملة لبطولة ومعارك بور سعيد المناضلة وتحية لانتصارهـا المجيد ذاك الانتصار الذي يمثل انتصار القيم والمبادىء الانسانية جميعا .

---

(١) بدر السياب ، مجموعته الشعرية من ديوان ، منزل الاقنان ص ٢٨٣ .

ففى المقطع الأول يؤكد الشاعر فيه ان انتصار العدو الغاصب فى لحظاته الأولى هو خذلان وهزيمة له :

ياحاصد النار من اشلاء دنيانا
منك الضحايا وان كانوا ضحايانا
كم من ردى فى حياة وانخذال ردى
فى ميتة وانتصار جاء خذلانا

وعندما يحس الشاعر بالبطولة الخارقة التى أبدتها المدينة الباسلة أثناء مقاومتها العدوان الغاشم بعد ان قدمت قرابين التضحية دون تردد يصيح من أعماقه المحترقة متغنيا بهذا المرفأ الذى يبعث النور فى اعماق الأمة العربية ، فهى الحصن للقومية وحارقة القراصين ، انها رمز الحضارة العربية والانتصارات التاريخية العربية الخالدة .

حييت بورت سعيد ، من مسيل دم
لولا افتداء لما يغليه ما هانا
حييت من قلعة صماء ناطحها
عاد من الوحش يزجيهن قطعانا
عاناك فى الليل داج من حجافلها
نورا من الله أعماها ونيرانا
حييت من قلعة ما آد كاهلها
عبء السموات الا خف ايمانا
يامرفأ النور ما أرجعت وادعة
من غير زاد ولا آويت قرصانا
ولا تلفظت من مرساك معتديا
الا مدمى ذليل الهام خزيانا
والنيل ساق العذارى من عرائسه
لأخصب فى موكب الفادين قربانا (١)

---

(١) انشودة المطر ص ١٦٠ وما بعدها .

وبعد ان يستعرض الشاعر كفاح بور سعيد وصور حجافل القرابين التي كان أبناء مصر يقدمونها من أجل الخصب والعطاء . وها هم اليوم يقدمون القرابين من أجل حرية العروبة وكرامتها ينتقل الشاعر في المقطع الثاني منها ليصور حيرته وعذابه لتساقط الأطفال الأبرياء كالزنابق أمام حجافل الغزاة والصليبيين الجدد الذين يحاولون اغلاق منافذ الحرية ولكن بدون جدوى :

من أيما رئة ؟ من أي قيثار ؟

تنهل أشعاري ؟

من غابة النار

أم من عويل الصبايا بين أحجار

منها تنز المياه السود . واللبن المشوى

كالقار

من أي أحداق طفل فيك تغتصب ؟

من أي خبز وماء فيك ما صلبوا ؟

من أيما شرفة ؟ من أيما دار ؟

تنهل أشعاري

كالثار (١)

كالنور من رايات ثوار ؟

وكان قلب الشاعر ينزف دما بلا توقف عندما يتخيل صور الخراب والدمار وتساقط الضحايا بين الجدران المحترقة المعطرة بدماء الزنابق الصغيرة :

أطفالك الموتى على المرفأ

يبكون في الريح الشمالية

والنور من مصباحه المطفأ

---

(١) انشودة المطر ص ١٦٣ .

قـد غاركالمديـنة
فـي صـدري المـاري (١)

وفي المقطع الثالث من هذه الملحمة ينتصب الشاعر بكل فخر واعتزاز متحديا جرائم المستعمرين بصمود بور سعيد الخالد ، وأن تضحياتها لا ولن تذهب سدى .

عاويك أعلى من الطاغوت فانتصبي
ما ذل غير الصفا للنار والخشب
حييت من قلعة شق الفضاء بها
أسرلها في صدور الفتية العرب

الطين فيها دم منا وجند لها
من عزمة ، والحديد الصلد من غضب
أنت السماوات والارض ، التي خلقت
في عشوة تحسب الأيام بالحقب

وهكذا يستمر الشاعر في مخاطبة قلعة الحرية لتصمد في وجه الطغاة ، وأن تشمخ بأنفها للسماء تحت راية العروبة الخفاقة ، وراية أفريقيا وغابة النار معا .

ولتسمعن الزنوج البيض صيحتها
انا الى الله أدنى منك في نسب
حييت فالوحش أوحى فيك مخلبه
ياغابة النار قد أثمرت بالغلب

ويستمر الشاعر مستمدا من بطولة بور سعيد معاني الحياة وروعة الالحان وغذاء الروح الثائرة .

---

(١) انشودة المطر ص ١٦٣ .

كوني لأشعاري
وحيا وشدي بهاس منك أوتاري
يامرفأ النور ، كن مرسى لأفكاري
يامرفأ النار
الهبت أغواري
بالثأر
مزقت عنها سود أستار
فانهلت الشمس على داري (١)

وفي المقطع الرابع ينتقل الشاعر الى تصوير الضحايا الذين سقطوا من أجل حفر " قناة السويس " في عهد الخديوى "ولذلك ستبقى القنال عربية لأنها قناة دم لهؤلاء الضحايا وقناة عرقهم :

كم من دفين ، كل ماء القنال
في مده العاتي وجزره
يلقي على صدره
صبغا من الظلماء - كان القتال
من أجل أن يرتاح في قبره
ما كان الا من دموع الرجال
والنسوة الباكين في قصره
هذا الذى بين المبايين سال (٢)

فالقناة ليست مجرد ماء يتدفق بل جثث الضحايا ودماءهم ومن أجلها يتساقط الأبطال اليوم لتستقر عيون الأمهات وعظام الآباء الراقدين في أعماق القناة .

---

(١) انشودة المطر ص ١٦٨ .
(٢) انشودة المطر ص ١٦٨ - ١٦٩ .

ومن أجل ذلك ينتقل الشاعر فى المقطع الرابع من ملحمته ليبين أن الموت هو الذى يصنع الحياة فيما بعد ، فهما ممتزجان معا ولذلك يطالب بور سعيد بمواصلة الكفاح .

كالليل هذا المساء فوق القبور
كالنار ، كالأعصار ، كالنداء
.....
كالليل هذا المساء ضد الحياة
الموت والميلاد بوابتاه
انسانك العملاق ظل الاله
أحيى دم الموتى فخر الطغاة (١)

وفى المقطع الخامس يطالب الشاعر أبناء بور سعيد فى مواصلة النضال لحراسة باب الحياة مفتوحا أمام أبناء هذه الأمة :

فليحرس الأحياء باب الحياة
يا مرفأ النور كونى مرسى لأفكارى كونى لأشعارى وحيا
لقد خبأتك فى عينى ، فأنت قيثارى
فلتصمدى يا بور سعيد
يا بوابة الحياة
يا لغة الانسان (٢)

وفى المقطع السادس والأخير منها يسجل الشاعر فيه هزيمة الغزاة ، بعد ان فاضت الأرض بالجثث التى أنبتت الخصب والحرية والعطاء مع استرجاع وتضمين التاريخ واعادته حيا من جديد ، كما صور مظاهر السعادة بالنصر وفرحة المسلمين وعودة الحياة الكريمة

---

(١) انشودة المطر ص ١٦٩ .
(٢) د . جليل كمال الدين ، الشعر العربى الحديث وروح العصر ص ٢٨٠ .

بعد هذه التضحيات الجسام فيقول :

غاض المغيرون عن واديك فانحسروا

فالأرض تدمى بقتلاهم وتزدهر

الى أن يقول عن صلاح الدين :

واستنفر الشرق حتى كاد ميته

يسعى ؟ أهذا صلاح الدين أم عمر ؟

هذا الذي حدثتنا عنه أنفسنا

في كل دعياء نبلوها وننتظر

هذا الذي كل عن سحق لبذرته

بالخيل والذابلات الروم والتتر

ياأمة تصنع الأقدار من دمها

لا تيأسي " ان سيف الدولة القدر "

وهكذا هب العرب الى جانب الشقيقة " بور سعيد " ليعيدوا انتصارات صلاح الدين في حطين وعمر بن الخطاب في فتوحات المسلمين الخالدة في عهده المشرق وعهد فتوحات وانتصارات سيف الدولة الحمداني على الروم .

وفي نهاية الملحمة الخالدة هذه نجد الشاعر يختتمها باعتذاره عن عجزه للمشاركة الفعلية في القتال اذ كان يود ان يقف معها بالسلاح قبل الكلمة :

المجد لله والانسان : ان يدا

تحيي وقلبا يداوي ، منهما أثر

ياقلعة النور تدمى كل نافذة

فيها ، وتلظى ولا تستسلم الحجر

احسست بالذل ان يلقاك دون دمي

شعري ـ واني بما ضحيت انتصر

لكنها باقة أسمى اليك بهــــا
حمـــراء يخضل فيها من دمي زهر (١)

وهكذا نجد الشاعر قد ضرب أروع الأمثلة وأصدق الأحاسيس على قوميته واخلاصه لأمته العربية الخالدة .

* * *

(١) انشودة المطر ص ١٧١ وما بعدها .

((الفصــل الخامـــس))

((الفصـــل الخامـــس))

:: الاتجـاه الانساني ::

ان لقاء السياب مع الانسان لقاء دائم مستمر يشعر بالاطمئنان والحماية ونجد لقاءه الانساني منذ بدء انفتاح اتجاهه الشعري حتى آخر قصيدة قالها في حياته ، والحق ان " السياب " انساني محب للانسان عاش له ودافع عن قضاياه " (1) سواء كان هذا الانسان أحد افراد اسرته أو قريته أو وطنه أو أمته العربية أو كان انسانا مجردا في هذا العالم البشري . وقد عرف " السياب " الانسان عبر بوابات وقناطر متعددة كان أعمها بوابة الأطفال الصغار الأبرياء في العراق والوطن العربي والمجتمع البشري كله في هذا العالم الفسيح وليس أدل على ذلك الحب العميق من قصيدته وملحمته الرائعة التي سماها باسمهم " الأسلحة والأطفال " حيث ثار فيها على أعداء الانسانية من تجار الحروب الذين يزرعون الموت والدمار مكان كركرة الأطفال وضحكاتهم البريئة الانسانية .

كما عرف الانسان أيضا عبر قنطرة " المرأة " سواء كانت أما حنونا ، أو زوجا ، أو مناضلة ثائرة ، أو مومسة عمياء ، وغير ذلك ، كما عرف الرجال سواء كانوا عمالا في المعامل والمصانع أو فلاحين يائسين في حقول الاقطاع أو خونة عملاء يعيشون على الآخرين .

التقى الشاعر بالانسان منذ محض البداية منذ البدء حتى النهاية ، ان كانت هناك نهاية وهو بلا شك ليس باللقاء المصطنع المزور ، وانما هو لقاء حقيقي ودي في معظم معالمه (2) ومما يؤكد لنا انسانية الشاعر العميقة ما عزمه على قيثارته الشعرية " مغنيا للبؤساء والمحرومين ، مبشرا اياهم بقرب هطول المطر الذي سوف يبعث الخصب والحرية

---

(1) د . محمد التونجي بدر السياب دار الانوار ، بيروت سنة ١٩٦٨ ص ٩٥ .

(2) د . جليل كمال الدين ، الشعر العربي ، وروح العصر ، بيروت ، دار العلم للملايين سنة ١٩٦٤ ص ١٨٥ .

من جديد لهؤلاء العبيد المعذبين (١) سواء كانوا من الأطفال الأبرياء الذين كانوا ضحايا الخوف أو الجوع أو تجار الحروب .

" ولا شك ان مصدر هذا الاحساس الانساني انما يعود أولا وأخيرا الى ما فى أعماق الشاعر من قلب انساني كبير حرم من السعادة والهناءة منذ بداية طفولته الشقية الحافلة بالأشواك والحرمان " (٢) ومن خلال هذا القلب المتفجر بالعطف والحنان على الانسان مضى " السياب " فى الحياة يبشر البائسين والمعذبين والجائعين والخائفين فى هذه الأرض .

وبهذه النظرة الانسانية العريضة أسهم السياب " فى النهوض بالشعر العربى الحديث معبرا عن حركة الأمة والانسانية بأوسع تطلعاتها المعاصرة . لكن هذا الاحساس لم يفقد الشاعر ايمانه بحتمية انتصار الانسان فى النهاية مهما طال الليل ، ومهما تمادت قوى الشر والاستغلال فى دفن بذور الحياة التى لا سبيل الى دفنها مما جعله يستحق بلا منازع شاعر الانسانية المعذبة " (٣) .

وعلى ما لقيه السياب فى حياته من العذاب والتنكيل والتشريد استمر فى طريقه الانسانى " متحدثا فيها عن الآخرين أفرادا وجماعات ، عن آلامهم وأفراحهم ، عن كفاحهم وبؤسهم ومتناقضات أوضاعهم ، بقلب انسانى كبير ، ومشاركة شعورية ذات حظ من الأصالة والعمق " (٤) وذلك نظرا لايمانه المطلق كما ذكرنا بأن الحياة توتر وصراع بين ما هو كائن وواقع مركريه وبين ما يجب ان يكون عليه الانسان من حياة كريمة انسانية متحررة من التبعية والاضطهاد .

" كما أنها صراع بين الخصب والجدب ، بين الحياة والموت ، ذلك الصراع الذى

---

(١) سامى مهدى ، مجلة الآداب ، بيروت سنة ١٩٦٥ ، ص ٤٧ .
(٢) انظر مقدمة كتاب عيسى بلاطه ، بدر السياب حياته وشعره ، بيروت سنة ١٩٧١ .
(٣) د . جليل كمال الدين ص ١٨٧ .
(٤) د . احسان عباس ، بدر السياب دراسة فى حياته وشعره ص ٢٤٤ .

كان هو شخصيا طرفا فيه والذى كان يرى فيه نفسه تجسيدا للوطن العربى بل والانسانية جمعاء " .(١)

فالشاعر اذن كان يتطلع منذ البداية طوال مسيرة حياته ان يمسك بالعالم بين يديه وكأنه يشد نفسه الى خيوط القضية فتفلت منه تارة أو يفلت منها تارة أخرى ، لكنه كان يعود اليها بايمان أقوى وتصميم أشد ، وعندما تضيق الحياة فى وجهه لجأ الى صديقه الوفى " المطر " رمز الثورة والخصب والعطاء . وخاصة عندما حاصرته أنياب المرض والموت فى مستشفيات العالم الخارجى بحثا عن العلاج والشفاء . ورغم هذا العذاب بقى الشاعر محبا للحياة مؤملا فى الشفاء لفترة من الزمن ،كان يتمنى ان يعود من جديد لحياة الزهور رغم غيبوبة المرض والتخدير :

وأخاف ان أزلق فى غيبوبة التخدير
الى بحار مالها من مرسى
وما استطاع سندباد حين أمسى
فيهن ان يعود
للعود والشراب والزهور (٢)

ونهدأ الطريق عبر بوابة الأطفال الأبرياء الذين يجسدون طفولته المحرومة الشقية وذلك ابتداء من حبه لأطفاله أولا ثم اطفال العراق وأخيرا أطفال البشرية جمعاء .

لقد أحب الشاعر أطفاله الذين حرمه القدر من رؤيتهم بعد ان تكالبت عليه الأمراض مما اضطره ان يعيش بعيدا عنهم فى احضان المستشفيات المظلمة ، وخاصة ابنه " غيلان " الذى كانت كلمة " بابا " من شفتيه الصغيرتين كافية لتزرع الحياة فى جسده

---

(١) جبرا ، ابراهيم جبرا ، مجلة حوار ، بيروت سنة ١٩٦٥ ص ١٢٧.
(٢) بدر السياب ، مجموعته الشعرية ، دار العودة ، بيروت سنة ١٩٧١ ص ٢١٩.

أبيه المنهك المعذب .

بابا .. بابا

جيكور من شفتيك تولد ، من دمائك في دمائي

فتحيل أعمدة المدينة

أشجار توت في الربيع . ومن شوارعها الحزينه

تتفجر الأنهار ، أسمع من شوارعها الحزينه

ورق البراعم وهو يكبر ويمص ندى الصباح

والنسغ في الشجرات يهمس والسنابل في الرياح

تعد الرحى بالطحين

كأن أوردة السماء

تتنفس الدم في عروقي ، والكواكب في دمائي (١)

ويبدو الشاعر والدا بارا حنونا على ابنه الذي كان امتدادا لظل أبيه الحزين فكان عندما يتذكر كلمة " بابا " وهي صادرة من شفتي ابنه تعود اليه الحياة وتدب الحركة وتزهر أوراق التوت في جسده الممزق الذي بدأت الحياة في عجرانه الى العديد من القصائد التي احترق فيها شوقا لابنائه وهي كثيرة لا عد لها ولا حصر .

أما حبه لأطفال " عراقه " الجريح فلم يقل عن حبه لأبنائه المعذبين فقد عذب كثيرا من أجلهم . وبكى كثيرا في سبيل اعادة الحياة اليهم وخاصة بعد ان حاصرهم الخوف القاتل والرعب الدامي خلال الحكم الأسود في عهد الشيوعيين أثناء حكم " قاسم " وأكثر ما يتجسد هذا الاحساس الانساني تجاه اطفال العراق في قصائده " الجيكورية " مثل " مدينة بلا مطر " ومدينة السندباد ، وتموز جيكور ، والمسيح بعد الصلب " وسربروس في بابل " وغيرها .

---

(١) بدر السياب مجموعته الشعرية ديوان انشودة المطر ص ٣٢٦ .

وقد استطاع الشاعر ان يصور الرعب والجوع اللذين سيطرا على أطفال العراق حينذاك حين قـال :

ونحـن اذ نبـصر من مغـاور السنيـن
نرى العراق ، يسأل الصغـار في قـراه
ما القمح ؟ ما الثمـر ؟
ما الماء ؟ ما المهود ؟ ما الأله ؟ ما البشر ؟
فكل مـا نراه
دم يفذ ، أو حبال ، فيه أو حفر (١)

هكذا تألم الشاعر بقسوة وعنف عندما رأى هؤلاء الاطفال الصغار الجياع يبحثـون عن بقايا طعام وكأنهم أطفال ، رضع جياع تبحثين الثدى الذى عجرته قطرات اللبن ، فيقول على لسانهم :

جيـاع نحـن مرتجفـون فى الظلمـة
ونجـت عـن يـد فى الليـل تطعمنـا
نهحـث فى الظلمـاء عن ثديـيـن
فيـا آبـائـنا مـن يفتدينـا ؟ (٢)

حتى أطفال " المومس " العمياء فى العراق لم يبخل الشاعر عليهم بقلبه الانسانـى الكبير فقد تألم واحترق لشقائهم وعذابهم رغم اللبن المشوب بدم الخطايا والآثام .

عشرون عاما قد مضين وأنت غرثى تأكليـن
بنيـك من سغب وظمأى تشربيـن
حليب ثديك ، وهو ينزف من خياشيم الجنيـن

---

(١) بدر السياب ، مجموعته الشعرية ص ٤٨٣ .

كزارع لهم البــــذور
وراح يقتلـــع الجـــذور
من جوعه ، وأتى الربيع فما تفتحت الزهـــور (١)

وكما بكى الشاعر لأطفاله ، وأطفال العراق فقد بكى أيضا وتألم لأطفال أبناء وطنه العربي الكبير ، حتى الجنين في بطن أمه نزف الشاعر من أجله دما كما في قصيدته " قافلة الضياع " التي يصور فيها مأساة الشعب الفلسطيني المشرد في الفيافي والقفار حين تآمر عليه الاستعمار والصهيونية والعملاء الخونة ، كقوله :

النار تصهل من ورائي والقذائف لا تنام
عيونها وأبي على ظهري ، وفي رحمي جنيــن
عريان دون فم ولا بصر ، تكور فـــي الظلام
في بركة الدم وهو يفرك أنفه بيد وكالجرس الصغير
يرن ملء دمي صداه ، تكاد توهن كل روحي بالسلام
حتى أكاد أراه في غبش الدمـــاء المستنير
عريان دون فم كأفقر ما يكون : بـــلا عظـــام
وبلا أب ، وبدون حيفا ، دون ذكرى ، كالظــلام (٢)

ويستمر الشاعر الانساني في تصوير مأساة ابناء وطنه العربي في فلسطين خلال نكبة الهجرة الوحشية صارخا في وجه اعداء الانسانية الذين تسببوا في وقوع الكارثة .

يامكتبـــا للغوث في سيناء هب للتائهيـــن
منا وسلـــوى من شعير والمشيمة للجنيـــن
وأجعـــل له المطاط ســـرة

---

(١) بدر السياب ، مجموعته الشعرية ص ٤٩٠ .
(٢) انشودة المطر ص ٥٢ وما بعدها .

وارزقه ثديا من زجاج واحشِ بالادريج صدره (١)

وكما احترق الشاعر من أجل أطفال وطنه العربي في فلسطين ـ تألم لأطفال "بور سعيد" المكافحة التي حفظت للعروبة كرامتها خلال العدوان الثلاثي الغادر سنة ١٩٥٦ مما جعل ملحمته الشعرية "بور سعيد" من أروع قصائد الشاعر القومية ، ومن مظاهر هذا الحب الانساني العميق لأطفال "بور سعيد" قوله :

أطفالك الموتى على المرفأ
يبكون في الريح الشمالية
والنور من مصباحه المطفأ
تنهار كالمدية
في صدري العاري
أطفالك الأموات عار الحديد
في عرسه الدامي ، وذل الرصاص
مالوا يملك من شقاء العبيد
واستنزلوا أربابه للقصاص
في ساحة النار

ولم يتوقف شعر السياب الانساني عند حدود اطفال العراق والمشرق العربي فحسب بل تجاوز ذلك الى اطفال ابناء وطنه العربي في المغرب العربي سواء في الجزائر المناضلة كقوله للبطلة الجزائرية "جميلة بوحيرد" التي أفتدت بحياتها حرية اطفال شعبها ومصير وطنها :

---

(١) انشودة المطر ص ٥٤ .

يا أختنـــا يا أم أطفالـــــنا
يا سقــــف أعمالنـــــا
يا ذروة تعلـــو لأبطالنــــا
ما حز سوط البغي في ساعديــك
الا ، وفي غيبوبـــة الأنبيـــاء
أحسست ان السوط ، ان الدماء
ان الدجى ، أن الضحايا هباء
من أجل طفل ضاحكته السمـــاء
فرحـــا ن فـــي أرضـــه
وبعضـــه فرحـــا ن من بعضه
أحسسته يحبو على راحتيـــك
سمعته يضحـــك فـي مسمعيك (١)

وهكذا رأى الشاعر في تضحية " جميلة " لتخلق الحياة والسعادة لأطفال الجزائـر المكافحة مثلا أعلى ومن أجل هؤلاء الصغار تهون جميع التضحيات .

أما انسانيته المعذبة من أجل " أطفال " هيروشيما " الأبرياء الذين مزقتهم وأحرقتهم قنابل المستعمر الغاشم فقد تدفقت بقوة وعنف عندما علم بهذا النبأ المؤلــم وبقى جرحه ينزف بغزارة من أجل هؤلاء الأطفال الأبرياء الذين لا ذنب لهم سوى حـب الحياة وبناء الحياة في ظل المحبة والسلام .

وقد تجلى هذا الاحساس في ملحمته الشعرية الرائعة " رؤيا فوكاى " والشعيث في هذه القصيدة " أحد ضحايا هيروشيما اسمه " فوكاى " كان قد أصيب من شـــدة

---

(١) انشودة المطر ، ص٦٧ ـ ٦٨ .

الصدمة القاسية بالزهري الذي افترس دماغه حتى عاد يتخيل أشياء لا وجود لها . ولكنه من خلال أوهامه ودون وعي منه . استطاع ان يصور جانبا مما حدث في هيروشيما حين ألقيت عليها القنبلة الذرية المشئومة خلال الحرب العالمية الثانية " . (١)

وعن مأساة هؤلاء الأطفال المشوهين المحروقين يقول الشاعر :

ما زال طائر الحديد يذرع السماء

وفي قرارة المحيط يعقد الكرى

أهداب طفلك اليتيم حيث لا غناء

الا صراخ " البابيون " زادك الثرى (٢)

وفي هذه الأبيات نجد الشاعر " قد تأثر فيها بالشاعرة الانجليزية المعاصرة " اديث ستويل " وخاصة قصيدتها " ترنيمة السرير " حيث يجلس فيها " البابيون " (القردة في قاع المحيط تهز مهد الطفل البشري الذي قتل طائر الحديد " أمه " حتى أصبحت له بمثابة الأم " (٣) وهكذا يثبت الشاعر ان هذه القردة أكثر انسانية وعطفا على الأطفال الصغار من تجار الحروب الذين لا هم لهم سوى تكديس المال من الثروات على حساب دموع ودماء الضحايا الأبرياء .

لكن أكثر ما يتجسد شعر السياب الانساني نحو اطفال العالم كله نجده في قصيدته وملحمته الشهيرة " الأسلحة والأطفال " التي أقسم فيها بأقدامهم العارية على محاربة الطغاة وتجار الحروب ، وبالأصرار على بناء السلام والحب على أنقاض الحروب وتجارها الذئاب اعداء الانسانية والبشرية .

بأقدام أطفالنا العارية

يمينا ، وبالخبز ، والعافية

---

(١) بدر السياب ، انشودة المطر ص ٤٤ .
(٢) نفس المصدر السابق ص ٤١ .
(٣) نفس المصدر ص ٤١ .

اذا لم نعفر جباه الطغاه
على عذه الأرجل الحافية
وان لم نذوب رصاص الغزاة
حروفا على الانجم الهاديه (١)

اقسم الشاعر بأقدام أطفاله الصغار الحفاة العراة على تحطيم مؤامرات المستعمرين وتجار الحروب ، وأن يحول الخراب والرصاص الى نجوم مشرقة تضيء جنبات الحياة للأجيال ، وقد تحدث فى ملحمته الشعرية الخالدة هذه عن حياة الأطفال فى ظلال السلام تارة وفى ظلال الحروب وتجارها تارة أخرى بتصميم تقابلى ازدواجى ليعمق الصورة فى ذهن المتلقى ، فهم فى ظلال السلام فراشات ضاحكة تبعث السعادة والحياة فى قلوب آبائها وأمهاتها ، انهم همهمة الخبز وتحوج وعصافير ضاحكة للحياة :

السنابل فى الحقول :
عصافير ؟ أم صبية تمرح ؟
عليها سنا من غد يلمح
وأقدامها العاريه
محار يصلصل فى ساقيه
لأذيالهم زفة الشمال
سرت عبر حقل من السنبل
وهمهمة الخبز فى يوم عيد
وغمغمة الأم باسم الوليد
تناغيه فى يومه الأول (٢)

---

(١) بدر السياب ـ ديوان انشودة المطر ، الاسلحة والاطفال ص ٢٣٦ وما بعدها .
(٢) انشودة المطر ص ٢٢٠ .

ولكن عندما يسمع الشاعر صوت تاجر الحديد والرصاص يحس وكأن صوته باشق انقض من السماء على حمامة وديعة ليزرع في قلبها الموت والرعب .

وكالظل من باشق في الفضاء
اذا اجتاح كالمدية الماضيه
عصافير تشدو على رابيه
ترامى الى الصبية الأبرياء
نداء ، تنشقت فيه الدماء
حديد عتيق ، حديد عتيق
رصاص ، فحتى كأن الهواء
رصاص ، وحتى كأن الطريق
حديد عتيق (١)

وهكذا تخلو القرى والشوارع من مواكب الاطفال الأبرياء ليخيم عليها الدمار والموت ارضاء لشهوات تجار الحروب وأعداء الانسانية .

رصاص ، ليخلو هذا الطريق
من الضحكة الثرة الصافية
وخفق الخطى والهتاف الطروب
فمن يملأ الدار عند الغروب ؟
بدفء الضحى واخضلال السهوب
لظى الحقد في مقلة الطاغيه
ورمضاء أنفاسه الهاويه
بطوفان بالدار عند الغروب (٢)

---

(١) انشودة المطر ص ٢٢٥ .
(٢) نفس المصدر ص ٢٢٨ .

ويبلغ ألم الشاعر من أجل الأطفال الأبرياء مداه حينما تخلو الحياة من ابتسامة هؤلاء الضحايا الذين كانوا بالأمس القريب مصدر السعادة والحياة لآبائهم المتعبين وأمهاتهم الثكالى :

ومن يوثمى فوق صدر الأب ؟
اذا عاد من كده المتعب
ومن يونس الأم فى كل دار ؟
أسى موجع ان يموت الصغار
أسى ذقت منه الدموع الدموع
أجاجا ومثل اللظى فى الفم
وأحسست فيه اشتعال الدم
بعينى من نازفات الضلوع (١)

وهكذا كان الشاعر يحترق من أجل اطفاله الذين احبهم من أعماقه بكل قطرة فى دمه وبكل خفقة قلب بين ضلوعه المتهدمة من قسوة الحياة .

وكما أحب الشاعر الانسان من خلال الأطفال كما ذكرنا سابقا أحبه من خلال المرأة سواء كانت محبوبة معشوقة كقوله :

أو تذكرين لقاءنا فى كل فجر
وفراقنا فى كل أمسية اذا ما ذاب قرص
الشمس فى البحر العتى
تأتين لى وعبير زنبقة يشق لك الطريق . فأى عطر
وتودعين . فتهبط الظلماء فى قلبى ويطفىء نوره القمر الوضى
فكأن روحى ودعتنى واستقلت عبر بحر (٢)

---

(١) انشودة المطر ص ٢٣٣ - ٢٣٤ .
(٢) المجموعة الشعرية . ديوان شناشيل ص ٧٢٣ .

أم كانت هذه المرأة زوجا كقوله فى احدى قصائده لزوجته عندما كان مريضا بالكويت : يوصيها بابنه " غيلان " وأن تتطلع اليه بشوق ووفاء عبر غربته الدامية :

يا " أم " غيلان الحبيبة صوبى فى الليل نظـــره
نحـــو الخليج ــ تصوريني أقطـــع الظلماء وحدى
لولاك ما رمت الحياة ، ولاحننت الى الديـــــار (١)

كما شمل شعره الانسانى المرأة الثكلى التى فقدت زوجها ، فضاعت فى زحمـــة الألم والعذاب القاتل :

ارأيـــت أرملـــة الشهيــــد ؟
الزوج مـــد عليــه من ترب لحافا ثم نـــام
متمـــــد دا بأشـــد ما تجد العظـــام
من فسحة : سكنت يداه على الأضالع والعيـــون
تغفـــو الى أبد الأله ، الى القيامة فى ســـلام

ولم تتوقف انسانية " السياب " نحو المرأة عند حدود كونها حبيبة أو زوجة بـــل تجاوزت ذلك الى المرأة " البطلة " المناضلة الثائرة ضد الظلم الاستعمارى كما فـــى " بور سعيد " و " الى جميله بو حيرد " حين يقول لها :

ياأختنـــا المشبوحـــة الباكيـــة
أطرافـــــك الداميـــــة
يقطـــرن فى قلبى ، ويبكيـــن فيـــه
يامن حملت المـــوت عن رافعيـــه
من ظلمـــة الطين التى تحتويـــه
الى سماوات الـــدم الـــواريـــه

---

(١) المجموعة الشعرية ، ديوان شناشيل ص ٦٥١ .

حيث التقى الانسان والله والأموات والأحياء في شهقة
في رعشة للضربـــة القاضيـــة (١)

وهكذا عظم الشاعر كفاح المرأة الــتي حررت الانسان من عبودية الطين حين يصعد الى ربوة النضال والاستشهاد من أجل الله والوطن ٠ فكانت بذلك منارة أضاءت الطريــق أمام الشهداء الآخرين ٠

وكما تغنى الشاعر بالمرأة المناضلة تألم واحترق من أجل المرأة " الساقطة " الــتي وقعت ضحية المجتمع العفن كما في قصيدته الرائعة " المومس العمياء " في ديوان انشودة المطر كقوله :

ويح العــراق ٠ أكان عدلا فيــه انــك تدفعيــن
سهــاد مقلتــك الضريره
ثمنــــا لملء يديــك زيتا من منابعه الغزيــره ؟
كــي يثمـــر المصباح بالنــور الذى لاتبصريــن
عشـــرون عاما قــد مضيــن وأنت غرثى تأكلين
بنيك من سغــب وظمأى تشربيــــــــن (٢)

وبهذا الأسلوب صور الشاعر مأساة المرأة " الضحية " وسط مجتمع ظالم ماتت فيــه القيم الانسانية رغم ما فيه من خيرات وفيرة ٠ الا أنها تذهب جميعا للمستعمرين وأذنابهم من الاقطاعيين والعملاء الخونة ٠ حقا انها مأساة هذا الوطن العربي ٠ ومأساة الانسان المعاصر في زمن الانهيار والتفسخ العفن ٠

وشمل شعر السياب الانساني الانسان أيضا عبر الرجال والشيوخ المعذبين ٠ الجائعين المحرومين الذين يعيشون في الأطمار البالية والقبور المظلمة حيث لم يتــرك لهم اعداء الحياة سوى الشقاء والأشواك والرعب القاتل ٠

---

(١) انشودة المطر ٠ الى جميلة بوحيرد ص ٦٢ — ٦٣ ٠
(٢) بدر السياب ٠ أنشودة المطر " ص ١٩٩ ٠

سواء كان هؤلاء الرجال المعذبون يعملون في مزارع الأغنياء :

كل الرجـــال ، وأهل قريتها ؟ أليسو طيبين ؟
كانـــو جياعـــا ـ مثلها هي أو أبيها بائسين
هم مثلها ـ وهم الرجال ـ ومثل آلاف البغايـــا
بالخبز والأطمار يوتجـــرون والجسد المهيـــن
هو كل ما يتملكـــون ، هم الخطاة بلاخطايـــا (١)

أم كان هؤلاء الرجال ضحايا الفقر والانحلال :

مـــن هـــؤلاء العابـــرون ؟
أحفـــاد أوديب الضريـــر وو ارثـــوه المبصرون
" جوكست " أرملة كأمس ، وباب طيبة مـــا يـــزال
يلقى " أبو الهول " الرهيب عليه من رعب ظـــلال
والموت يلهث في سؤال (٢)

أم كانوا ضحايا السجون والمعتقلات الرهيبة ممن سيطر عليهم السل والجذام داخل السجون المظلمة :

اني أكلـــت من الضحايـــا في صحاف من دمـــاء
وشربـــت ما تـــرك الفم المسلول منه فـــي الوعاء
وشممت ما سلخ الجـــذام من الجلود على ردائـــي
ونشقت مـــاء جوارب السجناء في نفس الهـــواء (٣)

---

(١) انشودة المطر ـ المومس العمياء ص ١٩٠ .
(٢) انشودة المطر ، من المومس العمياء ص ١٧٤ .
(٣) انشودة المطر من " قارئ الدم ص ١٢٩ .

الا أن هذا الألم والعذاب كان يملأ الشاعر أملا بقرب الخلاص وهطول المطر بعد أن كان التمرد يتجمع في أعماق النفوس المعذبة ليصبح فيما بعد بركانا وزلزالا مدمرا يحطم جدران السجن الكبير وعروش الطغاة .

في كل قطرة من المطر
حمراء أو صفراء من أجنة الزهر
وكل دمعة من الجياع والعراة
وكل قطرة تراق من دم العبيد
فهي ابتسام في انتظار مبسم جديد
أو حلمة تورّدت على فم الوليد
في عالم الغد الفتي واهب الحياة
مطر ، مطر ، مطر (١)

وبهذا تحمل الشاعر آلام ذاته وآلام الانسان حيثما كان . بما جعل جسده الواهي ينوء بهذا العبء الكبير ، وان يجعل منه قنطرة تعبر من فوقها الأجيال المعذبة نحو عالم النور والحياة .

أود لو غرقت في دمي الى القرار
لأحمل العبء مع البشر
وأبعث الحياة ، ان موتي انتظار (٢)

ولا شك ان شاعرا كالسياب يحمل آلام ودموع وجراح المعذبين في هذه الأرض على اختلاف ألوانهم وأوطانهم جدير بكل فخر واعتزاز ان يسمى بشاعر الانسانية المعذبة بلا منازع . ولهذا لم يمت " السياب " وسيبقى حيا في قلوب هذه الأجيال التي احترق من أجلها - كما وسيبقى خالدا في أعمال الأدب الانساني خلود الزمن .

---

(١) انشودة المطر ص ١٤٢ .
(٢) نفس المصدر السابق ص ١٢٧ .

لأنه جعل من قلبه شمسا يشرق بالحياة أمام قوافل هؤلاء البائسين المعذبين ، وأرضا تنبض بالقمح والزهر والماء الزلال :

قلبي الشمس اذ تنبض الشمس نورا
قلبي الأرض ، تنبض قمحا ، وزهرا ، وماء نميرا
قلبي الماء ــ قلبي هو السنبل
موته البعث ، يحيا بمن يأكل
في العجين الذي يستدير
ويدحى كنهد صغير ، كثدي الحياة
مت بالنار : أحرقت ظلماء طيني فظل الاله
كنت بدءا ، وفي البدء كان الفقير
مت كي يؤكل الخبز باسمى ، لكي يزرعوني مع الموسم
كم حياة سأحيا : ففي كل حفره
صرت مستقبلا ، صرت بذره
صرت جيلا من الناس في كل قلب دمي
قطرة منه أو بعض قطره (١)

* * *

(١) انشودة المطر من قصيدة " المسيح بعد الصلب ص ١٢٩ .

((الاتجاه الثورى الانسانـــى))

عاش الشاعر " بدر شاكر السياب " ثائرا انسانيا ومات ثائرا ، ثار ضد ظلم نوري السعيد الارهابى وضد الظلم الطبقى وضد احتكار الانسان لأخيه الانسان ، وضد تجار الحـروب الذين لا هم سوى ملء خزائنهم ذهبا من دماء الفقراء الجياع ، ولذلك رأى فى المدينـة وكرا للصوص ووجرا للذئاب البشرية وجحورا للأفاعى السامة التى كانت تمتص رحيق العـراق رحيق الانسان سواء فى الحقول والمزارع أم فى المعامل والمصانع وساحات القتال والدمار ٠

كما ثار ضد سلطة الشعر العمودى القديم ليخلق الانسان العربى الحديث بفكـره الجديد الذى يتناسب ومضامين الحياة الجديدة المتعددة الزاخرة بالبؤس والجـوع والحرمان والارهاب الدموى القاتل ٠

واستمر فى ثورته الانسانية حتى وهو فى قطار المرض العضال الذى قذف به الى محطة الموت والفناء جسديا لكنه لم يستطع ان يجتث أفكاره ودعوته ونضاله الذى بقى يتوهج بعـد موته ويزداد بريقا يوما بعد يوم ٠

" ان لقاء السياب مع الانسان لقاء دائم مستمر يشعر بالاطمئنان والحماية ، ونجـد لقاءه الانسانى منذ بدأ اتضاح اتجاهه الشعرى حتى آخر قصيدة قالها فى حياته والحـق أن السياب انسانى محب للانسان عاش له ودافع عن قضاياه " ٠ (١) سواء كان هـذا الانسان أحد أفراد أسرته أو قريته أو مدينته أو عراقه أو من أبناء قومه فى الوطن العربـى أم كان انسانا مجردا فى هذا العالم البشرى كله ٠

وقد كان لقاء الشاعر بالانسان عبر بوابات وقناطر متعددة أهمها الأطفال ، سـواء كانوا من أبنائه أو أبناء عراقه وقومه أم كانوا فى هيروشيما باليابان أو فى الصين أو فى أى مكان

---

(١) د / محمد التونجى ، بدر شاكر السياب ، منشورات ، دار الانوار ، بيروت سنة ٦٨ ص ٩٥ ٠

في العالم ، وليس أدل على هذا الحب واللقاء بهم مما نجده في قصيدته وملحمته الرائعة " الأسلحة والأطفال " التي صور فيها براءة الأطفال وسعادتهم في ظلال السلام والرخاء وحياتهم التعسة الشقية في ظلال الحرب وتجارها من بائعي الحديد والرصاص ، كما سنبين فيما بعد .

كما عرف الانسان عبر بوابة المرأة سواء كانت حبيبة عاشقة ، أم مومسا عمياء ، أم زوجة مخلصة أم أما مناضلة مكافحة ، وغير ذلك ، كما عرف الانسان الرجل عبر المزارع والمعامل وساحات القتال وساحات الاستشهاد والبطولة ، وعبر شوارع الأحياء الساقطة بحثا عن اللذة الزائفة كما في " المومس العمياء " أو كان جاسوسا خائنا للطغاة أو أنانيا يعيش على خراب البيوت الأخرى كما في " المخبر والحفار " وهكذا يلتقي الشاعر بالانسان منذ محض البداية ، منذ البدء حتى النهاية ان كانت هناك نهاية وهو بلا شك ليس باللقاء المصطنع المزور ، وانما هو لقاء حقيقي ودي في معظم معالمه " (١) وبقي الشاعر طوال حياته متمردا على التخلف السياسي والاجتماعي وضد الاضطهاد للانسان " مغنيا للبؤساء والمحرومين مبشرا اياهم بقرب هطول " المطر " الذي سوف يبعث الخصب والحرية من جديد لهؤلاء العبيد المعذبين " (٢) من الأطفال البائسين ، والنساء الثكالى والفلاح المحطم ، والعامل المستغل ، والمومس العمياء في المدينة وضحايا هيروشيما ومأساة الزنوج ، وغيرهم من البشر في هذا العالم المضطهد المسحوق . " ولا شك ان مبعث هذا الحب العميق للانسان لما كان يحمله في أعماقه من قلب انساني كبير حرم من السعادة منذ طفولته البائسه ، ولما لاقاه من فقر وحرمان وجوع وتشرد ونفي خلال رحلة حياته الطويلة الحافلة بالأشواك والدم " (٣) ولذلك كله فليس غريبا أن نرى الشاعر يحمل قلبه من منفى الى منفى فداء لعذاب وبؤس الانسان أينما كان ، من أجل أن يصنع الحياة التي لا استسلام فيها ولا عبودية ، الحياة التي ينتصر فيها الحق والنور على الظلم والجور والاضطهاد .

---

(١) د . جليل كمال الدين الشعر العربي الحديث وروح العصر ، بيروت سنة ١٩٦٤ ص ١٨٥ .

(٢) سامي مهدي ، الآداب ، بيروت سنة ١٩٦٥ ص ٤٧ .

(٣) يوسف الخال ، مقدمة كتاب / بدر السياب ـ حياته وشعره للدكتور / عيسى بلاطة بيروت سنة ١٩٧١ .

بهذه النظرة الثورية الانسانية المريضة أسهم " السياب " في النهوض بالشعر العربي الحديث معبرا عن حركة الأمة والانسانية بأوسع تطلعاتها المعاصرة - بعد أن أحس أشد الاحساس بما في هذه الحياة البشرية وخاصة في عراقه الحبيب من ضياع وتمزق واستغلال واضطهاد لآدمية الانسان ، لكن هذا الاحساس كان يغذى في نفسه الأمل العريض والايمان القوى بحتمية انتصار الانسان في النهاية " مهما طال الليل ومهما تمادت قوى الشر والاستغلال في دفن بذور الحياة التي لا سبيل الى دفنها وبذلك استحق الشاعر ان يسمى بشاعر المأساة الانسانية بلا منازع ".(١)

وهكذا نجد الشاعر السياب قد استمر في طريق الثورة الانسانية " متحدثا فيها عن الآخرين أفرادا وجماعات عن آلامهم وأفراحهم ، عن كفاحهم وبؤسهم ومتناقضات أوضاعهم بقلب انساني كبير ومشاركة شعورية ذات حظ من الاصالة والعمق " (٢) لايمانه المطلق بأن الحياة توتر وصراع بين ما هو كائن وواقع مر للانسان وبين ما يجب ان يكون عليه الانسان من حياة كريمة انسانية متحررة من التبعية والاضطهاد .

" كما أنها صراع بين الخصب والجدب ، بين الحياة والموت - ذلك الصراع الذي كان هو شخصيا طرفا فيه والذي كان يرى فيه نفسه تجسيدا لوطنه العربي والانسانية عامة " (٣)

فالسياب اذن كان يتوق ويتطلع منذ بداية حياته وفي خلال مسيرته المعذبة الى ان يمسك العالم بين يديه ، كان يشد نفسه الى خيوط القضية فتفلت منه ، أو يفلت منها ثم يعود اليها ، وهكذا منطلقا من وطنه ، لأمته ، للانسانية ، وكان كلما ضاقت به الحياة لجأ الى صديقه الوفي " المطر " رمز الاخلاص والتحرر ، حتى وهو على فراش الموت بلندن والكويت ، لأنه رمز الأماني ومعنى التطلع ، والربيع والأمل في المستقبل الذي يتمناه السياب لوطنه وأمته وانسانيته ، ولأنه أحب الحياة للانسان وتمناها له مما دفعه الى التحرر من الخوف في ملاقاتها ومفارقتها على حد سواء كقوله خلال مرضه :

---

(١) عبد الجبار البصري ، بدر السياب ، رائد الشعر الحر ، بغداد سنة ١٩٦٦ ص ١١ انظر الشعر العربي الحديث وروح العصر د / جليل كمال الدين ، بيروت سنة ١٩٦٤ ص ١٨٧ وص ٢٤٦ .

(٢) انظر فؤاد رفقه مجلة شعر سنة ١٩٦١ بيروت ص ١٦٨ وانظر السياب ودراسة في حياته وشعره للدكتور احسان عباس ص ٢٤٤.

(٣) جبرا ابراهيم جبرا مجلة حوار ، بيروت سنة ١٩٦٥ ص ١٢٧ وانظر د . احسان عباس ص ٢٤٥ السياب ودراسة في حياته وشعره .

وأخاف أن أزلق في غيبوبة التخديــر
الـــى بحار مالهــا من مرســـى
وما استطــاع سندبـــاد حين أمسى
فيهـــن أن يعـــود
للعود ، والشـــراب ، والزهـور (١)

والآن بعد بينـــا اجماع معظم الباحثين والنقاد على انسانية " السياب " وثوريته على الظلم والاضطهاد ومرارة الاغتراب وامتصاص دماء الفقراء والفلاحين والعمال ومـوت الأطفال الأبرياء تحت مطامع تجار الحروب ، وضد استغلال جسد المرأة العمياء وسـط مجتمع فاسد عفن كل ذلك من أجل الدفاع عن كرامة الانسان أيا كان نوعه أو جنسه أو وطنه كل ذلك بأسلوب ملحمي وقصصي رائع فاننا نعود لتقديم بعض نماذج شعره الانسانـــي الخالد . فمن نماذج شعره التي يصور فيها حبه لأبنائه وأولاده ، الذين حكم عليهـــم المرض القاسي بالفراق عن أبيهم المريض المشرد الغريب يقول مخاطبا ابنه " غيلان " :

بـابـا .. بـابـا
جيكور من شفتيـــك تولد ، من دمائك في دمائـــي
فتحيـل أعمـــدة المدينـــة
أشجار توت فـــي الربيع ، ومن شوارعها الحزينـــة
تتفجر الأنهار ، اسمع من شوارعهـــا الحزينـــة
ورق البراعم وهو يكبـــر ، أو يمص ندى الصبـــاح
والنسغ في الشجرات يهمس والسنابل في الريـــاح
تمد الرحـــى لطما مهـن
كأن أوردة السمـــــاء
تتنفـــس الدم في عروقي والكواكب في دمائـــي (٢)

---

(١) بدر السياب مجموعته الشعرية ، بيروت ، دار العودة سنة ١٩٧١ ص ٢١٩ .
(٢) بدر السياب ، انشودة المطر ، من مجموعته الشعرية ص ٣٢٦ .

وهكذا كان الشاعر والدا عطوفا حنونا على أبنائه يتحرق شوقا لرؤياهم . وأن مجرد سماع كلمة " بابا " الحبيبة عندما تخرج من شفاه ابنه كسيمفونية رائعة تعيد في جسده المنهوك بريق الحياة .

وكما تألم " السياب " لابتعاده عن أطفاله الغرباء في وطنهم البائسين لمرض والدهم المنفي في مستشفيات المرض والموت ، فقد تألم واحترق من أجل أطفال " عراقه " الجائعين الخائفين من شدة الارهاب وقسوة اسراب الجراد التي لم تترك لهم في العراق سوى الجوع والحرمان والخوف القاتل ، وأكثر ما تتجلى هذه العاطفة الانسانية في ديوان شعره الخالد " أنشودة المطر " وقد وصل هذا الخوف والجوع مداه فيه خلال حكم " قاسم " عندما أخذ يزرع الخوف والارهاب الدموي في شوارع بغداد . والموت المجاني ، والجوع القاتل في أنحاء العراق . وتتجسد هذه المشاعر بصورة أقوى وأشد في قصيدته " سربروس في بابل " التي يصور فيها طغيان قاسم وجرائمه حين قال على لسان أطفاله الجائعين الخائفين :

ونحن اذ نبص من مغاور السنين
نرى العراق يسأل الصغار في قراه
ما القمح ؟ ما الثمر ؟
ما الماء ؟ ما المهود ؟ ما الاله ؟ ما البشر ؟
فكل ما نراه
دم يفذ أو حبال ، فيه أو حفر (١)

وهكذا نسي أطفال العراق لون القمح والثمر ، وطعم النوم والحياة ، ومعنى الماء والمطر لأنهم لم يروا ببقايا أعينهم سوى مناظر الحبال في يد الشعوبيين الرعاع وهم يسحبون جثث ضحاياهم من الأطفال والنساء والرجال ليدفنوها في حفر ملأت شوارع العراق .

---

(١) مجموعته الشعرية ص ٤٨٣ وما بعدها .

وعندما يشتد الجوع بهؤلاء الأطفال الضحايا الأبرياء يصرخون بحثا عن ثدى يرضعهم وسط هذا الظـــلام :

جياع نحن مرتجفون فـــى الظلمـــة
ونبحـــث عن يد فى الليل تطعمنـــا
نبحـــث فى الظلماء عن ثدييـــن
فيا أبـــاتنا مـــن يفتدينـــا ؟ (١)

حتى أطفال " المومس العمياء " تألم الشاعر لمجيئهم لهذا العالم المتفسخ الملــى ء بالظلم حيث لم يجدوا أمامهم سوى اللبن الممزوج بالخطيئة والاثم فى حالة وجـــود ه وهذا نادر لأن الاجساد الجائعة المحرومة لا يمكن ان يتدفق فى أثدائها اللبن لارضاع الاطفال الصغار :

عشرون عاما قد مضين ، وأنـــت غرقى تأكلين
بنيك من سغـــب وظمـــــأى تشربيـــن
حليب ثديك ، وهـــو ينزف من خياشيم الجنين
كزارع لهـــم البـــذور
وراح يقتلـــع الجـــذور
من جوعه ، وأتـــى الربيع فما تفتحت الزهـــور (٢)

ولم تتوقف مشاعر الانسانية عند السياب لدى أطفاله وأطفال وطنه العراق بل شملـــت أطفال وطنه المعذبين الذين تعرضوا لجرائم الاستعمار ووحشيته وخاصة فى قصائـــد ه القومية ، حيث بكى لأطفال فلسطين المشردين فى قصيدته " قافلة الضياع " ولأطفـــال بور سعيد عندما وقفوا فى وجه الغزاة أثناء العدوان الثلاثى الغاشم على مصر سنـــة ١٩٥٦ ولأطفال المغرب العربى فى قصيدته " الى جميلة بوحيرد " وغيرها كثير .

---

(١) مجموعته الشعرية ص ٤٩٠ .
(٢) المصدر السابق ص ٥٣٩ .

ومن تصويره وجراحاته الدامية لما أصاب أطفال " بور سعيد " الباسلة يقول :

أطفالك الموتى على الموفأ
يبكون في الريح الشمالية
والنور من مصباحه المطفأ
قد غار كالمدية
في صدري العاري
أطفالك الأموات هار الحديد
في عرسه الدامي ، وذل الرصاص
ما لوا يملك من شقاء العبيد
واستنزلوا أربابه للقصاص
في ساحة النار (١)

ولم يكتف الشاعر " السياب " بحمل آلام أطفال وطنه العربي بل حمل كذلك آلام أطفال البشرية كلها في " هيروشيما " وفي الصين ، وزنوج العالم ، لكن أكثر ما يتجلى حبه لهم ما نجده في ملحمته الشهيرة التي سماها باسمهم وهي " الأسلحة والأطفال " التي قارن فيها بين حياتهم في ربوع السلام كفراشات فرحة متنقلة تبحث السعادة والسرور في قلوب الآباء والأمهات والجدات ، وبين حياتهم تحت ظلال الحروب الدامية ورحمة تجار الحروب القساة . وأكثر ما يظهر احتراق الشاعر وانصهاره على موت الأطفال الأبرياء حين يصرخ فيها قائلا :

أسى موجع أن يموت الصغار
أسى ذقت منه . الدموع . الدموع
وأحسست فيه اشتعال الدم
بعيني من نازفات الضلوع (٢)

---

(١) السياب ، انشودة المطر ص ١٦٣ وما بعدها من قصيدة " بور سعيد " .
(٢) انشودة المطر ص ٢٢٣ .

كما تبلغ سعادته القمة حين يقسم الشاعر بأقدام أطفاله العارية وكأنه بذلك يستعيد ذكريات طفولته اذ يقـول :

عصافيـر أم صبيـة تمـرح

عليهـا سنى مـن غد يلمح

وأقدامهـا العاريـة

محار يصلصـل فـي ساقيـة

لأذيالهـم ، زفـة الشمـأل

سـرت عبـر حقـل من سنبـل

وهسهسـة الخبز فـي يوم عيـد

وغمغمـة الأم باسـم الوليـد

تناغيـه فـي يـومه الأول (١)

لكن فرحة الأم ومناغاتها لطفلها الوليد الذى هو نبع حياتها وسعادتها لا تـدوم طويلا عندما يظهر تاجر الحرب القاسي وكأنه باشق انقض من السماء على حمامة وديعـة ليزرع فيها الرعب والموت مناديا على شراء الحديد والرصاص ليحوله الى شظايا ورصاص يزرع الموت بينهم :

حديـد عتيـق ، حديد ، حديـد

وبذلك يخلو الملعب من أقدامهم الصغيرة ومن أصواتهم الملائكية الطاهرة ليحـل مكانها الفراغ والصمت القاتل : فيثور الشاعر على هؤلاء التجار من الذئاب قائلا :

فلا يبـدر فـي سهـول العـراق

ولا صبيـة فـي الضحـى يلعبـون

---

(١) انشودة المطر ص ٢٢٠ .

ولا همس طاحونة من بعيد
لأن الطغاة لا يسمعون
صداح العصافير في المغرب
كما صلصل الفضة المقامرون
ولا زفة السنبل المذهب (١)

وكما حمل الشاعر آلام الأطفال داخل وخارج العراق فقد التقى أيضا بالانسان عبر " المرأة " ان المرأة عند السياب : معذبة أبدا في انتظار حبيب ، أو في غمرة النضال أو في فقد عزيز ، أو ضحية مأساة خاصة ، أو عامة ، أو أم ثكلى ، أو زوجة ، وسواء كانت عاشقة حبيبة كقوله :

أو تذكرين لقاءنا في كل فجر
وفراقنا في كل أمسية اذا ما ذاب قرص
الشمس في البحر العتي
تأتين لي ، وعبير زنبقة يشق لك الطريق فأي عطر
وتودعين فتهبط الظلماء في قلبي ويطفئ نوره القمر الوضي
فكان روحي ودعتني واستقلت عبر بحر (٢)

أم كانت زوجة وفية كقوله في " ليلة وداع " أثناء مرضه :

أو صدى الباب فدنيا لست فيها
ليس تستأهل من عيني نظرة
سوف تمضين وأبقى ... أي حسرة ؟
أتمنى لك ألا تعرفيها ؟

الى قوله : لست أهواها كما أهواك يا أغلى دم ساقي دمي

---

(١) انشودة المطر ص ٢٣٥ .
(٢) المجموعة الشعرية من قصيدة " ليلى " ص ٧٢٣ .

انها ذكرى ولكنك غيرى ثائرة
من حياة عشتها قبل لقانا
وهوى قبل هوانا ،
أو صدى الباب ،غدا تطويك عنى طائرة
غير حب سوف يبقى فى دمانا (١)

وكقوله أيضا مخاطبا زوجته البعيدة عنه فى العراق خلال مرضه أيضا :

يا أم " غيلان " الحبيبة صوبى فى الليل نظرة
نحو الخليج تصورينى أقطع الظلماء وحدى
لولاك ما رمت الحياة ولا حننت الى الديار .. الخ (٢)

وكما عرف الشاعر " المرأة " عاشقة وزوجة له فقد عرفها أرملة للشهيد الذى سقط ضحية الخيانة فتألم لآلامها وأحزانها :

أرأيت ارملة الشهيد ؟
الزوج مد عليه من ترب لحافا ثم نام
متمددا بأشد ما تجد العظام
من فسحة : سكنت يداه على الأضالع والعيون
تغفو الى أبد الأبد الى القيامة فى سلام (٣)

ولم تتوقف مشاعر " السياب " عند حدود العاشقة والزوجة والأرملة بل شملت كذلك الأم والجدة كما سبق ان ذكرنا فى طفولته ، كما شملت أيضا المرأة " المومس العمياء " التى تعتبر وصمة عار فى جبين المجتمع الانسانى ومن ذلك قوله :

ويح العراق : أكان عدلا فيه أنك تدفعين
سهاد مقلتك الضريرة

---

(١) المجموعة الشعرية ، ص ٦٥١ .
(٢) نفس المصدر السابق ص ٧١٨ .
(٣) احمد أبو سعد ، الشعر والشعراء فى العراق ص ، بيروت سنة ١٩٥٩ دار صادر - انظر د . جليل كمال الدين الشعر العربى الحديث ص ١٨١ بيروت سنة ١٩٦٤ .

تمنا لمــــل" يديك زيتا من منابعه الغزيـــــرة ؟
كي يغمـــر المصبــاح بالنور الــذى لا تبصريــن؟
عشرون عامــــا قد مضين وأنـــت غرثـــى تأكلين
بنيك من سغب ، وظمــــأى تشربيـــــن ٠٠الخ (١)

وكما ثار الشاعر من أجل الظلم الانسانى الذى لحق بالمرأة الضحية فقد وقف أيضا بكل جوارحه ومشاعره الى جانب المرأة البطلة المكافحة التى ضحت بحياتها من أجل حريـــة وطنها كما فى قصيدته الشهيرة " الى جميله بوحيرد " حين خاطبها قائلا بكل فخـــر واعتزاز :

ياأختنا المشبوحــــة الباكيـــة
أطرافـــــك الداميـــــة
يقطرن فـــى قلــى ويبكين فيـه
يامن حملت الموت عــن رافعيــه
مـــن ظلمة الطيـــن التى تحتويــه
الـــى سمـــاوات الدم الواريـــة
حيث التقى الانسان والله ، والأموات ، والأحياء فى شهقة
فى رعشة للضربة القاضيـــــة (٢)

ويستمر الشاعر فى تصوير كفاح هذه البطلة الخالدة التى حملت آلام شعبها فى الوقت الذى عجز فيه الشرق العربى عن تقديم هذه التضحيات لأنه كان خلف سجن رهيب أقامه الجلاد فى وجه ابنائه مما جعل الشاعر يحس بالأسى والألم الى أن يقول :

ياجميلــــة
ياأختى النبيلـــــة

---

(١) انشودة المطر ص ١٩٩ من " المومس العمياء "
(٢) انشودة المطر ص ٦٢ من " الى جميلة بوحيرد "

يا أختي القتيلة
لك الغد الزاهي كما تشتهين
وأنت اذ أحسست اذ تسمعين
تعلو بك الآلام فوق التراب
فوق الذرى ، فوق انعقاد السحاب (١)

وهكذا عرف الشاعر آلام الأطفال والنساء داخل وخارج العراق ، لأن الاطفال زهور الحياة والمرأة نصف المجتمع سواء كانت امرأة فلاحة ، أو مومسا عمياء ، أو خليلة معشوقة أو حبيبة عزيزة ، أو مناضلة ، أو سيدة ، أو خادمة وغير ذلك ، وكما حمل آلام هؤلاء فقد حمل آلام وجراحات الآخرين من أبناء هذا الوطن المحاصر وخاصة الفلاحين والفقراء والعمل المستغلين الذين فقدوا الاحساس بالحياة من قسوة الحصار الذى أقامه الجلادون ومصاصوا الدماء من حولهم ولذلك كانت حياة هؤلاء الضحايا مليئة بالجوع والخوف والارهاب ، وأكثر ما يتجلى هذا التصوير فى معظم قصائده " انشودة المطر " التى لاتكاد قصيدة واحده منه تخلو من نزعة انسانية ، الا ان اكثر ما يتركز هذا الاحساس فى قصيدته " انشودة المطر " حين يقول :

فى كل قطرة من المطر
حمراء ، أو صفراء من أجنة الزهر
وكل دمعة من الجياع والعراة
وكل قطرة تراق من دم العبيد
فهى ابتسام فى انتظار مبسم جديد
أو حلمة تورد ت على فم الوليد
فى عالم الغد الفتى واهب الحياة
مطر ، مطر ، مطر (٢)

---

(١) انشودة المطر ص ٦٨ ،
(٢) نفس المصدر السابق ص ١٤٦ ،

وهكذا كان الشاعر متفائلا مؤمنا بحتمية انتصار قوافل العبيد على قيود السادة الجشعين لأن الخير والحق لا بد ان ينتصرا في النهاية على الظلم والشر ، كما تتركز هذه المبادئ الانسانية في معظم قصائده الأخرى كالمومس العمياء ، ومدينة بلا مطر وسربروس في بابل ، ومن رؤيا فوكاي ، ومدينة السندباد ، وغيرها من القصائد التي تزخر بالعطف الانساني والثورة ضد الظلم والاستغلال من أجل كرامة الانسان وتحريرا الانسان من ظلم الانسان .

ويتجلى هذا الشعور بقوة وعنف في قوله :

أود لو عدوت أعضد المكافحين
أشد قبضتي ثم أصفع القدر
أود لو غرقت في دمي الى القرار
لأحمل العبء مع البشر
وأبعث الحياة ، ان موتي انتصار (١)

وهكذا كان الشاعر على استعداد للتضحية بروحه وحياته لو استطاع في سبيل بعث الحياة وتوفير الحرية للانسان . كما بلغ احتراقه الانساني مداه حين قال :

ثم فجرت نفسي كنوزا فعريتها كالثمار
حين فصلت جيبي قماطا وكمي دثار
حين دفأت يوما بلحمي عظام الصغار
حين عريت جرحي ، وضمدت جرحا سواه
حطم السور بيني وبين الأله (٢)

ولا شك ان هذا القلب الانساني الكبير الذي لم يسبق ان خفق بين ضلوع شاعر آخر قد استطاع ان يخلد خفقاته وكلماته على صفحات قلوب البائسين والمعذبين بل والانسان اينما كان داخل الوطن العربي وخارجه حتى أصبح صاحبه قيثارة شعرية وانشودة تتغنى باسمه وبقلبه الانساني الأجيال القادمة . هذه صورة موجزه عن اتجاه السياب " الانساني " الذي جعل منه بحق وجدارة شاعر الانسانية الخالد .

---

(١) انشودة المطر من قصيدة " النهر والموت " ص ١٢٧ .
(٢) نفس المصدر السابق من قصيدة " المسيح بعد الصلب " ص ١٣١ .

"الباب الثالث"

أسلوبه الشعري

الفصل الأول : مراحل اسلوب شعره .

الفصل الثانى : اهم الاشكال والقوالب الشعرية ومراحلها عند الشاعر وتشمل :

١ — مرحلة الشعر العمودى .

٢ — مرحلة الموشحات .

٣ — مرحلة الشعر الحر .

٤ — مرحلة الشكل المزدوج .

٥ — صور بنائه الفنى .

أ — اسلوب التناظر والتقابل .

ب — الاسلوب الرمزى .

ج — الاسلوب الموحى المعبر .

د — الاسلوب الحوارى .

الفصل الثالث : أهم أدواته الشعرية .

١ — الرموز والاسطورة .

٢ — الفولكلور الشعبى .

٣ — الصورة الشعرية .

٤ — اللغة الشعرية .

الفصل الرابع : أهم خصائصه الفنية .

عباراته — لغته الشعرية — خصائصها .

....

((البــاب الثالــث))

:: الفصــل الأول ::

مراحل اسلوب شعره :

مما لا شك فيه ان شعر " السياب " لم يكن جميعه على مستوى واحد من الجودة بل كان متعددا ومختلفا باختلاف وتطور مراحل شاعريته وثقافته وتجاربه ومواقفه الفكرية والسياسية وحياته النفسية أيضا . وقد سبق أن ذكرنا أن الشاعر قد مر خلال حياته الشعرية بمراحل متعددة هي : الرومانسية ، والواقعية والتموزية ، وأخيرا المرحلة الذاتية الحزينة وفي فترة مرحلته الرومانسية الأولى : استطاع الشاعر أن يترك لنا عدة دواوين شعرية هي ديوان : بواكير ، وقيثارة الريح ، وأعاصير ، وقد نشرت هذه الدواوين كما بينا سابقا بعد وفاة الشاعر باشراف وزارة الاعلام العراقية اعترافا بمكانة الشاعر وحفاظا على تراثه الشعري ، وتخليدا لذكراه . هذا بالاضافة الى ديوانيه الشهيرين أزهار ذابلة سنة ١٩٤٧ بغداد ، وأساطير سنة ١٩٥٠ ، النجف الأشرف

ونحن اذا تابعنا هذه الدواوين الرومانسية وجدنا اسلوب الشاعر يختلف خلالها من ديوان الى آخر رغم دورانها كلها داخل دائرة الذات الفردية البائسة الثائرة حينا ، والمأزومة المحترقة أحيانا أخرى " . (١)

فمن حيث مضامينها كانت جميعها تدور حول تجارب الشاعر الذاتية . كوصف جمال طبيعة الريف البصري وحياة رعاته وأغنامهم . وما في شطآنه من نخيل وصفصاف وجداول مياه متدفقة وسفن وأشرعة في شط العرب بالاضافة الى تجاربه العاطفية

---

(١) ناجي علوش ، مجلة الآداب ، بيروت ، جزيران سنة ١٩٥٤ ص ٦٩ .

الظامئة للمرفأ العاطفى لترسو عليه سفينته التائهة بلا شراع وبلا جدوى * بالاضافة أيضا الى عبير الشوق والحنين لمراتع طفولته وملاعب صباه وحبه " بجيكور " وديوانه " أعاصير " بمثابة تعبير عن الثورة ضد الفساد السياسى والاجتماعى الذى كان يخيم على العراق خلال الحكم الملكى البائد سنة ١٩٤٦ . ومما يلفت النظر حقا أن الشاعر خلاله كله قد اتبع الشكل الكلاسيكى التقليدى العمودى ذا القافية الواحدة فى جميع أبيات قصيدته الشعرية ، كما تظهر فيه قوة الموسيقى الخارجية الصاخبة ، والرنين الحاد ، والايقاع العالى ، بالاضافة الى النغمة الخطابية ، والأسلوب التقريرى المباشر كقوله :

أصبح الكون وهو نور ونار
أيها الظالمون أين الفرار ؟

الأعاصير تملأ الشرق والغر
ب وقد جاش حولهن الشرار

فاعصفى ياشعوب ، فالكون لا ير
ضيه الا ان يعصف الأحرار

واحطمى القيد فوق هام الطواغيت
وثورى ، فالفائز الثوار

همسة ، فانتباهة ، فهتاف
فانتفاض ، فثورة ، وانتصار (١)

وفى قصيدته " رثاء الفلاح " يصور بؤسه وشقاءه :

أيها الحاصد المعنى يجوب السهل
مستوحدا حزين الغناء

شاحب الناظرين ، مضنى ، حريق الظل
فى لافح الثرى والسماء

---

(١) بدر السياب ، أعاصير ، وزارة الاعلام بغداد سنة ١٩٧٢ ص ٣١ ـ ٣٣ قصيدة أعاصير .

يورد المتجهل المعنى جراحات
بكفيه دافقات الدماء
انه مطعم الورى وهو من راح
قتيل الطوى ،صريع العناء
انه الخير والغنى ، انه الكاسى
وان عاش عاريا من رداء (١)

وهكذا يستمر الشاعر فى ثورته الخطابية المتدفقة ليوقظ فى شعبه روح الثورة والكفاح من أجل التحرر من قبضة الظلم والاستعمار وأعوانه .

ولا شك ان هذا الديوان هو الذى سبق أن أشار اليه الشاعر " بزئير العاصفة " على صفحات ديوانه أساطير سنة ١٩٥٠ ونظرا لما فيه من حمم ثورية ضد الطغيان ، فان الظروف لم تسمح له بنشره حينذاك حتى قام بعض اصدقائه بجمع هذا التراث ونشره بمساعدة وزارة الاعلام العراقية سنة ١٩٧٢ .

أما دواوينه الأخرى خلال هذه المرحلة الرومانسية فقد كانت تدور حول حبه وتصوير سعادته القصيرة ، وشقائه الطويل نتيجة الفشل المتكرر فى تجاربه العاطفية ،هذا بالاضافة الى تصويره طبيعة الريف ، وأشواقه الى جيكوره الحبيبة ،وذكرياته الماضية فى ربوعها .

ومن حيث أشكالها الشعرية فقد انتقل فيها الشاعر لمرحلة الموشحات التى تختلف عن الموشحات الاندلسية ، بحيث أنها لا تحتاج الى خرجة وأغصان كما فى الأندلسية " لأنها بمثابة قصائد قصيرة تتكون كل منها من عدة مقطوعات ذات أبيات متساوية العدد لكل مقطوعة منها قافية جديدة تختلف عن السابقة واللاحقة . وبعضها كانت ثنائية أو ثلاثية ، أو رباعية أو خماسية أو سداسية ، أو سباعية أو أكثر من ذلك " (٢) كما

---

(١) بدر السياب ، أعاصير ، ص ٣٩ وما بعدها .
(٢) انظر ديوان الشاعر — ازهار وأساطير ، مثل نهر العذارى ، ودلع ، وسجين وأقداح واحلام وغيرها .

سنوضح ذلك عند الحديث عن أشكاله وقوالبه الشعرية ان شاء الله . وقد استمر الشاعر سائرا على هذا الشكل التقليدى حتى نهاية سنة ١٩٤٦ عندما نظم قصيدته الأولى " هل كان حبا " بطريقة فنية جديدة معتمدا فيها على الشعر " الحر " ذى التفعيلات الحرة ، حيث لم يتقيد الشاعر فيها بعدد معين من التفعيلات المحدودة كما كان الشأن فى الشعر العمودى القديم . وبذلك أصبحت " التفعيلة " الواحدة وحدة موسيقية جديدة بدل وحدة " البيت " الخليلى ، ومنذ هذه البداية أخذ الشاعر يبتعد عن الشكل التقليدى لكن بحذر وحرص شديدين على التراث العربى فى الوقت نفسه ، حتى جاءت قصيدته المتحررة الثانية " السوق القديم " .

ولهذا كانت أغلب قصائده الأخيرة فى ديوانه " اساطير " تسير على الشكل المتحرر هذا من حيث الشكل والاطار الموسيقى الخارجى ، أما من حيث لغته فقد كانت رومانسية حالمة محلقة على أجنحة الخيال الرومانسى . كالشراع الذائب خلف الأفق ، ورنين القبل والشفاه الظامئة ، واللهيب الراقص . وغير ذلك . ورغم ذلك فقد كان الشاعر يبذل مجهودا كبيرا فى اختيار ألفاظه الشاعرية وليس أدل على ذلك من الحذف والتغيير والتبديل الذى كان يلحقه ببعض قصائده أثناء الطبعات الأخرى .

كل ذلك من أجل الايجاز فى التعبير أولا وتحسين اسلوبه ثانيا . والتخلص من الحشو والأسهاب ثالثا . ومثال ذلك الشطب والتبديل والحذف ما نجده فى بعض قصائده فى ديوانه " أزهار ذابلة " وخاصة قصيدته " ديوان شعر " التى يقول فيها خلال طبعته الأولى :

ديوان شعر كله غزل

بين العذارى بات ينتقل

انفاسى الحرى تهيم على

صفحاته والحب والأمل

وستلتقى أنفاسهـــن بهـــا
وتحـوم فى جنباتـــه القبـل (١)

أما فى طبعته الثانية " أزهار وأساطير " فقد غير بعض كلمات الشطر الثانى من البيت الثالث حيث قال :

وستلتقـــى أنفاسهـــن بهـــا
وتـــرف فـــى جنباته القبل

ولا شك أن كلمة " ترف " أحلى تعبيرا وأكثر ايماء للشفاه الظامئه للحب واللقــاء
أما الحذف والايجاز فانه يتجسد فى قصيدته " أقداح وأحلام " حيث يصف " الحسنــاء قائلا فى الطبعة الأولـى :

غرســت يـد الحمـى علـى فمهـا
زعـــرا طوى شهواتها طيـــا
ان فتحتـــه بحرهـــا شفـــة
سكـــرى يمريد فوقها ندب
رقص اللهيب علـــى كمـــائمـــه
ومشـــى الطلاء يهـزه الوثب

أما فى طبعته الثانية " أزهار وأساطير " نجده يقول :

غرســت يـــد الحمى على فمهـا
زعرا بلا شجـــر ــ فلا سقيا
ان فتحتـــه بحرهـــا شفـــة
ظمأى يمرسـد فوقها نـدب (٢)

كما يظهر الحذف بصورة واضحة فى العديد من قصائده العاطفية الأخرى وخاصة " أهواء " فبعد ان كانت تبلغ حوالى مئتين واثنين وخمسين بيتا عاد ليوجزها فى حدود مائة واثنى عشر بيتا فى طبعة " ازهار وأساطير " .

---

(١) السياب ــ ازهار ذابلة ــ القاهرة ١٩٤٧ ص ٥ .
(٢) ازهار وأساطير ، السياب ، بيروت ١٩٦٣ ص ١١ .

كما قام بالحذف أيضا فى قصيدته " أغنية فى شهر آب " بديوانه انشودة المطـــر فقد حذف منها ثلاثة وعشرين بيتا مما كانت عليه فى مخطوطته قبل نشرها " (١) كمـــا حذف من قصيدته " من رؤيا فوكاى " خمسة أبيات أخرى " (٢) وأربعة أبيات من قصيدة " قافلة الضياع " (٣) وقصيدته المتحررة الأولى : " هل كان حبا " فبعد أن كانـــت تبلغ ستة وخمسين بيتا فى ديوانه " أزهار ذابلة ز نراه قد اختصرها الى النصف تمامـــا حيث بلغت ثمانية وعشرين بيتا فقط فى " أزهار وأساطير " (٤) وهذا ما يؤكد لنـــا مدى حرص الشاعر على جودة شعره والنهوض به الى مستوى الجودة الفنية ٠ كما يدلنـــا على حرصه وتطلعه نحو الكمال ، كما يبين لنا أن الشاعر قد كان فى بداية حياته الشعرية معتمدا فى كتابته على تدفق عواطفه وأفكاره دون وعى وتصميم مسبق ٠ وعلى مجرد الفيـــض الفكرى والتداعى النفسى ٠

كما كان أسير قيود وأسوار داخل قبضة الشكل العروضى التقليدى الخليلـى ٠ لكنـه سرعان ما انطلق نحو التدفق والاستمرار فى شعره " الحر " خلال قصائده المتحـــررة فى ديوانه " أساطير " وانتقل بذلك من التعبير التقريرى المباشر الى الأسلوب القصصـى القائم على التزاوج والتقابل بين صوره الشعرية ٠ كما أصبحت الصورة هى أهم وسائلـــه التعبيرية بدل الكلمة المفردة التى كانت مسيطرة عليه خلال دواوينه الأخرى ٠ كما ازداد اهتمامه بتجويد لغته وصوره وموسيقاه الحره داخليا وخارجيا ٠حين تحولت من الصخـــب والخطابة الى الهمس والتصوير بدل الطرب الموقت ٠ الذى كان سرعان ما يتبخر ويـذوب بمجرد الانتهاء من القائها ٠ ولهذا نستطيع أن نعتبر بأن هذا الانتقال الموسيقى مـن الشكل العروضى الخليلى الى الشكل الجديد " الشعر " الحر " القصصى " حدثـــا فنيا جديدا وخاصة فى قصيدته " السوق القديم " التى نستطيع أن نقول انها قنطـــرة عبور نحو عالم شعرى جديد ٠ وجسر موصل الى عالم النضج فى ديوانه الثانى " انشودة

---

(١) قارن بين انشودة المطر ٠ بيروت سنة ١٩٦٠ وبين مجلة الآداب ـ بيروت سنة ٥ مايو
(٢) مقارنة بين ديوان انشودة المطر سنة ١٩٦٠ وبين مجلة الآداب بيروت كانون ثانـى سنة ١٩٥٥ ٠
(٣) مقارنة بين انشودة المطر سنة ١٩٦٠ ومجلة الآداب بيروت ـ تموز سنة ١٩٥٦ ٠
(٤) مقارنة بين ديوان ازهار ذابلة القاهرة ٤٧ وبين ازهار وأساطير ص ١٣٩ ـ ص ١٤١

المطر " الذى بلغت فيه شاعريته حد الجودة لتطور شعره أولا وتطور فكره واتساع رؤيـــاه الشعرية وكثرة تجاربه ثانيا ثم انتقاله من قبضة الذات الضيقة الى عالم فسيح من الواقعيـــة والمجتمع والانسانية معا •

وفى خلال هذه المرحلة الثانية من حياته الفنية والفكرية تطور شعره شكلا ومضمونـــا قلبا وقالبا • فمن حيث الشكل اتجه الشاعر الى استعمال القصائد الطويلة بدل القصيـــرة كما نرى فى ملاحمه الشعرية " الأسلحة والأطفال " وفجر السلام ،حفار القبور ، المومـــس العمياء ، انشودة المطر ، كل ذلك بالأسلوب " الحر " الجديد مما ساعد الشاعر علـــى التدفق والعطاء بحرية وسهولة ويسر ـــ دون أن تقف القافية والبيت العمودى الشعـــرى القديم حجر عثرة فى طريقه كما كان الأمر فى السابق •

كما لجأ الشاعر الى نوع جديد من البناء الشعرى القائم على تصاميم شعرية جديـدة هى " التصميم الدائرى " كما فى انشودة المطر ، وتصميم الرمز والايحاء كما فى قصيدتـــه " فى المغرب العربى " (١) وتصميم التقابل والازدواج بين الصور كما فى قصائده الملحميـــة وخاصة " فجر السلام " والحرب والسلام ، حيث قارن بين الحياة فى ظلال السلام تـــارة وفى ظلال الحروب والدمار تارة أخرى ، وهذا مما يعمق الصورة فى ذهن المتلقى بلا شك •

كما استطاع ان يجعل الصورة الشعرية هى الوسيلة الرئيسية فى التعبير عن مشـاعرة وأفكاره معتمدا فى ذلك على مصادر جديدة ومناجم غنية من الأساطير المختلفة من اعمـــاق الحضارات الانسانية القديمة ، والرموز على اختلاف مصادرها واللغة الحديثة اليوميـــــة النابعة من أعماق الفولكلور الشعبى ، والتراث الأدبى والتاريخى والدينى ، هذا بالاضافة الى الاقتباس والتضمين من معظم مصادر هذا التراث •

وهكذا استطاع الشاعر ان يمد الشعر العربى الحديث بروافد جديدة ودماء أخـــرى متدفقة أعادت اليه الحيوية والخلود • كل هذا الى جانب سمو أفكاره الوطنية والقوميـــة

---

(١) محمود العبطه " بدر السياب والحركة الشعرية الجديدة فى العراق ص٥٦ — ٦٥

والانسانية ، بعد أن حمل الشاعر آلام البشرية الى جانب آلامه الذاتية .

وعندما تدفقت شلالات الحزن والدماء في شوارع بغداد خلال حكم عبد الكريم قاسم الرهيب الذي نشر الموت والدمار في شوارع الموصل وبغداد وكركوك وغيرها ، ازداد الشاعر اتجاها الى الرموز والأساطير " البابلية " وخاصة " تموز " الى الخصب عند البابليين القدامى الذي قتله الخنزير البري ، لكن رماده أنبت للشعب الأزهار وشقائق النعمـــان واسطورة زوجته " عشتار " حيث جعل منها الشاعر رمزا للمرأة العربية البطلة المضحية من أجل ميلاد الحرية " (١) لأمتها أمثال : حفصة العمري ضحية الارهاب الشعوبي فـــي الموصل سنة ١٩٥٩ وجميلة بوحيرد بطلة الثورة الجزائرية سنة ١٩٥٤ وما بعدها . وكذلك اسطورة " بابل " رمز بغداد المتهدمة . بالاضافة الى الرموز الدينية وخاصـــة " المسيح المصلوب " كما اتجه الشاعر بكثرة نحو الرموز المستمدة من الطبيعة كالمطـــر الرعد البرق ، السحاب حيث اتخذها رمزا للثورة والخصب والعطاء ، كما رمز بالظـــلام والجفاف والقحط الى قوى الشر والطغيان في العراق وخارجه . وسنوضح ما نقول بالنماذج الشعرية المناسبة عند الحديث عن أدوات بنائه وتعبيراته الشعرية .

وبقيت هذه الرموز والأساطير تتدفق بقوة وعنف حتى ابتلى الشاعر بالمرض العضـــال الذي أخذ يرعى جسده المنهك بكل قسوة وعنف وبذلك انتقل الشاعر الى مرحلة المرض " الأيوبية " مرحلة الصراع مع الموت من أجل الحياة .

وبهذا انتقل الشعر السيابي من ساحات الواقعية الثورية ، الوطنية والقوميـــة والانسانية الواسعة الى " احضان " استبطان الذات " المحدودة " (٢) حـــتى أصبح المضمون الشعري خلال هذه المرحلة الأخيرة متنقلا بين تصوير حاضره المظلم ، ومرضه المؤلم في ساحة المرض والنفي والاغتراب وبين ذكريات ماضيه واحلام طفولتـــه بالعراق هربا من قسوة هذا الواقع السيء والمرض القاتل . مع وجود بعض الملامـــح لأمراض وطنه العراق .

أما من حيث الأسلوب فقد بقي الشاعر محافظا على الأسلوب الشعري الجديـــد

---

(١) بدر السياب ، ديوان انشودة المطر ص ٤١ .

(٢) د . عيسى بلاطة ص ١٩٠ .

" الحر " ولكن باسلوب سردى سريع أقرب ما يكون الى مذكرات واعترافات .. مما افقدها المديد من خصائصه فى المرحلة السابقة . مع حفاظه على الرموز الدينية والتاريخية وخاصة الرمز " بشخصية سيدنا أيوب " عليه السلام نظرا لتشابه موقف كل منهما نحو المرض والمعاناة القاسية ، كما حافظ على شخصية " السندباد " المشرد الذى ما زال يتطلع الى العودة الى وطنه وسط العقبات وعواصف البحار . كما اتخذ من شخصيته واسطورة " يوليسيس " اليونانى الذى عاد لوطنه وزوجه الصابرة " بنلوب " بعد حرب طرواده رمزا لاغترابه على الرغم مما لاقاه فى طريق عودته من صعاب وآلام ، وهذا يشبه موقف الشاعر فى جزر الألم والمرض المتطلع نحو العودة الى وطنه وزوجه الصابرة وابنائه الأعزاء . كما يغلب على قصائده خلال هذه المرحلة أيضا الايجاز وعدم الطول الذى كان مسيطرا عليه خلال مرحلة ملاحمه الشعرية السابقة فى انشودة المطر .

ويتركز انتاجه الشعرى خلال مرحلته المرضية فى دواوينه الأخيرة " كمنزل الأقنان " والمعبد الغريق ، وشناشيل ابنة الجلبى " .

كما يغلب على الشاعر أيضا التعبير بالصور الشعرية الملونة الموحية بصورة رائعة وخاصة فى قصيدته " شناشيل " ابنة الجلبى " بالاضافة الى احتفاظه باللغة الحديثة اليومية المستقاه من مصادر التراث الشعبى بقصصه وأغانيه كما فى قوله :

يامطرا ياحلبى
عبر بنات الجلبى
يامطرا ياشاشا
عبر بنات الباشا
يامطرا من ذهب (١)

وهى أغنية كان أطفال العراق فى قرى البصرة يرددونها حين تمطر السماء . والآن

---

(١) بدر السياب ، ديوان شناشيل ابنة الجلبى ، المجموعة الشعرية . بيروت دار العودة سنة ١٩٧١ ص ٥٩٧ .

بعد ان استعرضنا موجز تطور مسيرة شعر السياب شكلا ومضمونا ، نعود الآن الى تفصيل ذلك وتوضيحه بالنماذج الشعرية والأدلة القوية على ما ذهبنا اليه .

* * *

** **

((الفصــــل الثانـــي))

((الفصـل الثانـــى))

:: أهم الأشكال والقوالب الشعرية ومراحلهـــا :: عند الشاعر ـ بدر السياب

لقد استطاع الشاعر " بدر السياب " خلال مراحله الشعرية المتعددة ان يمر عبـــر أشكال وقوالب شعرية مختلفة ومتطورة حسب تطور ثقافته وأفكاره وتجاربه • ومن خـــلال متابعتنا الطويلة لمسيرة شعره وأشكاله وقوالبه الفنية نستطيع ان نقول بأن أهمها ما يلى :

١ ـ الشكل العمودى القديم :

عندما فتح الشاعر عينيه فى العراق كان صوت الشعر الكلاسيكى المتطـــور يدوى فى آذان الوطن العربى على يد رواده الأوائل فى العراق أمثال الزهـــاوى والرصافى ، والكاظمى والشبيبى والنجفى ، ومحمد مهدى البصير ، ومحمـــد صالح بحر العلوم وأخيرا محمد الجواهرى • وبذلك تكون شاعرية بدر قد تفتحت بواكيرها الأولى على مدرسة الجواهرى آخر شاعر كلاسيكى كبير "[١] ومما عمـــق هذا التأثر فى نفس الشاعر خلال مرحلته الأولى ما قرأه بعد ذلك من دواويـــن عمالقة الشعر الأخرين فى العصر العباسى " أمثال كل من المتنبى ، وأبى تمـــام وأبى العلاء المعرى ، والبحترى وابن الرومى وغيرهم • وكان من نتائج هذا التأثر بهؤلاء الرواد والعمالقة [٢] ، أن عانق الشاعر فى بداية حياته الفنية الشكـــل العمودى التقليدى ذا القافية الموحدة فى القصيدة ، وذا الايقاع الحاد الصاخب فى رويه وموسيقاه ، وأنغامه • وأكثر ما يتجسد هذا العناق فى ديوانه " أعاصير " الذى كان بمثابة ثورة اجتماعية وسياسية سنة ١٩٤٦ •

---

(١) د • جليل كمال الدين ، الشعر العربى الحديث وروح العصر ، بيروت سنة ٦٤ دار العلم للملايين ص ٢٩٨ •

(٢) محمـود العبطة ص ٨٢ •

ومن أهم قصائد هذا الديوان الذي يمثل الجانب الاجتماعي والسياسي في بداية حياة الشاعر الفنية : عيد الثأر ص ٩ ، حطمت قيودي ص ١٥ ، في فلسطين ص ٢٥ ، واعاصير ص ٣١ ، رثاء الفلاح ص ٣٩ ، دجلة الغضبى ص ٤٥ مأساة الميناء ص ٥٤ ، صحيفة الاحرار ص ٦١ ، غادة الريف ص ٧١ ، الى حسناء الكوخ ص ٨٧ ، وقد سار فيها الشاعر على نظام الشكل العمودي التقليدي الموحد القافية ما عدا القصيدة الأخيرة منها التي سار فيها على نظام المقطوعات الشعرية ذات الأوزان المتعددة (١) .

فمن قصيدته الأولى "عيد الثأر" التي رثى فيها شهداء وثبة كانون سنة ١٩٤٨ الذين سقطوا صرعى برصاص الحكم الملكي في العراق لمقاومتهم معاهدة بورتسموث المشئومة سنة ١٩٤٨ ، ويقول :

بسمة النور في ثغور الجراح
أنت قبل الصباح نجم الصباح
كلما لحت في خيال الطواغيت
وألهبت مرقد السفاح
ذاب قيد على اللظى وتراخت (٢)
قبضات على حطام السلاح

وقد سار فيها الشاعر كلها محافظا على الشكل التقليدي والقافية الواحدة ، " لفترة قصيرة لأن الشكل الكلاسيكي القاسي كان ينحسر أمام تقدم شكل آخر أكثر مرونة ، وأفضل مناسبة للتعبير عن الحساسية الشخصية كما كانت الثورة على المفاهيم القديمة للوزن والقافية واللغة تقترن لدى الرومانطيقيين بكراهيتهم

---

(١) انظر ديوان الشاعر " أعاصير بغداد " وزارة الاعلام العراقية سنة ١٩٧٣ .
(٢) نفس المصدر ص ٩

للموضوعات التقليدية والصور البالية "(١) ورغم ذلك بقى التراث الكلاسيكى عميق الجذور عند العديد من الشعراء المعاصرين .

ومن قصيدته الثانية بالديوان " أعاصير " أيضا قوله :

حـررت بالـدم كل جيل نسـاء
آت سيـذكر منه الآبـاء
ورقيت من جثث الضحايا سلما
يفضى الـى الحرية الشمـاء
وجعلت أحجـار القبور صحائفـا
يلتهن بروائع الأنبـاء (٢)

وهكذا التزم الشاعر الشكل والقافية الموحدة " الهمزية " حتى نهايتها الطويلة . وكذلك الأمر فى بقية قصائده العمودية فى هذا الديوان الثورى الجديد .

لكن هذه الفترة لم تدم طويلا وذلك لتأثره الجديد برواد الشعر المهجرى أولا ، ورواد مدرسة " أبوللو " الشعرية ثانيا وذلك لما كان يعانيه العراق خلال فترة الحرب العالمية من قهر وظلم واضطهاد وأحكام عرفية قاسية حالت دون التعبير الحقيقى عما فى أعماق الشاعر من أحاسيس ومشاعر وطنية وقومية وانسانية ، مما جعل الشاعر يندفع الى أحضان الرومانسية التى حمل لواءها " الى العراق كل من على محمود طه ، ومحمود حسن اسماعيل ، ومحمود غنيم ، وابى شادى وغيرهم ."(٣)

ومن هنا انتقل الشاعر من مرحلة الشعر الكلاسيكي العمودى ذى القافية الموحدة الى أحضان مرحلة جديدة فى الشكل والقالب الشعرى . وهى مرحلة الموشحات وهى تختلف عن الموشحات الاندلسية فى نظامها وبنائها ، لأنها لا تعتمد على خرجة أو أغصان ، أو اقفال كالأندلسية ولكنها عبارة عن مقطوعات شعرية فى القصيدة

---

(١) الشعر والفكر المعاصر ، منشورات وزارة الاعلام العراقية سنة ١٩٧٤ ص ١٥ .
(٢) بدر السياب ، ديوان الأعاصير وزارة الاعلام العراقية سنة ١٩٧٤ ص ٣١ .
(٣) انظر د / عيسى بلاطة ، بدر السياب ص ١٦٨ .

الواحدة ، ذات أبيات متساوية فى العدد لكل واحدة منها قافية جديدة تختلف فى رويها عن سابقتها أولاحقتها ..

٢ - الموشحــــات :

بعد أن تأثر السياب برواد الرومانسية فى الشرق والغرب خلال دراسته الجامعية بدار المعلمين وبعدها بقليل ، أخذ ينظم قصائده الشعرية على نمط " الموشحات التى سار عليها من قبل شعراء المهجر ثم شعراء الرومانسية كمدرسة " أبوللو " الشعرية ، وذلك لما فى تعدد القوافى من حرية أوسع تبيح للشاعر حرية التنقل والتعبير عما فى اعماقه من آلام وآمال وشقاء وسعادة . ومما يدلنا على تأثر الشاعر برواد الشعر المهجرى ومدرسة أبوللو الشعرية قوله : " لقد ثار أكثر من شاعر فى كل بلد عربى على تلك الموسيقى الرتيبة التى تأثر الشعر العربى بهـا ، وتناولت الثورة فى أول عهدها ، وحدة القافية ، ثم تعدتها بعد ذلك الى " الأوزان " (١) .

ومما يؤكد لنا ما ذهب اليه الشاعر أيضا ما ذهب اليه العديد من الشعراء المجددين فى ميدان تجديد البحور الطويلة والاستعاضة عنها بالبحور القصيرة ، ما عدا القصائد التى تستلزم ضخامة اللفظ وجزالة اللغة وقوة الرنين الموسيقى ، كالقصائد الحماسية أو ذات الاغراض الثورية الأخرى . كالفخر والهجاء العنيف ، والحض على القتال ، والتضحية وغير ذلك من الاغراض الوطنية والقومية . حيث يكثر فيها استخدام الأشكال القديمة والبحور الطويلة التى تخاطب عواطف الجماهير ، وتثير فيهم النخوة والحماسة العاطفية كما قامت دعوة الشعر المهموس على يد الناقد " محمد مندور " ومن الشعراء الآخرين الذين ثاروا ضد القافية الموحدة أيضا من قبل الشاعر " الياس أبو شبكة " فى ديوانه " أفاعى الفردوس " وكذلك خليل

---

(١) بدر السياب مقدمة ديوانه " أساطير النجف سنة ١٩٥٠ .

شيهوب في قصيدته " القصر القديم " " والحديقة المهجورة " بالاضافة الى شعراء آخرين ذكرهم الناقد مصطفى عبد اللطيف السحرتي في كتابه القيم " الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث "(١) .

وقد سيطر هذا الشكل الجديد وهو شكل " الموشحات " على معظم قصائد ودواوين الشاعر خلال رحلته الرومانسية على الرغم من لجوئه الى الشكل القديم أحيانا في بعض قصائده الخطابية كما في قصيدته " الى يزيد " بديوانه " أساطير " النجف سنة ١٩٥٠ . أما ما عدا ذلك فان هذا الشكل والقالب قد شمل دواوين الشاعر الآتية :

١ - " بواكيره الشعرية " وقد صدر بعد وفاة الشاعر تخليدا لذكراه بمساعدة وزارة الاعلام العراقية .

٢ - " قيثارة الريح " وهو يمثل قمة رومانسية الشاعر وتأثره برواد الرومانسية في الغرب خاصة شاعر الطبيعة الانجليزي " ورد زورث " حيث أهدى اليه الشاعر العديد من قصائده في هذا الديوان ، ومعظمها قصائد صيغت خلال الحرب العالمية الثانية .

٣ - أزهار ذابلة ، سنة ١٩٤٧ وهو يمثل بداية الحياة الفنية الحقيقية للشاعر حيث صور فيه حبه وظمأه للمرأة . وتصوير جمال الريف ، وحياة فلاحيه ، ورعاته وأغنامهم وقطعانهم في المراعي . بالاضافة الى اشواقه وحنينه الى ذكريات " جيكور " عندما كان طالبا في دار المعلمين ببغداد . غيران معظمه يدور حول تجربة المرأة وتصوير عواطفه بكل ما فيها من سعادة لقاء وشقاء فراق وحرمان . وديوانه الرابع وهو ديوان " أساطير " النجف سنة ١٩٥٠ يعتبر بداية تحوله للشعر الحر ونهاية مرحلته الرومانسية . ولهذا كان أكثر ما يتجلى هذا الشكل لدى السياب . فيما نجده في ديوانه أزهار ذابلة " القاهرة سنة ١٩٤٧

---

(١) نفس المصدر السابق .

وبعض قصائده في ديوانه الثاني : أساطير بالاضافة الى دواوينه الأخرى السابقة " قيثارة الريح " وبواكيره " ونحن اذا تتبعنا هذه الموشحات " ذات المقطوعات المتساوية العدد المختلفة القافية وجدنا بعضها كان ثنائيا أي ان كل مقطوعة مكونة من بيتين ولها قافية مختلفة عن الأخرى من ذلك على سبيل المثال لا الحصر ما نجده في ديوانه أزهار وأساطير (١) " حين يقول في قصيدته " نهر المذارى " التي تأثر فيها بالشاعر " عمر أبي ريشة " خاصة قصيدته " النهر المتجمد " :

يا نهر لولا منحناك وما تشابك من فروع
ما كانت البسمات في عيني تطفأ بالشموع

ثم يأتي بمقطوعة ثنائية أخرى بقافية جديدة :

حجبت بالشأو البعيد تسد بابيه الظلال
وجها تلاقى في محياه الوداعة والجمال

كما جاء بعضها ثلاثية " كما في قصيدته " هوى واحد " كقوله لجيبته (٢) :

على مقلتيك ارتشفت النجوم
وعانقت آمالي الآيبه
وسابقت حتى جناح الخيال
بروحي الى روحك الواثبه
أطلت فكانت سنا ذائبا
بعينك ، في بسمة ذائبه

أما المقطوعة الثانية بنفس القصيدة فهي قوله :

ا أنت التي رددتها مناى
أناشيد تحت ضياء القمر

---

(١) بدر السياب ، ديوانه " أزهار وأساطير بمجموعته الشعرية ببيروت ، دار العودة سنة ١٩٧١ ص ١١٠ .
(٢) نفس المصدر السابق ص ٤٩ .

تغنى بها فـى ليالى الربيـــع
فتحلم أزهارهـــا بالمطـــر
ويمضى صداها يهـز الضيـــاء
ويغفو على الـــزورق المنتظر

وهكذا نجد الشاعر قد انتقل من وزن لآخر ومن قافية لأخرى فى نفس القصيدة لما فى ذلك من حرية تعبير وحرية الانطلاق فى تجسيد صوره وأحاسيسه وعواطفه متأثرا فى ذلك بشعراء المهجر والرومانسية العربية والأجنبية الذين فتحوا أمامه طريق التطور نحو عالم جديد .

وقد استطاع الشاعر ان ينظم المقطوعات المتعددة الأخرى منها " الرباعيـــة " كما فى قصيدته " أهواء " " وسجين [١] التى يعبر فيها عن ثورته على " أبيـــه " الذى حرمه عطف الأبوة بعد زواجه الثانى :

ذراعا أبى تلقيـــان الظـــلال
على روحـــى المستهام الغريب
ذراعا أبى والســـراج الحزيـــن
يطاردننى فى ارتعاش رتيـــب
وحفت بى الأوجـــــه الجائمـــات
حيارى فيـــا للجـدار الرهيب
ذراعا أبـــى تلقيـــان الظـــلال
على روحـــى المستهام الغريـــب

وبعد أن ربط الشاعر بين ابياته السابقة بتكرار البيت الأول فى الرابع منهـــا انتقل الى المقطوعة بقافية " رائية " جديدة حين قال :

---

(١) نفس المصدر السابق ص ٧٩ .

وطال انتظارى • وكـــان الزمـــان
تلاشى فلم يبـــق الا انتظـــار
وعيناى ملء الشمـــال الهميـــد
فيا ليتـــنى استطيـــع الفـــرار
وأنت التقـــاء الثـــرى بالسمـــاء
على الآل فى نائيـــات القفـــار
وطال انتظارى كان الزمـــــا ن
تلاشى فلـــم يبـــق الانتظار

وهكذا نجد الشاعر ربط أبياته بتكرار البيت الأول كما هو فى الرابع بعد أن جاء بقافية جديدة هذا بالأضافة الى مقطوعاته الأخرى المتعددة فمنها " الخماسية " كما فى قصيدته " أقداح وأحلام " (١) التى مطلعها :

أنا ما أزال وفى يدى قدحـــى
يا ليل أين تفـــرق الشـــرب الخ

ومنها " السداسية " كما فى قصيدته " لن نفترق " والتى مطلعها :
هبت تغمغـــم : " سوف نفـــترق "
روح على شفتيك تحـــترق الخ

ومنها " السباعية " كقصيدته " عينان زرقاوان " التى مطلعها :
عينـــاك زرقـــاوان •••• ينعس فيهما لون الغديـــر
أرنو فينســـاب الخيال وينصت القلب الكســـير
وأغيب فى نغم يـــذوب •••• وفى غمائم من هـــبير (٢) الخ

* * *

(١) نفس المصدر السابق ص ٥ •
(٢) نفس المصدر السابق ص ٦٣ •

لكن على الرغم من محاولات التجديد السابقة كلها التى سبقت عصر " السياب" وبداية حياته الشعرية وبمعنى أدق من العصر الجاهلى حتى نهاية الحرب العالمية الثانية فقد عجز الشعراء السابقون عن تغيير القصيدة العربية من القافية الموحدة ومن " البيت الشعرى العمودى التقليدى " وذلك بسبب تمسكهم المطلـــق بالمفهوم الأساسى للبيت المتعدد التفعيلات واعتباره الوحدة الوزنية فى النظـم حتى شعراء المهجر و أبوللو " الشعرية أنفسهم التزموا بهذه القواعد مع تعـدد الأوزان والقوافى فى مقطوعاتهم الشعرية ٠ كما عجز الشاعر نفسه عن اقامة كيـــان شعرى مستقل بذاته خلال هذه المرحلة (١) ٠

ولكننا لا نستطيع أن ننكر بأن هذه المحاولات التجديدية الأخيرة وخاصـــة شعراء المهجر " وأبوللو" قد ساعدت فى دفع عجلة التطور الشعرى ٠ وكانـــت بمثابة الجسر الموصل الى ساحات أوسع وارض خصبة جديدة هى أرض وساحات الشعر " الحر" مما أغنى تراثنـا بروافد جديدة فى الثقافات والحضارات الانسانية العالمية بالاضافة الى التراث الأدبى العربى والتراث الشعبى والتراث الديـنى والاجتماعى ٠ كما اطلق حرية الشاعر فى اختيار عدد تفعيلاته المناسبة لمشاعـره وعواطفه وتموجاته النفسية ٠ وكان رائد هذا البناء "بدر السياب " ٠ كما سنوضـح هذا فيما بعد عند الحديث عن مدرسته الشعرية الجديدة " مدرسة الشعر الحر " ان شاء الله

* * *

---

(١) د / نور عوض ٠ رواد الشعر الحر مكتبة الأمل الكويت ص ١٠٠ ٠

٣ - مرحلة " الشكل الحر عند " السياب " :

عرفنا ان الشاعر " بدر السياب " جرى خلال مرحلته الكلاسيكية الأولى على الشكل العمودى القديم ملتزما فيه تفعيلات ثابتة وقافية موحدة فى جميعها كما بينا فى نماذجه بديوانه " اعاصير " ثم انتقل بعد ذلك خلال تأثره بالرومانسية الى مرحلة " الموشحات " التى كانت عبارة عن وجود عدة مقطوعات شعرية فى القصيدة الواحدة كل مقطوعة منها ذات أبيات متساوية العدد مختلفة القافية كما فى بقية دواوينه الشعرية الرومانسية وخاصة " أزهار ذابلة " وبعض قصائده فى " أساطير "

ولكن عندما سقط القناع الزائف عن الأوضاع السياسية الاجتماعية والثقافية فى الوطن العربى اثر الهزائم والنكبات التى قاساها الوطن العربى خلال مأساة فلسطين سنة ١٩٤٨ ، آمن الفرد العربى بضرورة اعادة النظر من جديد فى مفاهيمه وأفكاره ومضامينه " (١) ، وعند هذه الموازنة بين ماضيه وواقعه المتخلف وجد أن الفروق الشاسعة بين نقطة وقوفه وجموده وبين قطار الواقع الحضارى الذى ابتعد عنه منذ سنوات طوال بعيدة ولهذا ولدت مضامين لديه ومفاهيم جديدة أدت بدورها الى خلق أشكال تعبيرية جديدة لتكون قادرة على استيعاب هذه المضامين الثورية الجديدة ، وبما أن الشعراء هم اللوحة الحساسة فى الأمة ، والتى تعكس لنا ما وراء الحاضر اندفع الشعراء هؤلاء وخاصة فى العراق ، المتفجر بالجراح والآلام ، الى أحضان الواقعية حيث أصبح الشعب يؤمن بنفسه ويثق فى قدرته ، وبضرورة رسم طريقه بنفسه بعد ان تكشفت له حقيقة جلاديه وعملائهم الخونة الذين غمروه فى وحول الذل والهزيمة فى فلسطين خلال المأساة الدامية سنة ١٩٤٨ م . وبعد أن أصبح الشعب يملك هذا الوعى ويحمل هذه الجراحات فى صدره متطلعا للحرية الحقيقية والثورة ضد اعدائه العملاء اتجه

---

(١) انظر د / عيسى بلاطه . بدر السياب ص ١٧٢ وما بعدها ، وطراز الكبيسى فى الشعر العراقى الجديد ص ٨ .

الشعراء نحو آفاق جديدة للتعبير عن مآسيهم حتى وجدوا ذلك في الشعر الحر ، الذي كان أوسع مجالا للتعبير عن حياتهم الداخلية المترقرقة بالأسى مما وجدوه في في الشعر العمودي [١] ولم يكن هذا الشعر مجرد ثورة عروضية فقط كما ذكرنا من قبل بل كان " أكثر من اختلاف عدد التفعيلات المتشابهة بين بيت وآخر ، انه بناء فني جديد ، واتجاه واقعي جديد ، جاء ليسحق الميوعة الرومانتيكية ، وأدب الأبراج العاجية ، وجمود الكلاسيكية ، كما جاء ليسحق الشعر الخطابي الذى اعتاد الشعراء السياسيون والاجتماعيون الكتابة به " [٢] .

وكان على رأس هؤلاء الشعراء في العراق الشاعر " بدر شاكر السياب " الذى بدأ أول تجربة شعرية لهذا الشكل " الحر " في قصيدته " هل كان حبا " سنة ١٩٤٦ في ديوانه " أزهار ذابلة " الذى صدر في القاهرة سنة ١٩٤٧ بعد أن نشرت نازك الملائكة " قصيدتها الجديدة الأولى في مطلع يناير سنة ١٩٤٧ . ومطلعها :

هل تسمين الذى ألقـــى هيامـــا ؟
أم جنونـــا بالأمانـــى ؟ أم غرامـــا ؟
ما يكون الحـــب ؟ نوحا وابتسامـــا ؟
أم خفوق الأضلع الحرى ، اذا حان التلاقى
بين عينينا ،فأطرقت ، فرارا باشتياقـــى
عن سماء ليـــس تسقيني ، اذا مـــا ؟
جئتها مستسقيـــا ، الا أوامـــــا [٣]

* * *

وهى تتكون من عدة مقطوعات حرة الوزن والقافية دون أن يلتزم الشاعر بعدد

---

(١) سعدي يوسف ، حول الشعر الحر ، المؤتمر الثاني لاتحاد الأدباء العراقيين ص ٥٦ .
(٢) المعهطلة ص ٣٧ ، ٣٨ .
(٣) بدر السياب مجموعته الشعرية ، دار العودة ، بيروت سنة ١٩٧١ ص ١٠١

من التفعيلات المتساوية العدد المتعددة القافية كما كان الأمر خلال مرحلة "الموشحات" السابقة .

فنحن اذا نظرنا الى المقطع السابق المكون من سبعة أسطر شعرية نجد أن التفعيلات تنقص وتزيد حسب نفسية الشاعر وتدفق أحاسيسه الشعرية مع حفاظه على أوزان الشعر العربي وبحوره العروضية ، حيث استعمل فيها بحر "الرمل" ولكن دون ان يقيد نفسه ويلزمها بضرورة تكرار هذه التفعيلات بالتساوي كما كان في الشعر القديم ، لاستعماله في الأسطر الثلاثة الأولى "ثلاث تفعيلات" "فاعلاتن" وفي الرابع والخامس "تفعيلتين" فاعلاتن مكررة مرتين ، أما السادس والسابع فقد استعمل فيهما ثلاث تفعيلات كما في البداية . وهكذا أجاز الشاعر لنفسه الانتقال من عدد الى آخر بما يتناسب ومشاعره وأحاسيسه وتموجاته النفسية .

ولكن كان هذا التطور في بدايته وفي تردد وحذر ، وعندما وجد تشجيعا في هذا التطور وأحس بما لقيته محاولته من تقدير وصدق تعبير عما في نفس الانسان العربي اندفع بعد ذلك الى التجديد واستمرار التطور كما في قصيدته الثانية "أساطير" في ديوانه "أساطير" التي تعتبر بداية قفزة الى الامام في مجال التخلص من عمود الشعر ، وقد نسجها على منوال البحر العروضي "المتقارب" فعولن مكررة أربع مرات ، ولكنه لم يلتزم هذا التكرار كما كان الوضع في الشعر التقليدي ، بل سمح لنفسه أن يأتي بتفعيلات مختلفة العدد فتارة يأتي بواحدة أو اثنتين أو ثلاث أو أربع دون انتظام خلال السطر الشعري كقوله مخاطبا محبوبته "الشاعرة" .

تعالي فما زال لون السحاب
حزينا يذكرني بالرحيل
رحيل ؟
تعالي ، تعالي ، نذيب الزمان

وساعات فى عناق طويل
ونصبغ بالأرجوان
شراعا وراء المدى
وننسى الغدا
على صدرك الدافئ العاطر
فتهويمة الشاعر
تعالى فملء الفضاء
صدى هامس باللقاء
يوسوس دون انتهاء(١)

* * *

وهكذا يظهر لنا مدى التطور والتحرر لدى الشاعر من خلال الموازنة بين التجربتين السابقتين ، هذا بالاضافة الى تواتر قوافيه تارة وتواليها تارة أخرى واستمر ، السياب فى هذا التطور والتحول حتى وصل الى قمة التحرر من قيود مظاهر الشكل العمودى والموشح فى قصيدته الرائعة " السوق القديم " سنة ١٩٤٨ ، التى يصف فيها احساسه بالوحدة والضياع وسط سوق " مدينة الرمادى " عندما كان مدرسا بها سنة ١٩٤٨ فى بداية حياته العملية وكان من أهم مظاهر هذا التحرر الحقيقى اتجاه الشاعر الى التحكم فى عدد التفعيلات خلال كل سطر بالاضافة الى الاتجاه الواضح نحو الأسلوب " القصصى " الشعرى المتدفق بسهولة ويسر والقائم على تداعى " الافكار وفيض الخواطر تارة (٢) والحوار بينه وبين محبوبته تارة أخرى بالاضافة الى اسلوب الازدواجية والتقابل بين الرضا والسخط ، والأمل والألم والشقاء والسعادة ، كما رسم لها الشاعر مقدمة تمهيدية تلقى ظلالا للقارئ ،

---

(١) نفس المصدر السابق ، ديوان أزهار وأساطير ص ٣٣ .
(٢) د / عيسى بلاطه ، بدر السياب ص ١٨١ .

على جوها الحزين في أعماق النفس الظامئة الراعشة والممزقة الضائعة وسط ازدحام الحياة : الليل والسوق القديم :

خفتت به الاصوات الا غمغمات العابرين
وخطى الغريب ، وما تبث الريح من نغم حزين
في ذلك الليل البهيم
الليل والسوق القديم ، وغمغمات العابرين
والنور تعصره المصابيح الحزانى في شحوب
مثل الضباب على الطريق
من كل حانوت عتيق
بين الوجوه الشاحبات كأنه نغم يذوب
في ذلك السوق القديم (١)

وبعد أن يرسم الشاعر لوحة معبرة للحزن والضياع والتمزق النفسي من خلال الجو المزدحم بالصور المتلاحقة كل ذلك بطريقة الايحاء والتعبير لا بصورة التقرير والخطابة والصخب كما كان بالماضي .

ولا شك ان هذا الصوت الهامس يتناسب بلا شك مع عواطف الشاعر ، كما أن التفعيلات تتفاوت بين سطر وآخر ، اذ تطول وتقصر مع مشاعر الشاعر ودفقات الشعورية الحزينة . وتتكون القصيدة من أحد عشر مقطعا كل واحد منها يتكون من أحد عشر سطرا شعريا بعضها من تفعيلة واحدة وبعضها من أربع تفعيلات وكل واحد منها يمثل مشهدا من مشاهد الصورة الرائعة .

ولهذا تعتبر هذه القصيدة كما ذكرت بمثابة قنطرة العبور نحو اسلوبه الشعري الجديد في ديوانه " التالي " انشودة المطر " الذي يمثل بحق ذروة القمة لدى الشاعر . بعد أن نضجت شاعريته لاتساع ثقافته ونضج تجاربه ، ولانتقاله العملي

---

(١) المجموعة الشعرية ، ديوان أزهار واساطير " ص ٢١ .

الى ساحات النضال وسط اللهب من أجل الدفاع عن كرامة الانسان " مما أدى به الى النفي والتشريد ومعانقة السجون وأحضان الفقر والجوع والاغتراب عن وطنه على شواطئ الخليج ، وبذلك كان تطور الشاعر خلال ديوانه الخالد " انشودة المطر " تطورا رائعا سواء من حيث الشكل أم المضامين .

فبعد أن كان الشاعر في دواوينه السابقة كلها — ما عدا — أعاصير ، رومانسيا حالما تكثر في شعره كلمات الرومانسيين المهمومين ، وطال التجاؤه الى التغني بالريف والطبيعة باسلوب وصفي خارجي تقريري مباشر داخل الأطر والأشكال الكلاسيكية والموشحات والحر ، كما بينا من قبل ، وكانت تجاربه الشعرية الذاتية تدور حول الحب ومسراته القليلة ، وفشله الذريع ، واشواقه للريف ، وحبيباته المتعددات ، راعية كانت أو منتظرة ، فقد تحول بعد ذلك في ديوانه " أنشودة المطر " تحولا جذريا واضحا ، حيث تحرر شكلا في معظم قصائده من الشعر " العمودي " " كما استطاع خلاله أن يظهر براعة في معرفة " كيمياء اللفظة " على حد تعبير الشاعر نزار قباني ، كما نجح في هندسة القصيدة وموسقتها داخليا وخارجيا " (١) بالاضافة الى الاستفادة المطلقة من كنوز متعددة ومناجم كثيرة خاصة " الرموز والأساطير والحكايات والقصص الشعبية والأدبية والدينية ولغة الحديث اليومية واحياء التراث العربي والاقتباس والتضمين والايقاع واسلوب الحوار والقصة كل ذلك بصور رائعة تدل على عمق ثقافته واشاع رؤياه وخصب خياله الشعري ، خاصة في ملاحمه الشعرية الرائعة وقصصه الخالدة مثل " انشودة المطر " والمومس العمياء ، وحفار القبور ، وغريب على الخليج والمخبر ، وقصائده ، فجر السلام ، والأسلحة والأطفال ، ومن رؤيا فوكاي واستمر الشاعر في تصويره الفني الابداعي الرائع معتمدا في صوره كما ذكرت سابقا على الكنوز والمناجم التي عثر عليها خلال

---

(١) د / خليل كمال الدين ، الشعر العربي الحديث وروح العصر ص ٢٩٨ .

رحلاته الثقافية والحضارية المتعددة .

واستمر الشاعر في اعتماده على الشكل الحر حتى وفاته كما في دواوينه اللاحقة الأخرى التي نظمها خلال مرحلة المرض مثل " منزل الأقنان ، والمعبد الغريق وشناشيل ابنة الجلبي " رغم وجود بعض القصائد الكلاسيكية القليلة جدا مبعثرة في احشاء دواوينه الشعرية هذه ، لكن أكثر ما كان يلجأ لهذا الشكل العمودي ما بدا في بعض قصائد المناسبات التي تركها الشاعر مخطوطة لم تنشر في دواوينه بعد مثل قصيدة " يوم ارتوى الثأر " بمناسبة ثورة العراق في ١٤ تموز سنة ١٩٥٨ والتي مطلعها : بشراك هذا سحاب الذلة انقشعا

وانفك عن ساعديك القيد وانقطعا

وقصيدته الدينية الخالدة : ليلة القدر والتي مطلعها :

يا ليلة تفضل الاعوام والحقبا (١)

هيجت للقلب ذكرى فاغتدى لهبا

وقصيدة " مولد المختار " التي نظمها بمناسبة مولد الرسول (ص) سنة ١٩٦١ ومطلعها :

دموع اليتامى في دجى الليل تقطر (٢)

ونوح الثكالى عاصف فيه يصفر

هذا بالاضافة الى العديد من قصائده العمودية الأخرى التي نظمها خلال مسيرته عبر مرحلة الشعر الحر خاصة قصيدته " ثورة ١٤ رمضان " سنة ١٩٦٣ والتي يهنئ فيها شعب وجيش العراق بثورته المباركة ضد عبد الكريم قاسم ومطلعها :

ألف لسان جاء عندك يشكر (٣)

لا يفاء ما اسديت ، هيهات يقدر

---

(١) د / عيسى بلاطه ، بدر السياب ص ٢٠٤

(٢) نفس المصدر السابق ص ٢٠٥ .

(٣) د / عيسى بلاطه ، بدر السياب ص ٢٠٩ .

وقصيدة " نفس وقبر" التى نظمها قبل وفاته بأيام خلال وجوده بالمستشفى الأميرى بالكويت بصور فيها آلامه المرضية القاتلة وأحزانه الصاخبة ويأسه الخاوى فى الحياة : ومطلعها :

نفسى من الآمـال خاويـة
جرداء لا مـاء ولا عشـب
ما ارتجيـه هو المحال ومـا
لا أرتجيـه هو الـذى يجب
قدر رمى فأصاب صادحـه
فى الجو خـرت وهى تنتحب (١)

الى ان يبلغ قمة الألم فيستصرخ قائلا :

الدودة العميـاء يلسعها
برد يقلصهـا ويطويهـا
أواه لو ترضـى تبادلـنى
عيشى بعيش كاد يفنيهـا
ولو استجاب الله صرخـة ذى
بلوى لصحت : " وخير ما فيها
موت يجـيء كأنه سنـة
وتمسى آلامـى فينهيها

وهكذا يتمنى الشاعر لو كان دودة ، وأنه على استعداد لمبادلتها لأنهـا تتحرك أفضل منه على الأقل بينما هو مشلول مقيد معذب ، كما تمنى لو تخطفه الموت لما فيه من راحة ووضع حد لهذا العذاب الممض القاتل ، وهكذا نستطيع

---

(١) بدر السياب ، مجموعته الشعرية ، ديوان شناشيل ص ٧١٢ ـ ٧١٤ .

ان نقول أن الشاعر بقي محافظا على أشكال الشعر العمودية منها ذات القافية الموحدة والقافية المتعددة (ذات الموشحات) الى جانب نظمه للشعر " الحر" كما يدلنا على مدى تمسك الشاعر بتراثه العربي طوال حياته

* * *

٤ — الشكل — المزدوج :

وأعني بذلك الجمع بين الشكلين " القديم والحر" خلال القصيدة الواحدة بحيث يكون بعض مقاطعها " حرا " والآخر عموديا تقليديا وقد استطاع الشاعر ان يجمع بينهما في القصائد التالية :

أ — ملحمة " من رؤيا فوكاي " (١)

وقد صاغ المقطع الأول فقط على الشعر " الحر" أما باقي مقاطعها الأخرى فكلها على العمودي القديم : مصورا فيها مأساة هيروشيما اليابانية التي ضربها المستعمرون بالقنبلة الذرية سنة ١٩٤٥ في ثوب اسطورة صينية قديمة " بطلتها كونفاي " احدى بنات ملوك الصين القدماء .

ومطلعها :

ما زال ناقوس أبيك يقلق المساء
بأفجع الرثاء
هياي ... كونفاي ، كونفاي "
فيفزع الصغار في الدروب
وتخفق القلوب الخ

---

(١) المجموعة الشعرية ، ديوان انشودة المطر ص ٣٥٥ وما بعدها .

أما مقطعها الثاني وهو بعنوان " تسديد الحساب" فقد صاغ الشاعر على نظام الشكل العمودى الموحد ، ومطلعه :

تلك الرواسى كم انحط النهار على
اقصى ذراها ، وكم مرت بها الظلم
فما فرحن بآلاف الشموس ولا
من ألف نجم تردى مسها ألم
صماء بكماء ، لم تأخذ ولا وهبت
ولا ترصدها موت ولا هرم الخ

أما المقطع الثالث منها وهو بعنوان " حقائق كالخيال" فقد سار فيه الشاعر على نظام العمودى أيضا ولكن بقافية أخرى تختلف عن المقطع الثانى كقوله :

ماذا تريد العيون السود من رجل
قد حاش زهر الخطايا حين لاقاها الخ

وهكذا بقية المقاطع الأخرى كلها عمودية ولكل واحد منها قافية جديدة .

* * *

ب - قصيدة " اقبال والليل " فى ديوانه شناشيل :

وهى مكونة من عدة مقطوعات مختلفة بعضها عمودى كما فى مطلعها (١) :

وما وجد ثكلى مثل وجدى اذا الدجى
تهاوين كالأمطار بالهم والسهد
أحن الى دار بعيد مزارها
وزغب جياع يصرخون على بعد

---

(١) نفس المصدر السابق ص ٦٤٦ .

وأشفق من صبح سياتى وارتجـــى

مجيئا له يجلو من اليأس والوجـــد

ثم ينتقل الشاعر الى النظم بالشعر والشكل " الحر " حين يقول فى المقطع الثانى منها :

الليل طار وما نهارى حين يقبل بالقصـــير

الليل طال : نباح آلاف الكلاب من الغيـــوم

ينهل ، ترفعه الرياح ، يرن فى الليل الضرير الخ

* * *

جـ — قصيدته " رسالة " فى ديوانه شناشيل :

وقد بدأها الشاعر بالشكل العمودى كقوله : (١) :

رسالة منك كاد القلب يلثمهـــــا

لولا الضلوع التى تثنيه أن يثبـــا

رسالة لم يهب الورد مشتعــــلا

فيها : ولم يعبق التاريخ ملتهبا

لكنها تحمل الطيب الذى سكـــرت

روحى به ليل بتنا نرقب الشهبا الخ

أما بقية القصيدة فقد صاغها لزوجته بالشكل الجديد معبرا فيها عن أثر رسالتها اليه وما تركته من آثار على نفسه الضائعة المحروقة :

جاءت رسالتك الخضـــراء كالسعـــف

بل الحيا منه والأنسام والمطـــــر

جاءت لموتجـــف

---

(١) نفس المصدر ص ٧٧ .

على السرير ، وراء الليل يحتضـــــر
لولا هواك وبقيـــا فيه من أســـــف
أن لم يرد هواه منك فهو على الشطين ينتظر الخ .

* * *

د ـ قصيدته " ليلى " في ديوانه شناشيل " :

وقد مزج الشاعر فيها بين مقاطعها فتارة تكون عمودية كما في مطلعها :[1]

قرب بعينك مني دون اغضـــــاء
وخلني ألملي طيـــف أهوائـــي
أبصرتها ؟ كادت الدنيا تفجر في
عينيك دنيا شموس ذات آلاء الخ

ثم يكملها الشاعر بالشكل الجديد قائلا :

ليلى هواي ، منـــاى ، في شعـــري
روحي الأعز ، على من روحي وآمالي وعمـري
حملت ضفيرتها هواي كأنها أمواج نهـــر
حملته نحو مـــدى السماء الخ

* * *

هـ ـ " بور سعيد " في ديوانه " انشودة المطر :

وتعتبر من أهم ملاحمه الشعرية القومية التي عبر فيها عن مشاعره الحقيقية تجاه بطولة " بور سعيد " المناضلة خلال العدوان الثلاثي الفاشم سنة ١٩٥٦ وتتكـــون من عدة مقطوعات ، بعضها عمودي والآخر على نظام الشكل " الحر " فعندما يثـــور

---

(١) نفس المصدر السابق " المجموعة الشعرية ، ديوان شناشيل ص ٧٢٠ .

الشاعر على الجلاد يلجأ الى القافية الصاخبة ، والألفاظ الثورية النارية وعندما تحترق أنفاسه من شدة الألم وتتهدج أنفاسه يلجأ الى الشعر الحر " ليناسب دفقات الحزن والاحتراق ، ومطلعها : يحث يخاطب المستعمر الغاصب (١)

يا حاصد النار من أشلاء قتلانا
منك الضحايا وان كانوا ضحايانا
كم من ردى في حياة ، وانخذال ردى
في ميتة ، وانتصار جاء خذلانا
ان العيون التي طفأت أنجمها عجلن
بالشمس أن تختار دنيانا الخ

ولكن عندما تتدفق شلالات الحزن المنصهر في أعماق الشاعر تجاه اطفال بور سعيد الأبرياء ونسائها المناضلات نسمع الشاعر يئن متألما " بشكل حر " :

من أيما رئة ؟ من أى قيثار
تنهل أشعاري ؟
من غابة النار ؟
أم من عويل الصبايا بين أحجار
منها تنز المياه السود ، واللبن المشوى كالقار ؟
من أى أحداق طفل فيك تغتصب ؟
من أى خبز وماء فيك ما صلبوا ؟

وهكذا نجح الشاعر في اتخاذ العديد من الأشكال والقوالب الشعرية المتعددة على امتداد مراحل حياته الشعرية حيث بدأها كلاسيكيا لفترة قصيرة لا تذكر ثم رومانسيا حافظ خلالها على وحدة البيت العمودى ، مع تعدد القافية خلال

---

(١) المجموعة ، ديوان انشودة المطر ص ٤٩٢ وما بعدها .

مقطوعاته الشعرية فى غالب تلك الفترة ثم انتقل الى مرحلة الشكل الحر فى أواخر سنة ١٩٤٦ عندما جسد تجربته الأولى "هل كان حبا" ثم أخذ بعد هايسرع الخطى نحو الشكل الشعرى "الحر" : حتى تحرر منه نهائيا تقريبا مع حفاظه على بعض القصائد العمودية خلال المناسبات المتعددة ، كما استطاع ان يجمع ويزاوج بين أنواع شعره العمودى والحر فى احشاء القصيدة الواحدة مما يدل على عبقريته الشعرية .

كما نظم الشاعر بعض قصائده العمودية وهى قليلة جدا ومتناثرة فى داخل دواوينه الرومانسية والواقعية " انشودة " : مثل قصيدته وملحمته مرثية الآلهة التى نظمها كلها على النظام التقليدى رغم تراكم رموزها بصورة تدعو للجفاف والحشو المفتعل . وكذلك قصيدته " نفى وقبر " فى ديوانه " شناشيل "(١) وقد صاغها الشاعر كلها على النظام العمودى التقليدى ، أما ماعدا هذه القصائد التى ذكرناها فى دواوينه انشودة المطر " منزل الأقنان " المعبد الغريق ، شناشيل ، ابنة الجلبى " فانها جميعا قد صيغت على نظام الشكل " الحر " وهذا ما أكد لنا مدى ايمانه بهذه المدرسة الشعرية الحرة . وبذلك استحق ان يكون رائدها الأول .

* * *

صور بنائه الفنى :

استطاع الشاعر خلال مراحله الشعرية بعد ان اتسعت رؤياه الشعرية وتدفقت شاعريته بخصب وعطاء ، أن يبنى لنفسه تصاميم فنية متعددة ساعدته على تأطير قصائده الملحمية الرائعة ذات القوالب الفنية المختلفة وخاصة القصصية منها الملحمية والغنائية فى بعض الأحيان .

---

(١) انظر المجموعة للسياب ص ٣٤٩ ، ص ٧١٢ .

وأهم هذه التصاميم الفنية ما يلى :

١ ـ تصميم التناظر والتقابل (الازدواج) •
٢ ـ التصميم الرمزى •
٣ ـ التصميم الموحي المعبر الشفاف •
٤ ـ التصميم الحوارى •

والآن بعد ان حددنا هذه الاطارات والتصميمات الفنية فى شعر الشاعر نعود الى الحديث عن خصائص كل واحد منها على حده ، وأهم القصائد الشعرية التى تدخل نطاق هذه التصاميم •

١ ـ تصميم التناظر والتقابل :(١)

ومعناه أن يجمع الشاعر فى قصيدته بين صورتين أو أكثر متقابلتين متناقضتين للموازنة بينهما من أجل زيادة الصورة وضوحا فى ذهن المتلقى ، وهذا ما نجده فى العديد من قصائد الشاعر ، وخاصة ، قصائده الأولى مثل فجر السلام والأسلحة والأطفال وحفار القبور وغيرها من القصائد الملحمية التى يقارن لنا فيها الشاعر بين منظرين أو لوحتين مختلفتين لونا ومعنى ، واتجاها لبيان الفروق بينهما ولتعميقهما فى اذهاننا لو ألقينا نظرة سريعة على هذه الملاحم لوجدنا ان كل ملحمة منهـا تتكون من مشاهد متعددة على شكل مقطوعات متتالية مترابطة ، لكنها مختلفـة اللون والمعنى ففى قصيدته الملحمية " الأسلحة والأطفال " مثلا نراه فى المقطـع الأول منها والمشهد الأول ، يحدثنا عن سعادة الأطفال وبراءة ضحكاتهـم ، وكركرة جموعهم فى شوارع قراهم وبين أحضان آبائهم المتعبين فى المساء • وغـير ذلك من مظاهر الحياة السعيدة عندما يكون السلام والهدوء والاستقرار والعـدل

---

(١) محمود المبطة " بدر السياب ص ٥٩ وما بعدها •

مخيما على هذا العالم فالأطفال :

عصافير ، أم صبيـــــة تمـــرح ؟
عليها ســـنى من غـــد يلمـــح
وأقدامهـــــــا العاريـــــة
محار يصلصــــل فى ساقيـــه
لأذيالهـــــم زفـــة الشمـــا ل
ســـرت عبر حقل من السنبـــــل (١)

ويقسم الشاعر باقدام الأطفال العارية ، وبضحكاتهم الطفولية البريئة فـــى ملاعبهم وأحضان أمهاتهم وآبائهم المتعبين ، ليعيدوا اليهم اشراقة الأمـــل والاحساس بالحياة ، ثم ينتقل الشاعر الى المقطع والمشهد الثانى ذى الصـــورة المختلفة انها صورة الرعب والخوف والدمار ، والصمت المخيم على شوارع القريـــة ، والأم الثكلى التى أصبحت وكأنها دوحة وشجرة عارية من العصافير ، لأن تاجـــر الرصاص والحديد والموت قد انقض على هنائهم وسعادتهم انقضاض الصقـــر المفترس على الحمامة الوديعة وتحول بعض هؤلاء الأطفال فيما بعد الى جنـــود مسافرين لساحة القتال ، ليزرعوا الدمار والموت :

أتلـــك السفين الـــتى تعـــول
على مرفـــأ ناوحتـــه الريـــاح
تلـــوح منها أكـــف الجنـــود
لألف ك " جولييــت" فوق الرصيـــف
ودا عا ، وداع الـــذى لا يعـــود "
وأم كما استوحشـــت فى الخريـــف
وراء الدجـــى ، دوحة عاريـــــه
وفـــرت عصافيرهـــا الشاديـــة

---

(١) بدر السياب : مجموعته الشعرية ص ٥٦٥ وما بعدها .

وعندما يسمع الأطفال الأبرياء صوت تاجر الموت والحديد ينزل صوته الجش عليهم نزول الباشق المفترس على حمامة وديعة • ليمزق أحلامهم وحياتهم •

وكالظـــل من باشق فى الفضـــاء
اذا اجتـــاح ، كالمدية الماضيـــه
عصافير تشـــدو على رابيـــــه
ترامى الى الصبيـــة الأبريـــاء
نـــداء تنشقت فيـــه الدمـــاء
حديـــد عتيـــق
حديد عتيـــق الخ (١)

* * *

٢ ـ التصميـــم الرمـــزى :

لقد سبق للشاعر أن تأثر بالرمزية تأثرا طفيفا خلال حياته الرومانسية بعد ان اطلع على شعر " بودلير" الفرنسي ومالارميه وغيرهم من أقطاب الرمزية فـــى فرنسا لكن هذا الأثر لم يكن سوى طيف واعجاب موقت لايمان الشاعر المطلـــق بالواقعية والوضوح ودقة التصوير الحسى والمعنوى لأماله وآمال شعبه وجراحـــه وجراحاتها معا •

وأكثر ما يتجسد هذا التصميم لدى الشاعر فى بعض قصائده القومية وخاصـــة " فى المغرب العربى " حين وازن الشاعر بين حياة الاجداد العرب الأحـــرار الذين حملوا رايات الفتح والنصر منذ موقعة " ذى قار" ضد الفرس حتى الأندلس من جهة وبين واقع الأبناء والأحفاد المزرى الذين أصبحوا عبيدا اليوم تحـــت ظلال المستعمرين •

---

(١) نفس المصدر السابق ص ٥٦٥ وما بعدها •

وقد رمز الشاعر لبطولة الاجداد " بصخرة " صلبة نقش عليها اسم المروءة الخالد ، ثم رمز للجد الثورى " بقبر " وللابن الحفيد المستعبد " بقبر آخر " كما رمز أيضا بغارات الجراد عن غارات الغزاة على الوطن العربى وفى ذلك يقول :

قرأت اسمى على صخره
وبين اسمين فى الصحراء
تنفس عالم الأحياء

أما عن قبر الحفيد الضعيف الجبان قوله :

ومن آجرة حمراء ماثلة على حفرة
أضاء ملامح الأرض
بلا ومض الخ (١)

* * *

٣ — التصميم الموحى المعبر الشفاف :

وهو من أشهر تصاميمه الفنية المشحونة بالايحاء والشفافية وروعة التصوير كما فى العديد من مقاطع قصائده وملاحمه الشعرية خاصة " انشودة المطر " التى تتكون من خطوط عديدة متصلة ومتلاحمة مكملة بعضها لبعض وتتألف من عدة صور جميلة يستطيع القارئ من خلالها ان يستشف عواطف الشاعر المتنقلة من دائرة الى أخرى أكثر اتساعا وشمولا من سابقتها وكأنها دوائر مائية مندلحة متعانقة .

كقوله :
عيناك غابتا نخيل ساعة السحر
أو شرفتان راح ينأى عنهما القمر
عيناك حين تبسمان تورق الكروم

---

(١) نفس المصدر السابق ص ٣٩٤ .

وترقص الأضواء ... كالأقمار في نهــر
يرجه المجداف وهنا ساعــة السحــر
كأنما تنبض فــــي غوريهما النجــوم(١)

فالمقطع الأول صورة لفرحة الشاعر بعيني أمه وجيكوره وعراقه ، انها رقصة المجداف والأضواء وجمال غابات نخيل جيكوره ، انها صورة النبض والحياة والسعادة

لكن هذه الفرحة لم تعمر طويلا في عيني الشاعر لتدفق الحزن والدمع من عيني حبيبته عند فراقه لوطنه العراق ، انها صورة ناضحة بالحزن والعذاب حتى أصبحت قطرات المطر بمثابة الدموع المتساقطة من عيون الأم " الوطن " الحزينة مما يثير في نفسه النشوة الجارفة لمعانقتها وكأنه طفل صغير يعانق أمه بعد غياب طويل ، انها نشوة وحشية تكاد تعانق السماء .

وهكذا رسم لنا الشاعر عمق شوقه وحنينه وحبه لوطنه عندما كان بعيدا عنهـا غريبا معذبا على شاطئ الخليج بالكويت فرارا من بطش نوري السعيد سنة ١٩٥٣م .

ثم ينتقل الشاعر بعد ذلك الى دائرة أوسع وأشمل عندما يربط بينه وبين أمه المتحرقة الباكية ، ان المطر هو بكاء هذه الأم الحزينة ، فيقول :

ومقلتاك بي تطيفـــان مع المطـــر
وعبر أمواج الخليج تمســـح البروق
سواحل العراق بالنجوم والمحـــار
كأنهـــا تهـــم بالشـــروق

وعلى الرغم من وجود الشاعر جسديا في الكويت لكن قلبه وروحه وشرايينه كلها تصب داخل العراق ، ان عينيه يحلمان هناك وتمسحان شواطئ العراق ونخيله

---

(١) انشودة المطر المجموعة الشعرية للسياب ص ٤٧٤ .

وأحضان قريته جيكور وملاعب صباه ان دمه يتدفق شوقا وحنينا لأمه (العـــراق)

ثم ينتقل الشاعر الى دائرة ثالثة أوسع وأرحب من الثانية وهى مرحلة القوميـــة عندما يربط نفسه مع وطنه العربى كله الذى يشمل العراق والخليج وغيره من أجـــزاء هذا الوطن العربى فيصرخ جريحا فى اعماقه الحزينة المحترقة شوقا للعراق قائلا :

أصيح يا خليـــــــج " يا خليـــج
يا واهب اللؤلؤ ، والمحار ، والردى
فيرجـــع الصـــدى
كأنه النشيــــــــج
يا خليــــــــــج
يا واهب المحــــار والـــــروى (١)

لكن الخليج لم يتجاوب مع زفرات واحتراق الشاعر لأنه لا يمنح اللآلئ الا للمترفين أما الفقراء العاجزون فلا يمنحهم سوى الموت غرقا عند البحث عن اللآلى في اعماقه . ويتهالك الشاعر عندما تتمزق عروقه شوقا لوطنه الحبيب دون ان يسمع لندائه وصوته أحد سوى الصدى المتلاشى على صفحات الخليج المترامى .

لكن رغم هذا اليأس سرعان ما يعود الشاعر الى الايمان المطلق بأن هـــذا الظلام لا بد ان يتبدد ، ولا بد لليل ان ينجلـــى

ولا بد للقيـــد ان ينكســـر

كما قال " الشابى من قبل " انه يؤمن بأن قطرات العرق والدم الـــتى ينزفها هؤلاء العبيد المعذبون في جميع انحاء العالم لا بد وان تتجمع لتصبح طوفانا فى النهاية يقتلع الظلم واعداء الانسانية من الوجود ، وبهذا ينتقـــل الشاعر من مرحلة الذات فى الأولى الى مرحلة الوطن العراقى فى الثانية فالقوميـة

---

(١) نفس القصيدة السابقة ص ٤٧٧ وما بعدها .

فى الثالثة واخيرا ينتقل للمرحلة الرابعة وهى الانسانية المريضة حين يبشر المعذبين بالنصر فى النهاية قائلا :

فى كل قطـــرة من المطـــــر
حمراء أو صفراء من أجنـة الزهـــر
وكل دمعة من الجياع والعـــــراة
وكل قطرة تـراق من دم العبيـــد
فهى ابتسام فى انتظار مبسم جديـد (١)

* * *

٤ ـ التصميم الحوارى :

وهو ان يعتمد الشاعر فى تصويره على اسلوب الحوار المسموع سواء كان بينه وبين أشخاص آخرين أم كان بين أبطال قصائده أنفسهم ، وأكثر ما يتجسد لنـــا هذا الحوار الأخير فى قصيدته " يوم الطغاة الأخير " فى ديوانه انشودة المطـــر حين يدور الحوار بين الثائر العربى التونسى وبين حبيبته المناضلة معه .

اذ يقول :

تقولين لى : (هل رأيت النجـــــوم ؟
أ أبصرتها قبل هذا المســـاء
لها مثل هذا السنا والنقاء ؟
تقـولين لى : (هل رأيت النجـــــوم ؟
وكم أشرقت قبل هذا المساء
على عالم لطخته الدمـــــاء
دماء المساكين والأبرياء)

---

(١) نفس المصدر السابق ص ٤٧٩ .

تقولين لـــــى : (هل رأيت النجوم
تطل على أرضنا وهى حرة
لأول مـــــــــرة ؟)

وبعد هذه الأسئلة المتعددة يرد عليها البطل قائلا

نعم . أمس حين التفـــت اليــــك
ترا شــين كالهجـــس فى مقلتيـــك(١)

وهكذا استطاع الشاعر ان يصل الى الابداع فى اسلوبه ومضامينه .

* * *

---

(١) انشودة المطر ، المجموعة الشعرية ص ٣٧٦ وما بعدها .

((الفصـــل الثالـــث))

((الفصل الثالث))

:: أهم أدواتــه الشعريــة ::

لقد كان من أهم نتائج وثمار دراسات الشاعر " بدر شاكر السياب " لآداب الشرق والغرب مما واطلاعه على ثقافات الحضارات الانسانية أن عمقت ثقافتـــه ونضجت شاعريته ، وتمددت تجاربه واتسعت رؤياه الشعرية حتى غدا شعره بلا شك " عصارة " للحضارات والثقافات الأنسانية بأسرها .

ولقد استطاع الشاعر خلال رحلاته الثقافية والفكرية المختلفة أن يعثر على الكثير من الجداول التى أروت ظمأه ، والمناجم الذهبية التى أمدته بالأعمدة القوية التى جعل منها اسسا شامخة لبناء صرحه الشعرى ، كما وجد الكنوز الفنية التى طرزت وشاحه الشعرى ، مما جعل شعره بمثابة صورة ممتدة لبناء أستاذه العربـــى " أبى تمام " الذى كان أول شاعر عربى يعتمد طريقة ادخال العناصر الثقافيـة المختلفة الى رحاب الشعر العربى ، بالاضافة الى الاقتباس والتضمين مـــن التاريخ والتراث .

فكان من نتائج هذا العمق والاتساع الثقافى والفكرى والانسانى أن استطاع الشاعر بناء صرح شعرى فريد فى لونه متميز فى شموخه واشراقه وخلوده ، ومـــن أهم هذه الأدوات الفنية التى يمتاز بها " شعر السياب " ابتداء من نضـــج شاعريته فى الخمسينات حتى وفاته بالكويت سنة ١٩٦٤ ما يلى :

١ ـ الرمز والاسطورة .　　　٢ ـ الفولكلور الشعبى .

٣ ـ الصورة الشعرية .　　　٤ ـ اللغة الشعرية .

* * *

١ — الأسطـــورة والرمـــز

ان من أهم ما يلفت النظر حقا في شعر "بدر السياب" الملحمي كـــثرة استخدام الأساطير والرموز " حتى أصبحت شبيهة ببوابات وجسور لابد من المرور خلالها للوصول الى معاني بعض قصائده "(١) وبدون فهمها يصعب على الكثيريـن ان يتذوقوا ما في ثنايا شعره من صور رائعة ولوحات فنية وأفكار انسانية . وقـــد دفعت هذه الكثرة الاسطورية العديد من النقاد المحدثين خاصة من الذيـــن يحاولون التطاول على الشاعر نظرا لافكارهم الحزبية المناوئة لمبادئ الشاعـــر القومية والوطنية . فاعتبرها بعضهم "بمثابة هروب من الواقع(٢) ومواجهة الأحداث كما اعتبرها قسم آخر بمثابة " استعراض ولا فتات لعضلاته الثقافية(٣) " واعتبرهـــا آخرون مجرد افتعالات وتهويلات وحشو واطناب سطحي "(٤) أو حركة مـــن حركات الهديج والأمثال "(٥) وغير ذلك من التهم العديدة . ونحن بدورنا لا ننكر وجود هذه الرموز والأساطير في شعر السياب بالفعل ولكنها ليست بهذه الصـــورة التي رسمها هؤلاء النقاد . اذ لم يتعد الأمر سوى بعض قصائد محدودة فقـــط مثل " مرثية الآلهة " وملحمة " من رؤيا فركـاي" وبعض القصائد المحدودة الأخرى لكن أغلب شعر "بدر" يمتاز بالروعة وعمق الفكرة وسهولة الألفاظ وروعة الصـــورة التي تحمل هموم وطنه وأمته وبيئته . كما ان حكم هؤلاء النقاد كان قاسيا بلا شك فبالاضافة الى تعصبهم الفكري المناوئ للشاعر فسروا الشاعر على أنه ظاهـــرة منفصلة عن جذور بيئته وعن ظروفه السياسية والاجتماعية والفكرية التي عاناها خـــلال مسيرته الطويلة والتي كانت بمثابة ملحمة مشحونة بالشقاء والعذاب والرعب والجوع والاغتراب الدامي ، ولست مغاليا اذا قلت أن حياته كانت فريدة في نوعها بـــين

---

(١) حسام الألوسي ، مجلة الكلمة العراقية . النجف . سنة ١٩٦٧ عدد ٦ ص ٣٢ .
(٢) لور غريب ، مجلة شعر ، بيروت عدد ١٨ سنة ١٩٦١ ، ص ١٨٣ .
(٣) محي الدين محمد . المجلة ، القاهرة سنة ١٩٦٣ ص ٨٨ عدد ٧٩ .
(٤) ناجي علوش . الآداب سنة ١٩٦٦ عدد ٣ بيروت ص ٩١ .
(٥) ايليا حاوي ، الآداب عدد ٥ بيروت سنة ١٩٦١ ص ٦٠ .

الشعراء في الأدب العربي كله . ولم يشهد شاعر عربي قط من تجارب الصراع مع الحياة والموت ما شهده بدر السياب .

أهم أسبابها في شعره :

وقد يتساءل بعض الشعراء عن اسباب لجوء الشاعر واندفاعه نحو الأسطورة ، رغم أن الشعر يتطلب الوضوح حتى يتمكن القارئ العربي من فهمه وتذوقه وللاجابة على هذا السؤال قال الشاعر نفسه عندما سئل هذا السؤال : ان الواقع الذي يعانيه الشاعر الآن هو انه " يعيش في عالم لا يعطيه سوى علاقات متدهورة بين الانسان والانسان ، وسوى تعكير وتحطيم مستمر لوجوده وانسانيته ، ان واقعنا لاشعري ، وأن الأسطورة الآن هي ملجأ دافئ للشاعر ، كما أن نبعها لم ينضب ولم يستهلك بعد ، ولهذا تراني ألجأ اليها في شعري كثيرا "(١) .

وهكذا كان احساس الشاعر بالتمزق والضياع وسط هذا العالم اللاشعري ، واللاأخلاقي قد دفع به الى الاحتماء بظلال الأسطورة التي بقيت ظاهرة لم تلوث بعد بأدران الحياة المادية ، ولقد أكد لنا الشاعر هذا الاحساس ، الحزين حين قال مرة أخرى في مقابلة صحفية معه في بيروت سنة ١٩٥٧ " نحن نعيش في عالم لا شعر فيه " أعني أن القيم التي تسوده الآن قيم لا شعرية ، اذ الكلمة فيه للمادة لا للروح ، فماذا يفعل الشاعر اذن ؟؟؟ لقد عاد الى الأساطير والخرافات التي ما زالت تحتفظ بحرارتها لأنها ليست جزءا من هذا العالم عاد اليها ليستعملها رموزا يبني منها عوالم جديدة يتحدى بها منطق الحديد والذهب "(٢) ولكن ، هذه ليست الأسباب الوحيدة فقط ، بل كانت هناك أسباب أخرى كانت تدفع بالشاعر الى استعمال الرمز والأسطورة ، بعضها سياسي والآخر فني . فالسياسي هويا في بطش " نوري السعيد " وقاسم العراق " حين امتلأت سماء العراق بصرخات المعذبين في سجون الطغيان وفي هذا

---

(١) محمود العبطه ، بدر السياب ص ٨٦ — ٨٧ .
(٢) مجلة شعر ، بيروت سنة ١٩٥٧ عدد ٣ ص ١١٢ .

المجال يقول "بدر" لعلى أول شاعر عربى معاصر بدأ باستعمال الأساطير ، ليتخذ منها رموزا وقد كان الدافع السياسى " والاجتماعى " أول ما دفعنى الى ذلك فحين أردت مقاومة الحكم الملكى السعيدى بالشعر ، اتخذت من الأساطير التى ما كان زبانية نورى السعيد يفهمونها ـ ستارا لأغراضى تلك ، كما أننى استعملتها للغرض نفسه فى عهد قاسم " ففى قصيدتى المسماة " سربروس فى بابل " هجوت قاسما ونظامه أبشع هجاء دون أن يفطن زبانيته الى ذلك ، كما هجوت ذلك النظام أبشع هجاء فى قصيدتى " مدينة السندباد " وحين أردت أن أصور فشل اهداف ثورة " تموز " الأصلية بالعراق سنة ١٩٥٨ استعضت عن اسم " تموز " البابلى باسم " أدونيس " اليونانى " الذى هو صورة منه ، والآن ألغيت كل الأساطير تقريبا من شعرى (١) .

وهكذا يتبين لنا أن الشاعر لم يلجأ للأسطورة حبا فى التعقيد أو استعراض العضلات الثقافية ، أو هربا من مواجهة الأحداث أو غير ذلك من التهم ، ولكن الظروف المحيطة به كانت أقوى من ارادته ، ولذلك عندما انهار الظلم تخلى الشاعر عن العديد من الأساطير ، ولم يبق شيئ منها فى شعره الا القليل .

وهناك أسباب أخرى متنوعة كانت وراء معانقة الشاعر للأسطورة والرمز خاصة خلال معركة النضال الوطنى سواء ضد " نورى السعيد " فى الخمسينات أم ضد قاسم الشعوبى وزبانيته فى مطلع الستينات وهذه الأسباب هى :

١ ـ حب الشاعر للأسطورة والرمز نظرا لطهارتهما وعدم تلوثهما بأدران الحياة المادية وهذا ما يمثل طفولته البريئة وجمال ريفه " بجيكور " ، وبذلك كانت الأسطورة مثالية كطفولته التى كان يحلم بالعودة اليها دائما .

٢ ـ امتلاء الأسطورة بالخرافات ، وهذا ما يشبع نفسه المتحرقة للعودة الى ماضيها وسماع قصص أمه عن الأشباح ، وأحاديث جدته العجوز .

---

(١) جريدة صوت الجماهير العراقية بغداد ، ٢٦ تشرين أول سنة ١٩٦٣ .

وعمته عن الملوك الغابرين ، وبذلك كانت الاسطورة لديه ربطا بين الماضي والحاضر .

٣ ـ عجز الكلمة في كثير من الأحيان عن تصوير وتجسيد معاني الشاعر مما جعله يؤمن بأن الأسطورة هي الوسيلة الوحيدة والوعاء الكبير الذي يمكن أن يتسع لمشاعره وأحاسيسه المتدفقة .

٤ ـ لاشك ان الاسطورة أكثر تعميقا للصورة في ذهن المتلقي ، كما أنها أكثر تركيزا وتكثيفا لأفكار وأحاسيس الأديب الحقيقي .

٥ ـ ايمان الشاعر الذاتي بضرورة الخلق والابداع ليتسنى له فرض وجوده وريادته في عالم الشعر .

٦ ـ عمق تأثره في هذا المجال بعمالقة الشعر أمثال كل من : " أبي تمام " " واليوث " و "أيديت ستويل "

فمن الأول أخذ طريقة ادخال عناصر الثقافة والتضمين والتاريخ في ميدان الشعر كما أخذ عنه أيضا استغلال الأسطورة وفي هذا المجال يقول الشاعر " ان استعمال الاسطورة في الشعر ليس جديدا على الأدب العربي ، ولعل شاعرنا " أبا تمام " كان أول من استخدمها بين كل شعراء العالم ، ولو سار الشعراء العرب من بعد أبي تمام على خطه الشعري لكان اليوم بيننا الكثيرون ممن يضارعون " توماس اليوت " وايديت ستويل " وسواهما في حسن استخدام الأسطورة [(١)] .

أما عن اليوت فقد تأثر به في قصيدته " الأرض الخراب " التي تصور نقمة الشاعر على الحضارة الزائفة التي سحقت المثل العليا لدى الانسان ، كما أخذ عن " اديت ستويل " حب المطر ليكون رمزا للخصب والثورة والعطاء .

---

(١) بدر السياب ، محاضرته (وسائل التعريف بالأدب العربي " مؤتمر الأدباء العرب بدمشق سنة ١٩٥٦ .

والآن بعد ان استعرضنا أهم آراء النقاد المحدثين حول الأسطورة والرمز فى شعر السياب ، وبينا رأينا حول ذلك ، نعود لاستعراض مراحل ومصادر هذه الرموز والأساطير لدى الشاعر ، وكيف نبتت وتطورت فى شعره .

ففى المرحلة الأولى من حياة الشاعر الفنية عندما كان رومانسيا حالما ، لم يكن قد عرف الاسطورة والرموز ، ولم يتطرق اليهما فى شعره وذلك لبداية تجربتـــه الشعرية أولا ولعدم تعمقه الثقافى والفكرى ثانيا ، اذ كانت تجاربه تدور حول همومه الذاتية فى بادىء الأمر " كالحب والغزل ووصف الريف وجمال الطبيعة وغـــير ذلك " (١) من الموضوعات الفردية ولم يكن بعد قد تجاوز هذه المرحلة البدائيـة الى مرحلة المشاركة فى النضال الشعبى ، ولم يطلع على التيارات الفكرية والأدبيـة لدى عمالقة الشعر والأدب فى الغرب بصورة عميقة .

أما فى مرحلته الواقعية خلال الخمسينات فقد انتقل الى مرحلة الحيـــاة والمجتمع ، بعد ان اتسعت ثقافته وتعددت تجاربه ، واتسعت رؤياه الشعريـــة ، وفيها ظهرت بوادر اهتمام الشاعر بها تظهر بوضوح " على شكل اشارات عابرة غامضـة نحو طقوس " الخصب " كما فى قصيدته " انشودة المطر " (٢) حيث اتخذ من المطـــر رمزا للثورة والعطاء ، وفى الجفاف والقحط رمزا للظلم والاستعباد فى وطنـــه " العراق " ثم اندفع بعد ذلك بصورة عنيفة نحو الرمز والأسطورة كما فى قصائده الملحمية الطويلة . خاصة فى " مرثية الآلهة " و " من رؤيا فركاى " مما جعل من هذه الرمـوز والأساطير المتراكمة عبئا ثقيلا وغامضا فى مفهوم قصيدته الشعرية ، كما أدى هذا الى الاخفاق فى بنائها الفنى رغم سمو الفكرة الانسانية فيها والداعية الى كراهيـــة الحروب وتجارها . لكن الشاعر سرعان ما عاد الى استعمال هذه الرمـــوز والأساطير بطريقة معقولة ومتوازنة مع بناء قصائده وملاحمه الشعرية . ولم يعد يهتم

---

(١) انظر بدر شاكر السياب ، منشورات أضواء ص ١٠١ وما بعدها .
(٢) د / عيسى بلاطه . بدر السياب ص ١٨٨ .

بحشر هذه الرموز وسط ثنايا قصائده كما كان الأمر في " مرثية الآلهة " ومن رؤيا فوكاي "(١) بل أصبحت الأسطورة والرمز بمثابة تجربة حقيقية للشاعر كما في : " المومس العمياء " وحفار القبور " وقصائده الجيكورية " التموزية " التي تصور صراعه المرير ضد نظام الحكم القاسمي ، تلك القصائد التي أطلق عليها أحد النقاد : "القصائد الكهفية " لما فيها من تعتيم وغموض وابهام لما فيها من رموز متعددة لا سيما رموز بابل والمسيح ، وتموز ، وعشتار ، وغيرهم "(٢) كما سماها بعضهم : " القصائد الارتدادية "(٣) لأن الشاعر هاجم فيها الشيوعيين ، وفضح جرائمهم الدنيئة بعد ان عرف زيف شعاراتهم الكاذبة . ومن أشهر هذه القصائد التموزية ، مدينة بلا مطر ، ومدينة السندباد ، والنهر والموت والمبغى ، وسربروس في بابل ، ومن رؤيا سنة ١٩٥٦ ، وغيرها من القصائد الجيكورية التموزية .

ولا شك ان هذا التعتيم في هذه القصائد وتراكم رموزها البابلية والمسيحية انما يعود للظلم السياسي والارهاب الفكري الذي أقامه الشيوعيون حول الفكر الانساني . وليس أدل على صدق ما رأيناه من اعتراف الشاعر نفسه في احدى مقابلاته الصحفية بعد ذلك حين قال : " كان الدافع السياسي أول ما دفعني لاستعمال الاساطير والرموز ، فحين أردت مقاومة الحكم الملكي السعيدي بالشعر اتخذت من الاساطير التي ما كان زبانية نوري السعيد يفهمونها ستارا لأغراضي تلك كما أني استعملتها للغرض ذاته في عهد قاسم . ففي قصيدتي مثلا المسماة بسربروس في بابل " هجوت قاسما ونظامه أبشع هجاء دون أن يفطن زبانيته الى ذلك " (٤) .

كما أن اكثار الشاعر من الرموز البابلية والمسيحية كان أصدق تعبيرا عن مواقفه وآلامه خلال ذلك الصراع ، وعندما انتقل الشاعر الى مرحلة المرض والصراع مع الموت ،

---

(١) انظر القصيدتين في ديوانه انشودة المطر بمجموعته الشعرية ، دار العودة سنة ١٩٧١ ص ٣٤٩ ـ ٣٦٧ .

(٢) د / احسان عباس ، بدر السياب ص ٢٦٧ .

(٣) د / جليل كمال الدين ، الشعر العربي الحديث وروح العصر ص ٢٩٩ .

(٤) جريدة الجماهير العراقية . بغداد ٢٦/٩/١٩٦٣ .

أخذت الرموز والأساطير تتراجع في شعره ، نظرا لاهتمامه بآلامه الفردية وأحزانه الشخصية الناجمة عن المرض والاغتراب والفقر . بالاضافة الى وجود بعض اللمحات عن اهتمامه بقضايا وطنه كما في قصيدته " الى العراق الثائر ، التى حيا فيها ثورة العراق سنة ١٩٦٣ . وغيرها من القصائد الأخرى . ولم يحتفظ الشاعر خلال هذه المرحلة من الرموز والأساطير الا بالقليل النادر مثل الرمز " بأيوب " عليه السلام نظرا لتجسيده لآلام الشاعر واشتراك موقفيهما من المرض . بالاضافة الى الرمزية بالسندباد " الذى يشبه الشاعر في غربته عن وطنه واستمرار تطلعاته نحو العودة الى الأهل والوطن من جزر الصقيع والنفي والاغتراب ، وكذلك شخصيته واسطورة البطل اليوناني القديم " يولسيس" أحد أبطال طروادة " العائدين للوطن وللزوجة الصابرة .

ومما يؤكد لنا ذلك بالاضافة الى شعره ، ما قاله الشاعر : " انني الغيت كل الأساطير تقريبا من شعري ، ولم يعد في شعري من ذكر الا لشخصيتين اسطورتين وما يتعلق بهما هما : السندباد العربي ، واديسيوس الأغريقي "(١) وبهذا التطور الأسطوري استطاع الشاعر ان ينجح في ادخال الرموز والأساطير في انتاج وآثار معاصريه من الشعراء على امتداد مجيء الأجيال الحاضرة والقادمة .

* * *

أهم مصادر رموزه :

استمد الشاعر رموزه المختلفة من الينابيع المتعددة والمصادر المختلفة التى كونت مجرى ثقافته والتى سبق ان تعرضنا اليها من قبل الا اننا نعود لنوجزها فيما يلي :

---

(١) نفس المصدر السابق وجريدة الجماهير — بغداد — ٢٦ تشرين أول سنة ١٩٦٣ .

أ ـ الأساطير اليونانية :

وهى مختلفة الأنواع والمصادر الحضارية فبعضها كان يونانيا ، كسيزيف ، رمز الانسان المعذب ، وبرمثيوس رمز الانسان المناضل المكافح رغم العذاب ، وميدوزا احدى آلهات اليونان والتى كانت تحول كل من تراه الى حجر ، وأوديب ملك طيبة الذى تزوج أمه جوكست " دون ان يعلم ، وعندما عرف الحقيقة المؤلمة ، فقأ عينيه عقابا وانتقاما من ذاته ، حتى أصبحت لعنته تطارد احفاده فيما بعد . وأفروديت ملكة الجمال الألهى ، وأخيل ، ويوليسيس وفرجيل أبطال حرب طروادة وغيرهم كثيرون فمن رمزيته " بسيزيف" قوله لابنه " غيلان " معبرا عن مدى شوقه وحبه لسماع كلمة " بابا " من شفتيه وما تتركه فى نفسه من سعادة وفرح وما يقاسيه من عذاب على صخرة سيزيف فى نفسه :

بابا ... بابا
يا سلم الأنغام ، أية رغبة عنى فى قرارك
"سيزيف" يرفعها فتسقط للحضيض مع انهيارك(١)

* * *

وعن ميدوزا قوله :

وتفتحت كأزاهر الدفلى مصابيح الطريق
كعيون ميدوزا تحجر كل قلب بالضغينة
وكأنها نذر تبشر " أهل بابل " بالحريق(٢)

* * *

أما رمزيته بأوديب الذى أصبحت عقدته مضرب المثل ومصدرا لعلم النفس

---

(١) بدر السياب مجموعته الشعرية ، ديوان انشودة المطر ص ٣٢٥ .
(٢) نفس المصدر السابق ص ٥٠٩ .

الحديث أصبح رمزا للضائعين فى شوارع أحياء " البغايا" بالمدينة وهم الذين ستحل عليهم لعنة جدهم " أوديب وذلك حين يقول :

أحفاد " أوديب" الضرير ووارثوه المبصرون
و"جوكست" أرملة كأمس" وباب" طيبة " مايزال
يلقى " أبو الهول " الرهيب عليه من رعب ظلال
والموت يلهث فى سؤال

* * *

وهكذا كان الشاعر يصوغ شعره (١)

* * *

ب ـ الأساطير البابلية :

ومن الأساطير البابلية المشهورة التى تردد صداها فى شعره اسطورة " "تموز" اله الخصب عند بابل والذى قتله " الخنزير البرى " لكن دماؤه لم تذهب سدى حيث أنبتت الخصب لبابل وأزهار شقائق النعمان ، وكذلك دماء الشاعر لم تذهب سدى بل لا بد ان تولد للشعب الحرية والاستقلال ، وكذلك اسطورة حبيبته " عشتار" وأسطورة " بابل" رمزا لبغداد المحترقة المتهدمة . كقوله فى قصيدته " مدينة بلا مطر" :

صحا " تموز" عاد " لبابل " الخضراء يرعاها
وتوشك ان تدق طبول " بابل " ثم يغشاها
صفيرا الريح فى أبراجها ، وأنين موضاها
وفى عرفات عشتار
تظل مجامر الفخار ، خاوية بلا نار (٢)

---

(١) نفس القصيدة السابقة .
(٢) نفس المصدر السابق ديوان انشودة المطر ص ٤٨٦ .

ب أما "تموز" الطعين الصريع الذى يصور آلام الشاعر على يد الخنازير البرية فى بغداد قاسم : فيقول فى قصيدته "تموز جيكور" :

ناب الخنزير يشـــق يـــدى
ويغـــوص لظــاه فى كبـــدى
وهو يتدفـــق ، ينســـاب
لم يغد شقائـــق أو قمحـــا
لكـــن ملحـــا
عشتار " وتخفـــق أثـــواب
وترف حيـــالى أعشـــاب الخ (١)

* * *

ج ـ الأساطير العربية :

وأهمها : السندباد ، العنقاء ، جنة ارم ذات العماد ، والرخ وذلك منه قوله :

وسرت حول سورها الطويـــل
أعد بالخطى مداه (مثل سندبـــاد
يسير حول بيضـــة الرخ ولا يكـــاد
يعود حيـــث ابتـــدأ
حتى تغيب الشمس غشى نورها سواد
حتى اذا ما رفع الطرف رأى ... وما رأى ؟
حتى بلغت فى الجدار موضع " العمـــاد" الخ (٢)

هذا الى اعتماده على بقية الاساطير الأخرى القديمة كالصينية كما فى قصيدتـه

---

(١) نفس المصدر السابق ديوان انشودة المطر ص ٤١٠ .
(٢) نفس المجموعة السابقة ديوان شناشيل ص ٦٠٤ .

" من رؤيا فوكاى " والمصرية القديمة كما فى " أبى الهول " وغيرها .

* * *

٢ - الطبيعـــة :

كانت الطبيعة من أهم المصادر التى أمدت الشاعر بالرموز الخصبة " كالمطـر " الذى جعله رمزا للثورة والخصب والعطاء وذلك فى قصيدته " انشودة المطر " ، ومدينة " بلا مطر " وغيرها كثير حتى سمى الشاعر السياب " شاعر المطر " لكثرة تغنيه به فى شعره من ذلك قوله :

أقص يا مطـــــر
مضاجع العظام والثلوج والهبـــــاء
مضاجـــــع الحجـــر
وأنبت البذور ، ولتفتـــــح الزهـــر
وأحرق البيادر - المقيم بالـــــبروق
وفجر العـــــــروق
وأثقـــــل المطـــر (١)

كما رمز بالرعود والبروق والسحاب عن الاستعداد للثورة كقوله :

أكاد اسمع العراق يزخر الرعــــــود
ويخزن البروق فى السهول والجبـــال
حتى اذا ما فض عنها ختمها الرجـال
لم تترك الريـــــاح من " ثمـــود "
فـــــى الوادى مـــــن أثـــر (٢)

---

(١) انشودة المطر المجموعة الشعرية ص ٤٦٨ .
(٢) نفس المصدر السابق ص ٤٧٩ .

١ ـ الفولكلور الشعبي :

كما عثر الشاعر " بدر السياب " خلال رحلته الثقافية الطويلة على مناجم الأساطير والرموز وسط حقول الحضارات الأنسانية القديمة عثر كذلك على كنوز غنية في تراثه الشعبي الذي يمثل روح الشعب العربي وأصالته في وطنه العراق ، وقد نجح في استغلال خيوط هذا التراث ليطرز بها وشاحه الشعري ، ومن أهم هذه الخيوط الذهبية ما يلي :

أ ـ القصص الشعبية :

ومن أهمها قصص أمه له عن الأشباح والخرافات قبل ساعات نومه عندما كان طفلا صغيرا باسما للحياة قبل ان تتنكر له الأيام كقوله :

هي وجه أمي في الظلام
وصوتها يتزلقان مع الرؤى حتى أنام
وهي النخيل أخاف منه اذا ادلهم مع الغروب
فاكتظ بالأشباح تخطف كل طفل لايؤوب
من الدروب

وقصص جدته المغلية المجوز عن الحب العذري عند العرب القدماء كقصص : قيس وليلى وقيس ولبنى ، وعنتر وعبلة ، وحزام وعفراء وغيرهم ومن ذلك قوله عن " حزام وعفراء " :

وهي المغلية المجوز وما توشوشي عن " حزام "
وكيف شق القبر عنه أمام " عفراء " الجميلة
فاحتازها الا جديلة

كما أنه لم ينس قصص عمته له فوق التنور " الوهاج بليالي الشتاء ، وهي تحدثه عن مغامرات الملوك الغابرين .

زهراء ـ أنت .. أتذكرين

تنورها الوهاج ، تزحمه أكف المصطلين
وحديث عمتي الخفيض عن الملوك الغابرين ؟(١)

كما أن السياب كثيرا ما كان يتغنى بقصص جده خلال طفولته البريئة وهو يحدثهم عن جنة ارم ذات العماد ، التي حاول بناءها "شداد بن عاد" فأهلكه الله مع جنته ، وقد نجح الشاعر كثيرا في رسم صورة "جلسة جدة" عندما يجلس للحديث بينهم وهو يدخن سيجارته مع شرب الشاي كما هي عادة الرجال المتقدمين في السن :

من خلل الدخـــان من سيكـــاره
من خلل الدخـــان
من قدح الشاي ، وقد نشر ، وهو يلتوي ، ازاره
ليحجب الزمان والمكان
حدثنا جد أبي فقـــال : "يا صفـــار
مقـامرا كنـت مع الزمان الخ

ومن أحاديث جده عن مغامرات عنترة وعبلة أيضا هو قوله :

ذكرت منهـــا نجمـــتي الهميـــدة
تنام فـــوق سطحها وتسمـــع الجرار
تنضح ماوقـــع حوافر على الـــدروب
في عالم النعاس ، ذاك عنتر" يجـــوب
دجى الصحارى ، ان حي "عبلة" المزار(٢)

* * *

ومن القصص الشعبية التي كانت ما زالت "خضراء" في أعماق السياب ، القصص التي كان يسمعها في منزل الأقنان الذين كانوا يعملون في أرض جده عندما كان

---

(١) بدر السياب ، مجموعته الشعرية ببيروت سنة ١٩٧١ ، دار العودة ص ديوان انشودة المطر" ص ٣١٨ وما بعدها .
(٢) المجموعة الشعرية ، ديوان شناشيل ابنة الجلبي ص ٦٠٢ وما بعدها .

يموج بالحياة وخاصة قصص " الجن " وقصص " قمر الزمان " وقصص " شهريار وشهرزاد " وغيرها من القصص الشعبية الأخرى التي يرددها الفلاحون في جلسات سمرهم ومن هذا قوله في منزل الأقنان :

وكم مهد تهزهز فيك : كم موت وميلاد
ونار أوقدت في ليلة القر الشتائية
يدندن حولها القصاص : " يحكى أن جنية ... "
فيرتجف الشيوخ ، ويصمت الأطفال في دهش واخلاد
كأن زئير آلاف الأسود يرن في واد
وقد ظلوا حيارى فيه ، ثم ترن أغنية
" أتى قمر الزمان " ودندن القصاص : " جنية " الخ (١)

* * *

وغير ذلك من القصص الشعبية المتعددة التي تتردد في مجالس أبناء الريف خلال سمرهم وساعات لقائهم بعد العناء الطويل .

ب الأغاني الشعبية :

تعتبر الأغاني الشعبية من أهم الخيوط التي تطرز شعره في جميع دواوينه ، حيث يندر أن تخلو قصيدة واحدة من ملامح هذه الأغاني الأصيلة النابعة من روح الشعب العراقي . خاصة قصائد " انشودة المطر " والمعبد الغريق ، ومنزل الأقنان ، وشناشيل ، لا سيما عندما يعود الشاعر الى ماضيه وذكريات أيام طفولته البريئة . ومن أهم هذه الأغاني الشعبية المستعملة في أفراح الشعب . أغنية : " نوار " عروس القرية حين تحف بها النساء منشدات راقصات مع الدرابك والدفوف منشدات : " نوار " اهنئ يا نوار
حلوة أنت مثل الندى " يا عروس " (٢)

(١) المجموعة ، ديوان منزل الأقنان ص ٢٧٧ وما بعدها .
(٢) المجموعة ديوان انشودة المطر ص ٣٤٥ .

وأغنية " سليمة " ضحية وبطلة " المومس العمياء " حين يقول :

وتلـــوب أغنيـــة قديمـــة

في نفسها وصدى يوشوش : يا سليمة ، يا سليمة .

"نامت عيون الناس ... آه .. فمن لقلبي كي ينيمه" (١)

ومنها أغنية " سلم على بحاجبه " في قصيدته " هرم المغني " حين يجلس المغني وسط ابناء الشعب ليغني لهم : قائلا :

اصغـــوا اليه ، لتســـمعوه

يرثي الشباب ، ولاكلام سوى نشيج : " بالعيون

سلـــم علـــى اذا مـــررت

أتى وســـلم ... صدقـــوه

هـــرم المغـــني فارحمـــوه (٢)

ومن الأغاني الشعبية التي احتلت مكانة كبرى في شعر " السياب " اغنية المطـــر التي كان يرددها الأطفال عند سقوط المطر " احتفاء بقدومه " ألا وهي أغنيته :

يا مطـــــرا يا حلـــبي

عـــبر بنـــات الجلـــبي

يا مطـــرا يا شاشـــا

عبر نبـــات الباشـــا

يا مطـــرا مـــن ذهـــب (٣)

الا أن من أعظم الأغاني التي كانت تهز أعماق الشاعر . هي أغاني كوكب الشرق أم كلثوم حيث كان يحس عند سماع صوتها بنشوة تضرع وتصوف عميق ، وكأن الـــف غاب من غابات نخيله وألف حديقة عطر قد أزهرت في اعماقه الظامئة للحياة . فيقول

وأشرب صوتها ... فيغوص من روحي الى القاع

ويشعل بـــين أضلاعي

---

(١) نفس المصدر السابق ص ٥٣١ ص ٥٣٢ .
(٢) المجموعة الشعرية ديوان منزل الأقنان ص ٣٠٨ .
(٣) المجموعة ديوان شناشيل ص ٥٩٩ .

غناء من لسان النار ، يهتف سوف أنساهـــا
وأنسى نكبتي بجفائها ، وتذوب أوجاعـــي
وأشرب صوتها ٠٠ مكان ماء "بويب" يسقيـــني (١)
وأسمع من وراء كرومه ورباه ((ها ٠٠ ها ٠٠ ها ٠٠))

وهكذا أصبحت تأوهات مطربة الشرق خيطا حريريا يطرز شعر السياب على مدى الزمن ، ونحن اذا أردنا تتبع قصائد السياب المشحونة بالقصص الشعبية والأغاني الشعبية وجدناها أكثر من ان تحصى أو تعد ، ولكننا نقول بأن أهمها ما فـــي قصائده الأخرى ، مثل أغنية " الحمامة المطوقة " في قصيدته " اقبال والليل " وأغنية زبيل التراب " في قصيدته " شعر أيوب " عليه السلام ، وأغنية " يا حـــادي العيس " في قصيدته " أم البروم " وغير ذلك كثير وكثير ٠

جـ الشخصيات الشعبية :

تناول الشاعر العديد من الشخصيات الشعبية في ثنايا شعره ، ومن أهم هذه الشخصيات ٠ أمه وأبوه ، جده وجدته ، عمته ، المخبر ، حفار القبور ، سليمـــة " بطلة مأساة " المومس العمياء " وابنتها " رجاء " التي ماتت بلبن الخطيئة ، صباح ابنة الخباز التي أصبحت مومسة مثلها ٠ زوجة الشرطي الذي كان يحرس حي البغاء الحارس ، بائع الطيور في حي البغاء ، أحمد ، ناطور البستان في شناشيل ابنـــة الجلبي ، وغير ذلك من الشخصيات المتعددة في اعماق الشعب العراقي ٠

د الفن الفولكلـــوري :

وأعني بهذا طرق أبنية المساكن والبيوت في العراق ، ونحن اذا نظرنا جيدا في شعر السياب وجدناه بمثابة وثيقة جغرافية لبيئة العراق ، سواء من حيـــث

---

(١) المجموعة ، ديوان شناشيل ص ٦٦٤ ٠

الطبيعة أو هندسة البناء والشوارع في القرى والمدن العراقية ويتجلى هذا الوصف في وصف " منزل الأقنان "(١) و" دار جدي "(٢) وشوارع المدينة وأسواقها كما في قصيدته " السوق القديم "(٣) بالرمادي ، ومقبرة أم البروم "(٤) ، وغير ذلك من أبنية القرى والمدن العراقية الأخرى . هذا بالاضافة الى وصف وتصوير الطبيعة العراقية لا سيما في الريف العراقي ، حيث رسم صورة كاملة . للمناخ في الصيف الحار والشتاء القارس ، وجمال الربيع ، وسقوط المطر ، والوان الثمار المختلفة ، وغابات النخيل المترامية والشط والرمال ، وطيور البط والنورس " (٥) وغير ذلك مما يعيش في اعماق البيئة العراقية ، ولهذا قيل ان السياب كان " أشد الشعراء اخلاصا لبيئته العراقية ، ولا يقدر عراقيته حقا الا ابناء العراق "(٦) ومن أهم مظاهر هذا الحب والولاء لوطنه الغالي قوله :

أبناء شعبي في قراه وفي مدائنه الحبيبة
لا تكفروا نعم العراق
خير البلاد سكنتموها بين خضراء وماء
الشمس نور الله ، تغمرها بصيف أو شتاء
لا تبتغوا عنها سواها
هي جنة ، فحذار من أفعى تدب على ثراها
أنا ميت ، لا يكذب الموتى ، وأكفر بالمعاني
ان كان غير القلب منبعها
فيا ألق النهار
أغمر بعسجدك العراق . فان من طين العراق
جسدي ومن ماء العراق ....(٧)

---

(١) انظر . المجموعة ، ديوان منزل الأقنان ص ٢٧٧ .
(٢) المجموعة : ديوان المعبد الغريق ص ١٤٣ .
(٣) المجموعة " ازهار وأساطير " ص ٢١ .
(٤) المجموعة المعبد الغريق ص ١٣٠ .
(٥) ديزي الأمير ، الآداب ، مارس سنة ١٩٦٦ ص ٧ .
(٦) جبرا ابراهيم جبرا ، مجلة حواء بيروت ص ١٢٩ .
(٧) بدر السياب ، منزل الأقنان ، بيروت سنة ١٩٦٣ ص ٩١ وما بعدها .

هذه كانت وصية الشاعر لابناء وطنه طالبا منهم حب العراق وحمايته مــــن الأفاعي والجلادين لأنه أجمل بلاد العالم كما رآه الشاعر •

هذه هي أهم منابع التراث الشعبي التي استقى منها الشاعر وأجمل الخيـــوط الشعرية التي اتخذها الشاعر ليطرز بها وشاحه الشعري الجميل •

* * *

٢ ـ التاريخ الاسلامي

وجد الشاعر في دراسة التاريخ على امتداد مراحله العديد من الدرر الثمينة التي ساعدته في بناء صرحه الشعري ، حين استغل هذه الدرر الثمينة في تطريز شعره خاصة التاريخ العربي والاسلامي العريق . ومن ذلك ما نراه في شعره حين يقول عن انتصارات العرب في موقعة " ذي قار " التاريخية التي انتصر فيها العرب على الفرس قبل الاسلام :

الـــه الكعبـــة الجهـــار
تدرع أمـــس في " ذي قـــار "
بدرع من دم النعمان . في حافاتها آثار
اله محمد واله آبائي من العـــرب
تراءى في جبال الريف يحمل راية الثوار

وفي تصويره لجحافل المسلمين الابطال عند فتح مكه قوله :

جحافل كالفـــوارس دون روح
تجد وراء مكـــة في الصياصـــي
أقمناها ، ويـــثرب فـــي السفوح

ومن اقتباسه وتأثره بتاريخ " الحمراء " في الأندلس قوله :

أهذا لـــون ماضينـــا ؟
تضـــوأ من كـــوى " الحمـــراء "
ومن آجـــرة خضـــراء
عليها تكتب اسم الله بقيا من دم فينا ؟ (١)

* * *

(١) المجموعة الشعرية ، ديوان انشودة المطر " في المغرب العربي " ص ٣٩٧ وما بعدها .

وهكذا يوازن الشاعر بين تاريخ العرب المشرق بالأمس وبين واقعهم الممزق المظلم تحت قبضة الاستعمار ، وهذا لا شك دليل قاطع على عمق ثقافة الشاعر التاريخية الاسلامية منذ فجر هذا التاريخ حتى عصرنا الحاضر ، فقد تناول أيام العرب وفتوحاتهم ، وتاريخ ملوكهم ، وصراعهم ضد الغزاة أمثال التتار ، والمغول والصليبيين ، والاستعمار الغربي وغير ذلك من الصفحات المتعددة كما تناول تاريخ الثورات في العالم لا سيما العالم العربي ، كثورة الجزائر سنة ١٩٥٤ ، وثورة تونس والمغرب سنة ١٩٥٦ ، وبطولة بور سعيد ضد العدوان الثلاثي الغاشم سنة ١٩٥٦ بالاضافة الى تاريخ العراق وثوراته السياسية ضد الظلم الملكي والقاسمي ، وتاريخ مأساة الشعب الفلسطيني سنة ١٩٤٨ كما في قصيدته " قافلة الضياع " التي يقول فيها مصورا مأساة خروج الشعب الفلسطيني من أرضه ووطنه تحت لهيب النار وبراثن الموت :

أرأيت قافلة الضياع ، أما رأيت النازحين ؟
الحاملين على الكواهل من مجاعات السنين
آثام كل الخاطئين
النازفين بلا دماء
السائرين الى وراء

... ...

الليل يجهض ، والسفائن مثقلات بالغزاة
بالفاتحين من اليهود
يلقين في حيفا مراسيهن - كابوس تراه (١)

* * *

وهكذا وجد الشاعر في دراسة التاريخ العربي العديد من الصور والرموز التي

---

(١) نفس المصدر السابق ص ٣٦٨ وما بعدها .

ساعدته على اقامة صرحه الشعرى الشامخ ، كما وجد فى دراسة التاريخ العالمى العديد من الأدوات التشكيلية والتعبيرية ما أمده بكل ما يحتاج اليه الأديب والشاعر العملاق . هذا التاريخ الممتد منذ ملحمة " جلجامش " البابلية حتى القرن العشرين .

* * *

٣ ـ الكتب السماوية

استمد الشاعر السياب " من الكتب السماوية " العظيمة ، القرآن الكريم ، والانجيل ، والتوراة العديد من الصور والمواقف الانسانية الخالدة .

فمن القرآن الكريم استمد من موقف السيدة مريم العذراء عندما جاءها المخاض وتساقط عليها الرطب جنيا ، صورة رائعة لتساقط المطر فوق سعف النخيل بجيكور لما بين الموقفين من تشابه ، فكما ان الرطب كان مصدر الحياة والسعادة للسيدة مريم العذراء ، فقد كان المطر بالنسبة لفلاح العراق كذلك ، وفي هذه الصورة الرائعة يقول :

وتحت النخل ، حيث تظل تمطر كل ما سعفه
تراقصت الفقائع وهي ـ تفجر ـ (انه الرطب
تساقط في يد العذراء وهي تهز في لهفة
بجذع النخلة الفرعاء تاج وليدك الأنوار ، لا الذهب
سيصلب منه حب الآخرين وسيبرئ الأعمى
ويبعث من قرار القبر ميتا هده التعب
من السفر الطويل الى ظلام الموت ، يكسو عظمه اللحما
ويوقد قلبه الثلجي فهو بحبه يثب)(١)

وقد سبق أن بينا روعة هذه الصورة وما فيها من تلوين شعري رائع وصدق عفوي خالد الا انها تجاوزت حدود النظم نظرا لطولها من جهة ولفصلها بين ركني الصورة الأساسيين دون مبرر أو اسباب معقولة ، مما ترك في ذهن القارئ بعض التشويش والتشتت ولو لبعض الوقت .

---

(١) بدر السياب مجموعته الشعرية ، ديوان شناشيل ص ٥٩٨ وما بعدها .

ومن القصص التى تأثر بها الشاعر أيضا قصة سيدنا "آدم" وحواء وما أدى الى خروجهما من الجنة بعد أن أكلا من الشجرة التى نهاهما الله عنها كقوله :

أروى لنا نبأ الطريد فأنت راوية الزمان
أغوته "حواء" فمد يديه نحو الأقحوان
ثمر يحرمه الأله عليهما ، ويحللان
ذاقا فكانا ظالمين فكيف يجزى الظالمان
وبدا المواري منهما . فاذا هنالك سوأتان
وعليهما طفقا من الورق المهدل يخصفان (١)

كما استمد من القرآن الكريم أيضا موقف قابيل وأخيه هابيل حين اتخذهما رمزا للظلم وقتل الأخ لأخيه ظلما وعدوانا كما فعل قابيل بأخيه "هابيل" من قبل :

السائرين الى الوراء
كي يدفنوا "هابيل" وهو على الصليب ركام طين
"قابيل أين أخوك . أين أخوك ؟"
جمعت السماء
آمادها لتصيح . كورت النجوم الى نداء
"قابيل أين أخوك ؟
" يرقد فى خيام اللاجئين (٢)

* * *

ومن صور شعره الدينى أيضا ما يوضح لنا تأثره العميق بتجربة سيدنا أيوب عليه السلام مع المرض حينما ابتلاه الله به ، وقد وجد فيها الشاعر صورة لمأساته الشخصية ولوحة حقيقية لذاته لتشابه موقف كل منهما نحوه . وهذا كما فى

---

(١) د / محمد التونتجى بدر السياب ص ١٤٩ .
(٢) المجموعة الشعرية للسياب "انشودة المطر" قصيدة قافلة الضياع ص ٣٦٨ .

قوله وهو يخاطب ويناجي الله عز وجل :

لك الحمد مهما استطال البـــلاء

ومهما استبـــــــد الألــــم

لك الحمــد ان الرزايا عطـــاء

وأن المصيبـــات بعض الكـــرم

....

ولكن أيوب ان صاح .... صـاح

لك الحمد ان الرزايـــا نـدى

وأن الجـراح هدايـــا الحبيب

أضم الــى الصـدر باقاتهــا

هداياك في خافقــي لا تغيـب

هداياك مقبولــــة فهاتهـــا (١)

* * *

ولا شك أن هذه النفحات الدينية الكريمة دليل على مدى تأثر وايمان الشاعـر العميق بكتابه السماوي الخالد الذي أمده بهذه الروائع الانسانية والتجـارب العظيمة كما أمده هذا المصدر الخالد بالعديد من الألفاظ والتراكيب الأدبيـة الرائعة .

وكما تأثر الشاعر بدراسة القرآن الكريم تأثر كذلك بقراءة " الانجيل " حيث استمد منه العديد من صور ومواقف " المسيح " عليه السلام مع اعدائه المحيطين به وقد وجد الشاعر في هذه المواقف صورة لمواقفه خلال صراعه ، ودفاعه عن شعبه ضد جلاديه خاصة في قصائده التموزية ضد حكم قاسم وأذنابه للعراق من سنة ١٩٥٩ حتى سنة ١٩٦٣ .

---

(١) المجموعة الشعرية ، ديوان " منزل الأقنان ص ٢٤٨ وما بعدها .

أما التوراة فقد تأثر فيها بصورة مواقف اليهود مع سيدنا موسى حين كفروا بأنعم الله وعبدوا العجل ، فغضب الله عليهم وقضى عليهم بالتيه والضياع في سيناء أربعين عاما .

وهكذا يرسم لنا مطامع اليهود وحبهم للمال والذهب وتنكرهم للقيم الانسانية وتعاليم السماء ويظهر هذا في قصيدته " قافلة الضياع " التي تصور مأساة الشعب العربي الفلسطيني وكيفية اخراجه بالقوة ، بعد ان تحالف الاستعمار والصهيونية على ارتكاب هذه الجريمة لقد عاد اليهود الى طبعهم الدنئ وخستهم وتنكرهم لتعاليم السماء لما ارتكبوه من جرائم وحشية في حق الانسان العربي في فلسطين ، لقد عاد قابيل للظهور من جديد ليقتل " هابيل " كما عاد عجل سيناء الذهبي بخواره وآثامه . فيقول :

النار تصرخ في المزارع والمنازل والدروب
في كل منعطف تصيح : أنا النضار ، أنا النضار
من كل سنبلة تصيح ، ومن نوافذ كل دار
أنا عجل سيناء " الآله ، أنا الضمير ، أنا الشعوب
أنا النضار .

وهكذا يحل الرعب والخوف والدمار محل السلام ، والاجرام محل الضمير ، وتنقلب القيم والمبادئ لدى اللصوص من شذاذ الآفاق الذين حولوا حياة الشعب الفلسطيني الى كهوف وملاجئ وشقاء بعد ان عاشوا في وطنهم سعداء على امتداد آلاف السنين :

بين الكهوف وبين حيفا من ظلام ألف عام أو يزيد
بين الكهوف وبين أمس هناك بئر لا قرار
لها كهاوية الجحيم تلز فاها دون نار(١)

---

(١) المجموعة الشعرية ديوان انشودة المطر ، ص ٣٧٠ ص ٣٧٢ .

كما اطلع الشاعر أيضا فى التوراة على أسفار اليهود وما فيها من جرائم ارتكبوها فى جميع الشعوب التى فتحت أبوابها وأحضانها اليهم سواء فى العراق أو مصر أو خارج الوطن العربى ، كما صور خروجهم من مصر بقيادة " موسى عليه السلام : كما فى قصيدته " منجى موسى ومهلك فرعون " التى نشرها فى احدى المجلات الأدبية منذ زمن طويل ولقد حاولت العثور عليها الا اننى للأسف لم اتمكن من ذلك .

وهكذا أصبح اسلوب الشاعر السياب ملونا بألوان عديدة ، وصور مختلفة نابعة من جميع الحضارات والثقافات الانسانية ، كما جعلته يمتاز بسهولة اللغة واستعمال لغة الحديث اليومى العادي أحيانا كما فى أغانيه الشعبية بالاضافة الى جدته واصالته وقوة تعبيراته وامتداد جذور لغته وقوة ايقاعه وخاصة فى شعره الكلاسيكى المتدفق وكأنه شلالات تحمل الخصب والقوة والعطاء .

* * *

((الفصـــل الرابـــع))

((الفصــــل الرابــــع))

:: أهم خصائصــه الفنية ::
عباراته ولغته الشعريــة — وخصائصها وعيوبها

خصائصهــــا :

لقد استفاد الشاعر من ثقافاته الأدبية المترامية الأطراف خاصة الأدب العربى حين اطلع على كنوزه المختلفة كدواوين "أبى تمام" والمتنبى " والبحترى ، وابـــن الرومى ، وأبى العلاء المعرى ، بالاضافة الى رواد مدرستى " المهجر و "أبوللــــو الشعرية " لهذا كله انعكست ثقافته العريضة على شعره بوجه عام ولغته بوجه خاص.

فقد جاءت لغته عربية التركيب والأداء سليمة من العيوب ، بريئة من الأخطاء الا ماندر ، وهذا بلا شك مما ساعده كثيرا فى ايجاد الوحدة النموذجية بين اشكالـــه الشعرية ومضامينها ، وخلقت من شعره صرحا شامخا يمتاز " بقوة الشاعرية والجزالة والسبك ، والنضوج الشعرى ، وبالعيش الخصب للتجربة والوحدة العضوية الحيــة بينهما "(1) ولاشك ان لغته الشعرية هذه تغيرت وتطورت بتداور ثقافته وتجاربه وأفكاره أيضا ، كما نلمس هذا التطور من متابعة مسيرته ، الشعرية خلال دواوينـــه المتعددة ابتداء بديوان " بواكير " الذى صدر بعد وفاة الشاعر ، والذى يمثل باكورته الشعرية ، وانتهاء " بديوان شناشيل " الذى اختتم به حياته الفنيــه لكن رغم هذا التطور فقد بقى للنخيل المساحة الكبرى فى شعره على امتداد حياته(2) ".

ففى دواوينه الأولى وخاصة " أزهار ذابلة ، وأساطير ، كان شاعرنا كما ذكرنا سابقا رومانسيا محضا ، ولذلك كثرت فى شعره كلمات الرومانسيين المهومين ، وطال

---

(1) د / جليل كمال الدين ، الشعر العربى وروح العصر ، دار العلم للمــــلايين بيروت سنة ١٩٦٤ ص ٢٩٨ .

(2) انظـــر ، لغة الشعريين جيلين ، السامرائى ص ٢١٩ .

التجاوء الى الريف والطبيعة وأكثر من الألفاظ الشاعرية المجنحة التى تأثر بها من خلال دراسته واعجابه بشعراء الرومانسية أمثال " على محمود طه ، حيث نقل عنه كلمات الملاحين ، والشط ، والاقداح ، والحب المعربد والشفاه الظامئة ، والشرعة ، والسفن ، ومناظر الريف الأخرى ، كما أكثر من " الكوخ " الراقد بين أحضان النخيل " تأثرا بالشاعر الرومانسى " محمود حسن اسماعيل " فى ديوانه " أغانى الكوخ " وبقى كذلك حتى انتقل الى مرحلة الواقعية حيث أتخذ مفردات جديدة ولغة جديدة تتعلق بحياة " الكادحين " والثورة وعيون الجياع ، والحرب والسلام ، وغير ذلك من الألفاظ والشعارات .

ولكن عندما نضجت شاعريته أخذت ألفاظه ولغته تتطور بصورة شاعرية اعمق وأدق وخاصة بعد ان تأثر بالرموز والأساطير والحكايات الشعبية ، والقصص الأدبية المختلفة ، والقصص الدينية المستمدة من القرآن الكريم ، كقصة السيد المسيح وأمه " مريم " عليهما السلام وقصة " يوسف وزليخا " وموسى وفرعون ، وقصة كفاح سيدنا " أيوب " عليه السلام وهابيل وقابيل ، وآدم وحواء ، وارم ذات العماد وغيرها من المصادر الانسانية وكان من آثار هذا التأثر والاستيعاب ان تغيرت لغته الشعرية كثيرا حيث أصبحت تميل نحو السهولة والوضوح ، ولغة الحديث اليومى أحيانا ، حين يتحدث عن ماضيه وذكريات طفولته ، والى العمق والغموض والابهام أحيانا أخرى حين ينصرف للحديث والتصوير لمآسى وطنه ، وأمته خلال الارهاب الدموى فى العراق كما فى قصائده " التموزية " التى تصور جرائم الشيوعيين فى العراق خلال حكم " عبد الكريم " الأسود ، كما فى قصائده مدينة بلا مطر ، ومن رؤيا سنة ١٩٥٦ " ومدينة السندباد ، وسربروس فى بابل ، والمبغى رمز بغداد خلال عهد قاسم ، وبقية قصائده الجيكورية الأخرى ولهذا لم يكن هذا التطور اللغوى عفويا بل كان عن دراسة ووعى وتصميم وذلك " لأن الشاعر المعاصر يسعى دائما الى ان تكون قصيدته وحدة متماسكة الأجزاء " (١)،

---

(١) الشعر والفكر المعاصر ، وزارة الاعلام العراقية ، سلسلة كتاب الجماهير سنة ١٩٧٤ ، ص ١٩ .

ولكن تكون كذلك " فهو مطالب بخلق تعابير جديدة " وعليه ان ينحت ، لا أن يرصف الآجر القديم " (١) .

وأكثر ما تتجلى لغته اليومية الحديثة أيضا في بعض ملاحمه الشعرية مثل " المومس العمياء " كما طرزها بالاقتباس من الأغاني الشعبية ، واستلهم فيها الواقع الفاسد للعراق خلال الحكم الملكي الأسود ، لأن وجود " مومس" في مجتمع ما دليل على التخلف والضياع كما ان وجود " مومس عمياء" أكبر مصيبة وأعظم نكبة .

كما أن هذا التطور اللغوي أيضا كان نابعا من ايمان الشاعر " السياب " ((بأن اللفظة بلا شك هي اللبنة الأساسية في البناء الفني كله للقصيدة ، ولهذا وجب ان تكون شاعرية بكل ما في هذه الكلمة من معنى)) (١) وليس معنى ذلك ان الشعراء القدامى لم يقدسوا اللفظ الشعري بل بالعكس ، الا ان واجب الشاعر المعاصر هو احياء هذه اللفظة ، وشق طريق النمو أمامها حتى تصل الى الكمال ، كما يجب على الشاعر المعاصر أيضا الابتعاد عما لاكته الألسنة مرارا وتكرارا ، لاعادة البعث والحياة من جديد لهذه الكلمة الشاعرية . وهذا لن يتحقق الا بخلق تعابير جديدة ، والفاظ جديدة مناسبة وموحية ومعبره بما فيها من موسيقى وروح شاعرية .

وهذا ما دعا الشاعر الى التطلع نحو تحرير لغته الشعرية والتجاوز بها من المقيد العام الى العام المطلق شريطة ان تكون ذات دلالة فنية ، وليست ضربا من العبث والفوضى أو مظهرا من مظاهر التقريرية والخطابية .

وقد وضح لنا رواد هذا الشعر من المحدثين طريقة هذا الانتقال التعبيري حين قال واحد منهم " كنا قد خرجنا من عباءة المدرسة الرومانتيكية العربية ، بموسيقاها الرقيقة ، وقاموسها اللغوي المنتقى الذي تتناثر فيه الألفاظ ذات الدلالات المجنحة والايقاع الناعم . وكنا قبل ذلك أسرى للتقليد الشعري الذي يؤثر ان تكون للشعر لغته

---

(١) عبد الجبار البصري " بدر السياب " رائد الشعر الحر ص ٨٨ .
(٢) جريدة صوت الجماهير العراقية : كانون سنة ١٩٦٣ .

الخاصة المجاوزة للحياة ، والبعيدة عنها في بعض الأحيان "(١) .

وبهذا تحولت اللفظة العربية الجديدة لدى " مدرسة السياب الشعرية " لتصبح جزءا من حركة عامة تشمل القصيدة كلها ، ولا بد ان تجد لها مكانا مناسبا في تركيب جديد للبيت في الشعر ، مما أضاف للأدب العربي ثروة لغوية جديدة في قالبها الفني الدقيق .

وقد بين لنا أيضا أحد النقاد المحدثين الملامح العامة للغة الشاعر "السياب" حين وصفها بقوله " ان جمهرة ألفاظه تومىء الى أن اختيارها حسن ، وأنه توسع في المجاز والاستعارة توسعا أدخل الجدة على الدلالة اللغوية " (٢) .

كما أن لغته الرمزية كانت مرتبطة بالحاضر وصدق التجربة والمعاناة التي قاساها الشاعر خلال حياته النضالية ، ولهذا كانت ألفاظه الرمزية خالدة لا لقدمها ولكن المخطة التجربة ذاتها ، وصدق انفعالها ، وعمق اتساعها على تصوير الحياة الحقيقية والنفسية للشاعر خاصة خلال حياته النضالية المريرة ضد اعداء الانسان في وطنه العربي حيث يظهر فيها وضوح التعبير وقوة اللغة وروعة الألفاظ والصور الرمزية التي تعكس لنا عمق المأساة الاجتماعية في العراق مأساة الفقر ، التسلط الطبقي ، والسياسي ، وغياب الحريات ، والمحاصرة بالرعب والخوف من المستقبل المجهول والحاضر المظلم ، الذي عاناه الانسان العربي وخاصة في العراق خلال عهود الارهاب والجوع .

وعندما سئل الشاعر في لقاء له مع احدى الصحف العراقية عن موقفه تجاه اللغة في الشعر العربي الحديث قال : " أعتقد ان اللغة من الأسباب الأولى التي يجب أن يوضع عليها الأصبع ، فلقد كان الشاعر الجاهلي يتحدث بلغة أهله وقومه " أما الآن فان " الازدواج اللغوي " قد حدد التوسع الفكري بصورة عامة ، والشعر بصورة خاصة

---

(١) صلاح عبد الصبور ، حياتي في الشعر ص ٩٠ .
(٢) د / ابراهيم السامرائي ، لغة الشعر بين جيلين ، دار الثقافة بيروت بلا تاريخ ص ١٢٦ .

وهناك أيضا الفنون التعبيرية الأخرى التى أخذت تزاحم الشعر ، كالقصة ، والرواية ، واللوحة ، والرسم ، والموسيقى وغيرها .

وواضح أنه من السهل لهذه الفنون ان تمرق الى ذهن الشخص المستقل دونما عناء أو ارهاق من ناحيته ، أما بالنسبة للشعر فالأمر يختلف كثيرا ، ان أقل ارتخاء فى ذهن القارئ يشوه القصيدة ويفسدها عليه ، ولا ريب ان القصيدة الحديثة تحتم على الشاعر ان يكون دقيقا ازاء العلاقات المعقدة التى تلازم عصرنا ذلك لأن تكوينها السيكولوجى لا يسمح بأى تخلخل أو تهاون بها " (١) .

وعندما سئل عن اسباب لجوئه للأسطورة والرمز فى شعره واتخاذها لغة وتعبيرا جديدا فى شعره أجاب : " الواقع ان الشاعر الآن يعيش أزمته الكبرى انه يعيش فى عالم لا يحطيه سوى علاقات متدهورة بين الانسان والانسان ، وسوى تعكير وتحطيم مستمر لوجوده وانسانيته ، ان واقعنا لا شعرى — ولا يمكن التعبير عنه باللاشعر أيضا ان الأسطورة الآن ملجأ دافئ للشاعر . كما ان نبعها لم ينضب ولم يستهلك بعد . ولهذا ترانى ألجأ اليها فى شعرى كثيرا "(٢) .

ونحن بدورنا لا ننكر ضرورة استعمال اللغة السهلة المعبرة الموحية لدى الشاعر حتى يستطيع ان ينقل أحاسيسه وأفكاره للمتلقى وخاصة اذا كان الشاعر ملتزما بقضايا أمته وشعبه ولكن شريطة ان تكون هذه اللغة محافظة على اشعاعها وتراثها وجذورها العميقة الممتدة داخل اعماق الانسان العربى منذ فجر التاريخ ، وأن لا تصل الى حد الركاكة والابتذال كما هو الوضع عند بعض المتشاعرين الدخلاء الذين شوهوا وجه التراث العربى دون الالمام بقواعد اللغة والشعر مما نراه على صفحات بعض الصحف والمجلات فى عصرنا الحاضر غير ان هذا لا ينفى ان شعر رائدنا " بدر " كان وما زال فى القمة لأنه استطاع أن يشق الطريق ويحرر اللغة

---

(١) مجلة الفنون العراقية عدد ٢٢ سنة ١٩٥٧ .
(٢) محمود العبطة " بدر السياب " ص ٨٦ — ٨٧

والشعر ولكن داخل اطار التراث ولغة الآباء والأجداد كما أننا نؤمن بروعة اللغة الرمزية التى لجأ اليها الشاعر وسط هذا العالم القلق المتصارع الذى فقد قيمه ومثله الانسانية العليا ولكن شريطة ان يكون هذا الرمز نابعا من اعماق التجربة صادقا فى تصوير واقع الأديب لا متكلفا ولا مزيفا ، وأن لا يكون لمجرد الحشو والاطناب والتراكم مما يؤدى الى الغموض والابهام وضياع المعنى من ذهن السامع كما نجد لدى شاعرنا السياب فى بعض قصائده الرمزية وخاصة " مرثية الألهة " ومن رؤيا فوكاى " بديوانه انشودة المطر " (١) أما ما عدا ذلك فان قصائده معظمها ان لم يكن جميعها تنطق باللغة المعبرة والألفاظ الحية المعاصرة التى تجعل من قصيدته الشعرية منارة تشرق بالمعرفة وتفجر الاحساس وصدق العاطفة بكل ما فى اعماقها وكنوزها من خصب وعطاء .

عيوبها :

وما يلفت النظر حقا فى لغة السياب الفنية ما نراه فى استعماله للاسماء الجامدة استعمال الصفة كقوله : أكفانى الثلج ، وشاطئ رمل ، وقد يكون ذلك نتيجة تأثره بقول العرب حين وصفوا ببعض المصادر بقولهم " شاهد عدل " ، كما أنه اخترع ألفاظا جديدة قياسا على النادر القليل كقوله : " ظلموت ، رهبوت ، واضطر أحيانا الى منع الصرف فى بعض الكلمات التى لا تمنع من الصرف لغويا كقوله " موت وفولاذ " فى قصيدته " مرثية الألهة " ولعل ذلك عائد الى رغبته فى اعطائها صفة العلمية " وقوله — لاة — وبورت سعيد . وخزيانا وغيرها من الألفاظ المتناثرة فى قصيدته " بور سعيد " وغيرها (٢) " كما سنبين ذلك بعد قليل .

كما يؤخذ عليه بعض الأخطاء النحوية فى شعره وهى قليلة جدا ، مثله كمثل بقية الشعراء الآخرين ، كما تكثر فى مفرداته ولغته " الازدواجية " والثنائية المتلاحمة

---

(١) انظر ديوانه انشودة المطر .
(٢) قصيدة بور سعيد — ديوان انشودة المطر المجموعة الشعرية ص ٤٩٢ ، وما بعدها .

كالأمل المشحون باليأس والايمان المتمانق بالكفر تجاه القيم ، والحزن الممطـــر بالفرح ، والحرية المتفجرة بالعذاب والشحوب الملتصق بالابتسام والظلام المنصهـر في الضياء كقوله :

في شحوب دامع ، فيه ابتســـام
مثل أفق من ضيـــاء وظـــلام
وخيـــال وحقيقـــة (١)

كما عيب عليه أيضا " الغموض " والتعقيد " في بعض عباراته وتراكيبه اللغويـــة وخاصة حين تلتبس " الضمائر " أو يفصل بين الفعل وفاعله ، والفعل ومفعولـــه والشرط وجوابه ، والمبتدأ وخبره ، والصفة وموصوفها . كما يعاب الشاعر أيضا على طول الجمل المعترضة في شعره واقحام الأساطير والرموز دون مبرر ، مما يـــؤدى بلا شك الى تفكك العبارة وتشتت ذهن القارئ والسامع .

ومن صور هذه الجمل المعترضة في شعره قوله :

وقد رف ، مثل الجناح الكســـير
على كومة مــــن حطام القيـــود
على عالم بائـــد لن يعـــود
سناها الأخـير

وهكذا فصل بين الفعل " رف " وبين فاعله " سناها " بالاضافة الى طول العبـــارة المعترضة الفاصلة بين الفعل والفاعل . ولعل هذا عائد الى شدة انفعال الشاعـــر واستطراداته الأدبية .

وعلى الرغم من هذه العيوب المحدودة في لغة الشاعر وعباراته الا ان هـــذا لا يمنعنا من القول بأن عباراته تمتاز بالاتساع والتماسك ، والقدرة على تصوير المعنى

---

(١) انظر د / التونجى " بدر السياب ص ١٨٢ ، ص ١٨٣ .

أو الحالة النفسية للشاعر رغم ما فيها من طول ملحوظ ، وما في احشائها من تضمين بالرمز والأسطورة ، أو الحكايات الشعبية كما تمتاز بتدفقها الخطابي حينا خاصة عند احساس الشاعر بالثورة والتمرد ضد المستعمر وأعوانه ، أو مخاطبة الأبطــال الذين يضعون التاريخ لأمتهم من خلال ملاحمهم الخالدة وتضحياتهم الرائعة ، كما في قوله للبطلة الجزائرية " جميلة بوحيرد " :

أنت التي تفدين جــرح الجريـــح
أنت التي تمطين ... لا قبض لا ريـــح
يا أختنـــا ، يام أطفالنـــا
يا ســـقف أعمالنـــا
يا ذروة تعلـــو لأبطالنـــا (١)

وكقوله في تحية بور سعيد المناضلة ضد الغزو العدواني الآثم سنة ١٩٥٦ نرى الشاعر يصب جام غضبه على الغزاة تارة ويعانق " بور سعيد " بروحه تارة أخرى ، محييا نضالها وكفاحها الخالد حين قال :

فاز لزلـى ، يا بقايا كاد أولنـــا
يبقى عليها ، من الأصنام لولانـــا
نحن الذين اقتلعنا من أسافلهـــا
لاة وعزى ، وأعلينـــاه انسانـــا
حييت بورت سعيد من مسيـــل دم
لولا افتداء لما يغليـــه ، ما هانـــا
حييت من قلعـــة صماء ناطحهـــا
عاد من الوحش نزجيهـــن قطعانـــا
حييت من قلعة ما آد كاهلهـــا
عبء السموات الاخـــف ايمانـــا

---

(١) بدر السياب ، مجموعته الشعرية من قصيدة " جميلة بوحيرد " ص ٣٧٨ ومابعدها .

يا رفأ النور ، ما أرجعت وادعة
من غير زاد ، ولا آويت قرصانا
ولا تلفظت من مرساك معتديا
الا مدمى ذليل الهام خزيانا(١)

* * *

فعلى الرغم من تدفقها العاطفى الحماسى لدى الشاعر الا انه قد خالف قواعد اللغة حيث صرف كلمات ومفردات ممنوعة من الصرف وهى : لاة ، بورت سعيد ، وهو علم مركب تركيبا مزجيا ، بالاضافة الى صفة خزيانا " وسهران ، لأنهما الى العامية أقرب منهما الى اللغة الفصحى خاصة " اذا كانت الأخيرة صفة للماء كما فى قوله :

كالنور فى رايات ثوار
من مائك السهران — أوتارى
أم برجك الهارى
يبكى دما من جرح بحار

غير أن هذه العبارة سرعان ما تتحول الى جدول رقيق حزين ، ينساب برفق وهدوء فى أعماق الشاعر عندما يصور عواطفه الحزينة الدامية عندما تحاصره هموم وطنه العربى أو هموم مرضه وضياعه ومرارة جرحه . وها هو ذا يعود فى ملحمته " بور سعيد " ليصور شلالات حزنه لما أصاب " بور سعيد " من دمار ودماء على يد القراصنة ، فتنساب عباراته فى اعماق القارىء والسامع معا لتعانق الروح والقلب والفكر :

من أيما ريشة ؟ من أى قيثار
تنهل أشعارى ؟
من غابة النار ؟

---

(١) نفس المصدر السابق ص ٤٩٢ وما بعدها .

أم من عويل الصبايا بين أحجـــــــار
منها تنز المياه السود واللبن المشوى كالقار+ الخ (١)

وهكذا تتموج عباراته بتموجاته النفسية وتدفقه الشعورى باسلوب " حـــر " يتناسب وأحاسيس الشاعر ودفقاته العاطفية المفعمة بصدق التجربة والمعانى ، مما منح لغته وعباراته وشعره وصوره كل معانى الحياة .

هذه صورة موجزة عن لغة الشاعر وعباراته فى مدها وجزرها ، وعظمتها وبساطتها معـــا .

* * *

(١) نفس المصدر السابق ص ٤٩٥ .

:: العاطفة والخيال عند السياب ::

لا شك ان السياب الذى استطاع أن يوجد هذا السيل من الصور كما وضحنا سابقا ، لا بد أن يكون ذا خيال خصب قادر على الرؤيا البعيدة وتجسيد الأفكار الانسانية الرائعة . ولولا هذا الخيال العميق الذى كان يتمتع به هذا الشاعر لما استطاع ان يحلق فى عالم الشعر الكبير لايمانه بأن الشعر فى حاجة ماسة الى خيال يجوب به الآفاق ويستلهم الصور الحسية أو المرئية ويطوف عوالم النفس الانسانية لكى يعطى الشعر لونا جديدا . وليس أدل على ذلك من دفاعه الشديد عن الخيال فى الشعر العربى القديم والحديث على السواء حين قال فى احدى ندواته الأدبية ببغداد سنة ١٩٥٢ :

" ان الخيال ليس مقصورا على الشعر الغزلى فحسب ولا على الشعر الحماسى فقط ، اذ أنى أرى ان كلا النوعين من الشعر يحتاج الى خيال ، ولهذا وجب علينا دراسة الشعر العربى القديم لأن فيه من السبك الممتاز ، والبلاغة الرصينة ، واللغة السليمة ، الكثير وعليه فان فى الشعر العربى القديم أشياء يمكن الاستفادة منها وفيه بعض أشياء لا يمكن الا تركها لمسايرة روح التطور فى الشعر العربى "(١)

وقد ذهب أحد النقاد الى ان خيال الشاعر السياب يتفاوت قوة وضعفا على حسب مراحله الثقافية أولا وعلى حسب موضوعاته الشعرية ثانيا ، فهو فى مرحلة الشباب كان قويا مجنحا فى أعالى السماء نظرا لشهوب عاطفته وحرارة شبابه ، لكن هذا سرعان ما انطفأ وضعف بعد ذلك ، كما أن هذا الخيال كان أكثر ما يتدفق كان فى موضوعات الشوق والحنين فقط اما فى الموضوعات الواقعية فقد كان يصبح فى حالة من الجزر

(١) خالص عزمى ، صفحات مطوية من أدب السياب ، وزارة الاعلام العراقية ، بغداد سنة ١٩٧١ ص ٢٦ — ٢٧ .

والتراجع حيث قال : " ويكثر الخيال عنده ، خاصة عندما يحن الى الوطن ، وعندما يتمنى ان تثور قريته على الظلم ، وعندما يتصور أن وطنه ثار أو عندما يريد ان يموت أن يتصور دنو الموت منه ، وفيما عدا ذلك فهو أشد الشعراء واقعية ".(١)

وعلى الرغم مما في هذا الوصف من ملامح الحقيقة وليس كل الحقيقة . فالخيال لم يضعف ولم يتراجع لدى السياب بل كان يتدفق بقوة وعنف حتى في قمة الفترات الواقعية ذاتها .

وليس أدل على صدق ما نقول مما رأيناه في تصويره خلال ملحمته " الحفار " والمومس العمياء وانشودة المطر ، بل ومعظم قصائده الواقعية والمرضية على حد سواء .

ولعل الكاتب السابق قد خلط بين العاطفة وبين الخيال الملتحم بالمشاعر والفكر معا . فهو عندما يبتدع لنا الصور الحسية والمعنوية والتى لم يسبق لشاعر من قبل ان يتوصل اليها . خاصة حين يقول :

وتثاءب الظلل البعيد ، يحدق الليل البهيم
من بابه الأعمى ومن شباكه الحزب الهليد
والجو يملأه النعيب
فتردد الصحراء في يأس واعوال رتيب الخ (٢)

فهذه الصور المتحركة واللوحات التى تجسد المعنى في ذهن المتلقى ، بالاضافة الى كونها صورا جديدة لم يسبق لشاعر من قبل ان استطاع الوصول اليها أو مجرد التصور والتطلع الى أبعادها المترامية . فالظلل المحدق ، والأبواب العمياء والشباك الهليد والصحراء المعولة والريح التى أصابها السأم ، كل هذا بلا شك أكبر دليل على خصوبة وتدفق الخيال لدى الشاعر ، وكما استطاع الشاعر أن

---

(١) د / محمد التونجي " بدر السياب والمذاهب الشعرية المعاصرة ص ١٧٥ .
(٢) بدر السياب ، مجموعته الشعرية " ديوان انشودة المطر ص ٥٤٣ وما بعدها .

يخلق صوره بنفسه وقوة خياله فقد تأثر ببعض الصور القديمة الا أنه أضاف اليهـــا أبعادا جديدة من روحه وخياله . كتأثره بأستاذه " أبي تمام " في فتح عوريـــة وما أصابها من حريق مدمر على يد المعتصم " انتقاما من الروم ، والتي قال فيها :

غادرت فيها بهيم الليل وهو ضحـــى
يشله وسطها صبح من اللهـــب

أخذها السياب ليصورها بخياله البعيد ليخرجها بثوب جديد حين قال :

الليل يجهض ، فالصباح من الحرائق في ضحاه(١)

كما أخذ بعض صور الشاعر أبي العلاء المعرى حين قال :

الأرض للطوفـــان محتاجـــة
لعلها من دنـــس تغســـل

استغلها السياب لكن بتصوير اعمق وأجمل حين قال في رثاء صديقه " لوركا " شاعر الثورة الاسبانية

والماء من جحيمـــه يفـــور
طوفانه يطهر الأرض من الشرور(٢)

وهكذا استطاع الشاعر ان ينقل الانسان من عالم التقليد والاتباع في التصويـــر الى عالم الخلق والابداع .

وهكذا يتبين لنا ان خيال الشاعر لم يتوقف في جميع مراحل حياته وثقافته .

* * *

---

(١) نفس المصدر السابق ص ٤٥٤ .
(٢) نفس المصدر السابق ص ٣٢٣ .

٣ ـ الصورة الشعرية

اذا كانت هناك ميزة واحدة تنسحب على كل شعر " بدر السياب " تقريبا فهى اعتماده على " الصورة " للتعبير عن فكره وعاطفته ".[1] وقد تكون هذه الصور عبارة عن ألفاظ وتراكيب ترسم بحروفها صورا ، وقد تكون الصورة مجزوءة كما قد تكون كاملة . قد تكون ثابتة أو متحركة تشعرنا ونحن نلمسها أنها تنتقل بتسلسل فنى أمام أبصارنا من وراء عدسات التركيب وقد تكون هذه الصورة بعيدة المدى . طويلة العمر يلاحقها التحليل النفسى . وتداعى الأفكار . على أن من النادر جدا أن تلقى مقطعا واحدا فى شعره لا يحوى صورة أو بعض صورة " وهذه الصور المتعددة كثيرا ما تكون مستمدة من بيئة الشاعر التى عاشها سواء من الطبيعة[2] أو أفكاره وخياله كتصوير صراعه الذاتى مع الحب والألم ، والظلم والمرض ، والموت .

ونحن اذا تأملنا هذه الصور الشعرية لدى الشاعر وجدناها أحيانا تعتمد على الأساليب البلاغية العربية الأصيلة من تشبيهات واستعارات وكنايات . وعلى الأسطورة والرمز حينا آخر . كما أنها تتألف فى الغالب من انطباعات حيوية قصيرة مرتبة بتسلسل حاذق يترك أثرا فى الذهن كما فى قصيدته " السوق القديم " التى يقول فيها :

الليل والسوق القديم
خفتت به الأصوات الا غمغمات العابرين الخ[3]

فهذه الصور الايحائية قد دفعت بالعديد من الشعراء الآخرين ان يقلدوها فيما بعد ".[4] كما عند " البياتى " فى قصيدته " سوق القرية " حيث يبدأ الشاعر فى رسم مقدمة تمهيدية فى بداية القصيدة لتمهيد ذهن المتلقى بما تحمله من

---

(١) د / عيسى بلاطة ، بدر السياب ص ١٨٢ .
(٢) د / محمد بدر السياب ص ١٧٠ .
(٣) ديوان أساطير " النجف سنة ١٩٥٠ ص ١١ .
(٤) د / عيسى بلاطة ، بدر السياب ص ١٨٣ .

مشاعر وأحاسيس ، ونحن اذا نظرنا لهذه المقدمة ، وهى صورة الليل الحزين والأضواء الشاحبة المنحصرة من عيون المصابيح عرفنا أن الحالة النفسية للشاعر كانت حزينة من الداخل خاصة عندما بدأ يصور نفسه من الداخل وصراعه مع ذكريات حبه القديم الذى حرم منه .

لكن أكثر ما يتجلى هذا الرسم التمهيدى والتنقل بالعدسة التصويرية لدى الشاعر من العام الى الخاص ومن الكل الى الجزء كل ذلك بأسلوب متدفق هو ما نجده فى ملاحمه الشعرية ، كالمومس العمياء والمخبر ، وحفار القبور . ففى مقدمة هذه الملحمة مهد الشاعر لها برسم الجو الطبيعى الحزين الذى خيم عليه الأسى والضياع ، هى صورة الأصيل الحزين المخيم على القبور وصوت الغربان المنتشر فى سماء المقبرة وظهور الضوء الشاحب وغير ذلك من أجزاء الصورة القاتمة لتكون مدخلا بعد ذلك لتصوير شخصية " الحفار " من الخارج والداخل معا ، فالصورة العامة للجو الحزين المخيم على المقبرة يتجسد فى قوله :

ضوء الأصيل يغيم كالحلم الكئيب على القبور
واه ، كما ابتسم اليتامى ، أو كما بهتت شموع
فى غيهب الذكرى — يهوم ظلهن على دموع
والمدرج النائى تهب عليه أسراب الطيور
كالعاصفات السود ، كالأشباح فى بيت قديم
برزت لترعب ساكنيه
من غرفة ظلماء فيه
وتثاءب الطلل البعيد ، يحدق الليل البهيم
من بابه الأعمى " ومن شباكه الخرب البليد
والجو يملأه النعيب
فتردد الصحراء فى يأس واعوال رتيب
أصداءه المتلاشيات

والريح تذروهن في سأم على التل البعيد (١)

فالصورة الشعرية الكلية التي رسمها الشاعر للجو الحزين الذي خيم على مقبرة "الحفار" كتمهيد ومقدمة للجو العام الذي يصطرع في أعماق "الحفار" نفسه ، كما استطاع ان يجمع هذه الجزئيات المتمددة وينظمها داخل خيط نفسي رائع تركت انطباعا قويا في نفس القارئ المتلقي .

ونحن اذا تتبعنا جزئيات هذه الصورة وجدنا كل كلمة منها بمثابة صورة أو جزء من الصورة ، انها سيل جارف من التشبيهات والاستعارات الرائعة المتدفقة المترابطة باسلوب قصصي فتشبيه ضوء الأصيل ، بالحلم الكئيب ، وابتسامة اليتيم الباهتة ، والشموع الذابلة ، كلها تجسد الشعور الحزين المتدفق وتشبيه أسراب الطيور فوق المقبرة وكأنها عاصفات سوداء ، أو اشباح مرعبة مخيفة داخل بيت قديم خرب لتعميق صورة الخوف والرعب أكثر في اعماق الانسان ، ثم الاستعارات المتلاحقة في قوله تثاءب الظلل ، وتحديقه في ظلام الليل ، والباب الأعمى ، والشباك البليد ، والصحراء المعولة ، وسأم الرياح ، كل هذه الأجزاء تكون صورة رائعة متكاملة للحزن والأسى الجارف المتدفق بقسوة وعنف في أعماق الشاعر .

وبعد أن رسم الشاعر مقدمته الحزينة تمهيدا لملحمته انتقل بعدسته الشعرية ليركزها على شخصية الحفار من الخارج أولا ، ليرسم صورته الخارجية للقارئ حتى يستطيع تحليل نفسيته من الداخل ، انه انسان غريب الشكل والصورة انسان مخيف مرعب المظهر سيء الجوهر كفاه جامدتان جائعتان للضحايا ، وعيناه خاويتان من بريق الحياة ومعاني الوجود ، وفمه الكريه أشبه ما يكون بفتحة جدار متهدم خرب (٢) :

كفاه جامدتان أبرد من جباه الخاملين

---

(١) بدر السياب ، انشودة المطر ص ٢٣١ ، بيروت سنة ١٩٦٠ .
(٢) المعطة بدر السياب ص ٩٤ .

وكأن حولهما هـــواء كان فى بعض اللحـــود
فى مقلة جوفاء خاويـــــة يهوم فى ركـــود
كفان قاسيتان جائعتـــــان كالذئب السجين
وفم كشـــق فى جـــدار
مستوحد بين الصخور الصم من أنقاض دار
عند المساء ، ومقلتان تحدقان بلا بريـــــق
وبلا دمـــوع فى الفضـــاء
هـــو ذا المســـاء
يدنو ، وأشباح النجوم تكاد تبدو ، والطريـق
خال — فلا نفس يلوح على مداه ... ولا عويـل
الا النعيـــــــــب
وتنهد الريـــح الطويـل (١)

* * *

هذه جزئيات الصورة الثانية لشخصية " الحفار الكريه " الحفار الجائع الذى يموت ان لم يمت الناس ، فهو يكره السلام ويتمنى الحرب ، ويمقت الكسل والخمـول عند عزرائيل (٢) .

لا يهلكون ، علام تتعب ؟ ان عزرائيل مـــات

انها صورة ذات خيوط متعددة مترابطة متلاحقة لا يخلو سطر واحد بـل ولا كلمة واحدة دون ان تكون صورة صغرى أو جزءا من الصورة ، سواء عن طريـــق التشبيه بكأن والكاف أو الاستعارة . وبعد ان نجح أيضا فى اعطاء القارئ صـــورة ناطقة لشخصية الحفار من الخارج انتقل فى المشهد الثالث ليعبر بعدسته التصويرية

---

(١) نفس المصدر والقصيدة . انشودة المطر ص ٢٢٣ .
(٢) د / احسان عباس ، مجلة الأديب عدد ٥ ص ١٩٣ .

الى اعماق الحفار من الداخل ليصور ما في اعماقها من صراعات ودهاليز مظلمة قائمة لأنه انسان أناني " يعيش على موت الآخرين ليشبع شهواته وغرائزه الحيوانية • وعندما تضيق به الحياة لعدم قدوم " نعش جديد " للمقبرة يرفع يديه وعينيه للسماء طالبا من الله ان يهلك له جميع البشر حتى يجمع النقود ليروى بها ظمأه الجنسي ويحقق شهواته الحيوانية :

وهز حفار القبور
يمناه في وجه السماء • وصاح : رب : أما تثور ؟
فتبيد نسل العار ••• تحرق • بالرجوم المهلكات
أحفاد عاد • باعة الدم والخطايا والدموع
يا رب • ما دام الفناء
هو غاية الأحياء فأمر يهلكوا هذا المساء
سأموت من ظمأ وجوع
ان لم يمت — هذا المساء الى غد بعض الأنام
فابعث به قهل الظلام (١)

وهكذا يصور الشاعر نقمة الحفار على العالم طالبا ربه ان يهلك له نسل البشر حتى يتروى ظمأه وجوعه الجنسي رغم ما تحت قدميه من قبور تحوى في احشائها الف أنثى :

هل كان عدلا أن أحن الى السراب • ولا أنال
الا الحنين — وألف أنثى تحت اقدامي تنام ؟

انه حفار ظامئ للشهوة والطعام واللذة معا لأنه لا يملك النقود التى ينفقها لتحقيق شهواته :

أفكلما أتقدت رغاب في الجوانح شح مال ؟

---

(١) نفس المصدر السابق • انشودة المطر ص ٢٣٥ •

فتثور ثائرته من جديد على الصمت والحياة ، انه يتمنى قيام الحروب وموت البشر ليتسنى له جمع المال اللازم لشهواته :

ما زلت أسمع بالحروب – فأين أين هى الحروب ؟
أين السنابك ، والقذائف ، والضحايا فى الدروب
لأظل أدفنها – فلا تسع الصحارى
فأدس فى قمم التلال عظامهن وفى الكهوف ؟
فكأن قمقمة المنازل فى اللظى نقر الدفوف
أو وقع أقدام العذارى
يرقصن حولى لاعبات بالصنوج وبالسيوف (١)

* * *

وهكذا نجح الشاعر مرة أخرى فى تصوير احلام " الحفار " و " منولوجه " الداخلى فى اعماقه وفرحته الذاتية فى تهدم المنازل المحترقة فى الحروب التى تبعث فى نفسه اللذة والنشوة رغم آلام أصحابها ومآسيهم لأن فى ذلك تحقيقا لملذاته الشخصية .

وبينما يسترسل " الحفار " فى أمانيه يستيقظ ضميره فجأة للحظات قصار فيحس بعمق أنانيته وجريمته ويصرخ :

واخيبتاه : ألن أعيش بغير موت الآخرين ؟

لكن ضميره سرعان ما يخمد ويموت تحت وطأة الحاجة الماسة الى الخبز والشهوات فيعود للنقمة والثورة ضد البشر من جديد ، طالبا لهم الموت والفناء :

فلتمطرنهم القذائق بالحديد وبالضرام
وبما تشاء من انتقام
من حمات أو جذام
نذر على : لئن تشب لأزرعن من الورود
ألفا تروى بالدماء ... وسوف أرصد بالنقود

---

(١) انشودة المطر ص ٢٣٦ ، والمجموعة الشعرية ص ٥٤٨ .

هذا المزار ، وسوف أركض في الهجير بلا حذاء (١)

ثم يعود الشاعر مرة أخرى بطريقة الازدواج ليبين لنا عودة الضمير لدى " الحفار " وكيف يحاول هذا الذئب اقناع نفسه وهما ببراءته ، وأنه انسان معذور نظرا لجهله وعدم قراءته الكتب الضخام ، فهو لا ذنب له اذن ، كما يتصور ، ان الذنب الحقيقي يقع على عاتق الساسة الآخرين الذين يقودون هذا العالم نحو الحروب والخراب والجوع .

أنا لست أحقر من سواي

وان قسوت ، فلي شفيع ، اني كوحش في الفلاه

لم أقرأ الكتب الضخام

وشافعي ظمأ وجوع

أو ما ترى المتحضرين

المزدهين من الجديد ، بما يطير وما يذيع ؟

اني نويت ... ويفعلون

والقاتلون هم الجناة ، وليس حفار القبور (٢)

انه تبرير شبه منطقي بين الحفار ونفسه ، انه لا يقتل بالفعل ، ولا يهدم بيتا انه يتمنى فقط ، أما القتلة الحقيقيون فهم الذين يملكون مصائر البشر ، انهم تجار الحروب ، وأصحاب الجاه والنفوذ ، أما هو فضحية الجوع والشهوة فلا ذنب له ، وهنا يبرز احساس الشاعر نحو الضحية ، وعاطفته المزدوجة فنراه يثور عليه مرة ثم يعود ليعطف عليه من جديد مرة أخرى ليثور مرة ثالثة وهكذا .

وهكذا تتدفق صور الشاعر السياب ، كشلالات النهر ، مترابطة متلاحمة لتكون الاطار العام الذي حفره في ذهن القارئ لشعره الخالد .

---

(١) المجموعة الشعرية للسياب ، ديوان انشودة المطر ص ٥٥٠ .
(٢) نفس المصدر السابق ص ٥٥١ .

ومن قصائده الخالدة أيضا التى تشع بالصور المتعددة المتراكمة ما نجده فى " انشودة المطر "(١) حيث جمع فيها بين التصوير بالأساليب البلاغية ، التشبيه والاستعارة والكناية ، وبين اسلوب الرمز والأسطورة ومن أهم صوره فيها قوله : عيناك غابتا نخيل ، أو شرفتان راح ينأى عنهما القمر ، كابتسامة العيون ، ترقص الأضواء كالأقمار ، كالبحر سرح ، كنشوة الطفل ، كأنه طفل يهذى ، كأن صيادا حزينا ، كالدم المراق ، كالجياع ، كالحب .

ومن صوره بالاستعارات : ترقص الأضواء ، تنبض النجوم ، ارتعاشة الخريف رعشة البكاء ، تشرب الغيوم ، تثاءب المساء ، سح الغيوم من دموعها " نشيج المزاريب ، مقلتاك تطوفان بى ، يسحب الليل ، يخزن البروق ، فض عنها ختمها الرجال ، النخيل يشرب المطر ، القرى تئن ، رحى تدور فى الحقول ، ابتسام مبسم جديد ، حلمة متوردة ، وغير ذلك من الاستعارات المتتابعة فى شعره .

ومن صوره الرمزية ، المطر رمز للثورة ، البروق والرعود رمز للاستعداد والتحفز للثورة ، ثمود رمز للطغاة ، الغربان والجراد رمز للجلادين فى العراق أفعى رمز للطاغية والاقطاع . وهكذا يتبين لنا أن الشاعر استطاع برهافة حسه وخصوبة خياله أن ينتقل من التعبير " اللفظى المفرد الى التعبير " بالصورة " حيث أصبح كل سطر بل كل كلمة فى العديد من قصائده صورة أو نسيجا فى صورة أعم وأشمل كما ان جميع صوره فى القصيدة تكون صورة أعم وأشمل واطارا أعظم قادرا على تعميق هذه الصورة فى اعماق الأنسان .

ومما يزيد من خصوبة الشاعر على التصوير أيضا أنه كان يستمد صوره من الطبيعة والبيئة التى نشأ فيها أيضا بالاضافة الى خياله العميق ورموزه وأساطيره ، ومن هذه الصور المجسدة لطبيعة الشاعر وجمال بلاده قوله :

أجنحة فى دوحة تخفق

---

(١) انظر قصيدة انشودة المطر ، بديوان انشودة المطر بيروت سنة ١٩٦٠ ص ٢٣١ وما بعدها .

أجنحـــة أربعة تخفـــــق (١)

فقد أجاد الشاعر رسم صورة طائرين سعيدين لفهما العش السعيد وسـط خميلة رائعة – بمثابة وطن لهما : كل ذلك بصورة مشحونة بالسعادة والاستقرار وحركة مناسبة لرفرفة جناحي الطائرين . ان الشاعر يريد ان يصور نفسه بلا حب ولا وطن خلال مرضه ونفيه القاتل ، فيتمنى ان يعود لوطنه ليعيش مع زوجـــه سعيدين كهذين الطائرين كما اتخذ من الربيع رمزا للثورة والأمل بالتحرر حين قال :

يا أيها الربيـــــع

يا أيها الربيع ما الذى دهـــاك

جئت بـــلا مطـــــر

جئت بلا زهـــــــر

جئت بلا ثمـــــر (٢)

وقد صور فى جراحاته هذه يأسه لفشل الثورة العراقية التى عجزت عن تحقيق أمانى الشعب الوطنية والقومية بعد ان سيطر عليها " قاسم " وأذنا به خـــلال حكمهم الاسود كما رمز أيضا " بالسحاب " عن التحركات الثورية كقوله :

وحول ترابها الظمآن من عمـد وأســوار

" سحاب " كان لولا هذه الأسوار رواها

* * *

وهكذا وقف الظلم القاسى دون تحرر " بغداد " وشعب العراق من قبضـة الشقاء والعذاب والجوع والخـوف .

لكن أروع صور السياب كما أرى هى الصور الملونة الموحية والمعبرة عن اللون المتحرك فى أعماق الشاعر سواء كانت هذه الصور مفردة أو مركبة .

---

(١) المجموعة الشعرية للسياب ، ديوان شناشيل ص ٦٦٨ وما بعدها .

(٢) نفس المصدر – ص ٤٦٨ .

ولعل ذلك عائد كما اعتقد الى أثر بيئته الجميلة ، بيئة البصرة ذات الخصب والأنهار والغابات وسعف النخيل المعانق للسماء بشموخ وكبرياء ، انها موطن الأشرعة والنوارس والجداول وشطآن الرمال ، ومنبع الحياة البسيطة الطاهرة البعيدة عن الزيف والنفاق ، هذا بالاضافة الى حرارتها التى لفحت وجه الشاعر ، وعطر ربيعها الذى ما زال يتردد فى ثنايا روحه وشعره . انها حقا بيئته جمالية متلونة بمظاهر عدة مما جعل هذه الألوان تنعكس بالتالى على روح الشاعر ليسكبها فى شعره الخالد ألحانا وأناشيد مقدسة .

فالسياب عندما يصور بريشته منظرا ما ، فانه غالبا ، لا يقول ولا يحدد هذا اللون أمام قارئه ولكنه يضع الانسان أمام لوحته وتجربته ليحدد اللون المشع من ارجائها بنفسه . وأكثر ما تتجلى هذه الصور الملونة الرائعة الموحية والحسية معا فى ديوانه " شناشيل ابنة الجلبى " بالاضافة الى دواوينه الاخرى ، كأنشودة المطر " والمعبد الغريق ، ومنزل الأقنان ، الا ان أروعها جميعها ما نجده فى قصيدته : " شناشيل " حيث يصور لنا فيها جمال طبيعة جيكور ، وبراءة الطفولة وسعادة الصغار عند هطول المطر ، وما يعكسه هذا المطر على الأنسان والنهر وسعف النخيل . كل ذلك بألوان متعددة متلاحمة ، منها الأحمر ، والأخضر ، والأسود ، والاصفر ، والأزرق وغير ذلك من الالوان المختلفة .

ومن أمثلة ذلك — صورة لونية وشعورية زاخرة بالموسيقى ، متجلية عبر الشكل المركب ، واللون المشع من مجمل البناء العضوى للمقطع ، أو القصيدة فى قوله :

وأذكر من شتاء القرية " النضاح " فيه النور
من خلل السحاب كأنه النغم
تسرب من ثقوب المعزف — ارتعشت له الظلم
وقد غنى — صباحا قبل .. فيم أعد ؟ طفلا كنت
ابتسم

لليلي أو نهاري * أثقلت أغصانه النشوى عيون الحور (١)

ففي هذه الأبيات استطاع الشاعر ان يوحي لنا بإشراق الشتاء في قريته "جيكور" كما استطاع ان يمنحنا غنائية شفافية • وتفاؤلا بالحياة من خلال طفولته المشرقة كل ذلك دون ان يذكر لون هذا الاشراق بصورة تقريرية مباشرة • بل ترك للقارئ حرية استنباط هذا اللون من خلال كلمة " النضاح " وارتعاشة الظلم والغصون المثقلة بعيون الحور •

أما صورته ذات التعبير المباشر على اللون والصوت والحركة معا فهي ما نجده في نفس قصيدته حين يقول :

وأرعدت السماء فرن قاع النهر وارتعشت ذرى السعف
وأشعلهن ومض "البرق" أزرق " ثم أخضر " ثم تنطفئ
وفتحت السماء لغيثها المدرار بابا بعد باب عاد منه النهر
يضحك وهو ممتلئ (٢)
تكلسله الفقائع • عاد " أخضر " عاد " أسمر " غض بالأنغام واللهف"

* * *

ولا شك أن هذا التلاحم والتداخل اللوني المعانق للموسيقى التصويرية وعطاءاتها قد زاد وعمق من اشعاعها اللوني حتى تفاعلت بروح الانسان العربي •

انها ليست مجرد كلمات ولكنها أنغام راقصة • وفراشات جميلة متنقلة بين أفنان الزهر •

هذا وقد يجمع الشاعر بين الصورتين معا • الصورة الحسية المفردة ذات اللون المباشر والصورة الايحائية المركبة ذات اللون الرمزي الشفاف من خلال الصورة ذاتها •

---

(١) السياب مجموعته الشعرية • ديوان "شناشيل ابنة الجلبي واقبال " ص ٥٩٧ وما بعدها •

(٢) نفس القصيدة السابقة ص ٥٩٨ •

وهذا ما نجده في قوله من خلال ذات القصيدة نفسها " شناشيل "

" وأبرقت السماء فلاح حيث تعرج النهـــر
وطاف معلقا من دون أس يلـــثم المـــاءا
شناشيل ابنة الجلبي " نور " حوله " الزهـــر " (١)
عقود ندى من اللبلاب تسطع منه " بيضـــاءا "
" وآسية " الجميلة " كحل " الأحداق منها " الوجد "
و " السهـــر "

فاللون الحسي المباشر يكمن في قوله " أبرقت السماء " وكذلك " الزهـــر " الذي أثار وأشرق حول نافذة " ابنة الجلبي " عندما اطلت منها على الشاعر ، مما جعل الحياة في عينيه عندما رآها • باسمة عطرة وكأنها عقود الندى الصافية على أغصان اللبلاب لكن تكحيل احداق " آسيـــة " ابنة الجلبي بالوجد والسهر صورة معنوية مركبة تحمل في احشائها العمق والتركيز واللون الأسود الجميل الكحلي في عيني العذراء •

ومن ضمن صوره المعنوية الموحية للقارئ باللون قوله في تلوين المطر •

يا مطرا من ذهـــب

فهو الى جانب وصفه للمطر بلون الذهب الأصفر لتساقطه من خلال شعـــاع الموس الا انه يحمل الى جانب ذلك تقديم الخير والعطاء والخصب والثراء كالذهب ان لم يكن أكثر لكن مما يزيد من ثراء هذه القصيدة وقيمتها ما تحمله من عبير الريف ورائحة الأرض وحياة فلاحيه البسطاء عندما يتحدث عن " الناطور " الذي يرتشـــف الشاي في كوخه قبل انطلاقه الى الحراسة وسط الليل •

أرجاها وخلاهـــا
الى الغد " أحمد الناطور " وهو يدير في الغرفـــة

---

(١) نفس القصيدة ص ٥٩٩ •

كؤوس الشاي " يلمس بندقيته" ويسعل ثم يعبر طرفة الشرفة
ويخترق الظـــلام[(١)]

كما تكمن عبقرية الشاعر كذلك في صياغته الفنية حيث استطاع ان يتحكم فـــي التفعيلات الطويلة في قصيدته بحيث زادت على أربع تفعيلات كما كان يظن بعض الشعراء السابقين ، والعودة بعد ذلك الى تفعيلات قليلة في الأسطر القصـــيرة، وبذلك فتح الشاعر باب العروض على مصراعيه ومعظم بحور الشعر العربي كلها أمام الشعر " الحر " .

كما أن من أهم خصائص صور السياب الشعرية أيضا صدقها في تصوير نفسيته ، بحيث يستطيع ان يلبسها الثوب الذي يتلاءم ونفسيته . فهو عندما يكون حزينـــا متألما يجعل (من صوره) الوانا قاتمة سوداء رغم مخالفتها للواقع . وذلك كتحويله الوان ملابس المرض البيضاء الى سوداء لأنها تتطابق ونفسه الجريحة النازفة فـــي أعماق ظلام المستشفى :

الغرفة موصدة البـــاب
والصمـــت عميـــــق
وستائر شباكـــي مرخـــاة
رب طريـــق
يتنصت لي ، يترصد بي خلف الشباك ، وأثوابـــــي
كمفزع بســـتان " ســـود" (٢)

وهكذا أعطانا الشاعر " التضاد " اللوني اذ جعل من لون ملابسه المرضيـــة "البيضاء" " سوداء فاحمة لأنها تتناسب ونفسيته المحترقة من شدة الألم لا مـــع واقعها الحقيقي كما استطاع الشاعر أيضا خلال مرضه ان يمزج بين ظلمة المـــوت وصفرة المرض معا حين خاطب أمه في قبرها صارخا :

---

(١) نفس القصيدة السابقة " شناشيل " ص ٥٩٨ .
(٢) المجموعة الشعرية للسياب — دار العودة بيروت سنة ١٩٧١ ص ٦٠٨ — ديوان شناشيل .

" أماه ... ليتك لم تغيبي خلف سور من حجار
لا باب فيه لكي أدق ، ولا نوافذ في الجدار
كيف انطلقت على طريق لا يعود السائرون
من " ظلمة " صفراء " فيه كأنها غسق البحار ".(١)

* * *

لكن عندما تشرق نفسية الشاعر نجد صوره زاهية مغردة جميلة وخاصة عندما يعود بذاكرته الى أيام طفولته وذكريات ماضيه التي يتطلع اليها دائما بلهفة وشوق فيقول مخاطبا أمه بكل حب وحنان :

وتركت لي " شفقا " من الزهرات جمعها اناء
كالأنجم " الزرقاء " و" الحمراء " في أفق به حلم الصغير
ارجعن لي عمر الطفولة يا محارا في غدير
تتقارع الأقداح فيه ، ترن أجراس كثار
" خوخ واعناب ورمان " وتمتلئ الجرار
عند الغروب ، هو الخريف ونحن نسمر حول نار ".(٢)

هكذا كان الشاعر يرى ملامح ذكرياته وماضيه وطفولته ، انها حبات من نخيل واعناب ورمان . كما لم ينس منظر ساعات السمر حول نار الشتاء وجرار الفلاحات وهن يملأنها من ماء بويب . انها ذكريات بلا شك تجعل من نفسية الشاعر مشرقة مضيئة ، فينعكس ذلك بالتالي على صور ماضيه السعيد ومن ألوان صوره الأخرى التي تمثل مرحلة كفاحه السياسي ما نجده في العديد من قصائده ، وخاصة " انشودة المطر " حين يؤمن بأن كل قطرة وكل دمعة من البائسين والعراة لا بد وأن تتحول يوما ما الى طوفان جارف ليقتلع الطغاة فنراه يقول :

---

(١) نفس المصدر السابق ص ٦١٦ .
(٢) المصدر السابق ص ٦٢١ ، ٦٢٢ .

في كل قطـــرة من المطــــــر
"حمراء" أو "صفراء" من أجنة الزهـــــر
وكل دمعة من الجياع والعــــراة
وكل قطـرة تراق من دم العبيـــــد
فهي ابتسام في انتظار مبسم جديد
أو حلمة تورد ت على فم الوليـــــد
في عالم الغد الفتى واهب الحيـــاة
ويهطل المطر(١)

فاللون الأحمر هنا مظهر للثورة النضالية المسلحة ضد الطغاة ، لأن الثـــورة غالبا ما تكون مصبوغة بدماء الشهداء في سبيل ارواء شجرة الحرية . كما ان اللـــون الأصفر قد يكون رمزا للوجوه الشاحبة الجائعة والعروق الخاوية من قطرات الدماء بعد ان سلبها المستعمر وعملاؤه قطرات الحياة ، وهكذا صور الشاعر لنا باللـــون مباشرة وبطريقة حسية مفردة ، ولكن عندما يقول "تورد ت" على فم الوليد ، فـان كلمة "تورد ت" حملت لنا معنى الاشراق والسعادة بطريقة معنوية مركبة وبصورة موحية ، وبذلك نجح الشاعر في جمع النوعين من الصور في اطار واحد .

" وهكذا يصبح اللون عند السياب لا يمثل مجرد زينة يمكن تبديلها أو الاستغناء عنها بل يدخل ضمن بناء القصيدة ، ليتشكل في نسيج خاص تتكامل وحدته ، وتتناغم من أداء فريد متميز بشخصية السياب الفنية ، وقيمه الجمالية المبدعة" .

لكن ما يؤخذ على الشاعر في هذا المجال الاكثار من الصور المتراكمة في ثنايـا شعره كالتشبيهات المتعددة سواء بالكاف "كقوله في " حفار القبور"
وسيوثقون بشعر أختى قبضتى ... و "كالظلام "
" وكخضة " الحمى . تسموها على دمها صـدور

---

(١) انشودة المطر ص ٤٧٧ .

تعلو وتهبط باللهاث "كأنهن" رحى تدور (١)

أو "بكأن" كقوله في ملحمته "المومس العمياء"

وكأن عارية الصدور

أوصال جندي قتيل كللوها بالزهور

وكأنها درج الى الشهوات تزحمه الثغور (٢)

وقوله : وكأن الحاظ البغاياء

أبرتسل بها خيوط من وشائع في الحنايا

* * *

وغير ذلك من التشبيهات المتلاحقة حتى أصبح كل بيت وسطر بمثابة صورة متلاحمة مع الأخرى .

ومن الاستعارات المتلاحقة قوله :

وطوى يعب من الدماء وسم أفعى في الدماء

وعيون زان يشتهيها ، كالجحيم يشع فيها

سخر وشوق واحتقار ، لاحقتها كالوباء

والمال يهمس اشتريك وأشتريك فيشتريها (٣)

وقوله في تصوير بائع الطيور في أحياء البغايا :

ويمر علاق يبيع الطير ، معطفه الطويل

حيران تصطفق الرياح بجانبيه ، وقبضتاه

تتراوحان : فللرداء يد وللعبء الثقيل

يد ، وأعناق الطيور مرنحات من خطاه (٤)

الا أن بعض صوره هذه قد تطول اطالة قد تؤدى الى تشتت المعنى من

---

(١) بدر السياب ، مجموعته الشعرية " انشودة المطر" ص ٥٥٢ .

(٢) نفس المصدر السابق ص ٥١٧ .

(٣) المجموعة الشعرية ص ٥٢٤ .

(٤) نفس المصدر السابق ص ٥١٨ .

ذهن المتلقى لما فيها من فصل بين ركنى الجملة الأساسيين كقوله فى " شناشيل ابنة الجلبى "

وتحت النخل حيث تظل تمطر كل ما سعفـــــه
تراقصت الفقائع وهـــــى تفجر ــ انه الرطــــب
تساقط فى يـد العذراء وهـى تهز فى لهفـــــة
بجذع النخلة الفرعاء (تاج وليدك الأنوار لا الذهب
سيصلب منه حب الآخرين سيبرئ الأعمـــــى
ويبعث من قـــرار القبر ميتا هـــــده التعـب
من السفر الطويل الى ظلام الموت ، يكسو عظمه اللحما
ويوقد قلبه الثلجى فهـــــو بحبه يثـــــب) (١)

فعلى الرغم من اجادة الشاعر فى تصوير فقاقيع المطر المتراقصة تحت أقــــدام النخيل وكأنها صورة الرطب المتساقط على السيدة " مريم " عليها السلام عندما جاءها المخاض تحت جذع النخلة حيث استغل الشاعر هذه الصورة من الآية الكريمة " وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا " (٢) متخذا من العلاقة الرابطة بـــين المطر والرطب جسرا قويا بينهما لأن كلا منهما مصدر للحياة ، فالمطر مصـــــدر الخصب والحياة للانسان الفلاح ، والرطب كان مصدر الحياة للسيدة العـــــذراء خلال عزلتها عند المخاض .

أقول على الرغم من هذه الاجادة الا ان ما يؤخذ على الشاعر فيها هو الاستطراد الطويل وطول الاعتراض بين طرفى الصورة التى وضعها بين قوسين اشارة الى السيـــد المسيح عليه السلام الذى كان تاجه نورا روحانيا لا ماديا فانيا ، ولا شك ان هذه الاطالة التى لا داعى له أدت الى اهتزاز الصورة فى ذهن المتلقى .

---

(١) نفس المصدر السابق من ديوان شناشيل ص ٥٩٨ .
(٢) القرآن الكريم " سورة مريم " الآية الكريمة ٣٦ .

لكن رغم هذه المآخذ البسيطة اعود لأقول مرة أخرى بأن الشعر العربي الحديث " سيبقى مشعا بألوان السياب " وسيطرز بها ظلاله وجبينه ، متعاملا مع دلالاتهـــا وموحياتها تعاملا فعالا جيلا بعد جيل " (١)

* * *

(١) انظر محمد الجزائري " ويكون التجاوز " وزارة الاعلام العراقية بغداد سنة ١٩٧٤ ص ٢٧٧ .

:: الأوزان والقوافي والموسيقى في شعره ::

لقد ذكرنا سابقا ان الشاعر " بدر السياب " كان ذا ثقافة عربية عميقة خاصة في بداية دراسته الجامعية ، حين نهل من كنوز الأدب العربي ودواوين الشعراء العرب الخالدين " أمثال كل من " أبي تمام " والمتنبي ، وأبي العلاء المعري ، والبحتري ، وابن الرومي ، وغيرهم من عمالقة الشعر والأدب " (١) ولذلك كان هذا الأثر الكلاسيكي واضحا في شعره بصورة قوية خاصة في بدايته الفنية ، وفي خلال مراحله الأولى الكلاسيكية منها والرومانسية فقد حافظ الشاعر على أوزان الشعر العربي القديمة حيث اتخذ من " البيت العمودي " وحدة موسيقية مستقلة بذاتها كغيره من رواد هذا الشعر ، وهذا مارأيناه في دواوينه الأولى ما عدا قصيدته الأولى " هل كان حبا " في " أزهار ذابلة " وبعض القصائد الأخرى المتناثرة في ديوانه " أساطير " والتي سار فيها على الطريقة الحديثة ونظام الشعر " الحر " ، ونظرا لخضوع الشاعر الى " وحدة البيت " العمودي سواء اتحدت قوافيه أو اختلفت كما في مقطوعاته الشعرية المسماة " بالموشحات " فقد كانت موسيقاه الخارجية هي الغالبة على شعره ، بالاضافة الى الرنين الموسيقي الحاد ونغم القافية ، وارتفاع النغمة الخطابية والغنائية ، وجزالة الألفاظ وقوة السبك (٢) .

وغير ذلك من خصائص الشعر العمودي ولهذا كان الشاعر خلال هذه المرحلة مقلدا اتباعيا أكثر منه خالقا مبدعا ، رغم بعض خصائصه اللفظية والتعبيرية التي حاول أن يزين بها شعره الرومانسي كاختيار الألفاظ والأساليب التي حاول صقلها كما ذكرنا سابقا .

---

(١) محمود العبطة " بدر السياب والحركة الشعرية الجديدة العراق ص ٨٢ .
(٢) د / جليل كمال الدين ، الشعر العربي وروح العصر ص ٢٩٨ .

ولكن عندما تجاوز الشاعر مراحله الأولى الى مرحلة الشعر " الحر " والتي كانت بدايتها قصيدته الأولى " هل كان حبا " بديوانه أزهار ذابلة ، عمد الشاعر الى ترتيب أوزانه الشعرية من جديد على الرغم من المحاولات التجديدية السابقة منذ ثورة " أبي نواس " حتى عصر السياب " ولم تكن هذه الثورة كما بينا مجرد ثورة عروضية شكلية بل كانت ثورة مضامين وعصر وحياة . " كما أنها لم تكن في الواقع الا بحثا عن اتساق ، الوحدة الموضوعية والفنية والموسيقية المتكاملة في قصيدته ، واذا كان تحرير الوزن من القافية يعني طرح القافية ، طرحا تاما في بعض المقاطع ، فان تحرير القافية من الوزن يعني عدم الالتزام بموضع معلوم ترد فيه ، وهذا ما أتاح للشاعر فرصة صياغة القصيدة في أشكال أكثر شمولا من " وحدة البيت " الشعرى التقليدى القديم (١) ، وليس معنى هذا ان الشاعر قد تنكر للتراث لأن المعروف ان بدرا كان حريصا على التراث والايمان به . وكانت بداية محاولات الشاعر التجديدية في الأوزان والقوافي والموسيقى . عندما فتح الطريق أمام الشعراء للنظم على طريق الشعر الحر ، وذلك باعادة تنظيم وترتيب أوزان هذا الشعر . باتخاذ " التفعيلة " وحدة موسيقية جديدة بدلا من الوحدة القديمة المتجسدة في " البيت العمودى " كله .

وبهذا تفتح الأبواب المغلقة أمام الشعر والشاعر الحديث معا نحو الابداع والخلق والابتكار ولم يتوقف " السياب " عند هذا التجديد فحسب بل تجاوزه الى المزج بين تفعيلتين مختلفتين أو بين وزنين مشطورين مختلفين في القصيدة الواحدة بحيث يختص كل مقطع منها " بتفعيلة " أو وزن مشطور . كما استطاع أن يتصرف في بحور الشعر العربي خاصة السريع والبسيط والخفيف والطويل والوافر ، تصرفا جزئيا ، وأكثر ما يظهر هذا المزج والتصرف في الأوزان والبحور في ديوانه " شناشيل ابنة الجلبي " الزاخر بمقدرته الشعرية وتحكمه ببحور الشعر ، البسيط ، والخفيف والطويل .

---

(١) د / شكرى عياد ، موسيقى الشعر العربي ، دار المعرفة ، القاهرة ط سنة ١٩٦٨ ص ١٠٦ .

كما أن أكثر ما تظهر براعته في المزج بين الأوزان والتفاعيل المشطورة وغير المشطورة ما نراه في ديوانه " انشودة المطر " حين أثبت ان أوزان الشعر ليست مقصورة في حدها الأقصى على أربع تفعيلات كما ذكرت " نازك الملائكة " من قبل في كتابها " قضايا الشعر المعاصر " بل أثبت أن في الأمكان ان يكون السطر الشعرى مكونا من " خمس تفعيلات ، كما في قصيدته " مرثية جيكور " بديوانه " انشودة المطر " حين قال :

أنت جيكور " كل جيكور " أحداق العذارى ، وباسلات الزنود (١)
والرؤوس ، التي حثا فوقهن الدهر ، مافي رحاه من تنكيد الخ

ومن السطور ذات التفعيلات " المتعددة أيضا قوله من قصيدته " الى جميلة بوحيرد " :

حيث التقى الانسان " والله " والأموات ، والاحياء في شهقة
في رعشة للضربة القاضية
الأرض أم الزهر ، والماء ، والأسماك ، والحيوان ، والسنبل
لم تبل في ارهاصها الأول (٢)

وهكذا نجح الشاعر ولأول مرة في تاريخ الشعر الحديث ، بين السطور ذات التفعيلات الطويلة والقصيرة ، مما أدى الى وقوع بعض الخلل في الوزن والموسيقى أحيانا في بقية شعره .

وهكذا استطاع الشاعر أن يخلق الموسيقى المتموجة في الشعر الحديث " الحر " داخل القصيدة وخارجها معا ، بعد أن تبين ان القصيدة الحديثة لم تعد مجرد أبيات متراكمة يربطها رابط القافية فقط بل هي بمثابة " بنية حية لا يمكن لها أن تستغنى عن الايقاع والنغم الشعرى الذى يجعل من وحدة التعبير بمضمونها وشكلها

---

(١) بدر السياب ، مجموعته الشعرية ، ديوان انشودة المطر ص ٤٥٣ .
(٢) نفس المصدر السابق ص ٣٧٩ .

قصيدة كاملة متمتعة بموسيقاها الداخلية والخارجية والنفسية معا ، سواء من حيث الأوزان أو الايقاع الموسيقى القائم على التكرار فى الكلمات والحروف الصوتية المتعاقبة حسب اللفظة الشعرية المستعملة فى ذلك التعبير " وذلك لان القصيدة الحديثة تعتمد أيضا فى حياتها على اطلاق حرية اللغة والتجاوز بها منطقة القيود الى مرحلة الانطلاق العام شريطة ان تكون ذات دلالة فنية وليست ضربا من العبث والفوضى ، أو مظهرا من مظاهر التقريرية والخطابية كما كان الامر فى الماضى [1] " .

ومن مظاهر تجديده فى الموسيقى الشعرية والبحور العروضية أيضا " ماقام به من تغيير للنظرية القائلة من قبل ان الشعر (الحر) لايمكن ان يسير الا فى ظلال البحور الصافية فقط ذات (التفعيلة الواحدة) والمكررة كالمتقارب ، والكامل ، والرجز ، والرمل ، والهزج ، والمتدارك وغيره ، وبقى الامر كذلك حتى جاء السياب ليقلب هذه النظرية رأسا على عقب ويثبت أن الشعر الحر ليس مقصورا على البحور الصافية بل ويشمل البحور الأخرى التى هى غير صافية كالطويل ، والوافر ، والمنسرح وغيرها ، بل وليشمل جميع بحور الشعر دون استثناء مثله كمثل الشعر العمودى القديم [2] " . ولكن بشرط واحد وهو " الاعتناء الكامل بتكرار الوحدة الأساسية فى البحر " وهذه الوحدة الأساسية قد تتكون من " تفعيلة " واحدة أو من تفعيلتين كما فى البسيط والطويل ، أما فى مجال " القوافى " فقد اهتم السياب بها كثيرا فى شعره بل فهى ركن أساسى لاغنى عنها لما فيها من ايقاع موسيقى يغذى شعره بالنبض والحياة ولم يتخل يوما عنها قط ، غير انها قد تأتى متتالية أو متواترة ، تتقارب حينا ، وتتباعد حينا آخر ، وساكنة تارة ومتحركة تارة أخرى ، لكنه رغم هذا كله نراه أحرص مايكون خلال تنويعها على شيئين هامين رئيسين هما :—

---

(١) الشعر والفكر المعاصر - منشورات وزارة الاعلام العراقية - بغداد سنة ٧٤ - ص ١٧

(٢) مجلة شعر ، بيروت سنة ١٩٥٧ — ص ١٨٢ .

(٣) مجلة الأداب ، بيروت سنة ١٩٥٤ — حزيران ص ٨٩ .

١ ـ أن يكون للقافية وقع موسيقى معين فى القصيدة .

٢ ـ أن تكون مستقرة وجزءا عضويا مما قبلها أو بعدها .

ومثال ذلك مانراه فى بعض قصائده على سبيل المثال لا الحصر حين يقول :

على جواد الحلم الأشهب
أسريت عبر التلال
أهرب منها ، من ذراها الطوال
من سوقها المكتظ بالبائعين
من صبحها المتعب
من ليلها النابح والدابرين
من نورها الغيهب

ومن قوافيه المتقاربة قوله :

دم فيها فساها
لنأخذ منه معناها
لأعرف أنها أرضى
لأعرف أنها بعضى
لأعرف أنها ماضى ، لا أحياه لولاها
وأنى ميت لولاه ، أمشى بين موتاها (١)

ومما يلفت النظر حقا فى قوافيه الشعرية خاصة بديوانه " شناشيل " والمعبد الغريق نجد أن العديد فى قصائده " الحرة " فيها مجردة من القافية الموحدة ، والقافية المنظمة بأعداد حسابية ماعدا قصيدة واحدة فى ديوانه " المعبد الغريق " وهى المسماة " بالمعبد الغريق " التى جاءت مقاطعها مقفاة بطريقة خماسية ،

---

(١) المجموعة الشعرية ، أنشودة المطر ص ٤٠١ .

اتفقت فيها قافية السطر الأول مع السطر الثالث وقافية السطر الثانى مع قافية السطر الرابع والخامس معا ، كما التزم الشاعر ان تكون قافية السطر الثانى " هى نفس كلمة القافية فى السطر الخامس " ومثال ذلك قوله :

خيول الريح تصهل ، والمرافىء يلمس الغرب
صواريها بشمس من دم ، ونوافذ الحانه
ترافص من وراء خصاصها سرج ، وجمع نفسه الشرب
بخيط من خيوط الخوف مشدودا الى قنينة ويمد آذانه
الى المتلاطم الهدار عند نوافذ الحانة (١)

أما بالنسبة للايقاع فى شعره فقد يبدو ضعيفا فى بعض الاحيان بشعره العمودى خاصة عندما يحاول تقليد " أبى تمام " كما بينا فى ملحمته " بور سعيد " أما شعره " الحر " فيمتاز بروعة الايقاع وتدفق النغم الشاعرى وذلك لما يمتاز به من مزايا فنية متعددة اهمها استعمال تكرار بعض الحروف مما يزيد فى موسيقة القصيدة ومنحها روحا شفافية معبرة ، كقوله مثلا فى قصيدته " شناشيل ابنة الجلبى " :

وأرعدت السماء ، فرن قاع النهر وارتعشت ذرا السعف .. الخ (٢)

فقد زاد تكرار حرف " الراء " فى القصيدة من حدة الجرس الموسيقى المناسب مع تدفق الماء وسعف النخيل .

كما يعتمد فى ايقاعه الشعرى أيضا على تكرار الكلمة الفنية المعبرة كقوله :

مثلما تطفىء الريح ضوء الشموع
الشموع ، الشموع

وكقوله أيضا فى تكرار كلمة (مطر ، مطر ، مطر) ومنه ايضا تكرار كلمة

---

(١) المجموعة الشعرية ، ديوان المعبد الغريق ص ١٧٦
(٢) المجموعة ، ديوان شناشيل ص ٥٩٧ .

" خليج " حين يصرخ متألما من قسوة الاغتراب والضياع عن وطنه على ساحل الكويت خلال منفاه :

أصيح في الخليج " يا خليج "
ياواهب اللؤلؤ والمحار والردى
فيرجع الصدى
كأنه النشيج
ياخليج
يا واهب المحار والردى (١)

وهكذا نجد الشاعر السياب قد استطاع ان يشق الطريق أمام معاصريه بعد أن فتح أمامهم بحور الشعر كلها أمام شعرهم الحديث ، وأن يمنح الشعر الموسيقى التصويرية والتعبيرية ، كما منح الموسيقى الداخلية والايقاع الشعرى التلاحم والترابط بينها وبين الألفاظ والصور والعاطفة والخيال المبدع ، سواء في صعودها أو في هبوطها الحزين مما جعل من شعره وموسيقاه انشودة للحياة والشعراء على مر الاجيال بعد ان يسر للشعراء ان يتخطوا القيم التقليدية التي توحي بالثبات والجمود فيما تلقوه من تراث أدبي وثقافي بل منازل حياة جديدة (٢) .

---

(١) المجموعة للسياب ديوان انشودة المطر ص ٣١٨
(٢) د . عيسى بلاطة بدر السياب ص ١٧٨ .

"الباب الرابع"

الشاعر في الميزان

الفصل الأول : بدر السياب بين دارسيه .

أ - الدراسات المستقلة لكل من :

١ - محمود العبطة .

٢ - خالص عزمي .

٣ - عبد الجبار البصري .

٤ - د . سيمون جارجي .

٥ - د . محمد التونجي .

٦ - د . احسان عباس .

٧ - اللجمي .

٨ - خليل الحاوي .

٩ - د . عيسى بلاطة .

١٠ - عبد الجبار عباس .

ب - الدراسات العامة لكل من :

١ - د . جليل كمال الدين .

٢ - د . ابراهيم السامرائي .

٣ - جبرا ابراهيم جبرا .

٤ - محي الدين اسماعيل .

٥ - اسعد مرزوق .

٦ - أحمد أبو سعد .

٧ - د . جلال الخياط .

٨ - محمد الجزائري .

ج - مقالات تناولت الشاعر في الصحف والمجلات .

* * * * * *

:: الباب الرابع ::
((الشاعر في الميزان))

الفصل الاول
بدر شاكر السياب بين دارسيه

لست مبالغا اذا قلت ان الشاعر " بدر شاكر السياب " قد استطاع خلال حياته القصيرة وبعد موته أن يستثير النقاد المحدثين وأن يشغل نفوس الباحثين في عصرنا الحاضر وذلك نظرا لمكانته الادبية ومنزلته الادبية .

ومما يؤكد لنا هذا الاهتمام بدراسة وتحليل انتاج هذا الشاعر " مانراه من مصادر ومراجع متعددة تملأ المكتبات العربية وغيرها بالاضافة الى العديد من الصحف والمجلات الادبية المختلفة التي تزين صدور مكتباتنا في الوطن العربي بل وفي خارجه (1) . كما يؤكد لنا هذا الاهتمام أيضا وجود العديد من الرسائل الجامعية التي قدمها بعض الباحثين الى جامعات العالم العربي والاوربي مما منها رسالة ماجستير للباحث اليوغسلافي " بوبو فتش " بجامعة بلغراد بعنوان " التشاؤم الفردي والاجتماعي " في شعر " السياب " ورسالة دكتوراه للباحث الفلسطيني "عيسى بلاطه " بجامعة لندان بعنوان " بدر شاكر السياب " حياته وشعره سنة ١٩٧١ ورسالة الباحثة السورية " منيفة اللجمي " وغير ذلك من الرسائل الجامعية الاخرى التي تناولت دراسة حياة الشاعر السياب وشعره سواء بصورة مستقلة أم بصورة عامة مع غيره من الشعراء المحدثين مثل رسالة الباحث السوداني د / يوسف عوض بعنوان " رواد الشعر الحر " مكتبة الامل بالكويت سنة ١٩٧٠ ونحن اذا اردنا أن نحصر أهم هذه الدراسات التي تناولت حياة وشعر " بدر السياب " فاننا

---

(1) انظر مراجع ومصادر البحث في الفهرس .

نستطيع حصرها في مجموعتين رئيستين هما :

١ — الدراسات المستقلة :

وهي التي تناولت دراسة حياة وشعر الشاعر " بدر السياب " بالنقد والتحليل وحده فقط سواء كانت على شكل كتب وبحوث جامعية أم على شكل كتيبات صغيرة .

٢ — الدراسات العامة :

وهي التي تناول فيها مؤلفوها " حياة وشعر الشاعر " في فصل من فصولها ضمن من تناولتهم من الشعراء الاخرين ، تنقسم هذه الدراسات العامة الى قسمين :

أ — الكتب ذات الفصول المتعددة ، التي يتضمن كل فصل منها حياة احد الشعراء المعاصرين للشاعر بدر السياب .

ب — المقالات الأدبية المتناثرة على صفحات الصحف والمجلات الادبية المختلفة وسنذكر بعض النماذج لكل نوع منها لاعطاء صورة واضحة للقارئ العربي ، وقد سبق لحسن توفيق في مقاله " بمجلة المجلة " ص ٥٧ أن يقسم الدراسات التي تناولت حياة السياب وتراثه الشعري الى مجموعتين هما : (١)

أ — الدراسات العامة .

ب — الدراسات المستقلة .

مع اعطاء لمحة عابرة عن دور المجلات الأدبية دون أن يقدم نموذجا واحدا لها وذلك حين قال : تنقسم الدراسات التي تناولت بالنقد والتحليل بدر شاكر السياب — حياته وشعره الى مجموعتين اولاهما : تتمثل في تلك الدراسات العامة التي تناولت بدر شاكر السياب ضمن من تناولتهم من الشعراء الاخرين .

---

(١) انظر السياب بين دراسيه — مجلة المجلة القاهرة سنة ١٩٦٥ ، ص ٥٧ وما بعدها .

ثانيتهما : هى التى تتمثل فى تلك الدراسات المستقلة التى أفردها أصحابها لتناول بدر شاكر السياب وحده بالنقد والتحليل (١) وعندما جاء دور المقالات والبحوث الادبية فى الصحف والمجلات الأدبية قال " والى جانب هذه الدراسات نجد ان المجلات الادبية العربية قد خصصت مقالات عديدة عن السياب بعد وفاته ، تتفاوت فيما بينها من ناحية التعمق فى البحث أو التسرع والارتجال (٢) " وكان هذا المرور العابر السريع على دور المقالات والمجلات الأدبية قد ترك ثغرة واسعة فى نحيه كما أنه قصر هذه المقالات على ماكتب عن الشاعر خطأ لان العديد منها كان قد نشر فى حياته أيضا سواء فى مجلة الاداب البيروتية أم مجلة " شعر " " حوار " " كل شئ " وغيرها من المجلات العربية الاخرى ، وان كانت هذه المقالات قد بدأت تزداد خلال مرضه وبعد موته •

والان بعد ان استعرضنا هذه المجموعات الدراسية نعود للحديث عن كل نوع منها بالتفصيل لبيان أراء ومواقف دارسيها من الشاعر وتراثه الادبى وتعليقنا الخاص حول هذه الاراء والمواقف التى كان يغلب على بعضها روح الحقيقة الموضوعية حينا أو روح التعصب الحزبى الممقوت حينا آخر أو روح المحاباة والتحيز فى بعض الاحيان لهذا رأينا أن نعيد النظر من جديد فى هذه الدراسات لايضاح الحقائق •

١ — الدراسات المستقلة :

حصر حسن توفيق الدراسات المستقلة فى سبع دراسات فقط حين قال " نستطيع أن نحصر الدراسات المستقلة التى أفردها أصحابها لتناول حياة بدر شاكر السياب ونقد شعره فى سبع دراسات •

أولاها : تلك الدراسة التى اصدرها محمود العبطة المحامى عام ١٩٦٥

(١) مجلة المجلة — القاهرة — سنة ١٩٦٥ ص ٥٧ •
(٢) نفس المصدر السابق ص ٥٩ •

بعنوان " بدر شاكر السياب " والحركة الشعرية الجديدة في العراق ، وفي عام ١٩٦٦ صدرت دراستان احدهما للاستاذ عبد الجبار داود البصري بعنوان " بدر شاكر السياب " " رائد الشعر الحر " والثانية " بدر شاكر السياب " " الرجل الشاعر " للدكتور سيمون جارجي أما الدراسة الرابعة فهي عن " بدر شاكر السياب والمذاهب الشعرية المعاصرة " اصدرها الدكتور محمد التونجي عام ١٩٦٨ والدراسة الخامسة هي دراسة الدكتور احسان عباس التي اصدرها منذ اشهر قلائل عام ١٩٦٩ بعنوان بدر شاكر السياب " دراسة في حياته وشعره " تبقى بعد ذلك دراستان اولاهما للباحثة السورية " منيفة اللجمي " الثانية دراسة مخطوطة اعدها الناقد العراقي الشاب عبد الجبار عباس بعنوان " السياب " .

ان الدراسات الخاصة التي تناولت حياة وشعر السياب بصورة خاصة جدا واهم هذه الدراسات هي :

١ — " بدر شاكر السياب والحركة الشعرية الجديدة في العراق " مطبعة المعارف بغداد سنة ١٩٦٥ للاديب العراقي محمود العبطة المحامي .

٢ — " بدر شاكر السياب — حياته وشعره " وهو كتيب صغير لمحمود العبطة أيضا .

٣ — " صفحات مطوية من حياة السياب " للاديب العراقي " خالص عزمي " وهو بمثابة كتيب صغير يدور حول حياة الشاعر ومواقفه النقدية من الشعر العربي خلال ندوة أدبية أقامتها مجلة الاسبوع العربي العراقية شارك فيها الشاعر " بدر السياب " سنة ١٩٥٢ .

٤ — " بدر شاكر السياب — الرجل الشاعر " سنة ١٩٦٦ للدكتور سيمون جارجي .

٥ — " بدر شاكر السياب رائد الشعر الحر " سنة ١٩٦٦ بغداد للاديب العراقي عبد الجبار داود البصري .

٦ — " بدر شاكر السياب والمذاهب الشعرية المعاصرة " سنة ١٩٦٨ منشورات دار الانوار بيروت للدكتور / محمد التونجي .

٧ - " بدر شاكر السياب - دراسة في حياته وشعره " سنة ١٩٦٩ - دار الثقافة بيروت للدكتور / احسان عباس .

٨ - رسالة ماجستير للباحثة السورية منيفة اللجمي بعنوان بدر شاكر السياب سنة ١٩٧٠ .

٩ - رسالة ماجستير للباحث اليوغسلافي " بوبو فتش " " جامعة بغداد " سنة ١٩٦٩ عن السياب " التشاؤم الفردي والاجتماعي في شعر السياب " .

١٠ - رسالة دكتوراه للاديب الفلسطيني " عيسى بلاطة " من جامعة لندن سنة ١٩٧١ بعنوان " بدر شاكر السياب - حياته وشعره " .

١١ - السياب للناقد العراقي عبد الجبار عباس .

١٢ - بدر شاكر السياب - شاعر الاناشيد والمراثي - لخليل الحاوي .

هذه هي الدراسات الخاصة التي تناولت حياة وتراث الشاعر بالنقد والتحليل بالاضافة الى بعض الكتيبات الاخرى الصغيرة التي تناول فيها مؤلفوها بعض جوانب حياة الشاعر أو اجزاء من تجاربه الشعرية المتعددة لا سيما تجربة الحب والمرأة او تجربة المرض والموت عند الشاعر .

١ - دراسات العيطة المحامي :

تقع الدراسة الاولى لهذا الكاتب في ١١٩ صفحة لكنها على الرغم من صغر حجمها زاخرة وغنية بالمعرفة عن حياة الشاعر وتراثه نظرا لما كان بين الكاتب والشاعر من صداقة وصلات عميقة ساعدته على كشف العديد من جوانب حياته وتراثه الأدبي (١) وقد قسمها الى ثلاثة فصول رئيسية كان أولها فصل بعنوان " في الطريق " من ص ٣ - ص ١٨ تحدث فيه الكاتب من خلال الفصل الاول هذا عن انطباعاته الشخصية ومحاولة التعرف على الشاعر " بدر شاكر السياب " خلال

---

(١) انظر الكتاب العيطة بدر شاكر السياب والحركة الشعرية الجديدة في العراق مطبعة المعارف - بغداد - ١٩٦٥ .

احدى الندوات الادبية فى بغداد سنة ١٩٤٣ عندما كان الشاعر طالبا بالسنة الاولى بدار المعلمين العالية •

وفى الفصل الثانى وهو بعنوان الحركة الشعرية الجديدة فى العراق من ص ١٩ — ص٦٨ تناول فيه المؤلف الأسس النظرية لحركة الشعر الحر ،كما تناول ريادة السياب لهذا الشعر وجعله الرائد الاول له ، ليست نازك الملائكة بعد أن وازن بين قصيدتيهما " هل كان حبا " للسياب وقصيدة " الكوليرا " لنازك ، كما ذكر أيضا أن الشاعر بدر قد نشر خمس قصائد أخرى من الشعر الحر قبل صدور قصيدة "نازك " وهذا ما يؤكد أسبقية " السياب " وأحقيته بالريادة " للشعر الحر[1] •

وقد أيد حسن توفيق هذا الرأى كما أيدته أنا سابقا وذلك حين قال الواقع انه يعنينى هنا أن أؤكد بصورة موضوعية من واقع قصيدتى السياب ونازك — أن السياب هو الرائد الاول لحركة الشعر الحر ، وأن قصيدة نازك " الكوليرا " ليست فى الشعر الحر على خلاف الوهم الشائع — فهذه القصيدة ملتزمة بشكل معين يتكرر بصورة ثابتة فى مقطوعاتها •

ولقد سبق أن بينت بأن السياب استطاع أن ينتزع ريادة هذا الشعر الحديث " الحر " بعد أن سبق " نازكا " زمنيا حين نظم قصيدته الاولى " هل كان حبا " سنة ١٩٤٦ رغم تأخر نشرها عن قصيدة نازك الاولى " الكوليرا " سنة ١٩٤٧ ، وثانيا لانه لم يقتصر على التجديد فى الشكل فقطوانما تعدى ذلك الى تجديد المضمون بحيث تصبح القصيدة العربية مرتبطة بقضايا الانسان العربى وهمومه والامه وتطلعاته معا وثالثا لانه استطاع أن يضع الاسس المنهجية للشعر الحر كما استطاع أن يجعل جميع بحور الشعر مفتوحة على مصراعيها أمام الشعر الحر سواء كانت صافية أم غير صافية ، هذا خلاف اعتقاد الشعراء الاخرين الذين كانوا يظنون أن الشعر الحر مقصور فقط على بضعة بحور صافية فقط — وهى البحور التى تتكرر تفعيلاتها بصورة واحدة كالرجز والرمل ، والسريع وغيرها كما استطاع ايضا أن يصب شعره

---

(١) نفس المصدر السابق ص ٣٥ ، مجلة المجلة — القاهرة — سنة ١٩٦٢ ص٦٠ •

فى قوالب متعددة منها الغنائى والقصصى والملحمى وبذلك كله استحق السياب أن يكون الرائد الأول للشعر " الحر" .

أما فى الفصل الثالث والأخير من هذه الدراسة " بدر شاكر السياب " فيشمل حياة الشاعر ، بدر الشاعر (شعره) افرده الكاتب للحديث عن حياة السياب مع رصد انتاجه المطبوع والمخطوط ، ثم شاعرية السياب ومواقفه النقدية التى سبق له أن أدلى بها فى مقابلاته الصحفية ومحاضراته الأدبية مع ذكر بعض النماذج فى شعر السياب مثل قصائده ـ حفار القبور ، والمومس العمياء ـ الأسلحة والاطفال ـ النهر والموت وبيان اسباب لجوء الشاعر السياب لاستعمال الاسطورة فى شعره حين قال " وقد أكثر السياب من استعمال الاسطورة " وهذا ما يؤخذ عليه اذ يصعب على القارئ ـ أحيانا معرفة مغزى الاسطورة ومن ثم فهى تضفى على المقطع الشعرى الذى تأتى فيه جوا من الجفاف ولكن مع هذا فالسياب لا يأتى بالاسطورة جزافا ـ بل تأتى هى له ليضعها فى مكانها اللائق بها " (١) ولقد سبق أن ذكرنا أن الأسطورة لدى السياب لم تحشر حشرا عنده الا فى قصيدتين فقط هما " مرثية الالهة" ومن رؤيا فوكاى " مما اثقل على كاهل قصيدته ، وأدى الى جفاف وتصنع التجربة الشعرية عنده فيهما أما فيما عدا ذلك فقد كانت الاسطورة والرمز من أهم الروافد التى أغنت تجربته الشعرية بالصدق والخصب والعطاء لما فيهما من اشعاع حضارى وتحول كامل لاتساع صوره وتجاربه وثقافته العريضة كما تناول الكاتب ايضا خلال هذا الفصل بعض القضايا الهامة فى شعر السياب مثل قضية الغموض والابهام أحيانا والاستغراق وكثرة الرموز البابلية والاشورية والاغريقية والتضمين من الفولكلور الشعبى العراقى " (٢) وغير ذلك من قضايا الشعر " الحر" ولقد سبق أن ذكرنا أن الغموض فى الشعر الحر قد يكون ضارا اذا كان الشاعر متكلفا متصنعا ولكنه فى الوقت نفسه يكون ضروريا اذا كان نابعا من ايمان الشاعر وصدق تجربته وذلك

---

(١) الضبطه ـ المصدر السابق ص ١١٠ .
(٢) نفس المصدر السابق ـ الضبطة ص ١١٢ ـ ١١٣ .

لما فيه من اثراء للفكر وتعميق للتجربة في ذهن المتلقى ولما فيه تجميع لاثار الحضارة لان ما يفهم بسرعة ينجز بسرعة أيضا فالغموض الطبيعي يغذى العقل والعاطفة معا ويخلق الوعى والتفكير السليم لدى القارئ العربي اما بالنسبة لاكثاره من الرموز الاجنبية كاليونانية والبابلية والاشورية وغيرها فهذا ليس عيبا على الشاعر وذلك لامرين هما :

١ — أن الشعر الحر بمثابة عصارة للحضارات الانسانية كلها ولما كانت الحضارة ليست ملكا لامة واحدة ولا لشعب واحد من الشعوب بمفرده ، كان من الواجب أن يطلع الانسان المعاصر على مختلف الحضارات كلها لما في ذلك الاطلاع من توسيع للثقافة واغناء للتجارب الانسانية وذلك بشرط الحفاظ على الهوية القومية للشاعر ، وقد بقى السياب محافظا على شخصيته وهويته العربية الاصيلة .

٢ — أن الشاعر لم يهمل اساطيره ورموزه العربية بل على العكس استخدم منها العديد من الصور والرموز ، ولقلتها في تراثنا العربي اضطر ليكمل بناءه من الرموز والاساطير الأجنبية ما دامت لا تتعارض مع الدين أو المفاهيم العربية المعاصرة وعلى الرغم من هذا كله فان هذه الدراسة تعتبر بلا شك من الدراسات الهامة التي تكشف جوانب حياة الشاعر وتنير اعماق شخصيته نظرا للصداقة المتينة والمعرفة العميقة التي تربط بين الكاتب من جهة وبين الشاعر " السياب " من ناحية اخرى وهي صداقة ومعرفة امتدت أكثر من عشرين عاما تقريبا .

٢ — أما بالنسبة للدراسة الثانية التي اصدرها المؤلف " العبطة " عن السياب والتي كانت بعنوان " بدر شاكر السياب " أضواء على حياته وشعره " فهي كتيب صغير لا يتجاوز عدة صفحات قليلة تعد على الاصابع — حيث تناول فيها الشاعر من حيث ولادته وبيئته الاجتماعية والثقافية في " أبي الخصيب " كما تحدث عن شاعريته بصورة موجزة واخيرا تنتهي بقصيدة للشاعر العربي " مختار الوكيل "(١) الذى تحدث

---

(١) انظر السياب حياته وشعره — العبطة سنة ١٩٦٦ ص ٢٨ .

فيها عن زيارته لمنزل اسرة السياب في جيكور خلال حضوره المهرجان الأدبي الكبير الذي اقيم بمناسبة وفاة الشاعر في مدينة البصرة سنة ١٩٦٩ ، وبذلك تعطي هذه الدراسة لمحات سريعة عن حياة الشاعر وبيئته وبعض معاصريه ، ولكنها ليست في مستوى الدراسة الأولى من حيث المضامين والتحليل والنقد .

٣ — أما الدراسة الثالثة " صفحات مطوية من حياة السياب " للأستاذ العراقي خالص عزمي فهي كتيب صغير الحجم ، تناول فيها الكاتب أولا بعض جوانب حياة السياب بصورة سريعة ، ثم انتقل للحديث عن كيفية دعوته لحضور احدى الندوات الأدبية التي كانت تقيمها مجلة الاسبوع العربي ببغداد ثم آراء السياب النقدية حول قضايا الشعر العربي كالأوزان والموسيقى والخيال والعاطفة والأسلوب وغير ذلك من القضايا الأدبية ، وقد بين فيها حرص الشاعر على ضرورة توافر الوزن والقافية في الشعر والتمثل بالخيال حتى في الشعر العربي القديم وقد دافع السياب عن الشعر العمودي ضد معارضيه في الندوة دفاعا مجيدا وأثبت أن الشعر الحر ليس انفصالا عن القديم بل هو امتداد له و بعد ذلك انتقل الكاتب للحديث عن المسرحية النثرية التي ترجمها السياب بعنوان الشاعر الكولونيل والمخترع " الترتيب أفكار كل واحد منهم في هذه الحياة ومدى تأثر كل منهم بثقافته وبيئته وتربيته الخاصة ، فالشاعر ينظر للحياة من زاوية الخيال والمخترع من منظار العلم والتجارب والكولونيل بمنظاره العسكري الصارم (١) وبهذا قدمت لنا هذه الدراسة لمحات عن حياة الشاعر أولا وايمانه بالشعر العربي القديم الى جانب الشعر " الحر " ثانيا ومدى عبقرية السياب في المجال المسرحي والترجمة ثالثا .

٤ — أما الدراسة الرابعة " بدر شاكر السياب " رائد الشعر الحر " للاستاذ عبد الجبار البصري فقد اشتملت على العديد من ذكريات حياة الشاعر منذ أن كان طالبا بالمرحلة الثانوية والجامعية — كما كشف لنا مدى علاقته مع المرأة — واشواقه

---

(١) خالص عزمي — صفحات مطوية من حياة السياب وزارة الاعلام العراقية بغداد سنة ١٩٧٤ .

وحنينه للقائها تحت غابات النخيل فى " جيكور" ،ثم غراميات الشاعر المتكررة فى دار المعلمين العالية ببغداد " مثل ذات المنديل الأحمر ، الاقحوانة ذات الغمازين والشاعرة " لميعة عمارة " وغيرهن .

وفى الفصل الثانى تناول الكاتب أسلوب الشاعر وبناء القصيدة الشعرية عنده مبتدءا بمقدمة عن تطور بناء القصيدة العربية منذ العصر الجاهلى حتى عصر الشاعر " السياب " . كما تناول عند الحديث عن أسلوب السياب " العديد من قضاياه الشكلية – لغته الشعرية – الالفاظ التى تكثر فى شعر السياب" كالنخيل" والاساطير والرموز والفولكلور الشعبى ولكن دون أن يقدم نماذج كافية لتوضيح هذه الصور أمام القارئ كما هاجم الاسطورة عند الشاعر عندما قال انها ليست فى الفولكلور العراقى ولا العربى ولكنها فولكلور مستورد وقد حكم عليها كثير من النقاد بالفشل[1] ثم ينتقل الشاعر الى تعريف الشعر الحر" تعريفا مطلقا غير محدد كقوله الشعر الحر هو الذى نظمه السياب فى دواوينه " أساطير ، انشودة المطر والمعبد الفريق[2] وهذا التعريف بلا شك بعيد عن الدقة والوضوح والتحديد العلمى . وفى الفصل الثالث من هذه الدراسة ينتقل الكاتب الى دراسة " المحتوى" والمضمون بالاضافة الى دراسة الشخصيات الواقعية التى تناولها الشاعر من واقع المجتمع العراقى مثل شخصية الحفار ، المومس العمياء ، والمخبز ، المغنية العجوز ، وبائع الطيور " وفى المومس العمياء ، الناطور وغيرهم موازنا بينهما وبين شخصيات القصص الكبير " نجيب محفوظ " حين قال : ان شخوص السياب لا تقل روعة عن شخوص نجيب محفوظ فى خان الخليلى وزقاق المدق والثلاثية وغيرها . كما أن شخوص السياب ترتفع الى مستوى فيجارو – دون كيشوت – هملت – فاوست ، وغيرهم من النماذج التى عرفنا بها الناقد محمد مندور[3] .

---

(١) عبد الجبار البصرى – بدر شاكر السياب رائد الشعر الحر ص ٤٤ .
(٢) نفس المصدر السابق ص ٤٩ .
(٣) نفس المصدر السابق ص ٦١ .

وأخيرا ينتقل الكاتب من جديد ليتناول مقالات السياب وقصصه وترجماته التي سبق وأن نشرها في بعض الصحف العراقية _ غير ان ما يؤخذ على الكاتب هو عدم قدرته على وضع الحدود الفاصلة لبعض الاراء المتعلقة بريادة الشاعر السياب " للشعر الحر " ولم يعتمد على أدلة وبراهين كافية لاقناع القارئ بوجهة نظره ورأيه الشخصي وانما اكتفى بقوله ان السياب يعتبر الرائد الاول للشعر الحر ومقرر اصوله ونظرياته مما ترك القارئ في متاهات واسعة دون أن يترك له علامات على الطريق لكن هذا لا يمنعنا أن نقول ان هذه الدراسة قد ألقت بعض الاضواء على دراسة حياة الشاعر وتطور أسلوبه الشعرى وما اضفاه السياب على بناء القصيدة العربية بعد أن _ اخترقت العديد من المراحل منذ العصر الجاهلي حتى عصر السياب • فكانت لذلك مصباحا ساعد على كشف الطريق الى حد ما امام الباحثين والدارسين على السواء •

٥ _ أما الدراسة الخامسة من الدراسات الخاصة بالشاعر السياب " بدر شاكر السياب " الرجل الشاعر سنة ١٩٦٦ والتي اصدرها سيمون جارجي عن منشورات اضواء فهي دراسة حيه من معاصرى الشاعر بمناسبة مرور عامين على وفاته ولم تكن دراسة شاملة ولقد اشار الكاتب نفسه الى هذه الملاحظة حين قال " ليس هذا الكتاب دراسة شاملة بالمعنى العلمي عند بدر شاكر السياب بقدر ما هو مجموعة شهادات حيه من معاصريه لمناسبة مرور عامين على غروب الشاعر العراقي الكبير تكريما لذاكره وتوضيحا لبعض القضايا التي اثيرت حول الشاعر الرجل (١)" وقد تحدث فيه الكاتب عن انتماء الشاعر السياسي وانتقل بعد ذلك الى مجموعة من المقالات التي كتبها بعض النقاد المحدثين أمثال كل من " يوسف الخال " وصلاح عبد الصبور واحمد بهجت • أنسى الحاج • وألبير أديب • سميرة عزام • غيرهم وكلها تلقى بعض الاضواء على حياة السياب وتراثه الشعرى ولكن مما يعاب على هذه الدراسة بروز الروح الغربية على اسلوب الشاعر • عدم ايمانه المطلق بالالتزام في الشعر • حين يقول " فلن يقدر للشعر

---

(١) د / سيمون جارجي • بدر شاكر السياب الرجل الشاعر _ منشورات اضواء سنة ١٩٦٦ ملحوظات اخر الكتاب •

العراقى الحديث الازدهار الا اذا تخلى نهائيا عن الالتزام[1] " كما يعاب عليه ايضا عدم رجوعه للمقالات الادبية هذه فى مصادرها ومراجعها وانما نقلها دون أن يشير الى ذلك مما لا يتفق والامانة العلمية — ثم ينتقل الكاتب فى دراسته هذه الى الحديث عن بعض مختارات السياب " الشعرية " بالاضافة الى محاضرة السياب عن الالتزام واللالتزام فى الادب العربى الحديث والتى سبق للشاعر أن القاها فى مؤتمر الادباء العرب المنعقد فى روما سنة ١٩٦١ ذلك المؤتمر الذى شاركت فيه المنظمة العالمية لحرية الثقافة وبعد ذلك ينتقل الكاتب الى تناول بعض الرسائل المخطوطة التى كان السياب قد وجهها اليه من قبل .

وتتضمن وصف رحلات السياب المرضية فى مستشفيات باريس ولندن وغيرهما من العواصم الاوربية ، وتعتبر هذه الرسائل من اهم ما تضمنته هذه الدراسة نظرا لما فيها من اضواء على حياة الشاعر خلال بداية مرضه كما تصور علاقته ببعض الشاعرات اللواتى هام بهن حبا حتى ولو كان هذا الحب من طرف الشاعر فقط .

٦ — اما الدراسة السادسة وهى بدر شاكر السياب والمذاهب الشعرية المعاصرة سنة ١٩٦٨ للدكتور محمد التونجى — فهى لم تتضمن اشياء جديدة عن حياة وشعر السياب حيث اتبع الكاتب خلالها النهج التقليدى فى تقسيمه لشعر السياب الى عدة اتجاهات واغراض مستقلة بعد أن مر على حياة الشاعر واسلوبه وبيئته مرور الكرام .

وتتكون هذه الدراسة من " مائتين وسبع صفحات " وتحتوى على الموضوعات الاتية[2] : بين يدى السياب ، حياته ، محيطه ، وبيئته ، الملامح الدينية فى شعره ، المرأة والحب عند اساليب ثقافة السياب — الاتجاهات الشعرية القومى الوطنى — الاجتماعى — الانسانى — السياسى — الطفولة — الموت —

---

(١) نفس المصدر السابق ص ١٠٧

(٢) انظر فهرس الكتاب . د / محمد التونجى دار الانوار — بيروت سنة ١٩٦٨ .

الحياة ، الوصف ، ومما يعاب على هذه الدراسة الى جانب منهجها التقليدى فى تناول حياة الشاعر وشعره ايضا اصدارها الاحكام العاجلة دون استنباط أو دليل علمى واقعى كقوله ان حركة الشعر الحر تميل الى الانحدار والتقهقر دون ان تتقدم [1] ولست ادرى كيف يجمع الشاعر بين اعترافه بعظمة الشاعر وعلو مكانته فى الشعر الحر وما اضفاه هذا الشعر على الوجدان والعقل العربى فى العصر الحديث وبين قوله ان هذا الشعر يسير نحو التقهقر .

وخلاصة القول نستطيع أن نقرر بأن الشاعر السياب لم تكن نظرته للحياة نظره سطحية كما ذكر الناقد فى دراسته هذه ولم يكن الشاعر متقلبا فى مذاهبه السياسية كما قرر الكاتب ولكنه كان شاعرا عميق الثقافة والفكر والرؤيا كما انه لم يتقلب ولم يتذبذب فى مذاهبه السياسية [2] بل تراجع عن الخطأ الذى وقع فيه فى بداية حياته عندما اضطرته ظروفه وتجاربه الى السير وراء هذا السراب الخادع .

٧ ـ اما بالنسبة الى الدراسة السابعة التى قام بها الدكتور / احسان عباس بعنوان " بدر شاكر السياب " دراسة فى حياته وشعره " دار الثقافة بيروت سنة ١٩٦٩ فانها تعتبر بلا شك من أهم وأفضل الدراسات الادبية التى تناولت حياة الشاعر " السياب " وشعره معا كما تمتاز بالامانة العلمية والدقة الموضوعية التى يتسم بها البحث العلمى الصحيح كما تمتاز بعدم الفصل بين حياة الشاعر وشعره ولم تتخذ المنهج التقليدى طريقا اليها بل اعتمد فيها كاتبها على المزج الدقيق بين حياة الشاعر فى شتى مراحلها وشعره الذى أبدعه خلال كل مرحلة من مراحل شاعريته ، مع بيان الترابط الوثيق بين ظروف الحياة لدى الشاعر وبين آثارها على مسيرته الشعرية كما تمتاز كذلك بالنقد الحيوى المجرد من الجفاف النقدى القديم كل ذلك فى اسلوب ادبى وقصصى جميلة كما تمتاز ايضا بالجمع بين اتجاهات مدارس النقد المتعددة خاصة

---

(١) نفس المصدر السابق ص ١٦٢ .

(٢) نفس المصدر السابق ص ١٠٢ وما بعدها .

التحليل النفسي تارة والنقد المجرد تارة اخرى بالاضافة الى الاتجاه الواقعي حينا آخر وتنقسم هذه الدراسة الى خمسة اقسام رئيسية هي (١) : البحث عن النخلة ، وفيه يحلل الناقد نشأة الشاعر المبكرة واثرها على شاعريته خلال مرحلته الشعرية الاولى والمتمثلة في ديوانيه أزهار ذابلة ، أساطير وقد قام الناقد بتقسيم هذا القسم الاول من دراسته الى أحد عشر موضوعا هي احجار جيكور من ص ١٧ - ص ٢٤ ، صور وذكريات من ص ٢٥ - ٢٩ بواكير الشعر ص ٣٠ - ص ٣٨ راعدون قطيع من ص ٣٩ - ص ٤٥ بين الاقحوانة وذات المنديل الاحمر ص ٤٦ - ص ٦٩ الهوى البكر ص ٧٠ - ص ٨٨ ، الانتماء الشيوعي ص ٨٩ - ٩٩ من الوثبة الى النكبة من ص ١٠٠ - ١٠٨ المنتظره من ص ١٠٩ - ١٢٢ الحلم المفصول من ص ١٢٣ - ص ١٣١ ، اساطير ص ١٣٢ - ص ١٤٨ هذه هي اجزاء القسم الاول من الدراسة ، وقد تناول الكاتب في هذا القسم نشأة الشاعر في جيكور وأسرته وبيئته الاجتماعية ودراسته الابتدائية في أبي الخصيب وثانوية البصرة واخيرا دار المعلمين العليا ببغداد سنة ١٩٤٣ - ١٩٤٨ كما ركز على حياة الشاعر العاطفية وحبه المتكرر الفاشل مع بعض محبوباته كالراعية " هالة " في جيكور ذات المنديل الاحمر ذات الغمازين وحبيبة الشاعره " لميعة عمارة " عندما كان طالبا بدار المعلمين العالية ببغداد وكانت هذه الشاعرة تسمي شاعرها " بالنبي الوديع " كقولها :

لعينيك أنت يلذ العذاب
ويستعذب القلب مر الشراب
فقيل عرفت " البني الوديع "
وما كنت اعرف الا ذئاب (٢)

كما رأى فيها الشاعر امله الوحيد في الحياة وقد سجل هذا الشعور المتدفق

---

(١) انظر فهرس الكتاب ص ٤٧١ .
(٢) لميعة عباس عمارة ، ديوانها - الزاوية الخالية ص ١١ .

في معظم قصائده بديوانه " أساطير " ومن ذلك قوله لها :

على مقلتيك ارتشفت النجوم وعانقت امالي الآيبه

وسابقت حتى جناح الخيال بروحي الى روحك الواثبة

أطلت فكانت سنا ذائبا بعينيك في بسمة ذائبة(١)

وقد حدثني عمه عبد المجيد السياب أن الشاعرة كانت السراج الوحيد الذي أضاء أعماق " بدر " خلال محنته عندما فصل من الدراسة سنة ١٩٤٦ لفترة من الزمن ، حيث زارته في قريتة " جيكور " لتبعث فيه الامل والحياة وقد حاول الشاعر اقناعها بالزواج منه حينذاك " (٢) .

وتقول الشاعره فيه

وها أنا القاك لكني عرفتك بعد فوات الأوان

طوى الشك عن ناظريك الهوى وجمد قلبك نحو الحسان

اتيتك ظمأى فواحسرتي لقد خلت الكأس من خمرها

سقيت ترابا ولم تدخل لروحي المشوقة من سحرها (٣)

ويحاول الشاعر جاهدا أن ينزع الشك من قلب حبيبته الشاعرة ويؤكد لها حبه الوحيد وعليها أن تنسى الماضي كله لانه مات وانتهى وأن لا تنظر الا الى الحاضر لانه حياته وامله في الحياة — فيؤكد لها في قصيدته " هوى واحد " اذ يقول لها :

خذى الكاس — اني زرعت الكروم

على قبر ذاك الهوى الخاسر

فاعراقها تستعيد الشراب

وتشتفه من يد العاصر

---

(١) بدر السياب وازهار — اساطير بمجموعته الشعرية ص ٤٩ .

(٢) مقابلة شخصية مع عم الشاعر في جيكور بتاريخ ١٩٧١/٣/١١ .

(٣) لميعه عماره — الزاوية الخالية ص ٢١ .

خذى الكاس انى نسيت الزمان
فما فى حياتى سوى حاضر

ثم يؤكد لها حبها الوحيد فى قلبه :

شقيقة روحى الا تذكرين
نداء سيبقى يجوب السنين
وهمس من الانجم الحالمات
يهمز التماعاتها بالرنين
تسلل من فجوة فى الستار
اليك وقال : الا تذكرين ؟ (١)

ومما يؤكد لنا هذا الحب فى قلب الشاعر هو ما قاله لها خلال مرضه فى أحد مستشفيات لندن بتاريخ ٢/١/١٩٦٣ :

ذكرتك يا " لميعه " والدجى ثلج وامطار
ولندن - مات فيها الليل - مات تنفس النور
رأيت شبيهة لك شعرها ظلم وانهار
وعيناها كينبوعين فى غاب من الحور (٢)

لكن مما عمق هذا الانفصال بينهما هو ذاك السور العنيد المتمثل فى الاختلاف الدينى بالاضافة الى الفوارق الاجتماعية الاخرى • لهذا ثار الشاعر ضد هذا السور الذى سماه " الاساطير " وحشرجات الزمان " اذ يقول :

أساطير من حشرجات الزمان
نسيج اليد البالية
رواها ظلام من الهاوية

---

(١) بدر السياب - ازهار ، اساطير - مجموعته الشعرية سنة ١٩٧١ دار العودة بيروت ص ٥٠ وما بعدها •

(٢) نفس المجموعة السابقة - ديوان منزل الأقنان ص ٢٦٩ •

وغنى بهـــا ميتـــان
اساطير كالبير ماج الســراب
عليها رشفت بقايا شهــــاب (١)

* * *

أما فى القسم الثانى من هذه الدراسة فقد تناول الناقد فيه ما أسماه بالبحث عن الملحمة من ص ١٤٩ - ٢٠٦ ومن أهم هذه الملاحم الشعرية التى تناولها الناقـــد بالنقد والتحليل الأدبى الوضيح كل من فجر السلام ، حفار القبور ، الاسلحـــة والاطفال ، المومس العمياء ، اخيرا انشودة المطر .

وفى القسم الثالث منها الذى سماه الناقد " بتجلى ارم " تناول الموضوعـــات المذهبية والفكرية لدى الشاعر مثل ، انفصام الرابطة الحزبية ، فترة الاداب نحـــو القومية ، الينابيـع الثقافية - والالوهية والقصائد الكهفية واخيراتقييم فى المبنى والموضوع .

ويقول فى تصوير جرائم الشيوعيين فى العراق :

وتزجم كل درب من دروبى هذه الخــوذ الحديدية
وتتبعنى عيون الموت من زمر البنـادق نز بالشمــرد
كواها ... فى دروب الجوع الهت زائغ النظــــر
واذ يتمـــرد الانســـان فىّ على العبوديــــة
أنور علـــى الشيوعيــــة
ولكن البنادق ماتزال عيونها الغضبى (٢)
تطاردنى لانى غير ربى وحده لم اتخذ ربا

* * *

---

(١) بدر السياب ، المجموعة الشعرية . ديوان أزهار واساطير ص ١٣٣ .
(٢) بدر شاكر السياب - مجموعته الشعرية - ديوان شناشيل ص ٦٢٧ .

وهكذا قاسى الشاعر الموت والرعب على يد الشيوعيين كما قاساه شعب العراق لا لشيء الا أنه أمن بالله عز وجل ولم يعبد الشيوعية البغيضة كما أراد له أعداء الانسانية ولم يكن هذا الانفصال نتيجة الاحساس بالانفصام بين مثالية الشاعر وواقعه . وفى هذه الفترة نظم الشاعر اهم قصائده القومية مثل فى المغرب العربى ، الى جميلة بوحيرد ، يوم الطغاة الاخير ، رسالة من مقبره ، قافلة الضياع ، بور سعيد ، وغيرها من القصائد القومية التى نشرت على صفحات المجلات الأدبية .

أما القسم الرابع من الدراسة والمسمى " سلال الصبار فى بابل " من ص ٢٨٥ — ٣٢٢ فنجد الناقد قد تناول فيه بعض الموضوعات الاخرى مثل ، بين النقد والصحافة سيروس فى بابل . واهم ما فى هذا القسم الاستشهاد بمذكرات الشاعر ومقالاته التى نشرها على صفحات جريدة الحرية العراقية عدد ١٤٤١ وما بعده . مهاجما فيها الشيوعية مبينا مساوءها ومخازيها كقوله فى البلدان التى تحكمها الاحزاب الشيوعية : " ان الشيوعية والشعر شيئان لا يمكن أن يجتمعا باية حال من الاحوال وتساءل اين هى الشاعرة العربية " نازك الملائكه " واين هو صوت الشاعر الاستاذ / على الحلى أبدلا من قصائده المتأججة بالنار عن الجزائر وعن ثورة الشعب العربى فى كل مكان صرنا نقرأ عشرين قصيدة من برلين و " ١٥ قصيدة " وسواهما من الدواوين الحمراء السخيفة ، كما اننى انا نفسى لم أكتب خلال هذه الفترة سوى قصيدة واحدة عن البطلة العربية " جميلة بوحيرد " .(١) اما القسم الخامس والاخير فى هذه الدراسة والمسمى بولس يكتب مذكراته من ص ٣٢٩ — ص ٤٠٥ فهو يتضمن الموضوعات الآتية ، يولس ينتظر المعجزة ، اضمحلال الرموز ، اسطورتان .

مذكرات أمس واليوم واخيرا الخاتمة . وقد رسم فيه الناقد حياة الشاعر ، مرحلة حياته الاخيرة حيث صارع فيها المرض والموت كما ركز الناقد فى دراسته هذه على أسباب مرض الشاعر والظروف التى دفعت به الى هذا المرض العضال وفى هذه

---

(١) جريدة الحرية العراقية عدد ١٤٦٩ .

الدراسة تداخلت القضايا تقريبا وتلاحمت مع بعضها البعض ، اما ما عدا ذلك فان الناقد كان افضل من كتب عن الشاعر بدر السياب بلا منازع لانه كما قلت لم يكتف بالتصوير الخارجي لحياة وشعر الشاعر بل غاص الى الاعماق النفسية له . اما بالنسبة لدراسة عيسى بلاطة بدر شاكر السياب — حياته وشعره " دار النهار للنشر ، بيروت سنة ١٩٧١ فهى رسالة صغيرة الحجم لم تتجاوز صفحاتها مائتى واثنتى عشرة صفحة ما عدا الفهرس والمصادر والمراجع ، وقسمها الباحث الى ستة فصول وملحق اضافى يضم بعض القصائد للشاعر والتى لم يسبق نشرها بعد (١) ففى الفصل الأول منها يتحدث الناقد عن الحب والاطمئنان لدى الشاعر متناولا نشأة الشاعر وحياته وطفولته واسرته ودراسته الابتدائية والثانوية فى كل من " ابى الخصيب والبصرة وذلك بصورة سريعة ثم قام بتقسيم مراحل شعر الشاعر ، حيث جعل كل مرحلة منها فى فصل مستقل .

* * *

(١) انظر فهرس الرسالة المذكورة ص ٩ .

٨ — بدر شاكر السياب
شاعر الاناشيد والمراثى — لخليل الحاوى

تقع دراسة " بدر شاكر السيلب — شاعر الاناشيد والمراثى " للناقد (خليل الحاوى) فى ثلاثة اجزاء متكاملة هى :

١ — الجزء الاول بعنوان " الهواكير "
٢ — الجزء الثانى بعنوان " انشودة المطر "
٣ — الجزء الثالث بعنوان " المزامير والمراثى "

وقد تناول الناقد فى مطلع الجزء الاول سيرة حياة الشاعر فى نقاط موجزة ثم القى نظرة سريعة على طفولة الشاعر الشقية المعذبة وبعد ذلك رسم لنا منهجه النقدى واسلوب دراسته النقديه [1] .

فبالنسبه لمنهجه النقدى اتبع فى دراسته هذه المنهج النقدى التطبيقى الذى يوغل فى النص الادبى مع النقد والمقارنة فى سبيل الوصول الى الحكم النقدى وفى هذا المجال يقول " فان هذه الدراسة تتطور وتنمو بتطور شعر السياب ونموه تقتفى اثره محللة الابعاد النفسية الظاهرة منها والمضمرة ، وقيمة الابعاد الفنية عبر النص ، وفى خلاصات تلحق بكل اثر من اثاره [2] " ولكن مما يلفت النظر فى هذه الدراسة انزلاق الناقد المباشر فى تراث الشاعر دون تمهيد او مقدمات او فصول وأبواب كما هو متبع فى البحث العلمى مما يجعل القارئ يصطدم ويفاجأ بمسيرة هذه الدراسة ويحس احيانا بالضياع وعدم القدرة على تحديد مواضع أقدامه ولم يكتف الناقد بذلك بل حارب دراسة البيئة والعصر للشاعر لافتقار هذا الاسلوب الى الوحدة العضوية والتكامل الفنى على حد زعمه ، وقد نجد هذا الموقف للناقد

---

(١) خليل الحاوى — بدر شاكر السيلب — شاعر الاناشيد والمراثى دار الكتاب اللبنانى — بيروت ص ٥ — ٢٠ .
(٢) نفس المصدر السابق ص ٢٣ .

حين قال " وقد درج الدارسون غالبا مدرجا مباينا يقدمون لابحاثهم فى فصول تمهيدية تطول او تقصر حيث يعالجون واقع العصر فى البيئة المادية والاجتماعية وينطلقون الى مسيرة الشاعر ، مدققين مفصلين كما انهم يبذلون اراءهم فى نظرية الشعر مهورة بأذيال قليلة أو كثيرة وأنه هذا الاسلوب أنه يفتقر الى الوحدة العضوية والتكامل فى بنائه .... وفى مذهبنا انه ليس للعصر والسيرة والنظره الفنية شأن بذاتها (1) " .

وعلى الرغم من هذا الموقف الذى دعا اليه الناقد الى اهمال دراسه البيئة والعصر للاديب والى عدم الحاجة الى التمهيد والتبويب والتفصيل خلال الدراسه ، الا اننا لا نتفق معه فيما ذهب اليه وذلك للاسباب الاتيه :

١ — ان استعمال الابواب والفصول والمقدمات فى البحث العلمى امر ضرورى للوصول الى الحقيقة العلمية المجرده كما انها تساعد المتلقى على تحديد خطواته والانتقال السليم من نقطة الى اخرى بدلا من القفز الذى سار عليه الناقد .

٢ — ان الوحدة العضوية عبارة عن تماسك ونظام وتسلسل هذا لايتأتى الا باتباع النظام والتلاحم المتوالد من التمهيد والتبويب والتفصيل للوصول الى المعرفة .

٣ — ان التمهيد والتبويب بمثابة وضع علامات للطريق امام المتلقى وبدون ذلك لايمكنه الوصول الى الهدف الذى يتطلع اليه خلال دراسته .

٤ — ان جميع الدراسات العلمية الحقيقية السابقه ، كانت كلها ذات وحدة عضوية وبناء فنى متكامل . ولم يسبق لهذه الدراسات ان شذت عن هذه الوحدة والتكامل مطلقا فى نظر الباحثين والدارسين معا .

٥ — لما كان الاديب ابن البيئة التى عاش فيها والادب صورة للحياة التى استمد منها غذاءه وخلوده ، كان لابد من الضرورى للباحث من معرفة العصر والبيئة وبدونهما

---

(1) انظر المصدر ص ٢٢ .

لايمكن مطلقا أن نفهم النص الادبى فهما حقيقيا خالدا •

٦ — ان اهمال دراسة العصر والبيئة تنكر للتراث القومى الذى يعتز به الاديب العربى وغير العربى •

٧ — أن الجهل بالبيئة والعصر بلاشك يؤدى بالناقد الى الانزلاق والضياع واصدار الاحكام النقديه الخاطئة على انتاج الاديب وحرصا منا على الحقيقة العلمية المجردة عن التحيز والتحامل كان لابد من دراسة هذا التراث أولا وقبل كل شئ • وليس اصدق على صحة ما اقول من الاحكام الخاطئة العديدة التى توصل اليها نفس الناقد فى هذه الدراسة لحياة الشاعر " بدر السياب " ثم ينتقل المؤلف الى دراسة البواكير الشعرية للشاعر مبتدئا من عام ١٩٤٦ — ١٩٥٠ متجاهلا ماقبلها بحجة ان الشاعر نفسه لم يهتم بتراثه الشعرى السابق وفى هذا المعنى يقول " ومادامت هذه الدراسة تنحنى منحنى التقييم العام فلاجدوى من تعقب الشاعر فى محاولاته الاولى التى اسقطها من دواوينه اذ لاقبل لنا بأخذه فيما لم يأخذ به نفسه (١)" وهذا اتهام بعيد عن الحقيقة العلمية ايضا لان الشاعر لم يسقط شعره السابق ولم يتركه وانما كان يحتفظ به حتى تساعده الظروف على بعثه من جديد • لكن الاقدار لم تسعده بذلك خلال حياته • فقامت وزارة الاعلام العراقية بجمعه وطبعه فى دواوينه الاخيرة وهى " بواكير " وزارة الاعلام سنة ١٩٧٥ وقيثارة الريح الذى يشتمل على قصيدته " اللعنات " • " الروح والجسد " وقد طبع ايضا سنة ١٩٧١ وديوانه " أعاصير " سنة ١٩٧٢ والذى يضم شعره السياسى والذى سبق أن سماه " زئير العاصفة " عندما اعلن عنه فى مقدمة ديوانه " اساطير " سنة ١٩٥٠ ومهما كان الامر فقد بدأ الناقد مسيرته بتحليل شعر الشاعر ابتداء من ديوانه أزهار ذابلة سنة ١٩٤٧ ثم أساطير ١٩٥٠ وبعد أن تعرض لخصائص هذه المرحلة الرومانسية ووصفها بالبساطة والسطحية وغير ذلك من الصفات • وانتقل الى قصيدته " حفار القبور " من ص ٦٤ — ص ١١٧ وفيها تحامل على اسلوب الشاعر وافكاره

---

(١) نفس المصدر السابق ص ٢٤ •

بل وشخصيته حين اتهمه بالسادية " المطلقة والشهوه المتأججه وكراهيته المطلقة للبشر وجعله صورة " للحفار " أو بمعنى أصح ان " الحفار " لم يكن فى الحقيقة سوى " السياب نفسه "(١) .

ولاشك ان هذا الوصف للشاعر يدل بلاشك على ان الناقد قد اعماه الحقد والكراهية للشاعر وأظن أن ذلك للاسباب الاتية :

١ - انفصال الشاعر عن مجله " شعر " اللبنانية التى انتمى اليها الناقد بعد أن اكتشف الشاعر حقيقة نواياها الاستعمارية فى نهاية الخمسينات .

٢ - مكانة السياب فى الشعر العربى الحديث .

٣ - ايمان الشاعر بقوميته العربية وتراثه القومى مما ادى الى تكالب العديد من الخصوم للنيل منه ومن مكانته .

وبعد ذلك انتقل المؤلف الى تحليل ونقد قصيدة " المومس العمياء " ص ١١٧ ص ١٥٩ وقد اعتبرها مكملة لقصيدة " الحفار " (٢) سواء من حيث افكارها ومضامينها واساليبها ام بنائها الفنى ، بذلك فصل الناقد بين النص الادبى وبين واقع الحياه الاجتماعية والسياسية التى عاناها الشاعر قبل ثورة تموز فى العراق ، وكان من نتائج هذا الانفصال ان غامت الرؤيا امام الناقد ولم يستطع ان يصل الى ماوراءها من صراع اجتماعى سياسى عنيف حينذاك ، ومادامت العقيدة مرآة للحياة الاجتماعية فمن الطبيعى أن يعجز الناقد عن الوصول الى اعماق الحقيقة الموضوعية ، نظرا لاحتياج ذلك للعديد من التفاصيل فاننا نكتفى بنموذج واحد لذلك وهو يتجلى فى ثورة الشاعر على وطنه ارض الخصب والعطاء والنفط ، الذى ترك هذه " المومس العمياء " وصمة عار فى جبينه دون أن يوفر لها الحياة الانسانية الكريمه

---

(١) نفس المصدر ص ٨٨

(٢) خليل الحاوى ص ١١٧ .

ويح العراق - اكان عدلا فيه انك تدفعين
سهاد مقلتك الضريرة
ثمنا لملء يديك زيتا من منابعه الغزيرة
كي يثمر المصباح بالنور الذى لاتبصرين
عشرون عاما قد مضين - وأنت غرثى تألكين
بنيك منى سغب - وظمأى تشربين
حليب ثديك ، وهو ينزف من خياشيم الجنين (١)

وهكذا كانت ثورة الشاعر من اجل الضحية التى اجبرتها الظروف القاسية لالقاء جسدها فى سوق الرقيق ، وبعد الانتهاء من هذا النقد والتحليل لقصيدة " المومس العمياء " انتقل المؤلف الى اخر قصيدة فى هذا الجزء الاول وهى " الاسلحة والاطفال " وبغض النظر عن معانيها السياسية الا انها تزخر بحب الاطفال رمز السعادة وأمل المستقبل ورجال الغد • فهم العصافير التى تملأ حياة الاسرة بالفرح والهناء وهذا مادفع بالشاعر للثورة ضد المعوقين لنهضة الامة وبذلك انتهى الجزء الاول من الكتاب وفى الجزء الثانى الذى يشمل معظم قصائد " انشودة المطر " يتناول الناقد بقية قصائد السياب الشعرية والمدونة بديوانه " انشودة المطر " مبتدئا بقصيدة " غريب على الخليج " التى رسم فيها الشاعر شوقه وحنينه لوطنه العراق خلال منفاه بالكويت سنة ١٩٥٣ وقد وصفها الناقد بقوله " وجملة القول فى هذه القصيدة تمثل مرحلة اخرى من تجارب السياب الفنية ، كانت اجمل أمانى الشاعر ان يعود لوطنه قبل موته ليشم عطر العراق ويلثم بشفتيه ثراه ، وينتقل المؤلف الى قصيدة " قافلة الضياع " التى صور فيها مأساة الشعب الفلسطينى سنة ١٩٤٨ واخراجه من وطنه ليعيش مشردا فى الفيافى والقفار بعد أن احتل الاستعمار الصهيونى الغادر ارضه ووطنه بقوة الحديد والنار وهكذا عاد قابيل بقتل أخاه هابيل مرة اخرى • وبعد أن

---

(١) بدر السياب مجموعته الشعرية ص ٥٣٩ •

تناول الناقد القصائد القومية للشاعر ، ينتقل المؤلف لدراسة وتحليل القصائد الجيكوريه والتموزية من ص ١١٠ - ١٧٣ التى تصور عذاب السياب وتمزقه خلال الارهاب فى العراق بخاصة فى عهد قاسم بعد فشل ثورة ١٤ تموز سنة ١٩٥٨ ثم يأخذ فى دراسة وتحليل قصيدة انشودة المطر من ص ١٧٤ - ٢٠١ ويختم الجزء الثانى بتحليل ودراسة قصيدة المسيح بعد الصلب من ص ٢٠٢ - ٢١٥ وبذلك يكون الناقد قد تناول جميع قصائد السياب فى ديوانه انشودة المطر لينتقل بعد ذلك الى قصائد الشاعر " المرضية " فى الجزء الثالث من دراسته وفى خلال هذه المرحلة اعترف الناقد بمكانة السياب ونضج شاعريته وروعه فنه كما ذكر فى مقدمة الكتاب .

٣ - اما الجزء الثالث من هذه الدراسة والذى هو بعنوان " شاعر الاناشيد والمراثى " فهو يصور مرحلة المرض والموت التى عاناها الشاعر فى أواخر حياته بعد ان أصيب بالشلل البطئ الذى كان جسده يتآكل به .

وفى خلال هذه الفترة المرضية نجد أن الوتر الفردى الذاتى الوجدانى يطغى على شعر السياب بعد أن غدت همومه الذاتيه هموما مطلقة مظلمة واناشيد للموت والاحتضار (١) " انها صوت السياب " الضحية " ضحية المرض والعذاب القاتل والموت القاسى وقد بدأ الناقد يتناول القصائد الايوبية التى يتجه فيها الشاعر الى الله عز وجل مناشدا اياه الرحمة والشفاء كما فى قصيدته " امام باب الله الكبير " التى يقول فيها :

منطرحا امام بابك الكبير
اصرخ فى الظلام استجير
ياراعى النمال فى الرمال
وسامع الحصاة فى قرارة الغدير
اصيح كالرعود فى مغارة الجبال
كآهة الهجير (٢)

---

(١) خليل الحاوى بدر السياب شاعر الاناشيد والمراثى ج ٣ ص ١٣٢ ومابعدها
(٢) نفس المصدر ص ١٣٥

وهكذا تناول الناقد مسيرة شعر السياب فاطلق على الشعر الايوبى المشحـــون بحرارة الايمان والخشوع والتضرع الى الله اسم " المزامير " كما اطلق على النـــوع الثانى الذى يصور الهام الشاعر وصراعه مع المرض والموت اسم " المراثى " ولاشــك أن متابعة الناقد لشعر السياب ونقده وتحليله كان مناسبا فتراه يغوص فى اعماق الشاعر ولكن مما يعيب هذه الدراسه ويحول دون انطلاقها الكامل نحو تحقيق الفائدة التامـــة للقارىء العربى انها تسير بلاحدود ولا اسوار لابتعادها عن المنهج العلمى القائـــم على التمهيد والتبويب والتفصيل بالاضافة الى ابتعادها عن دراسة البيئة والعصـــر للشاعر والى ظهور لمحات التعصب الدينى عند الناقد كما يظهر فى بعض القصائـــد للسياب وخاصة " التموزيه " منها مثل المسيح بعد الصلب وغيرها من القصائـــد الاخرى التى رمز فيها الشاعر بالمسيح ولولا هذه العيوب السابقة لكانت بلاشك من أجمل الدراسات الادبية والنقديه التى تناولت شعر السياب بالنقد والتحليل •

٢ — :: أهم الدراسات العامة فى حياة وشعـر ::
" السيـــاب "

تنقسم هذه الدراسات كما ذكرنا الى قسمين أو نوعين من المصادر هما :

١ — ما كان على شكل فصل من الفصول ضمن الكتب النقدية الحديثة .

٢ — ما كان على شكل مقالات أدبية تزين صدور الصفحات فى الجرائد والمجلات الأدبية وسنلقى الضوء على مصدر من هذه المصادر .

أ — الكتب الدراسية العامة :

من أهمها كتاب الناقد العراقى الدكتور / جليل كمال الدين ، وهو بعنوان : " الشعر العربى الحديث وروح العصر طبع دار العلم للملايين — بيروت سنة ١٩٦٤ ، ويقع فى " ٤٧١ " صفحة وقد خصصه صاحبه لدراسة انتاج ستة من الشعراء العـرب المحدثين من خلال دواوين معينة لكل شاعر منهم وهؤلاء الشعراء هم ، عبدالوهاب البيـاتى ، نازك الملائكة ، بدر شاكر السياب ، نزار قبانى ، وخليل حاوى ، واخيرا صلاح عبد الصبور ، وقد تناول الباحث فى الفصل الثالث من كتابه شعر السياب مـن خلال " ديوانه " انشودة المطر " فقط دون الالتفات الى حياته وبقية دواوينه الاخرى ويقع هذا الفصل من ص ١٧٩ — ٣٠٢ وقد بدأ الباحث بالحديث عن " السيـاب والالتزام فى الشعر العربى الحديث " حيث ركز الناقد على دراسة الانسانية فـى شعر السياب ولقاء السياب بالانسان خلال معالم الانسان ، الوطن ، المرأة والحب وفى هذا المجال يقول الباحث " ويقينا أن شاعرنا انسانى يمجد الانسان ويعيـش للانسان ويتعاطف مع قضاياه .(١)

ويقول أيضا " ان الشاعر متمكن من عدته الشعرية وهو من رواد الشعر الحديـث

---

(١) د / جليل كمال الدين الشعر العربى روح العصر — دار العلم للملايين بيروت سنة ١٩٦٤ ص ١٨٠ .

فى العالم العربى كما يعد من الشعراء الملحميين القلائل وممن يتمتعون بثقافة شعرية حديثة ويتقنون لغة أجنبية ويفهمون اليوت وتجربته[1] وقوله أيضا " يلتقى السياب بالانسان منذ محض البداية ، منذ البدء حتى النهاية ان كانت ثم نهاية " والتقاء السياب بالانسان وقضاياه ليس باللقاء المصطنع المزور ، انما هو لقاء حقيقى ودى به معظم معالم " [2] ولم يكتف بذلك بل استمر قائلا ، بشكل عام نستطيع أن نقول :

" ان السياب هو شاعر المأساة الانسانية " [3] .

٢ — أما القسم الثانى من قصائد الشاعر فقد سماه الناقد بالقصائد السيزيفية تارة نسبة الى " سيزيف " الاسطورة اليونانية والتى يرمز بها الى الانسان المعذب المستسلم الباكى .

أما القسم الثانى فى هذا الفصل الذى تناول فيه الناقد شعر السياب فقد انتقل فيه للحديث عن " الوطن الصغير والكبير " عند السياب وعن قصائده القومية التى تغنى فيها الشاعر بشعبه وقوميته خاصة " بور سعيد " وقافلة الضياع وفى المغرب العربى " وجميلة بوحيرد " وغيرها غير أن حكم الناقد نراه متذبذبا متقلبا فتارة يصف السياب بالعظمة والاضاءة والتقدمية ، وتارة بالارتداد والتناقص والظلام كقوله :

" ان شاعرنا فى قصائده المضيئة وطنى تتفذ وطنيته — قومى ديموقراطى مؤمن بالانسان العربى وحتمية انتصار قضيته وهى قضية الحرية والاستقلال والديمقراطية اما قصائده المظلمة فهى تفتح ثغرة فى " سور " الشاعر[4] كما تناول فى هذا القسم أيضا هرب الشاعر الى الكويت ومشاعره المشحونة بالحنين والشوق الى وطنه

---

(١) نفس المصدر السابق ص ١٨٢ .
(٢) نفس المصدر السابق ص ١٨٥ .
(٣) نفس المصدر السابق ص ١٨٧ .
(٤) نفس المصدر السابق ص ٢٥٦ .

" العراق " كما في " غريب عن الخليج " " انشودة المطر " بالاضافة الى نقد وتحليل أهم ملامح الشاعر مثل " حفار القبور " " المومس العمياء " " انشودة المطر " بالاضافة الى قصائده القومية الخالدة . اما القصائد الاخرى فقد تجاوز عنها سريعا دون أن يتمسك له رأيا سوى الحقد والكراهية والاتهامات المتعددة . وفي القسم الثالث منها يتناول الناقد قضية " الحب والمرأة " عند الشاعر على اختلاف الوانها ومكانتها سواء " كانت فلاحة أو خليلة أو رمزا أو حبيبة أو صبية حسناء أو مناضلة بطلة أو مجاهدة عموما أو أما أو ضحية مأساة أو ارستقراطية أو خادمة "(١) أما القسم الأخير من دراسته وكتابه هذا فنجد الناقد يسجل فيه بعض الملاحظات عن "الشكل" لدى الشاعر معترفا في البداية بثقافة الشاعر العربية ومدى تأثره بشعراء الكلاسيكية وتفتحه على مدرسه " الجواهري " ثم تأثره بالمدرسة الرومانسية وخاصة في ديوانيه الأولين " ازهار ذابلة سنة ١٩٤٧ " واساطير " سنة ١٩٥٠م حين قال : كان شاعرنا رومانسيا محضا ولذلك كثرت في شعره كلمات الرومانسيين المهمومين وطال التجاؤه الى الريف والطبيعة "(٢) كل ذلك دون أن يرجع الناقد الى دراسة شعر السياب خلال هذه المرحلة الرومانسية ولكنه أصدر حكمه سريعا دون تقديم نموذج واحد من هذا الشعر الرومانسي أو الكلاسيكي وفي ديوانه " انشودة المطر " الذي تناوله الناقد بالنقد والتحليل فقد قسم فيه قصائد السياب الى قسمين رئيسيين كما ذكرنا وهما التقدمية والنضالية والممثلة للشاعر ، والقسم الثاني هي القصائد التي لا تمثل الشاعر على حد زعمه وهي القصائد التي تحارب الشيوعيين وجرائمهم وقد وصفها الكاتب بالغموض والابهام والتعقيد والتزييف .

وغير ذلك من التهم الباطلة ثم ينتقل الشاعر للمرور سريعا على ثقافة الشاعر حيث يقول " لقد أفادنا الشاعر من العهد القديم والعهد الجديد وأطال _ قراءتهما

---

(١) انظر المصدر السابق ص ٢٨٣ .
(٢) نفس المصدر السابق ص ٢٩٨ .

كما ميء القرآن وقد أكثر من استغلال قضية المسيح واقعا ورمزا "(١) ولكنه يعيب على السياب لجوءه الى الرموز الأجنبية وكأن الناقد حريص بالفعل على التاريخ العربي وتراثه في الوقت الذى لا يؤمن فيه الا بالاهمية العالمية اذ يقول متشدقا في حين أن تاريخنا العربي حافل برموز وقضايا كبيرة اخرى لا تقل عن قضية المسيح وقوما في مستوى مهمتها الفكرية ، مستوى الحديث والرسالة الشعرية "(٢) ولو كان الناقد صادقا في هذا النقد مؤمنا به حقا لما صب لعناته على الشاعر الانساني الذى وقف الى جانب الضحايا المعذبين الجائعين المرعوبين في العراق خلال مذابح قاسم الوهبية . لان تاريخنا العربي الاصيل وديننا الحنيف يدعوان الى المثل الانسانية واحترام كرامة الانسان اولا وأخيرا ثم انتقل الناقد بعد ذلك للحديث عن قضايا الشكل الشعرى لدى الشاعر السياب وأوزانه وموسيقاه واقتباسه من التراث والفولكلور الشعبي العراقي وغير ذلك من خصائص شعره وأدوات بنائه الشعرى وفي النهاية يختم هذا الفصل بقوله :

"ويعد شاعرنا أحد الرواد في قضية الشعر الحديث وفهم وتحقيق الوحدة العضوية بين الشكل والمضمون "(٣) ونظرا لافكاره اليسارية فقد انتزع الناقد راية الريادة ليسلمها الى غيره ممن لا يستحقونها ولا شهادة لهم سوى المبادئ الحزبية والافكار الانسانية فقط هذه هي أهم انعكاسات الكاتب نحو الشاعر .

ب – لغة الشعر بين جيلين سنة ١٩٦٥ :

وهذا كتاب صغير الحجم لكنه ذو فائدة كبرى حيث تناول فيه مؤلفه الدكتور العراقي ابراهيم السامرائي النواحي اللغوية لدى الشعراء العراقيين المعاصرين ابتداء من الزهاوى والرصافي والكاظمي والشبيبي وانتهاء بالسياب وجيله من

---

(١) نفس المصدر السابق ص ٣٠٠ .
(٢) نفس المصدر السابق ص ٣٠٢ .
(٣) نفس المصدر ص ٣٠٢ .

الشعراء المحدثين وفيه عمد صاحبه " الى درس نماذج لشعراء عاشوا هذا العصر ليثبت لغة كل واحد منهم والقدر الذى استجابت فيه تلك اللغة لاغراض الشعر ، وحاول أن تكون هذه النماذج جامعة للقديم والجديد من شعرنا الحديث[1] " وقد بدأه الكاتب بمقدمة تمهيدية عن نظرية لغة الشعر ثم اتبعها بفصول خصصها لتحليل نماذج من شعر الكاظمى والزهاوى والشبيبى والرصافى والاثرى والجواهرى _ وبعد ذلك انتقل الناقد الى فصل نظرى آخر تناول فيه الحديث عن اللغة وعمود الشعر وبعده انتقل الى الفصول الاخرى للحديث عن نماذج الشعراء المحدثين مثل : بلند الحيدرى ، نازك الملائكة ، عبد الوهاب البياتى ، السياب ، موضحا فى هذه الفصول خصائص وميزات اللغة الشعرية لدى كل واحد منهم وما يؤخذ عليهم من عيوب لغوية متعددة وقد خص الكاتب شعر السياب بفصلين متتابعين مستشهدا ببعض نماذج شعره من ديوانيه السابقين ازهار ذابلة واساطير بالاضافة الى ديوانه " انشودة المطر " وقد بين لنا الناقد مدى اهتمام السياب ببعض الالفاظ من شعره خاصة " النخيل " حين قال : " للنخيل فى أدب السياب مكانة خاصة وفى غاب النخيل ميدان هوى وموطن ايحاء يقف منه السياب مسحورا معجبا مزهوا[2] " وبعد ذلك انتقل الكاتب بقلمه ليسلط الضوء على مقدرة السياب الصوتية " ، وايحاءاتها فى شعره حين قال " وقد تعجب اذا قلت انه جمع من هذه الطاقة الصوتية مادة لا نجدها عند شاعر من شعراء العربية الأخرين وأنا لا اغلو فى دعواى هذه فانت لا تدرى أن السياب لا يقتصر على ما يحسه عامة الناس من صنوف الاصوات فهو يحرك الجوامد وكأنها تنطق باشياء "[3] وعلى الرغم من قيمة هذه الدراسة الأدبية وعمق نظرة ناقدها اللغوية غير أن هناك بعض الملاحظات نود أن نطرحها وهى :

---

(١) لغة الشعر بين جيلين د / ابراهيم سامرائى سنة ١٩٦٥ ص ٩ ،

(٢) المصدر السابق ص ٢١٠ _ ٣ _ نفس المصدر ص ٢٣١ ،

هل كان النخيل وحده يمثل اكبر مساحة ألفاظ الشاعر ؟ واجابه على هذا التساؤل فان النخيل لم يكن اللفظ الوحيد فى شعر السياب بل كانت هناك الفاظ أخرى بل وأكثر شهرة من النخيل ، كان هناك " المطر " الذى يعتبر من اهم ملامح شعره حتى سمى " شاعر المطر " فيما بعد كما اصبح اعظم رمز يغطى شعر الشعراء المحدثين الذين تأثروا بالسياب هذا بالاضافة الى الليل كما فى مقدمة قصائده الشعرية — السوق القديم — المومس العمياء — حفار القبور وغيرها من قصائده الخالدة ففى قصيدته السوق القديم نجد مطلعها :

الليل — والسوق القديم

وقوله : الليل والسوق القديم — وغمغمات العابرين (١)

وقوله : فى لندن الليل ، موت ونزعه السهر

وقوله : انا وحدى يأكلنى الليل (٢)

وقوله : يا ليل لكم طال الدرب

وقوله : ذكرتك بالميعه والدجى ثلج وامطار
ولندن مات فيها " الليل " مات تنفس النور
رأيت شبيهة لك شعرها ظلم وانهار (٣)

وبذلك تحول الليل الى رمز الالم والتمزق لدى الشاعر لما فيه من سواد قاتم لاعماق الشاعر :

أولاها : لانه نقطة التجمع والتركيز لنفس الانسان عندما يخلو الى نفسه وسط متاعب الحياة ، خاصة لدى المعذبين فى الارض ٠

وفى ايحاءات الليل الكئيب فى روح الشاعر ما نراه فى مقدمة ملحمته " المومس العمياء " حين مهد للقارئ واوحى له بالجو الحزين والموسيقى التصويرية الحزينه التى تناسب موضوع ملحمته المأساوية ٠

---

(١) المجموعة الشعرية للسياب ص ٢١ (٢) نفس المصدر السابق ص ٢٥٨
(٣) نفس المصدر ص ٢٦٩ ٠

الليـل يطبـق مـرة أخـرى فتشربـه المدينـة
والعابـرون الى القـراءه .. مثل اغنية حزينة
من أى غاب جاء هذا " الليل " من اى الكهوف
مـن وجـر للذئـاب (١)

هذا بالاضافة الى الالفاظ الجديدة المستمدة من الطبيعة في العراق كالرعـد والبرق ، المطر ، الربيـع ، والصيف والرياح والسحب وغيرها مما جعلها الشاعـر رمزا للثورة والخصب والعطاء والفاظه المستوحاة من الفولكلور الشعبي العراقي ومـن الاساطير على اختلافها وكل ذلك هو الذى جعل من السياب شاعرا موهوبا كما لـم يتعرض الناقد ايضا للالفاظ الدينية المتعددة التي تطرز وشامه الشعرى خلال مرضـه خاصة رموز أيوب وغير ذلك من الكتب السماوية والقصص الدينية كما أن الناقد لم يقـدم النماذج الكافيه لتأثر السياب بالفاظ عمالقة الشعر العربى القديم امثال المتنبـي والبحترى وأبى تمام وابى العـلاء المعرى الا ماندر لكن هذا لا يمنع من الاعتراف بمكانة الناقد اللغوية ودراسته الممتعة التي اضافت ضوءا جديدا على طريق دراسة اللغـة الشعرية عند الشعراء العراقيين المعاصرين والمحدثين على حد سواء .

جـ ـ المرحلة الثامنة سنة ١٩٦٧ :

وقد صدر هذا الكتاب للكاتب الفلسطيني جبرا ابراهيم جبرا بهدف ايضـاح دور الاسطورة في الشعر كما يتضمن هذا الكتاب مقالة للكاتب عن صديقه الشاعـر " بدر شاكر السياب " حيث اتبع فيه الكاتب اسلوب التحليل النفسي ببيان أثـر الاسطورة على وجدان " السياب " ونفسيته وخاصة أسطورة " ادونيس " الـتى ترجمها الكاتب عن كتاب " العصر الذهبي " للاديب الغربي " جيمس فريـزر " وقد سبق للشاعر أن استعار هذا الكتاب من صديقه " جبرا " لفترة من الزمـن نظرا لاعجابه الشديد بالاسطورة وبدورها في بناء القصيدة وما تتضمنـه مـن

---

(١) نفس المصـدر ص ٥٠٩ .

شحنات مكثفة تتناسب وعواطف الشاعر كما انها يمكن أن تكون ستارا يحمي الشاعر من قبضة الارهاب الفكري الذى خيم على العراق خلال عهود الظلام والقهر السياسي والاجتماعي وكان من شدة اعجاب السياب بالاسطورة كما قال الأديب " جبرا " انه كان يستظهر صورا عديدة منها عن ظهر قلب "(١) وقد بينا فيما سبق أن السياب كان قد تأثر بالاسطورة والرمز بعد أن اطلع على الأدب الغربي وخاصة لدى الشاعر البريطاني الجنسية " توماس اليوت " في قصيدته الأرض الخراب ، والرجال الجوف كما تأثر بالرموز الطبيعية بالشاعرة البريطانية " اديث ستويل " وخاصة " المطر " لكن هذا التأثر لم يمنع الشاعر من الحفاظ على استقلال شخصيته وهويته العربية ٠

د ـ ملامح العصر سنة ١٩٦٧ :

وهو كتاب عادى للاديب العراقي / محي الدين اسماعيل أحد اصدقاء الشاعر ومن أهم مضامين هذا الكتاب مقالة بعنوان ملامح الشعر العراقي " تناول الكاتب فيه صداقته للشاعر منذ بداية حياته الشعرية ، باسلوب عاطفي واحكام عامة كقوله " لقد بدأ السياب حياته شاعرا كبيرا بصدور مجموعته الشعرية " أزهار ذابلة " سنة ١٩٤٧ ، فكانت فتحا جديدا اذ تمثلت فيها جميع عناصر الرومانطيقية الاصيلة في الشعر العراقي التى كانت سائدة آنذاك "(٢) كل ذلك دون أن يقدم دليلا موضوعيا واحد على هذا الحكم السريع وبعد ذلك انتقل الكاتب لدراسة بقية الشعراء العراقيين المعاصرين الاخرين بصورة موجزة ٠

هـ ـ الاسطورة في الشعر المعاصر :

وقد اصدرها سعد رزق وذلك بهدف دراسة الاساطير النموذجية لدى ستة من الشعراء النموذجيين من بينهم بالطبع الشاعر الكبير بدر شاكر السياب" وقد ذكر لنا

---

(١) الصفحة الثامنة ، جبرا ابراهيم جبرا ص ٣٨ ٠
(٢) ملامح العصر ـ محي الدين اسماعيل ص ٣٣ ٠

الكاتب كيفية نشوء هذه الاسطورة واسباب اقبال الشاعر بدر السياب عليها من خلال معركته وصراعه مع الشيوعيين في العراق خلال العهد القاسمي " الاسود " لكنه أكثر ما تتركز فائدة هذا الكتاب حول نشأة الاسطورة وتطورها في الشعر الحديث وما تحمله من صور وشحنات عاطفية تعجز الكلمة العامية عن احتمالها •

و — الشعر والشعراء في العراق سنة ١٩٥٩ :

وقد اصدره الكاتب العراقي أحمد أبو سعد لتصوير مسيرة الشعر الحر في العراق ونشأته وتطوره واهم اعلامه الذين شاركو السياب في حمل رايته أمثال نازك الملائكة وبلند الحيدري ، البياتي وكاظم جواد وغيرهم ثم تناول الكاتب حياة وشعر السياب في فصل مستقل مبينا حياته ونشأته بجيكور ثم ثقافته العربية والأجنبية وتأثره بعمالقة الشعر في الشرق والغرب كل ذلك بصورة سريعة وموجزة مع ذكر بعض نماذج من شعره وكذلك الامر مع الشعراء الاخرين المحدثين الذين عاصروا مرحلة السياب الشعرية كما اورد العديد من حياة وشعر الشعراء العراقيين الكلاسيكيين امثال الزهاوي والرصافي والجواهري وغيرهم وهو بلا شك كتاب قيم بصور مسيرة الشعر العراقي خلال نصف قرن من الزمن تقريبا منذ مطلع القرن حتى قيام ثورة العراق سنة ١٩٥٨ •

ز — الشعر العراقي الحديث — مرحله وتطور سنة ١٩٧٠ :

وقد ألفه الاديب العراقي جلال الخياط سنة ١٩٧٠ دار صادر بيروت بهدف مواكبه مسيرة الشعر العراقي منذ منتصف القرن التاسع عشر حتى عام ١٩٧٠ وقد ذكر الناقد في مقدمة كتابه هذا ما يعنيه بالشعر العراقي الحديث حين قال " واعني بالشعر العراقي في هذه الدراسة كل قصيدة نظمها شاعر عراقي بالفصحى منذ منتصف القرن التاسع عشر حتى الوقت الحاضر " (١) وقد قسمه الكاتب الى مراحل ثلاثة هي (٢) :

---

(١) انظر فهرس الكتاب ص ٦ •
(٢) نفس المصدر ص ٦ •

١ = ذروة التقليد من منتصف القرن التاسع عشر حتى اعلان الدستور العثماني سنة ١٩٠٨ .

٢ ــ التجديد الموهوم ومدرسة النشر المنظوم ــ أو فترة الانتقال من ذروة التقليد الى محاولات التجديد بعد الحرب العالمية الثانية .

٣ ــ محاولات التجديد الحديث من نهاية الحرب العالمية الثانية حتى سنة ١٩٧٠ .

ومن أهم شعراء المرحلة الأولى كل من عبد الغفار الاخرس ،موسى الطالقاني حيدر الحلبي ،عبد الغني جميل ، محمد سعيد الحبوبي بالاضافة الى شعراء تقليديين آخرين أما شعراء المرحلة الثانية فأشهرهم الزهاوى والرصافي ، والكاظمي بالاضافة الى شعراء كلاسكيين آخرين . وقد قام الكاتب بتقسيم شعراء هذه المرحلة الى قسمين ، شعراء مدرسة النشر المنظوم وهم الذين ذكرهم أمثال الزهاوى ،الرصافي الكاظمي ومن معهم . والقسم الثاني شعراء المدرسة المستقلة وتضم كلا من أحمد الصافي النجفي وحسين مروان ومحمد الجواهري ، وبعد ذلك انتقل الشاعر الى ظهور ونشأة الشعر الحر والمقارنة بين القديم والجديد وآراء اصحاب كل من الجديد والقديم ــ مع بيان مزايا كل منهما اما شعراء المرحلة الثالثة ومدرسة التجديد الحديثة التي قامت بعد الحرب العالمية الثانية فتشمل كلا من عبد الوهاب البياتي من ص ١٣٤ ــ ١٥٧ ثم نازك الملائكة من ص ١٥٧ ــ ١٦٩ ثم بدر شاكر السياب من ص ١٧٠ ــ ٢٠١ ثم انتقل الشاعر سريعا الى بقية الشعراء المحدثين الاخرين في صفحة فقط وهكذا تحدث عن كل شاعر من هؤلاء الرواد الأوائل في فصل مستقل بذاته مبينا فيه حياته وشعره بصورة موجزة مع ذكر أهم أراء النقاد الاخرين المتناثرة على صفحات الكثير من المجلات الأدبية . وقد تناول الكاتب الشاعر "بدر شاكر السياب" مبتدءا بنشأته وحياته ودراسته وثقافته واعماله وكفاحه كل ذلك في نصف صفحة فقط مستندا بآراء النقاد الذين كتبوا عن السياب وتناولوا حياته وشعره بالدراسة والنقد ثم انتقل الى الحديث عن حساسية الشاعر المفرطة التي وصلت "حد المرض" احيانا ثم تصوير صراع الشاعر مع المرض والموت ثم وفاته وجنازته البسيطة حين قال عنها :

" اما الجنازة فكانت ضئيلة جدا وأما موكب التشييع فكان متواضعا جدا وقد تمت مراسيم الدفن في مقبرة الحسن البصرى في قضاء الذبين بكل هدوء واطمئنان "(1) وبعد ذلك

---

(١) نفس المصدر السابق ص ١٧٢ .

نجد الكاتب يعود مرة أخرى الى مرحلة البداية من جديد عن حياة وشعر الشاعر اذ يقول " اصدر الشاعر ديوانه الأول ازهار ذابلة ـ القاهرة سنة ١٩٤٧ واساطير النجف ١٩٥٠ (١) " ثم يتطور مع دواوين الشاعر الشعرية " كأنشودة المطر والمعبد الغريق ومنزل الاقنان ، شناشيل ثم يعود للحديث عن موت الشاعر مرة أخرى وقد استشهد بعشرات الاقوال للعديد من النقاد الاخرين دون ترابط بينها وبعد ذلك يعود للحديث عن مراحل شاعرية السياب من جديد معتمدا على الاقتباس والنقل الحرفي لاراء النقاد الاخرين حين يقول " ان مرحلة الشاعر الأولى التي وضحت في ازهار ذابلة واساطير ذات طابع رومانتيكي حالم وافق اربعينات هذا القرن في بلادنا ثم ينتقل الى مرحلة " انشودة المطر" وتصوير أشواق الشاعر الى وطنه وحنينه الجارف اليه في قصيدته " غريب على الخليج " ثم انتقل فجأة " للحديث عن نشأة الاسطورة في شعر السياب مبينا ردود الفعل لدى النقاد الاخرين الذين نفروا من كثرة استعمال الاسطورة لدى السياب وبعد هذا كله نجد الكاتب يعود مرة أخرى للحديث عن حياة ونشأة السياب فنجده يقول " ولد الشاعر في قرية من أجمل بقاع جنوب العراق حيث ينفصل النخيل والشط والرمال " (٢) كل هذا ايضا ينقل عبارات النقاد الاخرين مما يضعف من ظهور شخصية الكاتب من ثنايا كتابه هذا بحيث يضم السطر الواحد العديد من أراء النقاد المحدثين التي نظمها الكاتب في خيط واحد . ثم انتقل الكاتب الى تصوير كراهية الشاعر للمدينة وحبه للريف دون ابداء الاسباب مكتفيا بايراد بعض النماذج من شعر السياب دون تحليل أو نقد موضوعي وبعد هذا التردد والازدواج لدى الكاتب ينتقل الى الحديث عن دواوين الشاعر خلال مرحلة مرضه في ١٩٢ صفحة وصراع السياب مع الموت كل ذلك باسلوب غيره من النقاد الاخرين واخيرا عن الفراغ الذى تركه الشاعر في عالم الشعر . وان الكاتب لم يفعل شيئا سوى جمع حبات متناثرة من أقوال النقاد ومقتطفات من أرائهم ليخلق منها عقدا حول عنق الشاعر ، وموضوعا أدبيا غير أن هذا للأسف لم

---

(١) ص ١٧٣ نفس المصدر .
(٢) نفس المصدر ص ١٨٦ .

يترك للكاتب فرصة ليوسم شخصيته الذاتية واسلوبه الشخصي ، ونحن اذا أخذنا أراء هؤلاء النقاد من الكتاب فلن يبقى في الكتاب كله سوى اسطر متناثرة مبعثرة غير أن هذا الكتاب قد وفر العديد من الجهد لدى القارئ لجمع آراء النقاد الذين تناولوا حياة الشاعر وشعره في العصر الحديث .

ى ـ ويكون التجوز سنة ١٩٧٤ :

وقد ألفه الكاتب العراقي محمد الجزائري سنة ١٩٧٤ عن منشورات وزارة الاعلام العراقية ويعتبر هذا الكتاب من أهم الدراسات النقدية المعاصرة في الشعر العراقي الحديث وهو كتاب يقع في خمسمائة وسبع صفحات وقد قسمه الناقد الى ثلاثة أقسام رئيسية كل قسم منها يحتوى على العديد من الموضوعات وهذه الأقسام الثلاثة هي :

١ ـ القسم الأول ويسمى " بالتجاوز " ويشغل من ص ٩ ـ ٢٣٣ .

٢ ـ القسم الثاني وهو بعنوان التطبيق من ص ٢٣٩ ـ ٤٧٢ ويشتمل هذا القسم على تناول ودراسة العديد من الشعراء المحدثين مثل بدر شاكر السياب وبلند الحيدري وسعدى يوسف وعبد الرزاق عبد الواحد . الفريد سمعان حسيب الشيخ جعفر .

٣ ـ القسم الثالث وهو بعنوان التكريم ص ٤٧٥ ـ ٥٠٦ وقد تضمن هذا القسم دراسة كل من الجواهري ، حسن مروان فقط وقد تناول الكاتب حياة وشعر السياب في فصل مستقل من ص ٢٣٩ ـ ٢٨٨ ولكن بصورة نقدية جديدة حديثة حيث ربط الناقد بين الشاعر وبين مجتمعه ربطا وثيقا ولم يتخذ من الشاعر " ظاهرة فردية " كما فعل السابقون ، ولكن اتخذه صوتا العصر كامل ومجتمع له ملامحه وعاداته وتقاليده وثقافته وآماله وجراحه انه مجتمع بائس معذب بالتمرد والثورة في سبيل الحياة .

واخيرا يتناول الكاتب أقوال وآراء أهم النقاد الذين تناولوا بعض جوانب حياة الشاعر وشعره وخاصة ما دون منها في مجلة الكلمة عدد كانون أول سنة ١٩٦٨ أمثال كل من نجيب المانع الذى ركز على الكشف عن عبقرية اللغة على نحو خلاق عن الشاعر السياب ومدى علاقتها بالتراث العربى وما قدمه السياب من أعمال رائعة للشعر فى هذا المجال "(١)

* * *

---

(١) ويكون التجاوز — الجزائرى — منشورات وزارة الاعلام العراقية سلسلة الكتب الحديثة ١٩٧٤ ص ٢٧٩ وما بعدها .

٣ ـ :: السياب في الصحافة والمجلات الأدبية ::

لم تتوقف دراسة الشاعر بصورة عامة عند حدود الكتب الأدبية فقط بل شملت كذلك المقالات الأدبية المتعددة على صفحات الجرائد والمجلات الأدبية في جميع انحاء الوطن العربي كله من المحيط الى الخليج . بل وبعض الصحف والمجلات الأدبية في العالم الخارجي ايضا ، وخاصة بعد وفاة الشاعر سنة ١٩٦٤ حين ترك رحيله فراغا هائلا في الحياة الأدبية العربية رغم ما تركه من تراث أدبي ونحن اذا أردنا أن نعدد هذه الصحف والمجلات التي تناول فيها الكتاب المحدثون حياة وتراث الشاعر نجدها كثيرة ومتشعبة لكن اهمها من داخل العراق أولا ما يلي الجهة العراقية ، الايام ، البلد ، صوت الجماهير ، الثورة ، الشعب أما المجلات فهي الكلمة ـ النجف ـ ٦٧ ـ ٦٨ ـ الكتاب ، ألف ، باء ، العاملون في النفط ، الانباء الجديدة ، الاديب العراقية ، الاسبوع العربي العراقية ، الاقلام ، كل شيء وغيرها أما خارج العراق ففي مصر قلب العروبة النابض نجد الصحف والمجلات الأدبية قد تناولت حياة وتراث الشاعر منها لاهرام القاهرية ٥/٣/٦٥ وما بعدها حين تناول بعض الكتاب تراث الشاعر على صفحاتها تحت عنوان " البركان الذي خمد " ومجلة "الشعر" عدد ١٤ ـ ١٧ سنة ١٩٦٥ والرسالة ، عدد ١٠٩٨ سنة ١٩٦٥ ومجلة المجلة ومجلة الفكر المعاصر ـ يوليو سنة ١٩٦٥ والمجلة ، عدد ٧٩ سنة ١٩٦٣ وغيرها من الصحف والمجلات الاخرى المهتمة بالحياة الأدبية .

وفي بيروت نجد أن أهم مجلة أدبية في الشرق العربي كله الا وهي : "الآداب" تحتفل بتراث هذا الشاعر ، اذ من النادر أن يصدر عدد منها دون أن تملأ صفحاتها باسم الشاعر " بدر شاكر السياب" خاصة منذ عام ١٩٥٤ حين انضم اليها الشاعر وعانقها بروحه حتى يومنا هذا ، بالاضافة الى مجلة الأديب ومجلة

" شعر " اللبنانية منذ عام ١٩٥٧ حتى عام سنة ١٩٦٥ ، ومجلة حوار التي كانت يشرف قلم صديق الشاعر الاستاذ / جبرا ابراهيم جبرا وغيره من اصدقاء الشاعر الاخرين — ومجلة الحرية ومجلة الحوادث ، الاسبوع العربي وغيرها من المجلات الرئيسية في لبنان ، كما شملت دائرة الشاعر شواطىء الخليج العربي الذى شهد غربته ومنفاه وموته وخاصة في الكويت — حيث اهتمت صحفها ومجلاتها بتراث الشاعر منها مجلة " الرائد العربي ، كما في عددها ٥٣ سنة ١٩٦٥ ومجلة العربي المشهورة ومجلة " البيان " التى تصدرها رابطة الادباء الكويتية وغيرها من المجلات الأدبية الاخرى في المغرب العربي فقد تناولت تراثه بتقدير واعجاب مجلة الثقافة العربية في ليبيا وجريدة العلم في المغرب وغير ذلك من الصحف والمجلات في ارجاء الوطن العربي كله ، ولهذا كله سنحاول جاهدين حصر أهم هذه المقالات ، والنقاد الذين تناولوا تراث الشاعر والمصادر التى احتوت هذه المقالات الأدبية الرائعة ، أهمها ما يلى :

أ — الصحف والمجلات المراقية :

١ — السياب والصراع مع الزمن لمحمد اسماعيل مجلة الاقلام — بغداد كانون الثاني ١٩٦٦ .

٢ — التحليل النفسى لعروض السياب عبد الجبار البصرى جريدة صوت الجماهير بغداد ٢/١٠/١٩٦٣ .

٣ — بدر شاكر السياب الاسطورة وسيف الكلمة للاستاذ جبرا ابراهيم جبرا مجلة العاملون في النفط ، بغداد نيسان سنة ١٩٦٥ ص ١٢ — ١٥ .

٤ — الالتزام الثورى في شعر السياب مجلة الكتاب بغداد مارس سنة ١٩٦٥ للاستاذ عادل مهدى حسين

٥ — مناخ القبر في شعر السياب الاستاذ ماجد صالح السامرائى ، مجلة الاقلام بغداد كانون الثاني سنة ١٩٦٦ .

٦ ـ بدر شاكر السياب شاعر الموت لفتحي سعيد ـ مجلة الاقلام ـ بغداد كانـون
ثاني ١٩٦٦ ٠

٧ ـ بدايات بدر الشعرية لخالد الشواف ـ مجلة الكلمة ـ بغداد ـ عـــدد
١ كانون ثاني ١٩٦٨ ٠

٨ ـ السياب بنى تجديده على اسس راسخة في فهم التراث للاستاذ المرحوم
شاذل طاقة مجلة الكلمة ـ بغداد ـ عدد ١ كانون ثاني ١٩٦٨ ص٣٥٢

هذا بالاضافة الى المقالات الأدبية الاخرى التي احتواها عدد هذه المجلـة حيث كان وقفا وخاصا على دراسة تراث الشاعر المرحوم بدر شاكر السياب فقط ، والمقالات الأدبية الاخرى التي شملتها كل من مجلة الفنون العراقية ومجلة الحيـاة العراقية ، مجلة كل شيء ، حيث تناول فيها الدكتور / عبد الواحد لؤلؤه بدايـة ميلاد الشعر الحر على يد بدر شاكر السياب ٠

* * *

:: اهم مقالات الصحف والمجلات العربية فى لبنان عن السياب ::

١ ـ زمن الشاعر " للشاعر ادونيس" مجلة الآداب ـ بيروت ـ اذار سنة ١٩٦٧ ص ٢ ـ ٥

٢ ـ مقدمة قصائد بدر شاكر السياب " للشاعر ادونيس" ـ الاداب ، بيروت آذار ١٩٦٧ .

٣ ـ بدر السياب والعرفا العاطفى للاديبة " ديزى الامير" مجلة الاداب ـ بيروت شباط سنة ١٩٦٥ .

٤ ـ شاعر تجدد الحياة لم ترأف به الحياة للاستاذ جبرا ابراهيم جبرا مجلة حوار ، بيروت مارس ابريل سنة ١٩٦٥ .

٥ ـ ألقى السياب بشناشيل ابنة الجلبى للاستاذ / عاصم الجندى ، مجلة الاسبوع العربى بيروت ٤ كانون ثان ١٩٦٥ ص ٥٥ .

٦ ـ الشعر العربى الجديد فى جسد بدر شاكر السياب للاستاذ / أنسى الحاج ملحق جريدة النوار بيروت ٧ شباط سنة ١٩٦٥ .

٧ ـ غريب على الخليج يغنى للمطر لصبرى حافظ ـ مجلة الآداب ـ بيروت شباط سنة ١٩٦٦ .

٨ ـ دراسة نقدية لديوان بدر شاكر السياب ـ انشوة المطر " للناقد ايليا حاوى مجلة الاداب بيروت مايو ١٩٦١ ص ١٨ ـ ٢١ .

٩ عند سرير السياب / لخليل الحاوى مجلة الاداب بيروت شباط ١٩٦٥ .

١٠ ـ مأساة عارنا جميعا لاحمد رشدى حسين ، مجلة حوار ـ بيروت ـ مارس وابريل ١٩٦٥ .

١١ ـ بدر شاكر السياب الذاهب كالمطر للشاعر " بلند الحيدرى" مجلة الأديب بيروت فبراير ١٩٦٥ ص ٥٦ ـ ٥٧ .

١٢ـ في ذكرى السياب الثانية الاسطورة والكائن الخرافي لجلال
مجلة الاداب ، بيروت ، كانون ثاني ١٩٦٧م .
١٣ـ انشودة المطر ـ بدر شاكر السياب لفؤاد رفقه مجلة شعر بيروت سنة ١٩٦١
١٤ـ انتصار هزيمة لرياض نجيب الريس ـ جريدة ـ الجريدة
عدد ٣٧٢٨ ـ بيروت ، ٧ شباط ١٩٦٥ .
١٥ـ ديوانه الاخير لرياض نجيب الريس مجلة حوار ـ بيروت مارس ١٩٦٥
١٦ـ الفكرة المولدة في بواكير شعر السياب لصالح مدني مجلة الاداب بيروت
تشرين أول ١٩٦٧ ص ٣٦ ـ ٤٠ .
١٧ـ السياب الانسان والشاعر لمطاع مجلة الاداب ـ بيروت شباط
سنة ١٩٦٥ .
١٨ـ الحب والمرأة بأشعر السياب لعبد الجبار عباس مجلة الاداب بيروت شباط
سنة ١٩٦٦ .
١٩ـ بدر شاكر السياب للناقد الفلسطيني ناجي علوش مجلة الاداب ـ بيروت
اذار سنة ١٩٦٦ .
٢٠ـ مقدمة ديوان " اقبال " لبدر شاكر السياب / لناجي علوش دار العودة
بيروت سنة ١٩٦٥ .
٢١ـ مقدمة مجموعة السياب الشعرية لناجي علوش دار العودة بيروت سنة ١٩٧١
٢٢ـ ولد لنا شاعر كبير لانطون غطاس كرم مجلة حوار بيروت مارس سنة
١٩٦٥ .
٢٣ـ بمناسبة ذكرى السياب لعبد المجيد لطفي مجلة الاداب ـ بيروت اذار سنة
١٩٦٧ .
٢٤ـ مات الطائر وبقيت الاغنية للشاعر السوري محمد الماغوط مجلة حوار بيروت
مارس ، ابريل سنة ١٩٦٥ .

٢٥ـ السياب مناضلا وشاعرا لمحى الدين محمد مجلة شعر عدد ١٤ سنـــــة ١٩٦٥م ٠

* * *

هذه هى أهم المقالات الادبية والمصادر الصحفية التى تناولت تراث السياب بالنقد والتحليل خلال السنوات القليلة الماضية خاصة بعد وفاته ٠

* * *

:: أهم المقالات والصحف والنقاد في مصر العربيـــة ::

١ ـ السياب مفكرا للدكتور أحمد كمال زكي ، مجلة الفكر المعاصر ، القاهـــرة ، يوليه ١٩٦٥ .

٢ ـ السياب مناضلا وشاعرا للاستاذ محي الدين محمد ـ مجلة شعر ـ عدد ٤ السنة الثانية القاهرة فبراير ١٩٦٥ .

وهذه تكملة للموضوع السابق في مجلة شعر اللبنانية وقد تناول فيه مراحـــل السياب الشعرية من الرومانسية حتى المأساوية .

٣ ـ الرموز والاسطورة لدى السياب له أيضا ، مجلة المجلة ـ القاهرة عدد ٣٩ سنة ١٩٦٣ . وفيه

٤ ـ السياب . للدكتور أحمد كمال زكي ، مجلة الرسالة عدد ١٠٩٨ ـ القاهـرة سنة ١٩٦٥ .

٥ ـ البركان الذي خمد للاستاذ لويس عوض ، صحيفة الاهرام ، القاهرة ٦٥/٣/٥

٦ ـ هذا بالاضافة الى المقالات والدراسات الأدبية المتعددة التي تناول فيهـا كتابها في مصر العربية الشعر الحر وشملت ذكرى وتراث السياب كمقالات الدكتور طه حسين ، والاستاذ عباس محمود العقاد ، والدكتور محمد مندور ، والاستاذ مصطفى عبد اللطيف السحرتي والدكتور محمد عبد المنعم خفاجي في كتابـــه : " البناء الفني للقصيدة العربيـة " وقد أفرد الفصل التاسع من الجـــزء الثاني من كتابه القيم ـ الأدب العربي الحديث ومدارسه ـ للشعر الحر والذي نقتطف منه الفقرات التالية .

أ ـ بدأت الدعوة الى الشعر الحر تظهر بين بعض النقاد المعاصرين ومن بينهم مطران وأبو شادي ، وهذه الدعوة تأثرت في أول الأمر بمذهـــب الشاعر الامريكي "والت هوتمان" الذي هجر الأوزان في معظم شعـره وكذلك لم يهتم بالقافية ووجه جل اهتمامه الى الايقاع الموسيقي للشعر"

معظم شعره ، وكذلك لم يهتم بالقافية ووجه جل اهتمامه الى الايقـاع الموسيقى للشعر " .

ب ـ والخروج على الوزن الشعرى مع ملاحظة تنغيمات موسيقية خاصة يسمى شعرا حرا عند ابى شادى والسحرتى . ثم صار الشعر الحر فى رأى نازك الملائكة فى كتابها ـ قضايا الشعر المعاصر ـ لايطلق الا على تنويع التفعيلات فى أشطر القصيدة .

جـ ـ ومن الشعراء الذين ينظمون الشعر الحر من يتأثرون الطريقة القديمة فيلتزمون فى أحيان كثيرة القافية كنزار قبانى ومحمد الفيتورى ، ومنهم من يتركها كنازك الملائكة وبدر السياب وعبد الوهاب البياتى ، وملك عبد العزيز فى اغلب شعرهم .

د ـ ومن النقاد من رفضوا الشعر الحر وهم الاكثرون لان الشاعر فيه لايتقيد بنظام التفاعيل العروضية .

ان الشعر الحر لايتقيد الشاعر فيه بنظام التفاعيل العروضية إذ يتنوع فيه النغم ، وتتجدد التفعيلات ولا يقيد البيت بنظام الشطرين المعروف فى البيت الشعرى .

ثم يمضى الدكتور خفاجى قائلا وان كنا نؤثر القصد فى الحكم والتوسط فى الامر بحيث لاتصبح الاوزان جامدة كما يريدها المحافظون وبعض شعراء الغرب ، ولا يصبح الامر فوضى كما يريده دعاة الشعر الحر ، اما التجديد فى شكل القصيدة الموروث فنحن نقبله فى حذر واناه وبقدر حتى لايفاجأ القراء والسامعون بما لم يألفوا وبما لايمت الى قديمنا بصلة .

ثم يقول الدكتور خفاجى ان مبتكر الشعر الحر فى شعرنا المعاصر ليس واحدا كما يظنون ان نحو العشرين شاعرا ادعى كل منهم انه مبتكره . السياب ، نازك

الملائكة لويس عوض ، على أحمد باكثير ، محمد فريد أبو حديد (١)

هذا ماقرره الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى وانى اتفق معه فى ان كل تجديد فى الشعر لابد ان يعتمد على القديم ، وفى ضرورة المحافظة على التراث الغالى من الشعر العمودى الذى توافر فيه الصدق •

اما بالنسبة للذين ادعوا انهم ابتكروا الشعر الحر فقد قررت حسب ما وصل اليه علمى ان بدر شاكر السياب هو رائده وهو اول من نظم على طريقته وقدمت من الادلة والبراهين مايثبت صحة ماذهبت اليه •

---

(١) د • محمد عبد المنعم خفاجى — الأدب العربى الحديث ومدارسه — الجزء الثانى من ص ٢٥٥ — ٢٦٦ — مكتبة الازهر •

((الفصل الثانـــــى))

:: السياب واشهر معاصريه فى العـــــراق ::

١ ـ بين نازك الملائكة ـ بدر السيـــاب

قد يتشابه الشاعران ويتعانقان فى رؤياهما الشعرية ومواقفهما الحياتية وقـــد يفترقان ويتباعدان أيضا ولاشك أن هذا اللقاء والفراق يعود لاختلاف الظروف الحياتية والبيئة الاجتماعية والثقافية لكل منهما • ففى الوقت الذى ولدت فيه الشاعرة ببغداد سنة ١٩٢٣ بين احضان المدينة وبين اسرة كريمةمتوسطةالحال ،مثقفة تعشق الادب والشعر حيث كان والداها شاعرين وأختها شاعره واخوها شاعرا [١] مما جعل الشعر وراثـــــه فى هذه الاسرة وجعل الحياة مستقرة زاخرة بالحب والحياه معا ، فى هذا الوقـــت كما قلت نجد شاعرنا الكبير " بدر شاكر السياب " قد ولد فى " بقيع " احـــدى ضواحى " جيكور " سنة ١٩٢٥ من اسرة قروية محافظة كريمة كانت بالامس ميســـورة الحال ثم أخنى عليها الدهر وتنكر لها مما أدى بها الى الفقر والتمزق والشقاء لفـــترة طويلة من الزمن ، خاصة بعد وفاةوالدة الشاعر سنة ١٩٣٢ ومن هنا كان الخـــلاف والمفارقات العديدة بين موقف كل من الشاعرين تجاه الانسان والحياة والمجتمع • ومما ساعد ايضا فى تعميق هذه الفروق بينهما اختلاف ثقافة كل منهما رغم دراستهمـــا معا فى معهد واحد ففى الوقت الذى كانت فيه الشاعرة بقسم اللغة العربية بـــدار المعلمين العليا ببغداد ، كان الشاعر قد انتقل من قسم اللغة العربية الى قســـم اللغة الانجليزية كما يرجع ذلك ايضا الى افكار كل منهما فى هذه الحياة ففى الوقـــت الذى تأثر فيه الشاعر بالافكار السياسية المختلفة فى مطلع حياته الشعرية بقيت الشاعـــرة محافظة على افكارها وتقاليدها العربية الاصيلة رغم اطلاعها على الثقافات الغربيـــــة

---

(١) مقابلة شخصية مع الشاعرة بالكويت ١/٢/١٩٧٤ •

المتعدده ونحن اذا عدنا الى بداية طريقهما الشعرى خلال المرحلة الرومانسية الاولى نجد أن الشاعرين قد التقيا معا فى التعبيرعن الحزن والالم والضياع ، كقولها فى مطلع ديوانها الاول " عاشقة الليل " .

اعبر عما تحس حياتى * وارسم احساس روحى الغريب
فأبكى اذا اصدمتنى السنين * بخنجرها الابدى الرهيب
واضحك مما قضاه الزمان * على الهيكل الادمى العجيب
واغضب حين يداس الشعور * ويسخر من توده ان اللهيب (١)

أما بدر السياب فقد عبرعن حزنه الذاتى المتفجر من جراحات الفقر والفشل العاطفى المتكرر والحنين الجارف لريفه الحبيب فيقول :

ياليل اين تطوف بى قدمى * فى اى منعطف من الظلم
تلك الطريق اكاد اعرفها * بالامس عثم طيفها حلمى
هى غمد خنجرك الرهيب وقد * جردته ومسحت عنه قدمى (٢)

وهكذا كان الدهر خنجرا قاسيا فى خاصرة وقلب كل من الشاعرين المحترقين بنكبات الزمن . وعندما تحس الشاعرة بغربتها وضياعها ووحدتها القاتلة فتصرخ قائلة :

وحدتى تقتلنى والعمر ضاعا * والاسى لم يبق لى حلما جديد
وظلام العيش لم يبق شعاعا * والشباب الغض يذوى ويبيد (٣)

فاننا نجد الشاعر " السياب " ايضا يعبر عن احساسه بالفراغ القاتل والوحده الرهيبة التى تمتص روحه الضائعة .

---

(١) نازك الملائكة ديوان عاشقة الليل ص ٦ .
(٢) بدر شاكر السياب — مجموعة الغربة — ديوان ازهار واساطير — ص ٦
(٣) نازك الملائكة " عاشقة الليل " ص ٢٥ ، بيروت سنة ١٩٦٠ .

سأم ..... ومصباح وحيد * ان فى واقمتى الطريق
مرت وجوه العابرين به * ملونها قليلا
مرت ... وغابت فى الظلام * وليس يبرح فى حريق
سأم ونافذة يطيل فضاءها الدرب الطويل
سأم ومرآة تشائب فى قرارتها الوجوم
الغرفة الجوفاء والاقداح والباب القديم (١)

ولقد اجاد الشاعر بلاشك فى تصوير داخله ومافيه من صراع مرير مع اليأس والسأم وتصوير عالمه الخارجى خاصة فى مسكنه الاجوف الشاحب المشحون بالفراغ والصمت القاتل واكثر مايظهر هذا اللقاء الشعورى بينهما والذاتى خلال هذه المرحلة الرومانسية للشاعر فقط عكس مراحل شاعريته الاخرى التى تطور فيها وتعددت تجاربه واتسعت رؤياه وقد حلل بعض النقاد المحدثين رومانسية " نازك " الحزينه النازفه قائلا :

" وتسيطر على الشاعرة ثورة استعادة الماضى فى نغمات مرتعشة ومرارة الشعور بالزمن المقفر من " بعد عام " بديوانها عاشقة الليل وهى تبدو فى هذه القصيدة اكثر انطلاقا مع عواطفها وأملك لاداتها التعبيرية فى الوقت نفسه ، اما فى قصيدتها " على وقع المطر " فقد أفلحت فى نزع نفسها بقوة من أسر الماضى وبقدر ماشبت عن سذاجة العاطفة الاولى واستطاعت أن تنظر الى ذاتها من خارج الزمن وكان الدور الذى تؤديه الصور الخارجية فى بناء القصيدة أظهر وأشد تماسكا (٢) .

كقولها فى وقع المطر :

امطرى فوقى ... كما شئت ، على وجهى الحزين
لاتبالى جسدى الراعش ... فى كف الدجون
امطرى ... سيلى على جسمى ... أو غشى عيونى
بللى ما شئت كفى ، شعرى _ وجبينى (٣)

---

(١) بدر شاكر السياب _ مجموعته الشعرية من ديوان ازهار واساطير ص ٨٦
(٢) د . شكر عياد مجلة الاداب ، مارس سنة ١٩٦٦ ص ٤٠ _ ٤٢
(٣) نازك الملائكة ديوان " عاشقة الليل " ص ٨٢

ونلاحظ هنا أن الشاعرة قد لجأت الى الشكل الجديد فى الشعر للتعبير عن احاسيسها الذاتية بصور حيه ولغه عفويه بسيطة كقولها " بللى " وسيلى على جسمى شعرى ، جبينى وغير ذلك لكن هذا الانطلاق لدى الشاعرة سرعان ماتراجع فى بعض قصائدها التالية خاصة قصيدتها الى عينى الحزينتين التى انعكس فيها الفكر والعاطفة على ذات الشاعرة مما يهدد بالنرجسية والانغلاق وسط قوقعة قاسية فتحا خطب عينيها قائلة :

عينى ياسر الطبيعة حدثا * ماذا وراء الكائنات رأيتما ؟
رفعت دياجير الحياة ستورها * لكما وأبدت سرها المستبهما
هاتا حديث الموت هاتا سره * قد آن ياعينى أن تتكلما
ماشاطئ الاعراف ذا مالونه * ماسره الخافى ؟ صفاه وترجما (١)

ولاشك ان هذا الحديث للعينين يذكرنا بموقف الخنساء عندما الحت على عينيها بالبكاء من أجل أخيها صخر عندما قالت :

أعينى جودا ولاتجمدا * ألا تبكيان لصخر الندى ؟

كما جعل العديد من النقاد المحدثين يصفونها بقولهم ان هذه خنساء جديدة ولكنها مثقفة .

تطلع علينا فى القرن العشرين بديوان شعر يدور حول موضوع واحد كديوان خنساء الزمن الغابر تلك ذويت شعرها ودموعها على اخويها وهذه استحالت عواطفها شعرا حزينا كئيبا يصح فيه قول " الفرد دى موسيه " اضرب القلب فهناك الشعر الذى لايموت (٢) ولكن عندما انتقلت الشاعرة من مرحلة هذا الديوان الاول الى ديوانيها التاليين شظايا ورماد سنة ١٩٤٩ وقرارة الموجه سنة ١٩٥٧ نجد الشاعره قد انتقلت من العفوية والبساطة الى مرحلة الاقتراب من التجربه " الصوفيه " حتى فى حبها

---

(١) نفس المصدر السابق ص ٦٦ .

(٢) مارون عبود ، مجددون ومجترون – دار العلم بيروت سنة ١٩٤٩ ص ١٨٥ .

الذاتى اذ اخذت تتعمق فى ذاتها الداخلية مما اكسب شعرها نوعا من الثراء النفسى لكنها رغم ذلك بقيت داخل اسوار محدده لم تستطع الانتقال الى العالم الخارجى الا فى عدد من القصائد المحدوده مثل " غسلا للعار " التى صورت فيها المرأة الريفية التى ذهبت ضحية للعادات والتقاليد البالية باسم الحفاظ على العرض والشرف لانها رفضت الزواج من ابن عمها المحطم والتى تقول فيها :

ياجارات الحارة ... يافتيات القرية
الخبز سنعجنه بدموع مآقينا
سنقص جدائلنا وسنسلخ ايدينا
لتظل ثيابهم بيض اللون نقيه
لابسمة ، لافرحة ، لالفته ، فالمدينة
ترقبنا ، فى قبضة والدنا وأخينا
وغدا من يدرى أى قفار ستوارينا غسلا للعار (١)

لكن معظم قصائد ديوانها " قرارة الموجه " بقيت تزخر بالخوف من المجهول من الافعوان الذى ملأ حياتها خوفا ورعبا حتى حول حياتها الى سموم وملل وسأم قاتل .

ايـن امشى مللت الدروب
وسئمت المروج
والعدو الخفى اللجوج
لم يزل يقتفى خطواتى ، فأين الهروب ؟

ويستمر هذا الافعوان المجهول يطارد الشاعرة ورفيقها حتى اصبحت الحياة مغلقة وصرخت ، رفيقى اى طريق يحمينا من هذا المخلوق ؟

فالدرب يضيق ويضيق
لنعد ، والظلمة محكمه الاغلاق

---

(١) نازك الملائكة ، قرارة الموجه ص ١٤٦ .

فاجاب رفيقى مرتعشا والكلمة محكمه الاغــــلاق

لنهرب ، ان تسلمنـا الافـــــاق (١)

فقد تطورت الشاعره فنيا اذ لجأت الى الصور الحسيه الرمزيه وتدفق الايقاع الموسيقى المخيف المتناسب مع الجو العام للقصيدة والمشاعر الانسانية المتصارعة فى الداخـــــل ، بالاضافة الى استعمال الاسلوب الحوارى بينها وبين رفيقها الذى قاسمها الخوف والارتعاش من القدر المجهول ولعل ذلك الحزن الجارف فى حياتها يعود الى الصدمات العديـــدة التى قاستها فى حياتها . وهذه القصيدة قريبة الشبه بملحمة الشاعر بدر السياب والتى بعنوان المومس العمياء حيث أن كلا منهما ترسم خوف النفس البشرية من اقتراب المجهــول الرابض فى أعماق العدم اللانهائى واكثر ما يتجسد هذا الخوف فى ملحمة السياب فى خــوف زوجة الحارس البائس الذى يقضى طوال ليله فى حى " البغـــاء " خوفها من ضياع زوجهـــا وابتعاده عنها ووقوعه ضحية لاحدى المومسات وقد عكست هذا الخوف على " سليمــــه " ضحية المومس العمياء حين اخبرتها تقول :

لكن بأســه سواهـــــا	حدثتهـــا منذ حـــين
عن بيتها وعن ابنتهـــا	وهى تنتهف بالبكـــــاء
عن زوجهـــا الشرطـــى	عجلة الغروب الى البغايـا
كالغيمه الســـــوداء	تنذر بالمجاعة والرزايـــــا (٢)

غير ان تصوير السياب كان أروع نظرا لواقعيته واستعماله اسلوب التصوير القائـــم على التضمين واللقطات التصويرية المتتابعة لاحاسيس الانسان الداخلية المتصارعــــة بالاضافة الى معالجته الحقيقية لامراض مجتمعه وانسانه على امتداد الزمان والمكان وليس فى داخل دائرة الذات المحددة فقط كما سبق ان بدر استطاع أن يتبوأ ريادة الشعـــر الحر رغم قيام الشاعره بدور قيادى فى بادىء الامر الا انها تراجعت بعد ذلك عن متابعـــة الطريق وليس ادل على ذلك من الرجوع الى دواوينها الشعرية وهى :

---

(١) نازك الملائكة ، قرارة الموجه ص ٢٤ .

عاشقة الليل بغداد سنة ١٩٤٧ ، وشظايا ورماد بغداد سنة ١٩٤٩ ، والثالث قرارة الموجه بيروت سنة ١٩٥٧ ، وشجرة القمر واغنية الانسان فالديوان الأول يضم ٣٩ قصيدة منها ٢٩ على الطريقة القديمة وثمانى قصائد فقط على الطريقة الحديثة والديوان الثانى شظايا ورماد ، يحتوى على اثنتين وثلاثين قصيدة منها خمس عشرة قصيدة على الطريقة العمودية وسبع عشره على الطريقة الحديثة اما الديوان الثالث للشاعره " قرارة الموجه " الذى افتتحته الشاعره باهداء رقيق لوالدتها حين قالت " الى امى أول شاعره خصبه تتلمذت عليها (١) فيتكون من اثنتين واربعين قصيدة منها تسع وعشرون على الطريقة العمودية القديمه والباقى على الطريقة الحديثة وبذلك يتضح لنا أن مايقرب من ثلثى انتاجها الشعرى كان عموديا والثلث الباقى كان حرا اما ديوانها شجرة القمر فقد كان مزيجا من الشعر القديم والجديد اما " اغنية الانسان " فهو بمثابة قصيدة واحدة على شكل المقطوعات الشعرية ذات القوافى المتعددة اما دواوين بدر شاكر السياب فقد سار فى اوائلها على النص العمودى مثل " اعاصير " وازهار ذابلة ، قيثارة الريح وبعض قصائد ، اساطير ، وماعدا ذلك فان جميع قصائده بدواوينه الاخرى الا ماندر سار فيها على النظام الجديد " والشعر الحر " وهذا مايؤكد لنا مدى ايمان الشاعر برسالته فى تجديد الشعر العربى وتحريره .

ونحن اذا اردنا أن نوازن بين شعر نازك والسياب وجدنا هناك كثيرا من الصفات المشتركة بينهما كرهافة الحس وتدفق الشعور المثالى وسيطرة الحزن على حياة كل منهما لفترة زمنية طويلة رغم اختلاف بيئتهما ونشأتهما وظروف حياتهما غير أن من اهم الفروق بينهما مايلى :

أ — استمرار نازك داخل دائرة الرومانسية الحزينة وتجاربها الذاتية وانعزالها فى البداية عن قضايا المجتمع ولم تلتفت به فى بداية حياتها الا من خلال بعض قصائدها الانسانية التى تصور مأساة المرأة العربية وسط هذا المجتمع المتخلف

---

(١) نازك الملائكة مقدمه — ديوانها قرارة الموجه .

ومن أهمها " غسلا للعار " ومرثية امرأة ، لا قيمة لها ، النائمة في الشارع ، الراقصة المذبوحة ، دعوة للحياه وفيما عدا ذلك عاشت الشاعره وسط قماقم الحزن والالم المتدفق العنيف وقد ارجع بعض النقاد أسباب هذا الحزن الى قوة الشعور الانسانى ورهافة الاحساس بالاضافة الى تعرض الشاعرة فى بداية حياتها الى بعض الصدمات الشخصية ، حيث فقدت ثلاثة من أعز اقاربها .

بالاضافة الى تصدع وانهيار منزل طفولتها ثم قيام الحرب العالمية الثانية وماتركته من شقاء للبشرية (١) كما نرى أن التقاليد الاجتماعية الصارمة قد عمقت هذه الالام فى نفس الشاعرة العظيمة ذات الاحساس المرهف لما فيها من قيود قاتله لكرامه الانسانه الطموحة فى الحياة وليس لسبب الارستقراطية والتعالى (٢) كما يقول بعض النقاد المتحاملين على الشاعرة فهى من اسرة عربية متوسطة الحال تحترم الانسان باستمرار أما بدر شاكر السياب فقد استطاع أن ينتقل من شعره عبر مراحل متعددة ، فقد تجاوز الرومانسية الحالمة الى الواقعية فالتموزيه وأخيرا المأساويه " الذاتية " حيث عاد الى قبضة الذاتية الممزوجة بالموضوعية عندما يربط بين الامه ووطنه الذبيح .

ب ـ عدم اتجاه الشاعره فى قصائدها الى استعمال الادوات الشعرية الجديدة مثل التصوير بالرمز والاسطورة ، الاقتباس والتضمين فى بطون التاريخ والتراث الشعبى والدينى والتاريخى والادبى . رغم ثقافتها العريقة والعميقة ودراستها لكثير من روائع الادب العربى والغربى على حد سواء ولكنها اعتمدت على نقاء لغتها وسلامة تراكيبها وروعة صياغتها باسلوب

---

(١) راجع كتاب ادب المرأة العراقية الاستاذ بدوى احمد طبانه ـ دار العالم العربى سنة ١٩٤٨ ص ٥٣ ـ ٧٦

(٢) انظر الشعر العربى الحديث وروح العصر د / جليل كمال الدين بيروت سنة ١٩٦٤ دار العلم للملايين ص ١٢٨ .

عربى ناصع كما حرصت على اوزان الشعر وقوافيه وليس ادل على هذا الحرص من كتابها النقدى القيم قضايا الشعر المعاصر سنة ١٩٦٢ والذى اوضحت فيه للشعراء اسس الشعر الحر واوزان العروض وخصائص وعيوب هذا الشعر وضرورة تمسكهم بالاوزان والقوافى رغم تعدد التفعيلات فى السطر الشعرى •

أما السياب فقد استطاع ان يمتص كل عصارات الحضارات الانسانية منذ فجر التاريخ حتى عصره ، كما اطلع على الادب العربى منذ منبعه حتى مصبه والادب الاوربى باسره مثل شعر شيللى وكينس وبايرون وشكسبير ولوركا الاسبانى وبابلو نيرودا التشيلى ، اليوت وأوديت ستويل بالاضافة الى الادب الروسى كما قرأ الكتب السماوية القرآن الكريم ، الانجيل ، التوراه بالاضافة الى الاساطير والرموز فى الحضارات القديمة وبذلك استطاع أن يغذى ويطرز شعره بالعديد من هذه الخيوط الجميلة •

جـ ـ ضيف التجارب الشعرية عند " نازك " فهى فى معظمها تدور حول الشكوى من قسوة الزمن ، وتصوير الكآبة والخوف من المجهول ، الحزن المتدفق من الاعماق اما قصائدها الانسانية الاخرى والتى ذكرناها منذ قليل فهى تشع بالروح الانسانية المعذبة نحو هذه الضحايا مع الثورة العامة ضد تقاليد المجتمع •

د ـ تقييم البناء الفنى : معظم قصائد " نازك " بمثابة سهول متراميه واسعة لاتموج فيها ولا توتر ولاصراع الا ماندر منها اما قصائد بدر فهى تمتاز بتصاميم فنية جديدة سواء كانت ايحائية كما فى مقدمة ـ السوق القديمة والمومس العمياء ، الحفار ، انشودة المطر ام كانت رمزية كما فى قصيدته فى المغرب العربى التى رمز فيها بقبرين احدهما يمثل الاجداد العظماء الذين انتزعوا النصر منذ موقعة " ذى قار " حتى " بلاط الشهداء " فى فرنسا خلال وجود العرب فى الاندلس والقبر الثانى متهدم حقير رمزا للجيل العربى المتخلف الذى رضى حياة الذل فى ظلال الاستعمار ام كان هذا التصميم قائما على الازدواج والتقابل بين

صوره كما فى الاسلحه والاطفال .

حين يقارن الشاعر بين سعادة الاطفال الابرياء فى ظلال السلام وبين حياتهم المعذبه مع ابائهم وامهاتهم الثكالى فى ظلال الحروب ومثل مقابلته فى حياة المومس العمياء فى ماضيها المشرق عندما كانت طفلة تكركر بالحياة وبين صوره حاضرها المظلم المدنس بالشهوات تحت افواه الذئاب من (الزناه السكارى) وقد سبق أن ذكرنا هذا كله فيما مضى عند الحديث عن تصميم بنائه الفنى وصوره الشعريه وبعد هذه الموازنة السريعة بين الشاعره نازك الملائكة وبين الشاعر بدر شاكر السياب نستطيع أن نقرر أن - السياب شاعر موهوب خالد على مرور الايام .

٢ـ بين السياب وبلند الحيدري

يعتبر الشاعر " بلند الحيدري " من الشعراء الثوريين فى العراق الحديث حيث شارك بكل طاقاته الفكريه والروحيه والادبية مع رفاقه الاخرين أمثال بدر السياب ونازك الملائكة وعبد الوهاب البياتى وغيرهم حتى اصبح ذكر احدهم مرتبطا بالاخرين لانهم بمثابة الحان متعدده لكنها ملتحمة وقد انصرف هؤلاء الشعراء حقا فى نهاية الحرب العالمية الثانية الى احياء الشعر العربى الحديث والدليل على حرص شعرائنا هؤلاء على تراثنا انهم مازالوا ينظمون شعرهم بلغة عربية حيه متحركه كما حافظوا على الاوزان العروضية المستوردة رغم اعتمادهم على التفعيلة الواحدة بدلا من وحدة البيت ذات التفاعيل المتساوية فى كل شطر شعرى كما اغنوا هذا الشعر بالاقتباس والتضمين من التراث الحقيقى سواء كان دينيا أو أدبيا أم تاريخيا ام شعبيا كل ذلك باسلوب عربى وممتع يصل الى قلوب وعقول الناس على اختلاف مستوياتهم العقلية والادبية .

الحيدرى شاعر عراقى ولد فى بغداد سنة ١٩٢٦م [1] من اسرة متوسطة الحال ان لم تكن اقل من ذلك ودرس فى المدارس الثانوية ببغداد ثم تخرج بدار المعلمين العليا ببغداد وبذلك يتشابه هذا الشاعر فى ظروفه وحياته وثقافته وعمره بالشاعر " بدر السياب " كما التقى معه فى بعض تجارب الحياة الاخرى كالتعرض للعسف والمطاردة والنفى خارج وطنه وفى هذا التقى الشاعران فى مصارعة الحياة والطغاه من أجل كرامة الانسان العربى .

ومن اهم انتاجه الادبى ديوانه " خفقة الطين " سنة ١٩٤٦ ـ اغانى المدينة الميتة سنة ١٩٥١ ، اغانى المدينة الميتة وقصائد اخرى سنة ١٩٥٧ . جئتم مع الفجر سنة ١٩٦١ خطوات فى الغربة سنة ١٩٦٥ رحلة الحروف الصفر سنة ١٩٦٨ ، اغانى الحارس المتعب سنة ١٩٧١ والان بعد أن القينا الاضواء على حياة ودواوين هذا الشاعر

---

(١) مجلة الثقافة العربية ، أدار سنة ١٩٧١ ص ٢٥ .

نعود لاستعراض اهم خصائص د واوينه الشعريه ومتابعة تطوره خلالها لنعرف مدى ماقدمه مع رفيقه " السياب " وغيره من اعمال ونوازن بينه وبين " السياب " موازنة موضوعية لقد بدأ الشاعر حياته الادبية " رومانسيا " نظرا لسيطرة الرومانسية الحالمة على عقول وعواطف الشعراء الشباب العراقى خلال الحرب العالمية الثانية •

فلاعجب اذن أن يكون الشاعر " بلند " فى ديوانه الاولى خفقه طين سنة ١٩٤٦ رومانسيا يوقع مع حبيبته على شاطئ الحلم ويرى الحياة اطياف حب ينشر الهوى دنياه عليها وعندما طبع هذا الديوان الاول كان الشاعر فى العشرين من عمره (١) كان فتى مراهقا يحب قراءة الادب المكشوف خاصة " افاعى الفردوس " لالياس أبى شبكه " كما يظهر فى بعض قصائده وتشابه الروح والوزن والقافية والتمزق البودليرى " المنيف عندما يصرخ قائلا •

أنا من نار ونارى شهوة * احرقت جسمى وماجت فى ضميرى (٢)

كما تأثر بالشاعر " عمر ابى ريشه " فى قصيدته " مصرع فنان " فجاء (بلند) ليصوغ منها قصيدته " موت الشاعر " كما تأثر بالشاعر " ايليا ابى ماضى " فى قصيدته " المساء " ويظهر هذا الاثر فى قصيدته " موت الشاعر " •

كفى التألم واهجعى * سلمى زمانك لايعى
عبثا ترومين الصباح * وصبح سعدك لايعى

أما بدر شاكر السياب فقد كان اكثر تعففا وتمسكا بالخلق العربى الاصيل رغم ثورته على الحبيبة الغادرة وحبه للحبيبه خلال اللقاء • كان السياب يصور اللقاء ومافيه من نشوة وسعاده ويصور الفراق ومافيه من الام وجراح نابعة من الداخل والاعماق الممزقه ولكنه لم يشعل نار الشهوه الحيوانيه كبقية شعراء الجنس المنحدرين فمن قول السياب من حبه ولقائه وسعادته وشقائه •

---

(١) عبد الجبار عباس مجلة "الاداب مارس ١٩٦٦ ص ٩٨
(٢) دمشق وارجوان مارون عبود ص ٧٠ •

والتف حولك ساعداى * ومال جيدك فى اشتهاء
كالزهره الوسنى * فما احسست الا والشفاه
فوق الشفاه وللمساء
عطر يفوح فتسكرين به * واسكر من شذاه (١)

وهكذا كان يحس الشاعر بروعة اللقاء واحتضان الحبيب وكأنه جزء منه ومن خفقات قلبه لا مجرد شهوة عابرة سطحيه وفى احساسه بالحزن نجده يعبر عنه باحتراق حقيقى صادق حين يقول :

ثم ارتخت عنى يداك * والطبق الصمت الثقيل

ولعل ذلك عائد الى امرين هما :

١ — نشأة السياب القروية المحافظة عكس ابناء المدينة .

٢ — عدم تأثره بالشعر المادى المكشوف مثل الشعراء الاخرين من ابناء جيله .

وعندما تجاوز بلند هذه المرحلة الرومانسية الحالمة الى مرحلة النضج والفكر انتقل فى ديوانه الثانى ، اغانى المدينة الميته سنة ١٩٥١ الى مواجهة الواقع المر الذى يخيم على العراق رأى الظلم السياسى القاتل مما دفعه الى الانعزال عن مجتمعه ولم يشارك مشاركه فعاله فى تغيير هذا المجتمع العفن مثل " السياب " " البياتى " مما جعل من الشاعر رهين صومعة الحزن الفردى الذاتى الذى لم يتبلور بعد ولم يصل الى مرحلة الثورة الحقيقية ومن هنا تخلف " الشاعر بلند " عن قافلة النضال التى حملها كل من السياب والبياتى اللذين حملا راية الكفاح وقد كانت بداية ثورة " بدر " ضد الاقطاع الشرس الظلم السياسى ، متجسده فى قصيدته الى " حسناء القصر " بديوانه " اساطير " كما بينا من قبل ثم اندفع بعد ذلك فى قصائده الاخرى بديوانه انشوده المطر مثل ، الاسلحه والاطفال ، يفجر الاسلام ، حفار القبور ، المخبر وغيرها وبذلك يكون " السياب " قد تفوق على " بلند " من الناحية الثورية والنضالية

---

(١) بدر السياب مجموعته الشعريه — ازهار واساطير ص ٢٩ .

الحقيقية من اجل بناء العراق بل والانسان فى كل مكان واستمر بلند فى عزلته وترددده هذا حتى عام ١٩٦١ حين صدر ديوانه "الحقيقى جئتم مع الفجر" الذى صدر بعد قيام ثورة ١٤ تموز بالعراق ففى هذا الديوان نجد أن الشاعر قد انتقل من الذات المترددة بين الصمت والثورة وبين الاقدام والتراجع الى مرحلة الالتزام الحقيقى تجاه ابناء امته لكن هذا الالتزام كما ارى جاء متأخرجدا عن بقية زملائه من شعراء الطليعة وخاصة "السياب" الذى سبقه الى ذلك الميدان بحوالى خمسة عشرعاما فى ديوانه القومى الاجتماعى "اعاصير" سنة ١٩٤٦ .. فى هذا الديوان نجد أن الشاعر "بلند الحيدرى" يصور قيام جيش العراق بالثورة ضد الحكم الملكى قائلا لاخوانه الضباط والجنود العراقيين

جئتم وكنا هنا
نقتل فى صمت ولا ندرى
أيصلب الانسان
احرق النيران بيوتنا — صغارنا ؟
تسأل من اين تأتى المنى
من اين — لن تأتى
لن تشرق الشمس وفى بيتى
تغور فى الموت
أقدام اطفالى بلا صوت (١)

وهكذا رسم الشاعر صورة رائعة للحزن والخوف الذى كان يخضع ابناء العراق — ويتهددهم بلا توقف ، حتى خلوات الصغار كانت مشلولة من الرعب كما اتجه الشاعر بروحه ومشاعره تجاه الانسان المعذب المضطهد سواء كان طفلا بريئا او عاقلا بائسا او أمرأة ثكلى وضحية مأساة اوغير ذلك كقوله فى تصوير حياة الفلاحين الجائعين وتمسكهم بالارض رغم الفقر والجوع .

---

(١) بلند الحيدرى — جئتم مع الفجر سنة ١٩٦١ ص ٣٨ الاداب مارس سنة ١٩٦٦ ص ١٥٧ .

فوراء كل ليالي هـذى الارض ـ لى حب وبيت

ووراء كل سكونهـــا القلــق المـــــضي

ورغـم كل مافـى الجـرح من حقـد وبغـــض

سيظل لى حب وبيـت (١)

لكن مما يؤخذ على الشاعر " بلند " تراجعه عن قضايا الشعب والامه كما يؤخذ عليه قلة التجارب الشعرية المتعددة فى حياته اسوة بالسياب فهو لم يتعرض لصدمـــات الحب الفاشل فى الحياه وتجربه . الشوق والحنين للوطن ولاتصوير مرارة اليتم والفقـــر والاقطاع والضياع كما عند " السياب " ولم يعرف تجربه المرض والموت فى حياته لعـــدم معاناته لها وتعرضه لها وغير ذلك من التجارب التى تثرى شعر " السياب " يخلـــو شعره من الرموز والاساطير والاقتباس والتضمين من التراث على اختلاف انواعه وغير ذلك من الدرر المعنويه التى جعلها السيلب من اهم خصائص مدرسته الشعريه ونظرا لفقـــر تجاربه الشعريه من جهة وعدم اتيانه بالادوات البنائيه الفنية " للشعر الحر " فقـــد بقى الشاعر متخلفا عن الرائد الاول " بدر شاكر السياب " فى هذه المرحلة الفنيـــة غير ان اهم مايربط " الحيدرى " بالسيلب هو اندفاعه معه على طريق التجديد الفنى فى موسيقى الشعر الحر وشق الطريق امام مسيرته فمن موسيقاه الشعريه قوله :

غـدا نعـود لكى نعيـــد

وبذلك السأم المبـــــدد

نفس الحديث عن العهـــود

عـــن الوعـــود

وعـن السنيـن الضائعـــات مـن السنيـن

وتظـــل كـان

بالامـــس كـان

اليـــوم كـان (٢)

---

(١) نفس المصدر السابق ص ١٥٧

(٢) نفس المصدر السابق ص ١٥٧ ـ ١٥٨ .

فعلى الرغم من ملامح اسلوب الحكاية الشعبية فى شعره غير انها لم تحمل بذور التجربه ولم يفصح عما تحتويه هذه الملامح من ذكريات الامس واليوم • غير أن براعته فى الافادة من تكرار الضرب " متفاعلان " والقوافى الهادئة الممثلة بالمدات الصوتية تتكرر وتتوالى بصورة تتناسب وملل الشاعر وسأمه • كما نجد الشاعر قد استعمل احيانا مجزوء الكامل " كما فى قصيدته " صدى عذاب " التى يقول فيها :

لا تطرقى بابى فان وراء قلبى الفباب ـ
ابدا يرنح صمته شك ـ وهم ـ واضطراب •
وانا ـ انا كالامس فى قلب الوجود صدى عذاب

كما أن من محاولات الشاعر أيضا مايظهر فى قصيدته " عبوديه " التى اعتمد فيها على التداعى وخلق التوتر والصراع فى داخلها كما فعل السياب من قبل فى العديد من قصائده وملاحمه الشعريه التى تقوم على التداعى والموسيقى الداخلية والصراع الشديد كما فى اعماق "سليمه " بطلة وضحية المومس العمياء اعماق ، حفار القبور ، المخبر وغير ذلك يقول بلند فى قصيدته " عبودية " حيث يدور فيها الصراع والحوار بين الشاعر ونفسه :

اكاد أجن يانفسى	*	أأنت ، أأنت يا حسبى
اهذا العالم المنسى	*	الذى القى به المهد
		ويطوى شفه اللحد
		هو الصاروخ ياعبد ؟ ؟ (١)

لكن هذا الصراع لم يتوافر بصور كافيه فى معظم قصائده الاخرى مما يؤكد لنا عدم قدرة الشاعر على الاستمرار فى هذا الطريق الصعب الذى يحتاج الى عبقرية فذة ، لكن على رغم هذا كله رغم قلة تجارب الشاعر " بلند " بالنسبة لتجارب " السياب " ورغم مروره بمرحلة الذات فى بداية رومانسيته ومرحلة التردد السلبية بين الذات والمجتمع ، ثم مرحلة الانطلاق نحو المشاركة فى بناء المجتمع منذ صدور ديوانه جئتم مع الفجر سنة

---

(١) نفس المصدر السابق ص ١٥٨ •

١٩٦١ ورغم عدم اعتماد الشاعر فى بناء قصائده على الرمز والاسطورة والاقتباس من التراث الشعرى والدينى والتاريخى كما فعل السياب من قبل على الرغم من هذا كله نقول ان الشاعر " بلند الحيدرى " قد أسهم فى بناء الشعر الحديث وفى الحفاظ على لغته العربية الاصيلة وموسيقاه الشعريه داخلية كانت أم خارجية كما اعتمد على الصورة الشعرية فى التعبير عن اعماق مجتمعه بدلا عن التعبير التقريرى المباشر الذى كان سائدا فى الماضى الاهتمام بالتضمين القائم على الحوار الداخلى فى اعماق القصيدة ولهذه الاسباب كلها استطاع الشاعر " بلند " أن يضيف العديد من اللبنات التى اعلت من صرح الشعر رغم انها لم تصل الى المستوى الذى وصل اليه الشاعر بدر شاكر السياب وبذلك نستطيع أن نقرر أيضا تفوق الشاعر " بدر " على جميع معاصريه بلا استثناء فى جميع الجوانب سواء كانت من حيث المضامين والتجارب الشعريه ام من حيث الاسلوب بشتى عناصره المتعددة من بناء فنى وصور شعريه واقتباس وتضمين ورموز واسطوره ولغة وخيال وموسيقى وايقاع وغير ذلك .

((الفصل الثالث))

:: السياب بين ناقديه ::

لقد تناول العديد من الباحثين والنقاد المحدثين التراث الشعرى لبدر شاكر السياب بالنقد والتحليل من جميع جوانبه وزواياه سواء كان هؤلاء من داخل العراق او خارجه حتى بلغ عددهم مايزيد على خمسين باحثا وناقدا وقد اجمعت معظم ارائهم على سمو مكانة الشاعر وارتفاع منزلته الادبية فى عصرنا الحديث •

وفى هذه الصفحات سنحاول استعراض اهم اراء هؤلاء النقاد والباحثين بالنقد والتحليل طلبا للحقيقة العلمية المجرده بعيدين عن التحزب أو التحامل ومن هؤلاء النقاد والباحثين على سبيل المثال لا الحصر :

الدكتور / جليل كمال الدين

الدكتور / احسان عباس

الدكتور / عيسى بلاطه

الدكتور / محمد التونجى

الدكتور / جلال الخياط

هذا بالاضافة الى بعض النقاد الاخرين الذين تناولوا شعر السياب بالنقد والتحليل •

ومن اهم الجوانب الادبية التى تناولها هؤلاء تتحد فيما يلى :

١ ـ البناء الفنى عند الشاعر واهم اشكاله وقوالبه الشعرية •

٢ ـ خصائص اسلوبه الادبى •

٣ ـ ثقافته الشعرية •

٤ ـ مكانته ومنزلته الادبية •

أما بالنسبه الى بناء الشاعر الفنى فقد ذكر الدكتور / جليل كمال الدين ان الشاعر

" بدر شاكر السياب " قد بدأ حياته الفنية شاعرا كلاسيكيا اولا ثم رومانسيا ثانيا ثم واقعيا واخيرا تموزيا وذاتيا وفي هذا المجال يقول " لقد تفتح السياب على مدرسة الجواهري آخر شاعر كلاسيكي كبير ولكنه تخطى هذه الكلاسيكية ثم انتقل في المضمون الى العالم الرومانسي ثم انغمر في عالم الواقع مفيدا من كل معطيات الشعر الحديث برؤيته الكلاسيكي والعمودي . (١)

وقد اكد هذا الاتجاه الدكتور / عيسى بلاطه حين قال " كان السياب جيد الاطلاع على الشعر العربي الكلاسيكي وكان بصورة خاصة معجبا بابي تمام المتوفي سنة ٨٤٥ م " ولذلك فان اثر هذا الميل الكلاسيكي في شعره لايفيد وان كان أقوى في بواكير حياته الادبية منه في خواتيمها وهو يظهر بطرق شتى ولاسيما في لفتته وعنايته بالرنين واهتمامه بالايقاع العالي واكثاره من التشابيه وميله الى الاسهاب . ونزوعه الى النغمة الخطابية والغنائية (٢) وقد اكد لنا هذا الرأي ماذكره الدكتور / محمد التونجي حين قال " والسياب في قصائده الاولى كلاسيكي محافظ وماذلك الا لانه استقى الادب العربي من ينبوعه الاصيل الثر وأن أكثر شعره الكلاسيكي كان مما قاله عندما كان في قريته جيكور وقبل أن يضيع في زحمة المدينة (٣) " ومن اجمل تلك القصائد قصيدته " المساء الاخير " التي اراد أن يودع بها حبيبته الواعية قبل سفره الى بغداد لاكمال دراسته الجامعية ومطلعها :

بـرب الهوى ياشمس لاتتعجلي

لعلي اراها قبل ساع المترحل .

أما الدكتور احسان عباس فرأيه أن انتقال الشاعر من الشعر الكلاسيكي الى الشعر الحركان بدافع العجز عن مواصلة المسيرة في هذا المجال وذلك حين وصف شعر السياب في هذه الفترة الاولى من حياته الفنية قائلا كان فن السياب في هذه الفترة شديد التردد والتفاوت بحاول الشاعر ان يمسك باذيال القصيدة القديمة فيحس بالعجز عن ذلك وينتش له عن طريقه يوارب بها ذلك العجز وفجأة لاح له أن التخلص من ضعفه لايتم الا بالاعتماد على شعر متفاوت في تفعيلاته فانتحى هذه الطريقه الجديدة ليمضي

(١) د . جليل كمال الدين ص ٢٩٨ (٢) د . عيسى بلاطه ص ١٧٨
(٣) د . محمد التونجي ص ١٣١ .

فى تحليل خلجاته الرومانطيقية لا ليجعل منها وعاءا لموضوعات جديده ولهذا كان منحاه الجديد شكليا خالصا (١).

ونحن بدورنا لا نتفق مع الناقد فى هذا الرأى وذلك للاسباب الاتية :

١ — لمخالفته لاراء جميع النقاد السابقين الذين اجمعوا على عمق ثقافة الشاعر فى الادب العربى .

٢ — وجود العديد من الدواوين والقصائد الشعريه للشاعر التى تنطق بقدرته وتحكمه فى صناعة الادب العربى القديم وبخاصة دواوينه الشعريه الاولى التى تمثل مرحلته الرومانسية مثل ديوان " البواكير " " ازهار ذابله " " قيثارة الريح " " اعاصير " وبعض قصائده فى ديوانه " اساطير " هذا بالاضافة الى استمرار الشاعر فى نظم القصائد العمودية التى نظمها فى المناسبات الوطنية والدينية مثل " قصيدة الى العراق الثائر " " ليلة القدر " " مولد المختار " وغيرها من القصائد الاخرى .

٣ — اتساع ثقافة الشاعر العربية والاجنبية مما ساعده على التمكن من ناصية اللغة والشعر .

ولهذه الاسباب نستطيع أن نؤكد أن تحول الشاعر من الشعر العمودى الى الشعر الحر لم يكن بدافع العجز وانما بدافع التطور الحضارى للعصر .

أما بالنسبه لاسلوبه الشعرى فقد رأى هؤلاء النقاد انه يختلف من مرحلة الى اخرى ففى المرحلة الرومانسية الاولى للشاعر وصفه الدكتور / جليل كمال الدين بقوله

" كان السياب فى ديوانيه الباكرين " ازهار ذابله " " اساطير " شاعرا رومانسيا محضا ولذلك كثرت فى شعره كلمات الرومانسيين المهومين وطال التجاوزه الى الريف والطبيعه وهام حول المشاكل العامه (٢) .

---

(١) د . احسان عباس ص ٤٠٦

(٢) د . جليل كمال الدين ص ٢٩٨

كما وصف اسلوبه الشعرى فى ديوانه " انشودة المطر " التى تمثل بداية مرحلته الواقعية بقوله " فى هذه المرحلة تظهربراعة الشاعر فى معرفة " كيمياء اللفظة " كما قال نزار قبانى كما تظهر هندسة القصيدة وموسقتها داخلها وخارجا .... اما فى المرحلة التموزيه فقد وصف شعره بالغموض والابهام لكثرة الرموز والاساطير المتراكمة عند الشاعر ...... وفى مرحلته الذاتية الاخيره وصف شعره بالصراخ الجميل والالم الجنائزى وقلة التركيز (١) " وقد أيد هذا الرأى الدكتور عيسى بلاطه حين قال :

" وليس شعر السياب على مستوى واحد من الجودة الفنية (٢) " وقد وضح لنا الناقد رأيه هذا حين قال " ان هذا لا يعنى ان قصائد السياب مسطحة لاشكل ولكنه يعنى فقط أن التصميم الفنى لم يكن اقوى ميزانه ففى ديوانيه الاولين " ازهار ذابلة " " واساطير " تبدو قصائده معتمده على مجرد فيض من الافكار بالتداعى النفسى ... أما فى مرحلته الشعريه الثانية فقد عمد السياب الى استعمال الاسطوره بالتعبير بالصور الشعريه وبخاصة الاساطير التموزيه التى استعملها ليبنى منها عوالم يتحدى بها منطق الذهب والحديد (٣) ونحن نرى أن شعر السياب قد تغير فى السنوات الثلاث الاخيره من حياته عندما اصيب السياب بمرض فى الجهاز العصبى شل نصفه الاسفل تدريجيا . أصبح شعره يميل الى استيطان الذات مما جعله يفيض غزارة فى عالم الشعر وفى خلال هذه المرحلة انتج قصائد معبرة عن تجارب وجوديه نادرة فى الادب العربى ولعبت ذكريات التجارب الماضية دورارئيسيا فى هذه القصائد فقد عاودته ذكريات الماضى بكل اشكالها ومظاهرها . واصبحت الاهتمامات الشخصية تكون معظم محتويات شعره كتصوير الالم والمرض والصراع مع الموت بالاضافة الى الشوق والحنين الى ذكريات ماضية وطفولته وأمه وزوجته ووطنه .

ومن أهم صفات اسلوب الشاعر عند هؤلاء النقاد انه يمتاز بالرصانة وقوة اللغة

---

(١) نفس المصدر السابق ص ٢٩٨ _ ٣٠٢

(٢) د . عيسى بلاطه ص ١٧٦ .

(٣) د . عيسى بلاطه ص ١٨١ نفس المصدر السابق .

وحدة الايقاع وفخامة اللفظ فى شعره الكلاسيكى وبالهمس والتدفق والانسياب وروعة التصوير واستغلال التراث والفولكلور الشعبى والاسطورة والرمز فى مرحلة الشعر الحر •
ومن أقوال هؤلاء النقاد فى اسلوب الشاعر ماقاله الدكتور محمد التونجى فى وصفه لاسلوب الشاعر قائلا ان اسلوب السياب فى كل شعره جزل رصين ٥ يلائم الموضوعات التى يعالجها •••••• وهو اذا تغزل استخدم ارق اساليب الغزل واذا ثار كان اسلوبا صخرا واذا اراد اصلاح الشعب فستجد اسلوبه يلائم الاسلوب الاجتماعى وهو يضفى على اسلوبه حركة حواريه كما يستخدم الحوار الذاتى فى بعض قصائده كما فى حفار القبور والمومس العمياء (١) وقد وصف القصيدة عند السياب بالتماسك والوحده الفنية وعاطفته بالصدق والثوريه وصوره بالتعانق والسمو والايقاع الموسيقى كما انها مستمده من البيئه التى عاشها الشاعر • أما بالنسبه للخيال فقد وصفه بشدة الارتباط بواقع الشاعر وأن براعته فى الرمز تزيد قوة على رسوخ الخيال فى شعره واكثر مايتجلى هذا فى شعر الشوق والحنين عند الشاعر •

اما بالنسبه للموسيقى الشعريه عند السياب فقد قال عنه " وموسيقيه القصيده عند السياب نجدها موجودة فى شعره الكلاسيكى والحر على السواء ولكل نوع موسيقته الايقاعية الخاصه به كما أن القافيه الواحده المتكرره فى شعره الحر تعطى نغما ايقاعيا مقبولا كما يعتمد على رتابة التراكيب ويبحث عن التفعيلات الرقيقه التى تزيد الايقاع جمالا كما فى قصيدته " اغنيه فى شهر آب " •

---

(١) الدكتور / محمد التونجى ـ بدر شاكر السياب والمذاهب الشعرية المعاصرة ص ١٦٦ وما بعدها •

:: خلاصة البحث ::

بعد أن واكبنا مسيرة حياة الشاعر وتراثه الادبي من المنبع حتى المصب وعرفنا الظروف السياسية والاجتماعية والادبية التى عاشها الشاعر خلال حياته القصيرة والتى لم تتجاوز الاربعين من العمر فاننا نستطيع أن نلخص نتائج هذه الرحلة سواء منها ما يتعلق بحياته ام بتراثه فيما يلى :

١ ـ أن ولادة الشاعر كانت فى نهاية عام ١٩٢٥ فى قريته " بقيع " احدى ضواحى " جيكور " كما كان باكورة والديه وهذا على خلاف ماذهب اليه العديد من النقاد والباحثين الذين ذهبوا الى أن ولادته بجيكور سنة ١٩٢٦ كما انه كان اوسط اخوته •

٢ ـ لقد اتفق معظم الباحثين والنقاد على قبح الشكل الخارجى للشاعر وهذا الوصف بلاشك مناف ومجاف للواقع اذا لم يكن الشاعر بهذه الصورة وانما كان متوسط الجمال ، مقبول الشكل •

٣ ـ لم يكن قبحه المزعوم سبب فشله فى حبه وعواطفه وانما كان السبب الرئيسى يتركز فى فقره وفقده لوسائل الجاه والنفوذ •

٤ ـ لم يكن الشاعر متذبذبا ولامتقلبا فى افكاره ومبادئه كما زعم خصومه بل على العكس كان مثالها للوفاء والتضحية ونكران الذات والايمان بالقومية العربية •

٥ ـ كان السياب شاعرا ، كاتبا ، محاضرا ، ناقدا ، صحفيا ، مترجما وليس أدل على ذلك من الرجوع الى اثاره الادبيه المختلفة •

٦ ـ كان الشاعر عميق الثقافة واسع المعرفه مطلعا على المذاهب والمدارس الادبية المختلفة الشرقى منها والغربى على حد سواء ومما عمق ثقافته ايضا دراسته للتراث والتاريخ والحضارات الانسانية المختلفه بالاضافة الى دراساته الاجنبيه المتعدده

٧ ـ كان السياب اول شاعر عراقى حديث استعمل الاشكال الشعرية المتعددة

فى شعره كالعمودى ، والموشحات ، والحر ، والمزدوج ، وبخاصة الاخير منهـــا انه لم يسبق "لشاعر أخر" ان استطاع الجمع بين الشكلين القديم والجديد فى قصيدة واحدة كما فعل السياب .

٨ — يعتبر السياب أول شاعر عراقى بل وعربى حديث استعمل الاسطورة والرمز فى شعره ، رغم تعثرها فى بداية الامر وتراكمها بصورة معقدة كما فى قصيدته " رؤيـــا فـــوكـــاى " ومرتبة ألالهه لكنها سرعان ماتحولت الى جزء من تجربه الشاعر فيمــا بعد .... واصبحت مرآة تشع بالفكر والايحاء معا .

٩ — استعمال الشاعر " السياب " لتصاميم فنية جديده لم يسبق لشاعر مــن قبل أن استعملها مثله ومن اهم هذه التصاميم — التصميم الرمزى كما فى قصيدته فــى " المغرب العربى " والتصميم التقابلى كما فى قصيدته فجر السلام " الاسلحـــه والاطفال " وبعض ملامحه الشعريه الاخرى فى حفار القبور والمومس العمياء وانشـــودة المطر والتصميم الحوارى ، اكثر ما يتجلى هذا الحوار فى بعض قصائده المتحركـــة مثل يوم الطغاه الاخير " وسوق أمضى والمومس العمياء " المخبر " وغير ذلـــك والتصميم الموحى واكثر ما يتجلى ذلك فى " انشودة المطر " كما فى بعض صورهـــا

١٠ — كان الشاعر " السياب " اول شاعر عراقى حديث استطاع أن ينسج الملحمة الشعريه القائمة على الصراع والمنولوج الداخلى والحوار الدرامى العنيف كمـا فى " المومس العمياء " وانشودة المطر ومن رؤيا فوكاى وفجر السلام والاسلحـــه والاطفال وغيرها رغم مافى بعضها من اسهاب احيانا وتقريريه مباشره حينا آخر .

١١ — قدره الشاعر الفذة على فتح ابواب العروض واوزان الخليل امام الشعـــر الحر فبعد أن كان الشعر الحر مقصورا على البحور الصافيةفقط فقد استطاع الشاعـــر أن يستعمل البحور الاخرى غير الصافية

١٢ — يعتبر الشاعر اول من نسج القصائد الطوال التى بلغ طول بعضهـــا ١٠٠٠ بيت من الشعر العمودى كقصيدته (بين الروح والجسد) وقصيـــــدة

" اللعنات " وبقيت ملاحمه الأخرى التى اضطر الشاعر الى حذف العديد من ابياتها بسبب صعوبة نشرها كاملة فى الصحف والمجلات •

١٣ – استغلال العديد من مصادر الثقافة مثل الفولكلور الشعبى والتراث الادبى والتاريخى وحضارات الامم السالفة بالاضافة الى القصص الدينية •

١٤ – الاهتمام بالصورة الشعرية سواء كانت ملونة ام غير ملونه ومفردة او مركبة ثابتة أو متحركة • هذا بالاضافة الى الاسلوب القصصى القائم على الحوار حينا والتضمين حينا آخر •

١٥ – يعتبر " السياب " اول شاعر عربى حرر القصيدة العربية من قبضة البيت الخليلى العمودى • ولم يتوقف ثورته عند حدود الشكل فقط بل شملت المضامين ايضا •

وبهذا نستطيع أن نقول أن بدر شاكر السياب هو الرائد الاول للشعر العربى الحديث بعد أن فتح الطريق أمام معاصريه والاجيال القادمة الى تطور الشعر العربى الحديث •

أولا : المصادر والمراجع الادبيـــة

١ - د • ابراهيم السامرائى لغة الشعر بين جيلين - دار الثقافة - بيروت ١٩٦٥ •

٢ - د • ابراهيم سلامـه تيارات أدبية بين الشرق والغرب - القاهرة ١٩٥٢

٣ - ابراهيم العريـض الشعر وقضيته •

٤ - ابراهيم الوائلـى ثورة العشرين فى العراق - بغداد ١٩٦٨ •

٥ - أحمد أبو سعـد الشعر والشعراء فى العراق - دار المعارف بيروت ١٩٥٩ •

٦ - د • أحمد مطلـوب النقد الادبى الحديث فى العراق - مطبوعات معهد الدراسات العربية - القاهرة ١٩٦٨ •

٧ - د • احسان عباس البياتى والشعر العراقى الحديث - بيروت ١٩٥٥

٨ - د • احسان عباس بدر شاكر السياب ودراسة فى حياته وشعره - بيروت ١٩٦٩ •

٩ - اسعد رزوق الاسطورة فى الشعر المعاصر - بيروت ١٩٥٩

١٠ - امين الريحانـى الريحانيـات ج٢ •

١١ - د • انيس المقدسـى

١٢ - ايليا حـاوى

١٣ - د • بدوى أحمد طبانـه ادب المرأة العراقية - القاهرة ١٩٤٨ •

١٤ - جبرا ابراهيم جبرا النصر فى معركة الوجود - بيروت ١٩٦٠

١٥ - جلال الخيـاط الشعر العراقى الحديث مرحلة وتطور - بيروت ١٩٧٠ •

١٦ - جليل كمال الديـن الشعر العربى الحديث وروح العصر - بيروت ١٩٦٤ •

١٧ - جميل سعيـد نظرات فى التيارات الأدبية الحديثة فى العراق - ١٩٥٤ •

١٨ — جيمس فريزر — الغصن الذهبي — ترجمة جبرا ابراهيم جبرا

١٩ — خالدة سعيد — البحث عن الجذور .

٢٠ — خالص عزمي — صفحات مطوية عن ادب السياب — وزارة الاعلام بغداد ١٩٧١ .

٢١ — خضر الولي — أراء في الشعر والقصة — بغداد ١٩٥٦ .

٢٢ — خليل الحاوي — بدر شاكر السياب — شاعر الاناشيد والمراثي

٢٣ — داود سلوم — الأدب المعاصر في العراق — بغداد ١٩٦٢ .

٢٤ — رجاء النقاش — ادباء معاصرون .

٢٥ — د . رؤف الواعظ — الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث بغداد ١٩٧٢ .

٢٦ — سيمون جارجي — بدر شاكر السياب الرجل الشاعر ١٩٦٦ .

٢٧ — د . شكري عياد — موسيقى الشعر العربي — القاهرة ١٩٦٧ .

٢٨ — صلاح عبد الصبور — حياتي في الشعر .

٢٩ — طراد — في الشعر العراقي الجديد — بيروت ١٩٧٢

٣٠ — عبد الجبار البصري — بدر شاكر السياب رائد الشعر الحر — بغداد ١٩٦٦ .

٣١ — د . عبد القادر القط — ذكريات شبابي .

٣٢ — عبد الكريم الدجيلي — محاضرات في الشعر العراقي الحديث مطبوعات معهد الدراسات العربية — القاهرة ١٩٥٩ .

٣٣ — علي الخاقاني — شعراء القرى — النجف ١٩٥٥ .

٣٤ — د . عز الدين اسماعيل — الشعر العربي — قضاياه وظواهره — القاهرة ١٩٦٧ .

٣٥ — د . عمر الدقاق — الاتجاه القومي في الشعر المعاصر — مطبوعات معهد الدراسات العربية — القاهرة ١٩٦١

٣٦ — غالي شكري — شعرنا الحديث الى أين — دار المعارف القاهرة ١٩٦٨ .

٣٧ — مارون عبود — مجددون ومجددون — بيروت ١٩٤٩ .

٣٨ — محمد التونجي — بدر شاكر السياب والمذاهب الأدبية المعاصرة ١٩٦٨ .

٣٩ — محمد الجزائري — ويكون التجاوز — بغداد ١٩٧٤ .

٤٠ — د . محمد عبد المنعم خفاجي . — الادب العربي الحديث ومدارسه — جزران القاهرة .

٤١ — د . محمد عبد المنعم خفاجي ومصطفى السحرتي وقاسم الخطاط — معروف الرصافي شاعر العرب الكبير — القاهرة ١٩٧١ .

٤٢ — د . محمد النويهي — قضية الشعر الجديد — القاهرة ١٩٦٤

٤٣ — محيي الدين اسماعيل — ملامح العصر .

٤٤ — مطاوع صفدي — الثوري والعربي الثوري — بيروت ١٩٦١ .

٤٥ — محمود العبطه — بدر شاكر السياب والحركة الشعريه الجديدة في العراق — ١٩٦٥ .

٤٦ — محمود العبطه — اضواء على شعر السياب — بغداد ١٩٦٥

٤٧ — مصطفى عبد اللطيف السحرتي . — الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث القاهرة ١٩٤٨ .

٤٨ — مصطفى عبد اللطيف السحرتي . — شعر اليوم — القاهرة ١٩٥٦ .

٤٩ — نازك الملائكة — قضايا الشعر المعاصر — بيروت ١٩٦٢ .

٥٠ — د . يوسف عز الدين — التيارات الادبية في العراق — بغداد ١٩٦٢

٥١ — د . يوسف عز الدين — الشعر العراقي الحديث — واثر التيارات السياسية والاجتماعية فيه — القاهرة ١٩٦٥ .

٥٢ — يوسف نور عوض — رواد الشعر الحر — الكويت ١٩٦٨ .

ثانيا — الدواويـن الشعريـه

١ — ديوان الجواهري	ج ١ الطبعة الأولى	بغداد ١٩٤٩
٢ — " الرصافي	جزءان	القاهرة ١٩٥٩
٣ — " أحمد الصافي النجفي .	ألحان اللهب	بيروت ١٩٦٢
٤ — ديوان احمد الصافي النجفي .	الامواج	بيروت ١٩٦٠
٥ — ديوان أحمد الصافي النجفي .	التيار	دمشق ١٩٦٤
٦ — بدر شاكر السياب	ازهار ذابلة	القاهرة ١٩٤٧
٧ — " " "	اساطير النجف	" ١٩٥٠
٨ — " " "	المعبد الغريق	بيروت ١٩٦٢
٩ — " " "	منزل الاقنان	" ١٩٦٣
١٠ — " " "	شناشيل ابنة الحلبي	" ١٩٦٥
١١ — " " "	اقبال	" ١٩٦٥
١٢ — " " "	انشودة المطر	" ١٩٦٩
١٣ — " " "	مجموعته الشعريه — دار العودة .	" ١٩٧١
١٤ — " " "	قيثارة الريح — وزارة الاعلام .	بغداد ١٩٧١
١٥ — " " "	اعاصير — وزارة الاعلام .	" ١٩٧١
١٦ — " " "	بواكير — وزارة الاعلام	" ١٩٧٢
١٧ — بلند الحيدري	خفقة الطين	" ١٩٤٧
١٨ — " "	اغاني المدينة الميتة	" ١٩٥١

١٩ - بلند الحيدري	اغاني المدينة الميتة وقصائد أخرى *	بغداد	١٩٥٧
٢٠ - " "	حتى مع الفجر	"	١٩٦٠
٢١ - جميل صدقي الزهاوي	الديوان	القاهرة	١٩٢٤
٢٢ - عبد الرحمن البناء	"	بغداد	١٩٢٧
٢٣ - عبد المحسن الكاظمي	"	القاهرة	١٩٤٨
٢٤ - علي محمود طه			
٢٥ - لميعه عباس عماره	الزاوية الخالية	بغداد	١٩٥٨
٢٦ - محمد علي اليعقوبي	الديوان	النجف	١٩٥٧
٢٧ - محمد حبيب العبيدي			
٢٨ - محمد صالح بحر العلوم	ديوان العواطف		
٢٩ - نازك الملائكة	عاشقة الليل	بيروت	١٩٤٧
٣٠ - " "	شظايا ورماد	"	١٩٤٩
٣١ - " "	قرارة الموجة	"	١٩٥٧

ثالثا — المجـلات والصحـف

١ — أدونيس (زمن الشاعر) مجلة الاداب بيروت — اذار سنة ١٩٦٧ ، ص ٢ — ٥ .

٢ — ادونيس ،مقدمة (قصائـد) بدر شاكر السياب ،دار الاداب ، بيروت، أذار سنة ١٩٦٧ ، ص ٥ — ١٧ .

٣ — الاسعد محمد اسماعيل السياب والصراع مع الزمن ، مجلة الاقلام ، بغداد سنة ١٩٦٦ كانون الثانى ، ص ٦٥ — ٧٨ .

٤ — اسماعيل محيى الدين (ملامح من الشعر العراقى الحديث) مجلة الاداب بيروت سنة ١٩٥٥ ، كانون الثانى ، ص ٤٩ — ٥٧ .

٥ — اسمى ، ميشال (الشاعر الانسان) محاضرات الندوة اللبنانية ١٩٦٥ : ٢ بيروت سنة ١٩٦٥ ص ٧ — ١١ .

٦ — الامير ، ديزى ، (بدر السياب والموقف العاطفى) مجلة الاداب بيروت شباط سنة ١٩٦٥ ص ٧ — ٨ .

٧ — البصرى ، عبد الجبار داود " التحليل النفسى لعروض السياب " جريدة صوت الجماهير بغداد سنة ١٩٦٣ تشرين الثانى .

٨ — البصرى ، عبد الجبار داود (دراسات فى ايقاع الشعر) مجلة الكتـاب ، العدد ١ ، بغداد تيـب سنة ١٩٦٢ .

٩ — البصرى ، عبد الجبار داود (موسيقى الشعر العراقى المعاصر) مجلـة الاداب بيروت ايلول ١٩٥٧ .

١٠ — جبرا ، جبرا ابراهيم (بدر شاكر السياب ، الاسطورة وسيف الكلمـة) مجلة العاملون فى النفط بغداد نيسان ١٩٦٥ ، ص ١٢ — ١٥ .

١١ — جبرا ، جبرا ابراهيم (شاعر مجدد الحياة لم ترأف به الحياة) مجلـة حوار بيروت مارس ، ابريل سنة ١٩٦٥ ص ١٢٧ — ١٢٩ .

١٢ — الجندى ، انعام (محنة السيلب ومأساة الخلق) مجلة الاسبوع العربى بيروت ايلول سنة ١٩٦٢ ،ص ٧٣

١٣ — الجندى ، عاصم (القى السياب بشناشل ابنه الجلبى ... ومضى) مجلة الاسبوع العربى — بيروت ٤ كانون الثانى ١٩٦٥ ، ص ٥٥ .

١٤ — الجيوسى ، سلمى الخضراء (رحلة قصيرة فى دهاليز الوجود العربى المعاصر مجلة الآداب ، بيروت ايار ١٩٦٦ ، ص ٧ — ٩ .

١٥ — الحاج ، انسى (الشعر العربى الجديد فى جسد بدر شاكر السياب) ملحق جريدة النهار بيروت ٧ شباط سنة ١٩٦٥ ص ١٩ .

١٦ — حافظ ، صبرى (غريب على الخليج .. يغنى للمطر) مجلة الاداب بيروت شباط ١٩٦٦ ، ص ١٨ — ٢٢ .

١٧ — حاوى ، ايليا (دراسه نقديه لديوان بدر شاكر السياب انشودة المطر) مجلة الاداب بيروت ايار سنة ١٩٦١ ص ١٨ — ٢١ ص ٥٧ — ٦٠ .

١٨ — حاوى ، خليل عند (سرير السياب) مجلة الاداب بيروت شباط سنة ١٩٦٥ ص ١ — ٢ .

١٩ — حسين ، احمد رشدى (مأساة عارنا جميعا مجلة حوار ، بيروت ، مارس ابريل ١٩٦٥ ، ص ١٢٤ — ١٢٧ .

٢٠ — حسين ، عادل مهدى (الالتزام الثورى فى شعر السياب) مجلة الكتاب بغداد مايو حزيران سنة ١٩٦٥ ص ٢٢٢ — ٢٢٥ .

٢١ — الحلبى ، على (الفنان والخلق الثورى) مجلة الاداب بيروت تموز ١٩٦٣ .

٢٢ — الحيدرى ، بلند (بدر شاكر السياب الذاهب كالمطر) مجلة الاديب بيروت فبراير ١٩٦٥ ص ٥٦ — ٥٧ .

٢٣ — الحيدرى ، بلند (خواطر فى الشعر العراقى الحديث) مجلة الاديب العراقى العدد (١) سنة ١٩٦٢ ص ٤٢ — ٤٦ .

٢٤ — الخال ، يوسف (المحرر اخبار وقضايا) مجلة الشعر بيروت صيف ١٩٥٧ ص ١١١ — ١١٣ .

٢٥ — الخياط ، جلال (فى ذكرى السياب الثانية الاسطورة والكائن الخرافى) مجلة الاداب بيروت كانون الثانى ١٩٦٧ ص ١٠ — ١١ .

٢٦ — رفقة ، فؤاد (أنشودة المطر ، لبدر شاكر السياب) مجلة شعر بيروت شتاء ١٩٦١ ص ١٦٣ — ١٦٨ .

٢٧ — الريس ، رياض نجيب (ديوانه الاخير) مجلة حوار بيروت ، مارس ابريل ١٩٦٥ ص ١٣١ — ١٣٣ .

٢٨ — الريس ، رياض نجيب (انتصار وهزيمة الفارس المقصد) جريدة (الجريده) العدد ٢٧٢٨ بيروت شباط سنة ١٩٦٥ .

٢٩ — زكى ، احمد كمال (السياب مفكرا ـ مجلة الفكر المعاصر) القاهرة يوليو ١٩٦٥ ص ٩٠ — ٩٨ .

٣٠ — السامرائى ماجد صالح (مناخ المثيرفى شعر السياب) مجلة الاقلام بغداد كانون الثانى ١٩٦٦ ، ص ٩٤ — ١٠٠ .

٣١ — سحاب ، الياس حديث عن الادب والادباء مجلة الحوادث ، بيروت العدد ٢٠ حزيران ١٩٦٢ .

٣٢ — سعيد ، خالده السياب فى الشعر الحديث محاضرات الندوة ، ١٩ : ٢ ، بيروت ١٩٦٥ ص ١٢ — ١٩ .

٣٣ — سعيد ، فتحى (بدر شاكر السياب ، شاعر الموت) مجلة الاقلام ، بغداد كانون الثانى سنة ١٩٦٦ . ص ٧٩ — ٩٣ .

٣٤ — السياب ، بدر شاكر (تعليقان) مجلة الاداب ، بيروت ، حزيران ١٩٥٤ ، ص ٩٩ .

٣٥ — السياب ، بدر شاكر (الشعر والشعراء فى العراق الحديث) جريدة الايام بغداد ٢٥ تشرين ١٩٦٢ .

٣٦ — السياب ، بدر شاكر (وسائل تعريف العرب بنتاجهم الادبى الحديث) مجلة الاداب تشرين الاول سنة ١٩٥٦ ص ٢٢ — ٢٤ ، ص ١٠٠ — ١٠١

٣٧ — السياب ، مصطفى (كلمة الاستاذ مصطفى شاكر السياب) محاضرات الندوه اللبنانية ١٩ : ٢ بيروت ١٩٦٥ ص ٢٥ — ٢٦ .

٣٨ - شكري ، غالي (شعرنا الحديث ، الى اين ؟) مجلة حوار بيروت نوفمبر - ديسمبر ١٩٦٥ ص ٦٠ - ٧٩ .

٣٩ - شكري غالي (صراع المتناقضات في صفوف الشعر الحديث) مجلة حوار بيروت مارس ابريل سنة ١٩٦٦ ص ٥٨ - ٧٦ .

٤٠ - الشواق ، خالد (كلمة جمعية المؤلفين والكتاب) مجلة الكتاب بغداد ، مايو حزيران سنة ١٩٦٥ ص ٢١٦ .

٤١ - الشواق ، خالد (بدايات بدر الشعرية) مجلة الكلمه بغداد ، العدد (١) كانون الثاني سنة ١٩٦٨ ص ٤ - ٧ .

٤٢ - صالح مدني (الفكرة المولده في بواكير شعر السياب) مجلة الاداب بيروت تشرين الاول سنة ١٩٦٧ ص ٣٦ - ٤٠ .

٤٣ - صفدي ، مطاع (السياب الانسان والشاعر) مجلة الاداب بيروت ،شباط ١٩٦٥ ص ٤ - ٥ ، ٧٣ - ٧٥ .

٤٤ - طاقه ، شاذل (السياب يبني تجديده على اسس راسخه من فهم التراث) مجلة الكلمة بغداد العدد (١) كانون الثاني ١٩٦٨ ص ٢ - ٣ .

٤٥ - عباس ، عبد الجبار (الحب والمرأة في شعر السياب) مجلة الاداب بيروت شباط ١٩٦٦ ص ٥ - ٧ ، ص ٧٨ - ٧٩ .

٤٦ - عز الدين ،سيف (مأساة الاديب في العراق) مجلة الكتاب ، بغداد ، مايو ، حزيران ١٩٦٥ ص ٢٢٨ - ٢٣٠ .

٤٧ - علوش ، ناجي (بدر شاكر السياب) مجلة الاداب ،بيروت أدار ١٩٦٦ ص ٨٨ - ٩٢ ، ص ١٢١ - ١٢٣ .

٤٨ - علوش ، ناجي (مقدمة اقبال لبدر شاكر السياب) بيروت ،دار الطليعه ١٩٦٥ - ص ٥ - ١٩ .

٤٩ - العمري ، ناثر (كلمة العراق في ابن العراق) محاضرات الندوة اللبنانية ١٩٢ : ٢ بيروت ١٩٦٥ ص ٢٠ - ٢٤ .

٥٠ - كرم ،انطون غطاس (بموته ولد لنا شاعر كبير) مجلة حوار بيروت مارس ابريل ١٩٦٥ ص ١٢٠ - ١٢٤ .

٥١ ـ لطفى ، عبد المجيد (بمناسبة ذكرى السياب) مجلة الاداب بيروت أذار ١٩٦٧ ص ٦٥ .

٥٢ ـ الماغوط ، محمد (مات الطائر وبقيت الاغنية) مجلة حوار بيروت مـارس ابريل ١٩٦٥ ص ١٢٩ ـ ١٣١ .

٥٣ ـ الماغوط ،محمد (مزاح عن الموت مع شاعر الموت) مجلة العاملون فـي النفط بغداد نيسان ١٩٦٥ ص ١٦ ـ ١٧ .

٥٤ ـ المانع ، نجيب (السياب من الشعراء الفريزيين) مجلة الكلمه بغـداد ، العدد (١) كانون الثانى ١٩٦٨ ص ١ ـ ٢ .

٥٥ ـ محمد ، محيى الدين (السياب مناضلا وشاعرا) مجلة الشعر العدد ١٤ السنة الثالثة القاهرة فبراير ١٩٦٥ ص ١٢ ـ ٢٥ .

٥٦ ـ المعلوف، اميل (المعبد الغريق) مجلة حوار بيروت اذار نيسان ١٩٦٢ ص ١١٨ ـ ١٢١ .

٥٧ ـ الملائكة ، نازك (حركة الشعر الحر فى العراق) مجلة الاديب بـيروت كانون الثانى ١٩٥٤ ص ٢١ ـ ٢٤ .

٥٨ ـ الملائكة ، نازك (مقدمة شظايا ورماد) المكتب التجارى للطباعة والتوزيـع والنشر بيروت ١٩٥٩ ، طبعه ثانية ص ٧ ـ ١٨ .

٥٩ ـ موسى ، حسن (السياب ... وتجربة الصراع بين اليأس والامل) مجلـة العلوم بيروت اكتوبر ١٩٦٥ ص ٥٦ ـ ٦٧ نوفمبر ١٩٦٥ ص ٦٨ ـ ٧٤ .

٦٠ ـ نصار ، نعيمه (انسانية جديده فى شعر السياب ميرس) مجلة الاسبـوع العربى بيروت ٢١ كانون الثانى ١٩٦٣ ص ٦٦ .

٦١ ـ النقاش ، رجاء (هل للشعر العربى الجديد فلسفه) مجلة الاداب ،بيروت اذار ١٩٦٢ ص ٣٥ ـ ٤١ .

:: المصادر والمراجع التاريخيـــة ::

١ - تاريخ العراق السياسى الحديث - عبد الرزاق الحسينى ٣ أجزاء .

٢ - تاريخ الوزارات العراقية - عبد الرزاق الحسينى .

٣ - تاريخ العراق بين احتلالين عباس العزاوى .

٤ - الثورة العراقية الكبرى - عبد الرزاق الحسينى - مطبعة العرفان - لبنــان ١٩٦٥ .

٥ - الحرب العراقية البريطانية - محمود الدره - دار الطليعه - بيروت ١٩٦٩

٦ - مذكراتى - ابراهيم الراوى .

٧ - مذكراتى - توفيق السويدى - بيروت .

٨ - عراق نورى السعيد - ولد مارعلميه

٩ - العراق الحديث - فاضل الجمالى .

١٠ - تكوين العراق الحديث - هنرى فورستر ترجمة عبد المسيح جويده - بغـداد سنة ١٩٤٦ .

١١ - العراق أمسه وغده - قليل كنه - بيروت سنة ١٩٦٩ .

١٢ - العراق من الاحتلال الى الاستقلال - عبد الرحمن البزاز - معهد الدراسات العملية القاهرة ١٩٥٠ .

١٣ - نظام الحكم فى العراق - د . مجيد خدورى .

١٤ - الارض والفقر - مسز دورين وارنر .

١٥ - ثورات العرب فى القرن العشرين - امين سعيد .

١٦ - تاريخ مقدرات العراق السياسيه - امين العمرى - بغداد سنة ١٩٢٤ . سنة ١٩٢٥ الجزء الثالث ص ٤٠ .

١٧ - مذكراتى - صلاح الديـن الصبـــاغ .

١ ـ مجلة اضواء ـ دار السلام ـ بغداد سنة ١٩٧٠ •
٢ ـ الانباء الجديده ـ عدد ٣٠ بغداد •
٣ ـ جريده النهضة العراقية ـ بغداد عدد ١٨٤ اسباط سنة ١٩٦٥ •
٤ ـ جريدة الحريه العراقية ـ بغداد عدد ١٤٤١ سنة ١٩٥٩ •
٥ ـ محلة المثقف ـ بغداد سنة ١٩٧٤ ـ عدد خاص تموز سنة ١٩٧٤ •
مجلة الاداب ـ بيروت حزيران سنة ١٩٥٤
٦ ـ مجلة الاداب ، بيروت سنة ١٩٥٥ •
مجلة الاداب ، بيروت سنة ١٩٥٦ يونيه سنة ١٩٥٦ •
مجلة الاداب بيروت ـ عدد ٢ سنة ١٩٦٥ •
مجلة الاداب ـ بيروت ـ عدد ٢ سنة ١٩٥٧ •
مجلة الاداب ـ بيروت ـ سبتمبر سنة ١٩٦١ عدد مايو ١٩٦١ •
مجلة الاداب بيروت ـ سبتمبر عدد ٤ سنة ١٩٦١ ، سنة ١٩٦٥ •
مجلة الاداب ـ بيروت ـ سبتمبر عدد ٣ سنة ١٩٦٥ •
مجلة الاداب ، مايو سنة ١٩٦٦ ، مارس سنة ١٩٦٦ ، ومجلة الاداب تشرين ثان سنة ١٩٧١ •
٧ ـ مجلة كل شيء ـ بغداد عدد ٤٦ سنة ١٩٦٥ •
٨ ـ جريدة الاهرام ـ القاهرة سنة ١٩٦٥ فى ١٩٦٥/٣/١٢ •
٩ ـ ملحق جريده النهار اللبنانية فى شباط سنة ١٩٦٥ •
١٠ ـ مجلة الحياة العراقية ـ بغداد سنة ١٩٦٠ •
١١ ـ مجلة اراء بغداد سنة ١٩٦٠ ـ تشرين ثان •
١٢ ـ جريدة صوت الجماهير ـ بغداد ، سنة ١٩٦٠ ، ١٩٦٣/١٠/٢٦
١٣ ـ مجلة الفكر المعاصر ـ بغداد ، سنة ١٩٧٤ •
١٤ ـ مجلة الاعلام العراقية ، وزارة الاعلام بغداد السنة التاسعة سنة ١٩٧٤
١٥ ـ مجلة شعر ،بيروت ، عدد ٣ سنة ١٩٥٧ وعدد ١٨ سنة ١٩٦١ •

١٦ — مجلة حوار سنة ١٩٦٢ .

١٧ — مجلة الاسبوع العربى ، بيروت ٤ كانون الثانى سنة ١٩٦٥ .

١٨ — مجلة الاعتدال — بغداد عدد ٨ تشرين ثان سنة ١٩٣٩ عدد ٣ مارس سنة ١٩٤٦ .

١٩ — جريدة العراق عدد ٢٦٦ فى ١٤ يناير سنة ١٩٢٩ .

٢٠ — جريدة النهضة العراقية العدد ٣٢٠ سنةثانية ١٩٢٩ .

٢١ — مجلة الطاعة — النجف سنة ١٩٦٧ عدد ٦ .

٢٢ — المجلة — القاهرة عدد ٧٩ .

٢٣ — مجلة الفنون — بغداد عدد ٢٢ سنة ١٩٥٧ .

٢٤ — مجلة المجلة — القاهرة ١٩٦٥ .

٢٥ — مجلة العاملون فى النفط عدد ٣٧ بغداد سنة ١٩٦٥ .

٢٦ — مجلة الثقافة العربية — اذار سنة ١٩٧١ .

:: الفهـــــرس ::

(البلب الثانــــى)

(البلب الثالـث)